

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة 1-
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية



التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط: دراسة حالة سوريا منذ سنة 2011

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في العلوم السياسية
تخصص: العلاقات الدولية وجيوبوليتيكا الدراسات الأسيوية

إشراف الدكتور:
زيدان زياني

إعداد الطالبة الباحثة:
سعيدة بن رقرق

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د. عبد الله راقدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة - 1	رئيسا
د. زيدان زياني	أستاذ محاضر - أ	جامعة باتنة - 1	مشرفا ومقررا
أ.د. حسام الدين بو عيسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	عضوا مناقشا
د. فؤاد جدو	أستاذ محاضر - أ	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
د. سامي بخوش	أستاذ محاضر - أ	جامعة باتنة - 1	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2022



شكر وتقدير

بداية أحمده الله عز وجل وأشكره الذي ألهمني الصبر والقوة والإرادة لبلوغ هذه المرحلة وعلى تمام العمل الذي ظننت يوماً أنه لن يكتمل...
وأوجه بخالص الشكر والتقدير والإحترام لأستاذي الدكتور زيدان زيانبي على قبوله الإشراف على هذه الأطروحة، وصبره معي طيلة مرحلة الإنجاز... ومرحابة صدره ومجهوداته ونصائحه القيمة التي ساعدتني على إتمام هذا العمل
ثم أتوجه بكامل الشكر والتقدير لكل أساتذة العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة باتنة 1 الذين رافقوني في مشواري العلمي من مرحلة الليسانس، الماجستير والدكتوراه.

وأخص بالذكر رئيس لجنة التكوين في الدكتوراه
أ. د/ مراقي عبد الله على كل ما قدمه لي طيلة مساري، وكل أعضاء لجنة التكوين في الدكتوراه تخصص العلاقات الدولية و جيوبوليتيكا الدراسات الآسيوية.
وإلى أعضاء لجنة المناقشة على جهد قرائهم وتصويرهم هذا العمل.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين حبا وامثانا وعر فانا
إلى كل أفراد عائلتي
إلى كل من كان عوناً لي في أن أخط حرفاً في هذا العمل
إلى كل طالب علم

سعيدة/سعاد

باتنته... شئاء 2022.

كلمة أولى

لعل أفضل ما يبدأ به الباحث في كتابته كلمة لعبد الرحيم اليسانبي
وهو يعنذر لعماد الدين الأصفهاني يقول فيها:
"إنني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده
لو غير هذا كان حسن، ولو زيد هذا كان يستحسن،
ولو قدم هذا كان أفضل، ولو ترك هذا كان أجمل،
وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على اسنيلاء النقص على جملة البشر..."

مقدمة

لعبت الجغرافيا منذ القديم دورا حاسما في التأثير على سلوك الوحدات السياسية وتصورات القادة للدور الذي ينبغي أن تضطلع به دولهم، والمكانة التي يجب أن يحتلها مجتمعهم في علاقته مع بقية الوحدات السياسية والاجتماعية؛ سواء في زمن السلم أو الحرب. ولقد لاحظ أرسطو قديماً أهمية الجغرافيا وعلاقتها بالسياسة، فقام بدراسة البيئة أو المحيط الطبيعي من حيث تأثيره في الطبيعة البشرية والضرورات الاقتصادية والعسكرية للدولة النموذجية، وهذا ما فعله هيرودوت أيضاً أكبر مؤرخ اليونان القديمة الذي يعتبر من الجيوبوليتيكيين القدامى المهتمين بعلاقة الإنسان بالأرض. كما أن ابن خلدون كان من أوائل المفكرين المسلمين الذين ربطوا طبيعة المجتمعات وسلوكات الأفراد بعامل الجغرافيا، فسكان الجبال، القرى، والمدن المناطق البحرية، والصحراوية أو الباردة يختلفون في الطباع والسلوكات عن بعضهم البعض بسبب أثر عامل الجغرافيا بالأساس.

اتفقت الاستراتيجيات الدولية الحديثة على اختلافها على أهمية ومحورية العامل الجغرافي والسياسي في تحقيق أهداف الدولة وطموحاتها، وفي تثبيت مكانتها في سلم توزيع القوى الدولية، وإظهار الدور الأكثر تميزاً، بل والسعي لتحسين تلك المكانة. وهذا ما أكده الجيوبوليتيكي الأمريكي الشهير نيكولاس سبيكمان، حينما كتب الجغرافيا لا تُجادل فهي ما هي عليه في أعقاب الحرب العالمية الثانية سنة 1942 يقول ببساطة: "إن الجغرافيا هي العامل الأكثر أهمية في السياسة الخارجية للدول، لأنها أكثر العوامل ديمومة، يأتي الوزراء ويذهبون، وحتى الطغاة يموتون، لكن السلاسل الجبلية تظل راسخة في مكانها. إن جورج واشنطن الذي دافع عن ثلاث عشرة ولاية بجيش غير نظامي، قد خلفه فرانكلين روزفيلت الذي كانت تحت تصرفه موارد قارة بأسرها، لكن المحيط الأطلسي استمر في فصل أوروبا عن الولايات المتحدة، كما أن موانئ نهر سانت لورنس ما زالت تُغلق بسبب الجليد في فصل الشتاء. أما ألكسندر الأول وهو قيصر جميع الأراضي الروسية فقد أورث جوزيف ستالين ليس فقط سلطته ولكن كفاحه الذي لا ينتهي للوصول إلى المياه الدافئة"⁽¹⁾

مع نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء حلف وارسو وانتشار موجات التحول الديمقراطي في أوروبا الشرقية وبعض مناطق أخرى من العالم، وبروز أجندة عالمية جديدة معقدة على غرار قضايا البيئة، الجريمة المنظمة، الإرهاب العابر للحدود، حقوق الإنسان، حرية تنقل الأشخاص

(1) - روبرت كابلان، انتقام الجغرافيا: ما الذي تُخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضدّ المصير، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2015)، ص50.

والبضائع ورؤوس الأموال، حاجج تيار من المفكرين العولميين على تراجع دور المتغير الجغرافي في رسم الاستراتيجيات الدولية، ومن ثمة في تحليل و تفسير العلاقات الدولية في ظل التدفق السريع لموجات العولمة والشركات العابرة للجنسيات الحدود والتطورات التكنولوجية. مقابل ذلك، عاد تيار أكاديمي ممثل في " روبرت كابلن" **Rebert Kaplan** في كتابه انتقام الجغرافيا، حيث يرى أن من يدعي بموت الجغرافيا جاهل بالخدمات اللوجستية والعسكرية، و"كولن غراي" **Colin Gry** الذي ذهب للقول بأن نهاية الجغرافيا مغالطة معقولة و"ياكوب كريجيل" **Jakub Grygiel** للإنبعاث من جديد وفي صمت تقاديا لمواجهة ستكون نتيجتها حتما خاسرة مع عولمة لبيرالية جارفة. فبحسب هذا التيار فان القول بإلغاء العولمة للجغرافيا يعتبر مغالطة معرفية وأن الجغرافيا لم تهزم بعد، كما القواعد القائمة على الصراع من أجل القوة التي تحكم العلاقات بين الدول تظل ثابتة. وبالتالي فإن المرحلة الجديدة ستشهد صعود قوى جديدة تدفع بسياساتها القائمة على القوة والمصلحة إلى تغيير وإعادة توزيع موازين القوى في النظام الدولي الجديد السائر في إطار الهندسة والتأسيس. وبحسبهم فإن الأدوات المنهجية الجيوبولتيكية الفعالة -رغم محاولات تهميشها أو التقليل من شأنها- تظل الأقدر على استيعاب وفهم تداعيات وتأثيرات التحولات الجديدة على النظام الدولي الذي تشكل منذ معاهدة"واست فاليا 1648" وبروز وحدته التحليلية الأساسية الأساسية الدولة، مروراً بمؤتمر يالطا 1945 الذي أفرز نظام الثنائية القطبية.

بحسب هذا المنظور، فإن مسعى تكريس العولمة أظهر نتائج عكسية لما كان منتظرا أن يحصل في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرون، على غرار حالة الفوضى والدمار والقتل التي شهدتها العديد من المناطق. حيث لم يمض على بروز النظام العالمي الجديد عقدين من الزمن، حتى بدا واضحا أن مركز القوة الدولي المؤثر تحرك وبدأ يبتعد نوعا ما عن مركز النقل - من الولايات المتحدة نحو روسيا الإتحادية والصين - وغيرها من الدول التي تسعى لإيجاد موقع لها يسمح لها بالمساهمة في ترتيبات النظام الدولي لما بعد العولمة. على ضوء ذلك ظهر للسطح تنافس جيوبولتيكي محموم من أجل السيطرة والهيمنة على مناطق جذب وفراغ جيوبولتيكي، مثل منطقة الشرق الأوسط التي شكلت عبر التاريخ مجالا حيويا للامبراطوريات الكبرى؛ حيث تتميز هذه المنطقة بأهمية قصوى في الاعتبارات الجيوستراتيجية لدى صانع القرار بالنسبة للدول الكبرى، لما تتمتع به من عوامل الجذب الجيوستراتيجي من موقع وموارد طبيعية، بل إنها تشكل المحور المركزي للسيطرة على العالم، هذا من جهة ومن جهة أخرى تعتبر من أكثر بؤر التوتر للأمن على المستوى الدولي.

يتجلى هذا الاهتمام بالمنطقة في تاريخها الطويل المتمس بالحضور الفعلي والتنافس الجيوبوليتيكي القوي بين القوى الكبرى منذ أواخر القرن التاسع عشر، إلى جانب التداول بين القوى الكبرى في التحكم وإدارة الموارد الحيوية التي تزخر بها المنطقة بين بريطانيا وفرنسا من التقسيم لتركبة الرجل المريض ورسم الحدود (سايكس بيكو) مطلع القرن العشرين، إلى أمريكا وروسيا مطلع القرن الواحد والعشرين وغزو العراق من قبل أمريكا والتواجد الفعلي المباشر لروسيا عقب أحداث الربيع العربي مما يضفي عليها أهمية جيوبوليتيكية.

لكن التطورات الدولية المتتالية قللت من دور الولايات المتحدة كفاعل جيواستراتيجي وحيد في المنطقة وهذا بظهور قوى قديمة بتسميات واستراتيجيات جديدة، كروسيا الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي بعد أن تعافت اقتصاديا، والصين العملاق الاقتصادي الآسيوي الذي شكل مع القوة العسكرية الروسية جبهة جيوبوليتيكية أوراسية في مواجهة القوى الأطلسية (الولايات المتحدة الأمريكية). هذا من جهة بالإضافة إلى القوى الإقليمية التي يتصاعد دورها في الشأن الدولي والشرق أوسطي بالتحديد. حيث شكلت عودة تركيا للساحة الدولية قطبا إقليميا جديدا خاصة بعد صعود أردوغان للحكم بتوجهه الشرقي الإسلامي وهذا للقرب الجغرافي والتاريخي، والمصالح الجيوبوليتيكية التركية في المنطقة، وإيران ذات النقل النووي التي طالما أرادت تحقيق المشروع الجيوبوليتيكي الشيعي والسيطرة الإقليمية على منطقة الشرق الأوسط خاصة بعد انفلات عقد النظام الإقليمي العربي وفشله في تحقيق السلم والأمن. شكلت هذه القوى تنافسا محمومًا في منطقة تعتبر رخوة وغير آمنة وغنية بموارد مادية وغير مادية لإحكام السيطرة العالمية.

تعتبر سوريا من أهم المراكز الجيوبوليتيكية في سياسات القوى الكبرى، فموقع سوريا على ضفة البحر المتوسط الشرقية يجعلها بوابة ساحلية للقارة الآسيوية، فبالنسبة لقوى البحر التجارية (التالاسوكراتيا) تحتاج إلى موقع سوريا لمحاصرة المحور المقابل لها وهو المحور الأوراسي القاري (قوى اليابسة أو التيلوروكراتيا) وذلك حسب مبدأ "الأناكوندا" الذي تحدث عنه الجيوبوليتيكي الأمريكي ألفريد ماهان، ونفس الشيء ينطبق على القوى البرية الأوراسية التي تكمن مهمتها في الحفاظ على الآماد الشاطئية المحيطة بالأوراسية القارية. هذه الحقيقة الجغرافية والمعطيات الجيوبوليتيكية تجعلنا نفهم التنافس الجيوبوليتيكي الشديد حول هذه المنطقة، فبعد انفجار الوضع الداخلي في سوريا ربيع 2011 في شكل مظاهرات شعبية داخلية على غرار العديد من الدول العربية فيما عرف بالربيع العربي - فالأحداث التي بدأت كمظاهرات

مطالبة باصلاحات سياسية واقتصادية وتوسيع نطاق الحريات - تحولت بسرعة لنزاع دولي متعدد الأطراف الداخلية والخارجية الداعمة لأحد الأطراف الداخلية خدمة لمصالحها الحيوية في سياق تنافسها الجيوبوليتيكي جعل النزاع يدخل عامه الحادي عشر .

تأتي أغلب توصيفات النزاع السوري بالتركيز على التراكمات الداخلية التي أدت لانفجار الوضع، لكن رؤية الوضع السوري من الجانب الداخلي فقط تبقى منقوصة وضبابية إلا بالتطرق للسياق العالمي والإقليمي للنزاع السوري في ظل عودة مفهوم التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى للعلاقات الدولية.

أهمية الدراسة:

يتميز هذا الموضوع بأهمية عملية وأكاديمية كبيرة، فالدراسة تعتمد على ظاهرة التنافس الجيوبوليتيكي التي انبعثت مجددا في علاقات القوى الكبرى منذ مطلع القرن الحادي والعشرين بعودة روسيا للساحة الدولية كفاعل جيوسراتيجي في العلاقات الدولية، كما تبدو أهمية الموضوع من خلال المحاجة على عودة جيوبوليتيكا العصر القديم التي تركز على التنافس على المجالات الحيوية لتفسير وفهم العلاقات الدولية رغم ادعاءات الطروحات العولمية بتحييدها وتهميشها في الفهم وتفسير التفاعلات بين القوى الكبرى.

وهنا تظهر أهمية منطقة الشرق الأوسط كركعة شطرنج إقليمية وعالمية في صراع القوى لوضع قَدَم في النظام العالمي السائر في طريق التشكل. ولأن منطقة الشرق الأوسط مهمة جيوبوليتيكا أطلق عليها بريجنسكي قوس الأزمات، خاصة في ظل ما تشهده من تحولات سياسية وانحدارات أمنية نتاج أحداث الربيع العربي خاصة في سوريا التي أصبحت ساحة للنزاع المسلح. وهذه الأوضاع عززت التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى للحصول على المزيد من مجالات السيطرة الجيوبوليتيكية، وتمثل سوريا أهم وأكبر الساحات التي احتدم فيها التنافس بين القوى الكبرى.

أسباب اختيار الموضوع:

الأسباب الموضوعية:

إن موضوع التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط والتركيز على دراسة حالة سوريا هو موضوع جدير بالدراسة لأنه موضوع الساعة في العلاقات الدولية بصفة عامة والدراسات الجيوبوليتيكية بصفة خاصة لأنه يقدم لنا محاولة فهم التطورات المستجدة في منطقة الشرق الأوسط من

خلال التركيز على التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى حول سوريا، وهذا لأهميتها في الاستراتيجية الكبرى لكل طرف.

الأسباب الذاتية:

- محاولتي البحثية ورغبتي في التعمق في الدراسات الجيوبوليتيكية بعد دراسة موضوع الأسس النظرية لعلم الجيوبوليتيكا في مذكرة الماجستير واستكمالاً للموضوع النظري، وفي محاولة لتطبيق وفهم التنافس الجيوبوليتيكي وصراع القوى الكبرى على مناطق السيطرة العالمية ومن بينها منطقة الشرق الأوسط التي شكلت وتشكل متغيراً سياسياً في صياغة استراتيجيات الدول الكبرى جاءت دراستي لهذا الموضوع.

- القرب الجغرافي والديني والحضاري لمنطقة الشرق الأوسط، والانتماء للعالم الإسلامي العربي مما جعلني أهتم بالنزاع السوري من منظور جيوبوليتيكي في محاولة لفهم أبعاد وتجليات ومآلات التنافس الجيوبوليتيكي المحموم الذي انخرطت فيه قوى عالمية كبرى عالمية وأخرى إقليمية.

- تزايد ميولاتي البحثية حول العلاقات الدولية في شقها التنافسي الصراعى يجعلني أسعى للبحث في المواضيع ذات الصلة بهذا الأخير فهما وإدراكاً.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة توضيح تجليات التنافس الجيوبوليتيكي في العلاقات بين القوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط، واختيار النزاع السوري كنموذج لأنها كشفت النقاب عن الأسباب الحقيقية للتنافس الدولي بين الولايات المتحدة أكبر قوة عالمية وروسيا العائدة بقوة للساحة الدولية في الحديث عن حرب باردة ثانية من جهة، والتنافس الإقليمي بين إيران وتركيا والسعودية لفرض رؤية إقليمية في المنطقة على اعتبارات تاريخية وجغرافية ودينية ومذهبية. كما أن الدراسة تهدف للتدليل على أهمية المناطق المفتاحية في الاستراتيجيات الدولية للقوى الكبرى وأن أهمية المكان والمتغير الجغرافي لا تزال حاضرة لفهم طبيعة التفاعلات الدولية.

حدود الدراسة:

المجال الزمني: سنحاول دراسة الإشكالية المختارة في إطار زمني منذ أحداث الربيع العربي سنة 2011 التي عصفت بالعديد بالدول الشرق أوسطية والتركيز على الحالة السورية من بداية الأزمة في ربيع 2011.

المجال المكاني:

نركز في دراستنا على سوريا ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة بصفاتها منطقة جذب جيوبوليتيكي للقوى الكبرى الساعية للهيمنة العالمية والقوى الإقليمية التي تريد أن تكون الطرف الأكثر انخراطا في تفاعلات المنطقة خاصة في ظل انهيار النظام الإقليمي العربي.

المجال الموضوعي:

سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نتوصل إلى توليفة تفسر لنا العلاقة بين الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط واحتدام التنافس الدولي حولها بين القوى الكبرى سواء العالمية أو الإقليمية، وبين تجاذبات المصالح الجيوبوليتيكية وانعكاساتها على تدويل النزاع السوري وسيورته ومآلاته.

الدراسات السابقة:

تكمن أهمية الاطلاع على الدراسات السابقة في محاولة استقادة الباحث من المادة العلمية المقدمة فيها بأشكالها الثلاث: معلومات ذات طبيعة فعلية (معطيات وبيانات)، معلومات ذات طبيعة منهجية (الكيفية التي تم بها إنجاز البحوث السابقة)، معلومات ذات طبيعة نظرية (مختلف التفسيرات التي قدمت حول الموضوع)⁽¹⁾. ولأن أي دراسة لا تأت من فراغ وإنما هي تكملة وتتمة لبحوث ودراسات سابقة فإن موضوع بحثنا انطلق من أدبيات سابقة أوردها كما يلي:

- كتاب لجمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا، الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011 ركزت هذه الدراسة على الصراع على سوريا منذ فجر التاريخ إلى غاية أزمة 2011 انطلاقا من أهميتها الجيوبوليتيكية، وخلصت الدراسة إلى أن التحليل التراكمي للصراعات عبر تاريخ سوريا يساهم في فهم الوضع التنافسي الصراعي حول سوريا وذلك في إطار التأثيرات الجيوبوليتيكية في منطقة الشرق الأوسط،

(1) - موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية (الجزائر: دار القصة للنشر، ط.2، 2006)، ص.143.

لكن ما يلاحظ على الكتاب رغم أهميته هو أن العنوان لا يعكس المضمون بالضبط فجزئية سوريا ما بعد 2011 والمشار إليها في العنوان بالأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011 تطرق إليها الكاتب في الفصل الحادي عشروهو الفصل الأخير في حين جاءت أغلب فصول الدراسة تاريخية منذ تشكل البيئة الجيوسياسية لسوريا في فجر التاريخ ومخاض العصور الوسطى مروراً بالقرن التاسع عشر وفترات الانتداب والاستقلال، وما تلاها وصولاً لأزمة 2011، لهذا حاولنا الاستفادة من الكتاب والبدء من حيث انتهى أي دراسة حالة سوريا منذ 2011.

- كتاب المفكر الروسي ألكسندر دوغين بعنوان "أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي"، المترجم من طرف الأستاذ عماد حاتم، عن دار الكتاب الجديد المتحدة عام 2004. حيث عرض الكتاب الإطار النظري لعلم الجيوبوليتيكا وكيف يمكن استغلال موقع روسيا الجيوبوليتيكي في رسم سياستها الخارجية خاصة في مواجهة الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. فالكتاب استطاع تقديم وجهة نظر جديدة بعيداً عن وجهات النظر السائدة التي تكتسي الصبغة الأمريكية مما ساعدنا في عرض جميع وجهات النظر للتنافس والصراع الروسي الأمريكي. إلا أن كون الكاتب هو مستشار للرئيس الروسي يجعله لا يتسم بالموضوعية في كثير من آراءه، كما أن دراسته جاءت نظرية وكوصفة لصانع القرار الروسي للتعامل الجيوبوليتيكي مع القوى الكبرى المنافسة أو المحاور الجيوبوليتيكية المهمة لبناء الإمبراطورية الروسية.

- مقال بعنوان جيوبوليتيك الأزمة السورية بعد الثورة دراسة لتحولات أدوار الفاعلين الإقليميين في مسرح الصراع السوري، لنور الدين حشود، مجلة دفاتر السياسة والقانون العدد 16 جانفي 2017 ركزت الدراسة على الدور الروسي الإيراني والتركي في الأزمة السورية وكيف أن التدخل الإقليمي حول الأزمة من أزمة داخلية إلى نزاع متعدد الأطراف وأقصد مركز القوة السيادية للسلطة. المقال لم يركز على كل الفواعل الدولية في سوريا وخاصة الولايات المتحدة، كما أن المقال صدر سنة 2017 والنزاع السوري يعرف تغيرات و تطورات مستمرة.

- Christopher Phillips, the Battle for Syria, international rivalry in the new middle east, Yale University press, new Haven and London, 1st published in paperbaback2018. كتاب مهم لأستاذ العلاقات الدولية في كلية موين ماري في جامعة لندن بعنوان المعركة حول سوريا التنافس الدولي في الشرق الأوسط الجديد نشر الكتاب لأول مرة سنة 2016 ثم ادخلت عليه تعديلات عام 2017 وصدرت نسخته المعدلة سنة 2018 يرى الكاتب أن المجموعة الدولية

أوقدت الصراع في سوريا بدل إطفائه وساهمت في تفاقم النزاع الميداني والسياسي في سوريا على مدى سنوات النزاع، وهذا الأمر لا ينفي دور العوامل الداخلية، حسب قوله، ولكن تدويل الأزمة السورية سياسياً وعسكرياً . ميدانياً، ازداد إلى درجة كبيرة في السنوات الأخيرة وحتى عام 2017 وخصوصاً بعد تصاعد دور روسيا وإيران ميدانياً حيث أدى إلى سقوط مناطق هامة في أيدي النظام وخصوصاً في نهاية عام 2016 بعد سيطرة جيش النظام على مدينة حلب.

إشكالية الدراسة:

إن التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط لم يكن وليد الربيع العربي ولكن كان منذ القرن التاسع عشر لكنه ظهر بصورة واضحة في فترة الحرب الباردة عندما تم تقسيم العالم لمناطق نفوذ بين المعسكرين الجيوبوليتيكيين الغربي والشرقي، وكانت المنطقة حلبة للتنافس الجيوبوليتيكي الأمريكي السوفييتي ورغم إدعاء العولمة بنهايته أعادته التحولات التي عرفتتها عديد الدول الشرق أوسطية نهاية 2010 وتبين جليا في سوريا بتدويل إنتفاضتها الداخلية للتحوّل بسرعة لنزاع عسكري متعدد الأطراف وهذا ما يطرح الإشكالية البحثية التالية: كيف تجلّى التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة

الشرق الأوسط في سوريا؟

التساؤلات الفرعية:

- ما هي الاستبصارات التي تقدمها الجيوبوليتيكا لفهم التنافس بين القوى الكبرى حول منطقة الشرق الأوسط؟
- كيف ساهمت الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط في تفعيل التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى؟
- ما هي مضامين ومستويات التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في الشرق الأوسط من خلال النزاع السوري؟
- ما هي انعكاسات ومآلات التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط على سوريا.

الفرضيات:

- تشكل الموارد الجيوبوليتيكية (المادية وغير المادية) التي تحظى بها منطقة الشرق الأوسط مسوغات جيوبوليتيكية لتنافس حقيقي بين القوى الكبرى عليها.
- ساهمت الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في تشابك مجالات التنافس بين القوى الكبرى مما وسّع النزاع السوري وأجّل تسويته.

منهجية الدراسة: إن طبيعة الموضوع ومحاولة الإلمام بمتغيراته تفرض على الباحث اعتماد مناهج ومقاربات نظرية تختلف من موضوع لآخر ولهذا اعتمدنا على التوليفة المنهجية التالية:

مستوى التحليل النظامي: يعتمد تحليل الظواهر المختلفة على متغيرات يسعى الباحث لإيجاد العلاقات السببية التي تربط بينها، وذلك بقياس طبيعة ومستوى التغير الذي يحدث في المتغير التابع لدى حدوث تغير في المتغير المستقل. وقد دأب باحثو العلاقات الدولية على انتقاء متغيراتهم التحليلية من أحد مستويات التحليل الثلاثة: مستوى التحليل الفردي، مستوى التحليل الوطني، ومستوى التحليل النظامي. وبحسب وولتز فإن الباحثين يوظفون متغيرات من المستويات الثلاثة إلا أنهم -ولضرورات منهجية- يميلون للتركيز على أحد هذه المستويات دون الأخرى لقد ساهم وولتز في صقل تصور "مستوى التحليل" من خلال عمله الصادر عام 1959 بعنوان: "الإنسان، الدولة والحرب"، وفيه استعرض ما أسماه الصور الثلاثة images التي ترد ضمنها معظم التحاليل عن السياسة الدولية. وقد تم التحول عن مصطلح الصور إلى مصطلح مستويات التحليل لدى دايفيد سينغر David Singer في كتاب صدر عام 1961 بعنوان: "النظام الدولي"⁽¹⁾ واستعملت مستوى التحليل النظامي الذي يتضمن متغيرات متنوعة مثل عدد القوى الكبرى في النظام الدولي وطبيعة الاستقطاب هل هو نظام أحادي القطبية أو ثنائي وطبيعة العلاقة التنافسية بين القوى الكبرى في النظام الدولي، ولأن النزاع السوري كان فرصة للقوى الكبرى للتعبير عن مكانتها ومصالحها في السياق الدولي فإن المستوى النظامي يساعدنا في فهم التفاعلات بين القوى الكبرى في النزاع السوري وكيف ساهمت تعدد القوى المنخرطة في تدويله وتسريع وديناميكيته.

المنهج التفكيرى-التركيبى: يستعمل في الدراسات المتعلقة بالتنافس بين القوى من خلال دراسة مسوغات التنافس وأبعاده وتحليل انعكاساته، وهذا ما توضح من خلال معرفة المبررات الجيوبوليتيكية لكل

(1) - عادل زقاغ، مستوى التحليل، level of analysis، دراسات سياسية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، 10.02.2020، من الموقع: <https://www.politics-dz.com>

قوة في سوريا ومستويات حضورها في النزاع منذ بدايته كانتفاضة شعبية لغاية تدويله لنزاع متعدد الأطراف، وهذا ما يساعدنا على تفسير تأثير التنافس والتجاذبات الإقليمية والعالمية في مسارات ومخرجات النزاع السوري.

المقاربات النظرية:

1. **المقرب الواقعي:** ولأننا بصدد تحليل التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في الشرق الأوسط فالواقعية الجديدة the new realist التي تركز في تحليلها على القوة كعامل مركزي في العلاقات الدولية والمصلحة و فوضوية النظام الدولي، تعطينا الفهم الكافية لأسباب التنافس و تداعياته ومخرجاته في سوريا في ظل البحث عن القوة وتحصيلها في عالم يتسم بالتنافس والفوضوية فالواقعية الجديدة التي تركز على الدولة كفاعل أساسي في تحليل العلاقات الدولية تنتظر للتنافس الجيوبوليتيكي في سوريا من منظور الأطراف الدولية الفاعلة (روسيا، سوريا، إيران) في مواجهة الولايات المتحدة وتركيا ودول الخليج الداعمة للمعارضة السورية المسلحة؛ حيث يعمل كل طرف على تعظيم مصالحه ومكاسبه في ظل نظام دولي فوضوي. لذا يتعين على كل وحدة دولية أن تضع نفسها في موضع يمكنها من تقوية قدراتها الخاصة بنفسها self لذا فالدولة هي الفاعل الأساسي في النظام الدولي، فلا توجد سلطة عليا تفرض سيطرتها على تلك الدولة ما يسمى ANARCHY سلطة الدولة هي العليا. ومعنى ذلك أن حالة الفوضوية تلك تشجع الدول على التنافس، والصراع بين غيرها من الدول، وأن الدولة مسؤولة عن تحقيق أمنها، وتعزيز وتطوير قدراتها التسليحية وبالتالي زيادة الفرصة لنشوء الحروب.

2. **المقرب الجيوبوليتيكي:** استعملت المقرب الجيوبوليتيكي لأن التحليل الجيوبوليتيكي كأحد المداخل النظرية التي تسلك منحى خاص في تحليلها لسلوك الدولة النزاعي، وظاهرة النزاع الدولي عموماً، ويتخذ المدخل الجيوبوليتيكي من الدولة (الأرض) مستوى أساسي للتحليل، كما يحظى هذا التحليل بخاصية فريدة جعلته موضع جذب واهتمام، سواء من قبل القادة السياسيين والعسكريين وصناع القرار.

حيث يمكن الإفادة من التحليل الجيوبوليتيكي لأغراض عسكرية وسياسية، وهو يساعد القادة السياسيين والعسكريين على اتخاذ قراراتهم بشأن إقحام القوة أو التراجع عنه بالانسحاب، كما يسهل هذا التحليل على تقدير المناطق التي يحتمل جدا أن يحدث فيها تصادم المصالح الدولية، وفي ضوء

التحليل الجيوبوليتيكي أيضا يمكن إعداد السياسات والخطط والمناهج الذي ينطوي عليها السوق الأكبر أو الإستراتيجية العليا.

بالإضافة إلى ذلك يبدو دور التحليل الجيوبوليتيكي أكثر حضورا على الصعيد الاجتماعي الواسع، فلو استخدمنا مثلا الشبكة الجيوبوليتيكية الأقرب إلى البساطة "قلب الأرض" "Heartland"، حافة الأرض "Rimland"، جزيرة العالم "World Island" في تفسير أي مادة إعلامية تتعلق بالأحداث العالمية ترسم أمامنا على التو النموذج الموضح الذي لا يتطلب كميات إضافية من المعارف المتخصصة الضيقة، عند دراسة التدخل العسكري في سوريا يعني توسع القوة البرية على حساب القوة البحرية في سوريا تحديدا ومنطقة الشرق الأوسط التي تعتبر حسب نظرية سبيكمان جزء من الحافة الأرضية وأهميتها بالنسبة للقوى البحرية لا تقل عن أهميتها بالنسبة للقوى البرية. عند دراسة التنافس الإيراني التركي في الشرق الأوسط المقرب الجيوبوليتيكي يعطينا الاستبصارات والفهم الكافي للتفاعلات والنزاعات والتحالفات في المنطقة من أجل التوسع الجيوبوليتيكي.

وكما هو معروف، تختص النظرية الجيوبوليتيكية بدراسة الدولة من وجهة النظر السياسية في إطار واقعها الجغرافي، وترى أن تطور الدولة ونموها وارتقائها يرتبط ارتباطا وثيقا بالعوامل الجغرافية، إضافة إلى قدراتها المادية والمعنوية، والمهم هنا أن الدراسات الجيوبوليتيكية - حسب "أوتوميل" OTTO MAUIL - تهتم بالدولة لا على أساس مفهوم جامد، بل باعتبارها كائنا حيا ينمو ويتحرك، ولا ينبغي أن تكون هذه الحركة عشوائية، أو تفتقر إلى وضوح الرؤية والهدف، إنما ترتبط هذه الحركة بأهداف ومقاصد سياسية معلومة ومحددة، وتأتي في مقدمة هذه الأهداف ما يعرف بالمجال الحيوي، والمجال الحيوي وفق التصور الجيوبوليتيكي، هو الإطار المكاني أو الحيز الجغرافي الذي تعتقد الدولة أن التحرك باتجاهه يعد ضروريا لتحقيق أهداف سياستها العليا. وهنا يعطينا فهم حول أهمية سوريا لمختلف القوى من جهة وكيف جعلتها الجغرافيا ضحية للتنافس، ومن جهة أخرى تعطي المسوغات الجيوبوليتيكية الكافية للقوى الكبرى للتدخل في مجالاتها الحيوية فروسيا عند تدخلها في سوريا من منظور جيوبوليتيكي محض رأت أن مصالحها ومجالها الحيوي الجنوبي مهدد لهذا يعتبر التدخل ضرورة جيوبوليتيكية في إطار التنافس الدولي.

ومن هنا تنطلق النظريات الجيوبوليتيكية في تفسيرها للنزاع الدولي، وفي تسليطها الضوء على الأسباب التي تدفع بالدول إلى التوسع والدخول في نزاعات مع غيرها.

صعوبات الدراسة:

ككل عمل بحثي لا يخلو مسار بحثنا من صعوبات سواء ذاتية تعلقت بالبطء في مسار العمل في محاولة التريث والإلمام بحിثيات ومتغيرات الموضوع المتجددة والمتسارعة، أو موضوعية تعلقت بالدرجة الأولى بديناميكية الموضوع وجدته، لأن النزاع السوري عرف مراحل شد وجذب مختلفة من طرف جميع الأطراف المنخرطة في سياق التنافس الجيوبوليتيكي، ولأن قلة المراجع لم تعد إشكالا بحثيا يواجه الباحث فكثرة المراجع طرحت لنا العديد من التساؤلات والتقصي من أجل الوصول إلى معلومات وتحليلات موضوعية بعيدة عن الخطابات الإعلامية ذات النزعات الذاتية، كما أن النزاع السوري طرح توجهات كثيرة بين مؤيد للنظام وبين واصفه بمجرم الحرب، شرعية التدخل الدولي من عدمه، كل هذا جعلني أعمل على تمحيص المراجع بحثا عن الموضوعية العلمية، كما أن طبيعة الموضوع المتغيرة والواسعة المتجددة جعلتني أغفل بعض الثغرات التي قد تكون في حد ذاتها انطلاقة لبحوث مستقبلية مكملة للموضوع.

تقسيم الدراسة وتبرير الخطة:

في سعينا للإجابة على الإشكالية المركزية والتساؤلات الفرعية ولإثبات الفرضيات المطروحة حول موضوعنا حاولنا تقسيم الدراسة إلى أربعة فصول جاءت على النحو التالي:

➤ الفصل الأول التنافس الجيوبوليتيكي في منطقة الشرق الأوسط: مسح تاريخي ونظري

يحتوي الفصل الأول على ثلاث مباحث يركز المبحث الأول بمطالبة الثلاث على السيرورة التاريخية للتنافس الجيوبوليتيكي كمصطلح مفتاحي في البحث، حيث تطرقنا إلى التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى في مرحلة الحربين العالميتين كمرحلة بارزة للتنافس بين القوى الكبرى في تلك المرحلة، ثم في المطلب الثاني محاولة تسليط الضوء على سياقات الحرب الباردة و ظهور التنافس الجيوبوليتيكي بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي كميزة مفصلية لتلك الحقبة، و بعدها التنافس الجيوبوليتيكي في عالم ما بعد نهاية الحرب الباردة أين أصبح أكثر التركيز على البعد الاقتصادي لكن دون اهمال المجالات الحيوية. واستكمالا لمسعى التنافس جاء المبحث الثاني للتعريف الجيوبوليتيكي بمنطقة الشرق الأوسط قلب الجيوبوليتيكي الكلاسيكية والمعاصرة، ليكون المبحث الثالث أطارا نظريا للنظريات الجيوبوليتيكية التي تسهل لنا فهم التنافس الجيوبوليتيكي في منطقة الشرق الأوسط وذلك بالتطرق للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى من منظور النظريات الجيوبوليتيكية الكلاسيكية والمعاصرة.

➤ **الفصل الثاني: مستويات حضور الفواعل الدولية في منطقة الشرق الأوسط** يتطرق هذا الفصل للقوى الفاعلة في المنطقة ومستويات حضورها ومسوغاتها الجيوبوليتيكية ففي المبحث الأول تطرقنا للمسوغات الجيوبوليتيكية للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط من خلال عرض وتحليل أهمية وقيمة الموارد الطاقوية والممرات البحرية التي تشرف عليها المنطقة بالإضافة للأهمية الحضارية، وفي المبحث الثاني تمت دراسة مستويات حضور القوى الكبرى العالمية (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الصينو الإتحاد الأوروبي)، وفي المبحث الثالث دراسة مستوى الحضور الإقليمي لكل من إيران و تركيا و السعودية و إسرائيل.

➤ **الفصل الثالث: الجيوبوليتيكا السورية مركز الاهتمام الدولي:** نتناول من خلال هذا الفصل دراسة حالة سوريا و كيف تحولت الأحداث الداخلية المطالبة بالإصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلى نزاع متعدد الأطراف نركز في المبحث الأول على الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها المجال الأوسع للتنافس الجيوبوليتيكي، وأهمية موقع سوريا بالنسبة للقوى الكبرى، لننتقل في المبحث الثاني إلى النزاع السوري بدراسة مسباته الداخلية وتطوراته ومساراته الدبلوماسية، وفي مبحث ثالث نعرض التنافس الإقليمي في سوريا بين كل من إيران و تركيا والمواقف العربية من النزاع السوري من خلال دراسة الموقف السعودي والقطري الذين ظهرا بقوة في سوريا بدعم أطراف مختلفة.

➤ **الفصل الرابع: تفاعلات علاقات القوة بين القوى الكبرى في سوريا منذ سنة 2011**

يركز هذا الفصل على التنافس الجيوبوليتيكي لكل من الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا بصفتها الفاعلان الأساسيان في النزاع السوري منذ بدأت المظاهرات و كذلك الدور الصيني المتنامي في دعمه للقرارات الروسية، والتطرق للتفاعل الأوروبي و إن كان الأقل حضورا مقارنة ببقية القوى الكبرى. ففي المبحث الأول جاء التركيز على الاستراتيجية الأمريكية في سوريا في بدايات الأزمة وتحولاتها مع وصول ترامب للسلطة و التدخل العسكري الروسي، و المبحث الثاني خصص لروسيا التي كانت الفاعل الحاضر بقوة في سوريا لاعتبارات عدة منذ البداية لجانب النظام السوري وعززت دورها بالتدخل العسكري وهذا ما تطرقنا له في المطلب الثاني من المبحث الثاني، وخصصنا المبحث الثالث للدور الصيني والأوروبي في سوريا على اعتبارهما أقل حضورا من الولايات المتحدة وروسيا ففي المطلب الأول عالجنا الحضور الصيني إلى جانب روسيا في القرارات الدولية الداعمة للنظام السوريو في المطلب الثاني الدور الأوروبي في سوريا.

الفصل الأول:

التنافس الجيوبوليتيكي في منطقة الشرق
الأوسط: مسح تاريخي ونظري

مثلت منطقة الشرق الأوسط منذ التاريخ القديم مركز جذب واستقطاب جيوسراتيجي للإمبراطوريات الكبرى من اليونانية إلى الرومانية، الفارسية والعثمانية، وفي فترات الاستعمار الأوربي كانت مجالا حيويا للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى للسيطرة على مقدرات هذه المنطقة من مساحات شاسعة ومياه ونفط بالإضافة إلى السيطرة على الممرات البرية والبحرية باعتبارها همزة وصل بين القارات الثلاث. يتناول هذا الفصل دراسة الخلفية التاريخية للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى على مجالا النفوذ الحيوية منذ فترة الحربين العالميتين إلى الفترة الحالية وتغير مجالات التنافس، بل توسعها لتشمل المجالات الرقمية والافتراضية كما نحاول التعريف بموقع منطقة الشرق الأوسط وأهمية هذا الموقع الجيوبوليتيكي في الديناميات السياسية والاقتصادية به ويتعرض المبحث الثالث للنظريات الجيوبوليتيكية المفسرة لظاهرة التنافس في منطقة الشرق الأوسط.

المبحث الأول:

الخلفية التاريخية للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى:

تشكل ظاهرة التنافس⁽¹⁾ الدولي السمة الغالبة في العلاقات بين الدول وهذا راجع للاختلاف والتضارب المصلي بين القوى، كما أنه يمثل نمطية طبيعية في الكثير من المجالات خاصة بين القوى الكبرى في مناطق النفوذ والمجالات الحيوية لكل منها. كما يعتبر التنافس بين الدول في سبيل تحقيق مصالحها أمراً مشروعاً وواقعاً معاشاً وهو حق طبيعي للدول، إلا أن الصراع والتنافس أضر كثيراً بشعوب تعرضت للاستعمار ونهب ثرواتها وأضاع فرص نهضتها بفعل الأقياء فكانت بعض المناطق الجغرافية من العالم ميادين للتنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى، فتم خرق قواعد النظام الدولي ومؤسساته في ظل عالم يزداد عدد سكانه والحاجة إلى تأمين سبل العيش والرفاهية للشعوب، لذلك تضع الدول استراتيجيات تؤمن خلالها حاجتها للموارد الطبيعية المتناقصة وبناء القوة التي تحفظ أمنها القومي، ويقود هذا التنافس بمختلف أشكاله إلى صراعات يمكن أن تتطور إلى نزاعات وإلى حروب تستخدم فيها القوة المسلحة.⁽²⁾

يمثل عاملي الموقع الجغرافي والموارد الطبيعية أحد مسببات التنافس الجيوبوليتيكي على منطقة أو دولة معينة، وهذا بإثارتها أطماع القوى الكبرى لذلك تنشأ حالة التفاعل والتنافس بين الفواعل الدولية عبر مختلف الحقب التاريخية وهذا ما ستناوله بالدراسة في هذا المبحث

(1) - **تعريف مصطلح التنافس:** يرجع أصل المصطلح إلى اللاتينية *cum ludere* وتعني اللعب معاً، أما في اللغة العربية فيعني مصطلح التنافس التزاحم بين الدول والجماعات من أجل التفوق في سبيل بلوغ قيمة معينة. هناك العديد من التعريفات التي قدمت بشأن التنافس الدولي أو التنافس في العلاقات الدولية، ويمكن القول أن التنافس الدولي يقصد به الإختلالات الموجودة في المجتمع الدولي وهذه إختلالات تتضخم وتأخذ صورة الصراع إذ لم تتم معالجتها، فالدول تسعى إلى تعظيم مكاسبها وفقاً لمفهوم المصلحة الوطنية بشكل قد يتناقض مع مصالح دول أخرى مما قد يولد حالة من التنافس وقد يشمل التنافس مجالاً محدداً وقد يتسع ليشمل مجالات عديدة كالتنافس الاقتصادي والسياسي الحضاري، خاصة إذا كانت الدول التي يطبع علاقاتها التنافس متباينة إيديولوجياً أو متباينة في المنهجين الاقتصادي والسياسي لكل منهما للمزيد حول مفهوم التنافس اطلع: عبد الله فلاح العضالية، التنافس في آسيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2017)، ص 4.

حسين قادري، النزاعات الدولية دراسة وتحليل، الجزائر: (منشورات خير جليس، ط1، 2007)، ص 19.

(2) - بشير محي الدين، ميادين التنافس الجيوسياسي الاستراتيجي الدولي.. والحدود الشفافة، من الموقع:

المطلب الأول: التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى أثناء الحربين العالميتين

كانت نهاية القرن التاسع عشر فترة قلق جيوبوليتيكي وتنافس بين القوى الأوروبية، إذ أن الحرب الفرنسية البروسية (1870-1871) وتوحيد ألمانيا وإيطاليا غيرا الخريطة السياسية الأوروبية كثيرا، وزادت كثافة المنافسة الجيوبوليتيكية بين القوى الأوروبية، خاصة على المستعمرات في بقية أنحاء العالم، وكانت الحروب في تلك الفترة حروبا عظمى بين الدول (1914-1918) شارك فيها العديد من الدول من مختلف القارات.⁽¹⁾ وتميزت فترة الحرب العالمية الأولى بواقع تنافسي من أجل الهيمنة، وهذا ما أفرز حالة من الضغط التكتوني*² خاصة بين بريطانيا وألمانيا وأيضا بين ألمانيا وروسيا.

اتسمت تطورات الحرب العالمية بالنمط الكئيب الذي اتسمت به صراعات ثيوسيديزية* أخرى على مر العصور، حيث كانت بريطانيا مشحونة بالقلق على غرار الكثير من القوى الحاكمة أو القائمة، وكانت ألمانيا مدفوعة بطموح القادمين والصاعدين وقد حول لهيب هذا التنافس الجيوبوليتيكي إلى جانب حالة التهور وقصر النظر التي سادت أوروبا آنذاك بعد عملية اغتيال وقعت في سراييفو إلى حريق عالمي هائل.⁽³⁾ وهذا ما يترجم أنه عندما تكون قوة صاعدة مهددة لقوة حاكمة مهيمنة يصبح الصدام المسلح العنيف الناتج عن هذا التنافس هو القاعدة.

(1) -كولن فالنت، **جغرافيا الحرب والسلام من معسكرات الموت إلى الحراك الدبلوماسي**، ترجمة، عاطف معتمد وآخرون، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، ج2، 2017)، ص68

(2)*- التكتونية tectonics هي العلم الذي يدرس البنى التركيبية الكبرى للأرض وأسباب وجودها والانزياح التكتوني tectonic shift هو تغير بنيوي كبير يحدث بسبب حركة قشرة الأرض والمقصود به هنا أن صعود ألمانيا غير وجه الأرض.

(3) - غراهام أليسون، **حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة**، تعريب وتعليق إسماعيل بهاء الدين سليمان (بيروت: دار الكتاب العربي، 2018)، ص130.

(*)- الحروب الثيوسيديزية أو الحروب البوليبينية هي حالة من التنافس بين القوتين العظيمة في اليونان القديمة يكمن السبب الرئيس وفقا لتفسيرات ثيوسيديس في أعماق التوتر البنيوي بين قوة صاعدة وأخرى حاكمة، لقد قاد ذلك التنافس أثينا وإسبرطة إلى سلسلة من المواجهات. وهنا يتحدث ثيوسيديس عن ثلاث من قوى الدفع الأساسية التي دفعت الطرفين إلى الحرب وهي المصالح، الخوف والفخر

- المصالح القومية قوة دافعة واضحة لا لبس فيها فبقاء الدولة واستقلاليتها وحريتها في اتخاذ القرارات التي تؤثر على محيطها أو مناطق نفوذها دون إكراه من طرف آخر معايير تقليدية في أية منافسة تتعلق بالأمن القومي.

- خوف: خوف إسبرطة من نمو أثينا بمعنى خوف قوة حاكمة من طموح وصعود قوة صاعدة.

- الفخر عند ثيوسيديس يترجم وفقا للعصور الحديثة "إحساس الدولة بنفسها وقناعتها بما تستحقه من اعتراف وإحترام بالإضافة إلى ما نطلق عليه الإعراف الوطني، فمع تنامي قوة أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد تزايد إحساسها

ومع هذا لا تعتبر الحرب قدرا محتوما للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى حيث يعلمنا التاريخ أن القوى الحاكمة تستطيع إدارة العلاقات مع منافسيها بمن فيها الذين يمثلون تهديدا لموقعها القيادي دون الحاجة إلى إشعال حرب.⁽¹⁾

تركزت فكرة التنافس الجيوبوليتيكي بين ألمانيا وبريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى حول التنافس على النفوذ البحري، لأن بريطانيا ترى في تحقيق الأمن القومي الدائم لبريطانيا؛ ألا تسيطر أية قوة أخرى على أوروبا الغربية كما يقول تشرشل: "على مدار أربعمئة عام كانت السياسة الخارجية البريطانية صداقة في وجه القوى الأكبر والأكثر عدوانية والأشد هيمنة من بين دول القارة الأوروبية"⁽²⁾.

بالإضافة إلى النفوذ البري وذلك لأن هيمنة أية قوة برية يتيح لها توجيه مصادرها إلى بناء قوة بحرية تفوق القوة البحرية البريطانية، كما أن سواحل أوروبا المواجهة للجزر البريطانية تمثل منصة مناسبة لأي عملية غزو لتلك الجزر، لهذا لا تستطيع أية حكومة بريطانية أن تقبل أي تحد لهيمنتها البحرية أو محاولة لتغيير موازين القوى في أوروبا حيث تلخص التنافس الجيوبوليتيكي البريطاني الألماني في:

- منع ألمانيا من تشكيل قوة بحرية مهيمنة

- منع ألمانيا من التفوق على خصومها الأوربيين وهذا يظهر تحالف بريطانيا مع فرنسا وروسيا فيما بعد لصد ألمانيا، والوقوف في وجه تحقيق أهدافها الجيوبوليتيكية.⁽³⁾ في حين يدفع ج لويس ديكنسون الأكاديمي البريطاني السبب الرئيس للحرب العالمية الأولى لم يكن ألمانيا أو أية قوة أخرى، وإنما حالة الفوضى الأوروبية التي أوجدت للدول دوافع قوية لتحقيق التفوق على الدول المنافسة لها بدافع الأمن والهيمنة وهذا ما خلق حالة من التنافس الجيوبوليتيكي وصل بأوروبا لحرب عالمية أتت على ملايين الضحايا.⁽⁴⁾

بالأفضلية. للمزيد اطلع: غراهام أليسون، حتمية الحرب بين القوة الصاعدة و القوة المهيمنة، تعريب إسماعيل بهاء

الدين (لبنان: دار الكتاب العربي)، ص ص 19.20.

(1) - غراهام أليسون، مرجع سابق، ص 23.

(2) - المرجع نفسه، ص 126.

(3) - المرجع نفسه، ص 129.

(4) - جون مرشامير، مأساة سياسة أقوى العظمى، ترجمة مصطفى محمد قاسم (الرياض، جامعة الملك سعود للنشر العلمي

والمطابع، 2012، ص 28.

تعتبر الحرب العالمية الأولى تأكيداً لأفكار الجيوبوليتيكا وتجسيد لحالة التنافس من حيث منطق القوة، لأنه وحسب الجيوبوليتيكيين إذا كانت الحرب هي الحكم النهائي في العلاقات الدولية فإن العامل الحاسم في حرب الاستنزاف هو الإمكانيات الاقتصادية والصناعية التي يعتمدها كل ائتلاف في الجهود الحربية.⁽¹⁾ وحسب ميرشايمر في كتابه مأساة القوى العظمى أن القوة العسكرية هي التي تؤهل الدولة لخوض معركة كبرى في حرب تقليدية ضد أقوى دولة في العالم ولا يشترط في أن تمتلك الدولة المرشحة القدرة على هزيمة الدولة المهيمنة بل تحويل النزاع إلى حرب استنزاف تضعف من خلالها الدولة المهيمنة بدرجة كبيرة.⁽²⁾

فدخول الولايات المتحدة بإمكانياتها الصناعية الضخمة حوالي 2.5 مرة أكبر من القوة الألمانية غير موازين القوى لصالح الحلفاء، والنتيجة الجيوبوليتيكية الثانية للحرب العالمية الأولى هي ظهور الثورة البلشفية التي تعتبر صراع على السلطة وهي أيضاً رؤية للعالم جسدت دور الإيديولوجية في حكم الدول.⁽³⁾

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ظلت الجيوبوليتيكا من أهم الموضوعات وأكثرها شيوعاً للدراسة في ألمانيا، فنتيجة لهزيمتها في الحرب اضطرت ألمانيا لتوقيع معاهدة صلح مهينة، وساهم مفهوم راتزل حول الدولة العضوية، وتعديلات كيلن لهذا المفهوم في إعطاء ألمانيا تبريراً جزئياً، وبرنامج عمل لصحوة بسيطة ومتواضعة لفترة ما بعد الحرب، كما أعطاهما استراتيجية فعالة لكل من الدفاع الحربي والتوسع المساحي.⁽⁴⁾

ولأن القادة الألمان أرادوا تبريراً كاملاً، وهروباً من هزيمتهم في الحرب، وتعويضها برغبة في السلطة والقوة لذلك وضعوا قوانين جديدة، وأضافوا تعديلات إلى أفكار راتزل وكيلن، التي أصبحت فيما بعد من الأسس التي قام عليها نظام جديد أطلق عليه الجيوبوليتيكا geopolitik.⁽⁵⁾ هذا الأخير الذي وجد

(1)- Abdlaziz Djerad, LA GEOPOLITIQUE repères et enjeux,(Alger, Editions Chihab, 2016), p68

(2)- جون مرشايمر، مرجع سابق، ص 11.

(3)- Abdlaziz Djerad, op, cit, p 69.

(4)- حسين خليل، دراسة في الأقاليم البرية والبحرية وأثر النظام العالمي في متغيراتها، (بيروت: دار المنهل اللبناني، ط، 2009، 1)، ص 243.

(5)- المرجع نفسه، ص 243.

الألمان في أفكاره وافتراضاته تبريرا علميا لحالة التنافس الجيوبوليتيكي التي ميزت ألمانيا على حساب جيرانها الأوربيين.

اقتزنت الجيوبوليتيكا بدراسة القوة السياسية الدولية والقومية، وتجسد ذلك من خلال نظرية راتزل "أن الدولة هي كائن حي"، أو نظرية "ماكيندر" حول "المحور الجغرافي للتاريخ" كان التركيز دوما على القوة السياسية سواء أكان ذلك في شكل رؤى حول متطلبات التوسع المساحي للدول التي تنمو أو نموذج لتحقيق السيادة العالمية.⁽¹⁾

أما خلال الحرب العالمية الثانية فقد زاد الاهتمام بالجيوبوليتيكا، ومن ثمة زادت حدة التنافس بين القوى لفرض سياسة كل قوة على الأرض خاصة بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. وأثارت الترتيبات الإقليمية لمعاهدة فرساي التي فقدت ألمانيا بسببها ثلاثة عشر في المائة من أراضيها غضب الكثير من الألمان،⁽²⁾ فضلا عن الانهيار الاقتصادي والتضخم الذي عانته ألمانيا عقب نهاية الحرب العالمية الأولى، كل هذا أدى إلى زيادة مشاعر الاستياء لدى الألمان وفي ظل تفاعل ثلاث مبادئ جيوبوليتيكية كان أولها مبدأ الدولة العملاقة الذي دعا إليه راتزل، وثانيها مبدأ الجزيرة العالمية التي دعا إليها ماكندر، وثالثها مبدأ ازدواجية القارات واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب، وتفاعلت هذه المبادئ الثلاثة وكونت الخطوط الرئيسية لأفكار هاوسهوفر، ففي رأيه عالم الغد يجب أن يسير وفق متطلبات الدول الكبرى.⁽³⁾ وهذا لتحقيق مصالحها الحيوية في ظل التنافس الجيوبوليتيكي المحموم بين القوى الكبرى في تلك الفترة.

وفي عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية لم تعد الدول الأوروبية قادرة على منافسة مكانة القوة العظمى للولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي، وقد أعطى نظام الأمم المتحدة غطاء دوليا أكثر قوة لنظام الدولة الحديثة، وقد تغير مفهوم التنافس والحرب كثيرا بسبب انتشار الأسلحة النووية وسياسة الردع النووي الذي يعتبر قوة الاستقرار الرئيسية خلال الحرب الباردة.⁽⁴⁾

(1) - محمد فايز العيسوي، الجغرافيا السياسية المعاصرة، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط1، 2008)، ص 39.

(2) - جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، ط1 (دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004)، ص 104.

(3) - محمد عرب الموسوي، التوسع الألماني خلال الحرب العالمية الثانية في ظل المفاهيم الجيوبوليتيكية، من الموقع

<http://asrir-alalm.ahlamontada.com/t11-topic> تم تصفح الموقع يوم 2017/03/24 على الساعة 18:44.

(4) - كولن فالنت، مرجع سابق، ص 85.

المطلب الثاني التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في فترة الحرب الباردة

تعتبر فترة الحرب الباردة من أوضح الحقب التاريخية للتنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى، أو بالأحرى بين القوتين الكبيرتين الولايات المتحدة كمثل عن المعسكر الغربي الرأسمالي والإتحاد السوفييتي الممثل الشرقي للكتلة الاشتراكية، وقد بدأ التنافس الجيوبوليتيكي من أجل السيطرة على أهم المجالات البرية والبحرية وحتى الجوية، بظهور السباق نحو غزو الفضاء ومناطق الصدام الجوية بين القوتين.

في فترة الحرب الباردة توسعت أقواس الهيمنة والتنافس والنفوذ وتقاربت مناطق الاحتكاك بين القوى الكبرى، فقد انحسر النفوذ الأوربي وشاغت إمبراطوريات أوربا العتيقة وكان عليها الاستسلام لطموحات الإمبراطوريات الصاعدة والطامحة في الهيمنة العالمية.⁽¹⁾

فقد كان على القوى الأوروبية التي سيطرت منذ القرن التاسع عشر والقرن العشرين، للعودة للتحصن داخل حدودها الصلبة وليست الهلامية التي ميزت فترات الاستعمار الطويل وسيادة الفكر الجيوبوليتيكي التوسعي، وعدم الوقوف عند الحدود. فرغم الكبرياء الفرنسي والبريطاني الذي يروم للعودة للمستعمرات القديمة في إفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا. إلا أن التغيرات الدولية، وظهور الأمم المتحدة والمواثيق الدولية التي تكفل حقوق الإنسان حالت دون عودة القوى الكبرى الحاكمة إلى ترتيباتها الدولية السابقة، وظهور قوى أخرى تمثلت في الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي.⁽²⁾ التي دخلت تنافسا أمنيا متوصلا تحت المظلة النووية لمدة خمسة وأربعين عاما رغم وجود الأسلحة النووية.⁽³⁾ التي تعتبر عاملا للتوازن الاستراتيجي.

إن خريطة العالم أثناء الحرب الباردة قد رسمتها أقواس الهيمنة الأمريكية والسوفييتية، وهي أقواس متصادمة بشكل مباشر كما كان الحال في مدينة برلين وتفصلها بعض الفواصل في المناطق الرمادية كما هو شأن أفغانستان.

وسواء وجد إتفاق واضح بين طرفي الحرب الباردة أو بالتواطؤ المعنوي فقد قسم العالم لمناطق نفوذ ثلاث تشمل، الأولى دائرة الهيمنة الأمريكية وتمتد إلى كل دول الناتو (أوربا الغربية وبعض بلدان غرب

(1) - إبراهيم أبو الخزام، أقواس الهيمنة دراسة لتطور الهيمنة الأمريكية من مطلع القرن العشرين، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2005). ص 65

(2) - المرجع نفسه، ص 65.

(3) - جون مرشايمر، مرجع سابق، ص 107.

آسيا) وتشمل الثانية دول حرف وارسو (معظم دول أوروبا الشرقية) وتشمل الثالثة المناطق الرمادية وهي المناطق الجديدة للتنافس الجيوبوليتيكي المحموم بين العملاقين المهيمنين حديثا على مجريات الساحة الدولية، وقد شملت هذه المناطق الأخيرة معظم البلدان المستقلة حديثا والخارجة من أملاك القوى الكبرى الخارجة من الساحة التنافسية والمنهكة من الحربين العالميتين متمثلة في فرنسا وبريطانيا.⁽¹⁾

وقد اعتبرت الولايات المتحدة امتدادا للإمبراطورية البريطانية الآفلة وسيطرتها على مناطق نفوذ بريطانيا سابقا لم يثر استياء بريطانيا العظمى باعتبارها ترى في الولايات المتحدة مجرد تطور للحضارة البريطانية الأم. وفي ظل هذا الواقع فإن ملء الفراغ البريطاني من قبل الولايات المتحدة تم بصورة سهلة وانتقلت الهيمنة بشكل سلس فيما يشبه الوراثة التي تحكم العلاقات العائلية. وبريطانيا وهي الخيرة بالتاريخ الحديث للتنافس والصراع الدوليين لم تظهر دفاعا يذكر عن مستعمراتها القديمة؛ لأنها تركز لتحليل واقعي يذهب إلى أن الحفاظ على المصالح البريطانية في مناطق نفوذها التقليدية لا يتأتى إلا من خلال التسليم بالواقع الجديد، أي الحفاظ على هذه المصالح من خلال التسليم بالواقع الجديد، أي الحفاظ على هذه المصالح من خلال الولايات المتحدة كزعيمة جديدة للعالم الأنجلوسكسوني.⁽²⁾

لقد شهدت الحرب الباردة في مرحلتها المبكرة اندفاع الطرفين نحو المستعمرات الفرنسية ومناطق النفوذ الياباني في شرق آسيا والقارة الإفريقية، ففي شرق آسيا تفجرت الأزمات واندلعت الحروب في فيتنام وكوريا ولاوس وكمبوديا وغيرها من مناطق شرق آسيا، ومثلت أوروبا الشرقية تقسيما واضحا لخطوط التنافس بين القوتين الكبيرتين في هذه الفترة، فقد انتصب جدار برلين عاليا كأخر نقطة وصل إليها النفوذ الأمريكي وخضعت أوروبا الشرقية لسيطرة الإتحاد السوفييتي الذي أقام فضلا عن جدار برلين الواقعي ستارا حديديا غير قابل للاختراق.⁽³⁾

حددت مناطق النفوذ بين العملاقين في أوروبا عسكريا بالتواجد والإنزال العسكري وسياسيا حيث خطتها أقلام الساسة على الخرائط وعلى امتداد أربعة عقود لم تحلم الولايات المتحدة بالامتداد عبر مناطق أوروبا الشرقية المحصنة إيديولوجيا لصالح الإتحاد السوفييتي، وقد حملت قواعد اللعبة التنافسية بين القوتين التنافس غير المحسوس في بلدان أوروبا الغربية حيث حاول الإتحاد السوفييتي التغلغل في أوروبا الغربية

(1) - إبراهيم أبو الخزام، مرجع سابق، ص 66.

(2) - المرجع نفسه، ص 67.

(3) - المرجع نفسه، ص 77.

عن طريق الأحزاب الشيوعية وأصبحت هذه الأحزاب في بلدان كبرى من القوى السياسية المؤثرة مثلما جرى في إيطاليا وفرنسا ومثل ذلك عملت الولايات المتحدة في بلدان أوروبا الشرقية وحاولت التغلغل في الفئات الشعبية مثلما جرى مع نقابات التضامن البولندية.⁽¹⁾ وهذا تكتيك تنافسي غير مباشر لكل من القوتين لامتداد النفوذ عن طريق الأفكار والأفراد وفي هذا تعزيز للفكر الجيوبوليتيكي لراتزل.⁽²⁾

التنافس الجيوبوليتيكي في فترة الحرب الباردة كان بين العملاقين، وكان بامتلاك الأسلحة النووية هذه الأخيرة التي جعلت من الحرب الباردة تبقى باردة؛ حيث استطاعت الأسلحة النووية أن تشكل حدثا تجديديا كبيرا في تاريخ النظام العالمي من خلال استبعاد حافز توجيه الضربة الأولى، حيث لم يكن هناك ما يمكن تحقيقه من توجيهها.⁽³⁾

التنافس الجيوبوليتيكي في فترة الحرب الباردة كان يعني الحفاظ على النظام فيما يتعلق بالسلح النووي أو الصراعات الإقليمية الحرجة؛ فالولايات المتحدة وجدت في مبدأ الاحتواء containment doctrine الذي أرسى دعائمه جورج كينان George Kennan * الوسائل المباشرة وغير المباشرة لمقاومة محاولات الإتحاد السوفييتي توسيع مناطق وجوده أو نفوذه حول العالم، في ظل إصرار كينان وآخرين

(1) - إبراهيم أبو الخزام، مرجع سابق، ص 78.

(2) - فريدريك راتزل: **Friedrich Ratzel** ولد في ألمانيا سنة 1844 وتوفي في 9 أوت 1904 وكان صيدليا ثم زيولوجيا ثم جغرافيا. يمكن عده مؤسس الجيوبوليتيكا على الرغم من أنه لم يستخدم ذلك المصطلح في أعماله، فقد كتب عن الجغرافية السياسية وسميت دراسته الأهم التي رأت النور عام 1897 "Politische Géographie". أنهى راتزل دراسة البوليتيكنيك في كازلرسوة، حيث استمع إلى محاضرات الجيولوجيا، الباليونتولوجيا، والزيولوجيا أكمل دراسته في هايدلبرج حيث تتلمذ على البروفيسور **غيكل إيرنست Ghekel Ernest**، وقد بنيت الرؤية الفكرية لراتزل على التطورية والداروينية واصطبغت باهتمامه المعبر عنه بوضوح نحو علم الحياة استطاع راتزل أن يطور نظرية الاختبار الطبيعي ووظفها على الدول وأوضح أن الوحدات السياسية (الدول) كائنات حية، وكأي كائن حي تعيش في صراع دائم للحصول على مساحات أكبر لتكفل لها البقاء والحياة عندما يكبر حجمها. وكتب أن الدولة القوية يجب أن تكون مساحتها كبيرة وامتداد أطرافها وتباعد جيرانها دليل على قوتها. وقد ارتبط مصطلح المجال الحيوي (living space) للمزيد اطلع:

Merje Klaus, Kuus and Sharp Joanne, Introduction: Geopolitics and its Critics,p2,at <https://www.ashgate.com/pdf/SamplePages/Ashgate-Research-Companion-to-Critical-Geopolitics-Intro.pdf>.

(3) -ريتشارد هاس، **عالم في حيص بيص** السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم، تعريب، إسماعيل بهاء الدين سليمان، مراجعة وتقيق، نهاد الحايك، (لبنان: دار الكتاب العربي، 2018)، ص ص 48-49.

على أفول الإتحاد السوفييتي مع الوقت إذا ما شعر بقدر كاف من الإحباط في محاولات التمدد والانتشار حول مناطق النفوذ الخاصة بالقطب الرأسمالي.⁽¹⁾

لقد تميزت الجيوبوليتيكا في فترة الحرب الباردة بين القطبين بالكثير من التحفظ، إذ تشكلت بين القوتين مجموعة من الضوابط غير الرسمية التي تحدد ما هو مسموح، وما هو غير مسموح، ومن بين هذه الضوابط احترام الفناء الخلفي لكل قطب أو ما يسمى مناطق النفوذ والاحتكاك في مناطق التماس بين القوتين، فمثلا دعم الإتحاد السوفييتي الأنظمة الشيوعية التي تقع في نصف الكرة الغربي وقد أثمرت هذه الجهود في كل من كوريا ونيكاراغوا،⁽²⁾ وهذا جانب من المنافسة الجيوبوليتيكية بين القوتين الكبريين في فترة الحرب الباردة.

لكن حدة التنافس لم تبقى باردا في كل الحالات، فقد كانت هناك لحظات صعبة وقفت فيها القوتان على حافة الصدام المسلح ولعل أهمها أزمة الصواريخ الكوبية 1962*.

كما أن صورة التنافس الجيوبوليتيكي في هذه الفترة كان في شكل تفاهات لدعم النظام العالمي، وتمثلت هذه التفاهات في اتفاقيات ضمنية أكثر منها علنية ومن بين هذه الاتفاقيات المبادئ الأساسية للعلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية الموقعة عام 1970 وتتص هذه الاتفاقية أن أية محاولة لتحقيق مكاسب فردية على حساب الطرف الآخر سواء بشكل مباشر أو غير مباشر تعد مخالفة صريحة لأهداف تلك الاتفاقية، كانت الدعوة إلى إنهاء محاولات تحقيق مكاسب فردية أحادية أقرب إلى الدعوة إلى لوضع حد للتنافس الجيوبوليتيكي هذا الأخير الذي يعتبر الصفة المميزة لعالم الحرب الباردة وما بعده.⁽³⁾

أدركت واشنطن وموسكو قيمة هذه التفاهات عندما يتعلق الأمر بدعم الشركاء، حيث تعلم السوفييات الدرس في برلين عندما أغلقوا الجزء الغربي من المدينة وتعلموه مرة أخرى في كوبا، كما تعلمت

(1) - ريتشارد هاس، مرجع سابق، ص 53.

(2) - المرجع نفسه، ص 54.

(3) - المرجع نفسه، ص 56.

(4) - أزمة الصواريخ الكوبية أكتوبر 1962، عندما توقفت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي عند الهاوية أثبتت هذه الأزمة أنها نقطة تحول رئيسية في الحرب الباردة. لمدة ثلاثة عشر يوماً، كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وجها لوجه في احتمالية حرب نووية مدمرة للمزيد حول أزمة الصواريخ الكوبية اطلع :

GRAHAM ALLISON, The Cuban Missile Crisis, Chapter 14 The Cuban Missile Crisis, p256 , <https://www.belfercenter.org/pdf>

أمريكا درس بطريقة قاسية في كوريا عندما قررت الخروج عن الوضع الراهن وقررت تحرير كوريا الجنوبية أن تضغط باتجاه الشمال في محاولة لتوحيد شبه الجزيرة الكورية بالقوة وغن كان بموافقة سيول.

وخلال حرب 1973 في الشرق الأوسط سارع كل قطب لدعم حليفه في المنطقة وهو صورة

للتنافس الجيوبوليتيكي من أجل توسيع النفوذ في المناطق المهمة لكلا القوتين (1)

كما أن التنافس الأمريكي السوفييتي لم يكن على مستوى مجالات النفوذ فقط، بل عمل الإتحاد السوفييتي على طرح بديل يخصه هو استجابة لمطالبه البشرية بمستقبل أفضل، وقد كان الإتحاد السوفييتي في نهاية الأربعينات هو المسيطر الجغرافي، إذ سيطرت موسكو على الجزء الأكبر من الأوراسيا بما فيها حتى الصين. (2) مما جعل الولايات المتحدة في وضع تنافسي حرج. وتعتبر فترة الحرب الباردة مرحلة ناجحة لإدارة التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى الذي تجسد في امتلاك أسلحة نووية قادرة على التدمير الكلي لأي طرف، وتفاهات غير معلنة لإدارة التنافس وهذا ما جعل الحرب الباردة تبقى كذلك مدة أربعة عقود.

والتنافس الجيوبوليتيكي كان سببا لإنهاء الحرب الباردة حيث أسهمت التبعات الثقيلة للدور السوفييتي خارج الحدود في انهياره، وإذا كان التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في فترة الحرب الباردة حكمه توازن القوى والأسلحة النووية والاتفاقيات على ما يمكن أن يكون عمل مشروع وغير مشروع والنتيجة أن جولة التنافس الجيوبوليتيكي الثانية بين القوى العظمى للقرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين أثبتت أنها مختلفتين عن الجولتين السابقتين اختلافا جذريا. (3)

فبعد الحربين العالميتين خرجت أوروبا ممزقة، ومدمرة فكانت القوة الأوراسية المتمثلة في الإتحاد السوفييتي المتنامية الأطراف هي الظاهرة بالسيطرة على قلب أوروبا الجغرافي بعد 1945 وهنا يشبهها بريجنسكي بالإمبراطورية المغولية قبل سبعة قرون عندما زحفت غربا للحصول على المزيد من الأراضي. (4) عند نهاية الحرب العالمية الثانية، شهدت الجيوبوليتيكا -التي انتهت من أوروبا بعد اكتمال

(1) - ريتشارد هاس، مرجع سابق، ص 57.

(2) - زبغنيو بريجنسكي، رؤية استراتيجية، أمريكا وأزمة السلطة العالمية، ترجمة فواز زعور (بيروت: دار الكتاب العربي، 2012)، ص 54.

(3) - ريتشارد هاس، مرجع سابق، ص 62.

(4) - زبغنيو بريجنسكي، مرجع سابق، ص 19.

الحرب-مصيرا احتفاليا في أمريكا، لقد اكتشف الأمريكيون الجيوبوليتيكا الألمانية Geopolitik التي مارست في البداية تأثيرا مبهرا على جغرافيتها.⁽¹⁾ وهذا ما أدى إلى بداية ظهور المنظور الأمريكي للجيوبوليتيكا.

في فترة الحرب الباردة اختفت الجيوبوليتيكا لعدة عقود من أوروبا (1945-1990) بسبب ما شكله الخطر النازي، والإيديولوجية الشيوعية، بينما كان الاستثناء في الولايات المتحدة حيث استمر الاهتمام بالجيوبوليتيكا، كما ظهر هذا العلم في المناطق الواقعة خارج الكتل العسكرية (أمريكا الجنوبية البرازيل والأرجنتين)، منطقة الشرق الأوسط (الاهتمام الذي توليه إسرائيل بالجيوبوليتيكا) وأستراليا وجنوب إفريقيا.⁽²⁾

وقد لاحظ قبل ذلك الجيوبوليتيكي الأمريكي **إيساهيا بومان "Isahia Bowmann"** سنة 1942 أن الجيوبوليتيكا نشأت في ألمانيا وأمريكا، وبالفعل فقد أخرجت الحرب الولايات المتحدة من عزلتها، فاضطرت إلى التدخل على كل الجبهات وشعرت بالحاجة إلى تجديد رؤيتها الاستراتيجية الشاملة. لذلك قدم هذا العلم الجغرافي الألماني الجديد، وأطروحات ماكندر الإمكانية لفتح النقاش في هذا الموضوع.⁽³⁾ ولقد أبهر المسار المتمم بالعالمية مجموعة من الأمريكيين الذين كانوا مهتمين بالمسؤوليات العالمية الجديدة التي أصبح بلدهم يضطلع بها، وكان تصور **إيساهيا بومان** نظرية حقيقية لا بد منها لأنها تتناغم مع العداء المهيمن للثنائية القطبية التي سادت فترة الحرب الباردة.⁽⁴⁾

وباعتبار الألمان والروس من ورثة القوة البرية، كانوا يفكرون دائما بمنطق الجيوبوليتيكا أكثر مما يفعل الأمريكيون والبريطانيون؛ وهم من ورثة القوة البحرية، ويرون في التنافس الجيوبوليتيكي ضرورة بيولوجية للدول وظاهرة سياسية مشروعة تجد تبريرا لها في الطروحات الجيوبوليتيكية حول المجال الحيوي. والجيوبوليتيكا تعني لهم ببساطة انه دون التوسع هناك خطر التعرض للغزو، فالأراضي الكافية غير كافية؛ وهذا ما يبرر حاجة الإتحاد السوفييتي لبناء إمبراطورية ممتدة لدول أوربا الشرقية خلال

(1) - جيرارديسوا، دراسة في العلاقات الدولية، النظريات الجيو-سياسية، ترجمة قاسم المقداد، (دمشق: دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، ج1)، ص 148.

(2) - Teodor Simion, l'aventure d'une science controversée: la geopolitique, the annals of Valahia University of Targoviste, Geographical Series, tome 6-7, 2006-2007, p.39.

<https://fsu.valahia.ro/images/avutgs/1/2006/2006060105.pdf>

(3) - جيرارديسوا، مرجع سابق، ص 148.

(4) - المرجع نفسه، ص 148.

الحرب الباردة، واستخدامها القوة العسكرية وقلب أنظمة الحكم وبنية طرق أنابيب الطاقة الخاصة كلها استراتيجيات لاستعادة جوارها القريب في ظل التنافس والاستقطاب الثنائي في هذه الفترة.⁽¹⁾

يقول "أوتويل" "O'Thuatail" أن بومان لم يعترض من حيث المبدأ على الحجج الجيوبوليتيكية، لكنه يعتبر أنه إذا كانت الجيوبوليتيكا الألمانية مدينة للإيديولوجية، فإن النزعة العالمية الولسونية التي كان يدافع عنها في النظام العالمي الجديد **The New World Order** كانت تخلو منها بشكل مزعوم، ونفس الأمر بالنسبة "لشتراوز هوبيه" "Strausz Hupé" الذي كان يأخذ على الجيوبوليتيكا الألمانية مواقفها العقائدية، وينتقد ماكندر بنفس الدرجة التي ينتقد بها هاوسهوفر، مع اعترافه بتأثير العوامل الجغرافية على السياسة الخارجية الأمريكية، وينتهي إلى القول بأن التاريخ المعاصر هو تاريخ الإمبراطوريات والدول العظمى.⁽²⁾

إن التردد في التعامل مع الماضي المتمسك بالاضطراب يتضح عبر محاولات عزل موضوع الجيوبوليتيكا، واستبعاده من تاريخ الجغرافيا. وفي نفس الوقت، وبعد الحرب العالمية الثانية، فإن الأوساط الأكاديمية سعت إلى إعادة التأكيد على الجيوبوليتيكا وكان ذلك بتردد خوفاً من أن تكون عرضة للانتقادات. فعندما حاول "كريستوف لاديس" "Cristof Ladiss" إعادة تأهيل المصطلح في ذروة الحرب الباردة، واجه انتقادات كثيرة. ومع ذلك توجد أيضاً تفاهات حول توزيع الأفكار الجيوبوليتيكية في جميع أنحاء العالم فيما بين الحربين، وسلسلة من محاولات إعادة التفاوض في بلدان مختلفة.⁽³⁾

مع ذلك فإنه بالرغم من الإدانة المتكررة للمصطلح لم يتخل الجغرافيون في أوروبا وأمريكا تماماً عن المجال الفكري الذي يحدد هذا المصطلح، وكما يقول "ليسلي هيبيل" في دراسته للجيوبوليتيكا الأنجلو-أمريكية منذ 1945. فإن بعض الجغرافيين قد استمروا في إجراء استكشافات تحت غطاء دراسات مختلفة، بينما أظهر آخرون شجاعة علمية كبيرة برفض استبعاد الجيوبوليتيكا من مفرداتهم.⁽⁴⁾ وخلال فترة السبعينيات قام المفكرون الأمنيون ومستشارو السياسة الخارجية بالولايات بإعادة استخدام المصطلح،

(1) - روبرت كابلن، مرجع سابق، ص 103.

(2) - المرجع نفسه، ص 149.

(3) - عبد الله راقدي، **مدخل إلى علم الجيوبوليتيكا**، المفهوم، النظريات وعوامل القوة (الجزائر، جامعة باتنة 1: منشورات مخبر الأمن الإنساني، 2020)، ص 18.

(4) - كلاوس دودزو دفيد أتكسون، **الجغرافيا السياسية في مائة عام (التطور النظري العالمي)**، ترجمة عاطف معتمد وعزت زيان، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، ج2، 2010)، ص 9.

ومما يثير الاهتمام أن فهمهم للأفكار الجيوبوليتيكية كان ناتجا عن طول استخدامهم لمفاهيم جيوبوليتيكية مثل قلب الأرض، والهامش لمواصلة وتبرير استراتيجيات الحرب الباردة والتدخل في مختلف أنحاء العالم طوال العقدين الماضيين، ولم يبدأ الجغرافيون في إعادة الاهتمام بالجيوبوليتيكا بصورة أكثر دقة سوى في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي.⁽¹⁾

ويعتبر "هنري كيسنجر" من أشهر المفكرين الذين عملوا على إعادة الاهتمام بالجيوبوليتيكا على المستوى الأكاديمي وفي دوائر صنع القرار. ففي بداية سبعينيات القرن العشرين أصبحت الجيوبوليتيكا وسيلة يستدل بها لفهم تنافس وصراع القوى العظمى والأبعاد الإقليمية لا سيما في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا. حيث تشكلت وجهة نظر أمريكية جديدة حول أهمية الجيوبوليتيكا. ونظرا لكونه في موقع قريب من صانع القرار تمكن من القيام بمسح للساحة العالمية وللتفكير في التبعات والتأثيرات الجيوبوليتيكية.⁽²⁾ كما يعتبر كولين غراي من خلال مؤلفاته "جيوبوليتيكا القوة العظمى" (1988) The Geopolitic OF Superpower، و"الرافعة المالية للقوة البحرية" (1992) The Leverage of Sea Power، وكتاب بول كينيدي "نشوء وأول القوى العظمى" (1988) The Rise and Fall of the Great Powers، من المحللين اللامعين، حيث استخدموا نظريات ماكيندر وسيكمان.⁽³⁾

إن إعادة بعث الاهتمام بالجيوبوليتيكا في سبعينيات القرن العشرين حسب كلوز دودس يدل على مسألة الاستمرار الكبير باهتمام الجيوبوليتيكا بالمصلحة القومية للدولة وتفسيرها للصراعات الدولية القائمة والمحتملة.⁽⁴⁾ بالإضافة إلى التنافس الجيوبوليتيكي بين القوتين الكبريين والتفاعل الجيوسراتيجي على المصالح الحيوية المختلفة التي لا تجد تبريرا لها إلا في الطروحات النظرية للجيوبوليتيكا.

المطلب الثالث: التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى بعد نهاية الحرب الباردة

يرى الكثير من المفكرين الغربيين أن السلام الدائم* بين القوى الكبرى قد تحقق بنهاية الحرب الباردة، وأن تحولا كاسحا في علاقات القوى ببعضها البعض، فقد تراجعت احتمالات تنافس أمني بين القوى ناهيك عن الحرب، وغدا هذا التنافس من محفوظات السجل التاريخي ويعتبر فوكوياما أن نهاية

(1) - كلاوس دودزو دفيد أنتكسون، مرجع سابق، ص 10.

(2) - راقي عبد الله، مدخل إلى علم الجيوبوليتيكا المفهوم والنظريات وعوامل القوة، مرجع سابق، ص 21.

(3) - Francis P sempa, **Geopolitics from the cold war to the 21st century**, (transaction publishers, New Brunswick(u.s.a) and London(u.k)2002), p106.

(4) - ibid, p107.

الحرب الباردة هي نهاية التاريخ.⁽¹⁾ حيث يفترض هذا المنظور أن تتوقف القوى الكبرى أن تنظر إلى بعضها البعض كمنافسين عسكريين بل كأعضاء في أسرة من الأمم وأعضاء للمجتمع الدولي وتزايد فرص التعاون في هذا العالم الجديد حتى أن أنصار المدرسة الواقعية الذين عرفوا عبر تاريخهم بنظرتهم التفاوضية حول إمكانية السلام بين القوى الكبرى إلى القول بنهاية التنافس بين هذه القوى؛ وهذا ما جاء في مقالة صدرت في نهاية التسعينات بعنوان الواقعيون متقاتلون⁽²⁾. حيث بدأت فترة ما بعد الحرب الباردة خالية من التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى لأن ثلاثا من هذه القوى ديمقراطيات تؤمن باقتصاد السوق، بل أكثر من ذلك كانت هناك تحالفات تجمعها، الهند أيضا قوة ديمقراطية وغير مهتمة بالجيوبوليتيكا فيما عدا نزاعها مع باكستان حول إقليم كشمير*. كما أن في الجهة الأخرى نجد روسيا والصين ورغم اهتمامهما الكبير بالجيوبوليتيكا والعمل على إحكام السيطرة على مواطنيها وأراضيها انتهجت كل منها طريقا باعد بينهما، ولم تعد قريبتين كما في فترة الحرب الباردة؛ حيث ركزت الصين على جهودها على التنمية الاقتصادية بينما امتطت روسيا موجة أسعار النفط المتصاعدة.⁽³⁾

إن النقاسم الكبير للتوقعات المتفائلة كان بين الأكاديميين، ففي سنة 1989م برزت قضيتين مهمتين أخذت بعين الاعتبار، فمجرد ما آلت الحرب الباردة إلى نهاية سلمية ادعى جون مرشايمر في مقاله: "العودة إلى المستقبل"، قائلا بأنه لا وجود لتهديد جدّي طويل للحرب بين القوى الكبرى لأن حروب من هذا النوع ستكون مميتة للغاية "حتى من دون الأسلحة النووية" للحصول على أي منفعة سياسية، في القرنين أو الثلاثة قرون الأخيرة، فالحروب الرئيسية بين الدول السائرة في طريق النمو أخذت نهايتها تدريجيا منحى سلبيًا، فحروب القوى الكبرى لا تقدّم غايات مجتمعية مفيدة وطويلة الأمد، بل تبقى كمجرد

(1) - جون مرشايمر، مرجع سابق، ص 1.

(*) - السلام الدائم يرجع مصطلح السلام الدائم إلى الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت الذي صدر له سنة 1775 كتاب بعنوان مشروع السلام الدائم حدد فيه أساسيات العلاقات الإنسانية ومنع وقوع الحروب كان من أهمها ترسيخ الحكم الديمقراطي أو الجمهوري القائم على سيادة القانون داخل الدول وبناء نوع من الفيدرالية الدولية. للمزيد إطلع: جون ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، مرجع سابق، ص 1.

(2) - جون مرشايمر، مرجع سابق، ص 2.

(3) - أرنست هاس، عالم في حيص بيص السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم، تعريب وتعليق، إسماعيل بهاء الدين سليمان، (بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 2018)، ص ص 86، 87.

مبارزة واستعباد.⁽¹⁾ لقد كان الرئيس كلينتون مؤيداً قويا لهذه الرؤية، فعلى سبيل المثال فقد أعلن سنة 1992م بأنه: "في عالم تسوده الحرية، لا وجود للاستبداد ببساطة لا اعتبار للحسابات المتشائمة للقوة السياسية المحضة". في سنة 1997 وبمرور خمس سنوات نجده يتحدث عن نفس الموضوع بخصوص سياسة الناتو الدفاعية التوسعية، لقد حاجج الرئيس بأن تكثيف هذه السياسة من شأنه أن يعزل روسيا مرتكزاً على الاعتقاد بأن "الأقاليم السياسية للقوى الكبرى للقرن العشرين سوف تهيمن على القرن الحادي والعشرين، والتي قام بالطبع برفضها، بدلا من ذلك فقد تحمس لفكرة أن تنوير "إثراء" المصالح من خلال تقاسم القيم سوف يجبر الدول على الدفاع عن عظمتها من خلال طرق أكثر بنوية⁽²⁾"

لكن الواقع الدولي أعقاب نهاية الحرب الباردة يبين عكس النظرة التفاؤلية لنهاية الجيوبوليتيكا بين القوى الكبرى، فقط تحول المسمى والهدف واحد وخرج العالم من تنافس عسكري أمني إلى تنافس استراتيجي لمناطق النفوذ والنفط.

ذلك أن الولايات المتحدة مثلا رغم نهاية التنافس السوفييتي بقيت تحتفظ بحوالي مئة ألف جندي في أوروبا والعدد نفسه تقريبا في شمال شرق آسيا، وذلك خوفا من ظهور منافسين استراتيجيين في تلك المنطقة في حالة ما إذا سحبت الولايات المتحدة قواتها ونفس التخوف بالنسبة للقوى الأوروبية مثل فرنسا وبريطانيا؛ وإن ظلت تلك المخاوف العميقة يعبر عنها بصمت خاصة من ألمانيا التي تحتكم للقوة والمنطق الجيوبوليتيكي ولا تردعها القوة الأمريكية ولا يقلل الخوف من اليابان في شمال شرق آسيا، ولا يستبعد الكثير إمكانية الصدام بين الصين والولايات المتحدة حول تايوان وإن لم تكن هذه الحرب واردة إلا أنها تبين أن خطر التخوف بين القوى الكبرى من التنافس والصدام لم يخف بنهاية الحرب الباردة.⁽³⁾

اعتقد العديد من المفكرين أن نهاية الحرب الباردة هي نهاية التنافس الجيوبوليتيكي لكن ما فعلته نهاية الحرب الباردة هو التحول في مفهوم الجيوبوليتيكا والانتقال من مرحلة لأخرى وهذا ما يطلق عليه بفترات التحول الجيوبوليتيكي.⁽⁴⁾ ويمر العالم بمرحلة فاصلة في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين،

(1) - جون مرشايمر، ترجمة جلال خشيب، الواقعية، العالم الحقيقي والعالم الأكاديمي، الحوار المتمدن، العدد 5854، 18.9.2012 من الموقع <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=324771&r=0> تم تصفح الموقع يوم 8.9.2019

(2) - جون مرشايمر، الواقعية، العالم الحقيقي والعالم الأكاديمي، مرجع سابق.

(3) - أرنست هاس، مرجع سابق، ص 2.

(4) - روبرت كابيلن، مرجع سابق، ص 22

يتسم بإعادة تعريف أنماط القوة والمبادئ الجيوبوليتيكية التقليدية. حيث إن تعريف فوكوياما لفترة نهاية الحرب الباردة بنهاية التاريخ ونهاية الصراعات وبداية عصر الديمقراطيات المتحالفة كان سابقاً لأوانه، وأن جيوبوليتيكا القرن الحادي والعشرين يتم تحديدها من خلال صراع الحضارات.⁽¹⁾ ومن سمات المرحلة التاريخية الراهنة هي إتمام عملية الانتقال من التكتلات المتحاربة على أساس إيديولوجي إلى حالة من التنافس الجيوبوليتيكي المتنوع، مترافقة مع ظهور حالة من الصراع يكون طرفاها الرئيسيان هما الحضارة الغربية من ناحية والحضارة الإسلامية والأرثوذكسية الكونفوشيوسية (الصينية) من ناحية أخرى من ناحية أخرى وأن وعد السلام الدائم بين الأمم ولد ميتاً.⁽²⁾

تكشف الفترة الحالية عن تحديات جيوبوليتيكية وجيوستراتيجية مختلفة، يثبت أنها أكثر صعوبة من تلك التي واجهتها العقود الماضية. إنها تتخذ شكل المواجهة السياسية، والصراعات المسلحة الداخلية والدولية السياسية، والنزاع على الموارد الخام في البلدان التي مزقتها الحروب الأهلية في جميع أنحاء إفريقيا جنوب الصحراء، وأمريكا اللاتينية، والشرق الأوسط ولكن أيضاً في المناطق الاستراتيجية التي تم استكشافها حديثاً مثل القطب الشمالي، والنزاع على الوصول إلى مياه الشرب (الذهب الأزرق، نفط القرن الحادي والعشرين)؛ يواجه سكان العالم نمواً متسارعاً دورياً وتقلبات أسعار المواد الغذائية نتيجة للتغيرات المناخية، والصراعات الاقتصادية، وصعود الأصولية الدينية، وكذلك تجزئة الخريطة السياسية للعالم.

إن الجانب الأخير لم يأت فقط بظهور العديد من الدول الجديدة على أنها نتاج انفصال أحادي الجانب دون موافقة الحكومات المركزية - وهي ظاهرة لا يمكن تصورها بين الحرب العالمية الثانية ونهاية الحرب الباردة، منتهكة النزاهة الإقليمية كمبدأ أساسي للمجتمع الدولي - ولكن أيضاً إعادة تعريف لواحدة من الخصائص الرئيسية للدولة ذات السيادة، وهي الاعتراف الدولي. تعرض كوسوفو وجنوب السودان أمثلة على هذا المنعطف. كل هذه القضايا هي نتائج تاريخية للنزاعات الداخلية ذات الدوافع العرقية الناتجة عن السياسة الحصرية" لمجتمع الأغلبية على الأقليات اللغوية أو الدينية. في سياق أوسع، هذه هي نتائج تحديد مجالات النفوذ والتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى التقليدية والجديدة.⁽³⁾

⁽¹⁾- Martin Riegl and Jakub Landovský, **Strategic and Geopolitical Issues in the Contemporary World**, (Cambridge Scholars Publishing, 2013). p1.

⁽²⁾- يازا جانكياني، **صراع القوى الدولية في ظل النظام الدولي الجديد ودور السياسة النووية**، ترجمة، علي مرتضى سعيد، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2013، ط1) ص 9.

⁽³⁾- Martin Riegl and Jakub Landovský, op, cit, p2.

ويستمر تعريف القرن الحادي والعشرين بالتنافس بين القوى الكبرى وليس التعاون الدولي. إذ يشهد العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين التنافس بين الولايات المتحدة التي تضعف بسرعة من جهة، والصين الأكثر ثقة - الطامحة إلى استعادة وضع أقوى اقتصاد في العالم، والذي فقدته في القرن الثامن عشر - مع روسيا، البرازيل، الهند، كندا أو الاتحاد الأوروبي.⁽¹⁾

من الواضح أن التحول الجيوبوليتيكي للقوة والسيطرة من منطقة أوروبا - المحيط الأطلسي إلى منطقة آسيا وآسيا المحيط الهادئ (وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى الصين) مستمر وقد تم تحليله من طرف مفكرين جيوبوليتيكيين مثل جوزيف. ناي، بريجنسكي ومورتن كابلان؛ إذ يحدد بريجنسكي خمسة تحديات عالمية كبرى كإجابة على أكثر التوقعات تشاؤماً بشأن التراجع الأمريكي والارتفاع الحتمي للهيمنة الجيوبوليتيكية للصين في ظل عالم تنافسي تتجاذبه القوى الكبرى المهيمنة والصاعدة.

✓ تقاطع الإرهاب مع المواد النووية؛ وهذا يتطلب سياسات لمكافحة الإرهاب، وخلق الاستقرار في الشرق الأوسط، والاهتمام بالدول الفاشلة.

2. الإسلام السياسي: قد تساعد التجارة الأكثر انفتاحاً والنمو الاقتصادي والتعليم وتطوير مؤسسات المجتمع المدني والزيادات التدريجية في المشاركة السياسية في تقوية الاتجاه السائد بمرور الوقت.

3. ظهور هيمنة معادية حيث تستعيد آسيا تدريجياً حصتها في الاقتصاد العالمي مما يجعل التعامل مع الصين كدولة أساسية مع ضرورة الحيطة في نفس الوقت، والحفاظ على علاقات وثيقة مع دول ترحب بالوجود الأمريكي في القارة الآسيوية مثل اليابان والهند.⁽²⁾

4. الكساد الاقتصادي: تتطلب الاستجابة الاستراتيجية لهذا التحدي سياسات تقلل تدريجياً من الاعتماد الأمريكي على النفط.

5. التهديدات البيئية: مثل الأوبئة وتغير المناخ حيث يتطلب هذا التحدي تعاوناً أكبر من خلال المؤسسات الدولية. كل هذه التحديات التي رصدتها بريجنسكي تقلل من القدرة التنافسية الأمريكية في عالم متعدد القوى والأقطاب.

⁽¹⁾- Martin Riegl and Jakub Landovský, op, cit, p2.

⁽²⁾-Ibid, p2

ويرى بريجنسكي أن الصين هي القوة الكبرى المنافسة للولايات المتحدة في القرن الواحد والعشرين، ويثير معضلات أمنية وسياسية لهذا التنافس يحددها كما يلي:

1) ما هي الآثار المترتبة على تغير توزيع القوة العالمية من الغرب إلى الشرق؟

2) لماذا يتراجع الدور العالمي لأميركا، وما هي أعراض تراجع أمريكا الداخلي والدولي وكيف يمكن للولايات المتحدة إعادة التوجه الجيوبوليتيكي لتنشيط دورها في العالم؟

3) ما هي العواقب الجيوبوليتيكية المحتملة إذا ما تراجعت أمريكا عن موقفها العالمي البارز، ومن هم الضحايا المباشرين لهذا التراجع وما هي التأثيرات التي ستتركها على المشكلات العالمية وهل يمكن للصين أن تتحمل دور أمريكا المركزي في الشؤون العالمية بحلول عام 2025؟

4) إذا نظرنا إلى ما بعد عام 2025، فكيف يجب على أمريكا المنبعثة أن تحدد أهدافها الجيوبوليتيكية على المدى الطويل، وكيف يمكن لأمريكا بحلفائها الأوروبيين التقليديين التعامل مع تركيا وروسيا من أجل بناء غرب أكبر وأقوى؟⁽¹⁾ وفي نفس الوقت كيف يمكن لأمريكا أن توفر توازنا في الشرق بين الحاجة إلى تعاون وثيق مع الصين وواقع وجوب بقاء الدور الأمريكي الفعال في آسيا بعيدا عن حصرية ومركزية الدور الصيني من جهة وعن الانجرار في مطبات خطيرة في الصراعات الآسيوية من جهة أخرى. ومجيبا على هذه الأسئلة يقر بريجنسكي بأن الدور الأمريكي في عالم ما بعد الحرب الباردة وأحداث الحادي عشر من سبتمبر لا يزال محوريا حتى في حالة ظهور القوة الصينية المنافسة جيوبوليتيكية.

عرض بريجنسكي رؤية إستراتيجية للغرب الأكبر، تمتد من فانكوفر في كندا إلى فلاديفوستوك في روسيا بمعنى يشمل الغرب الأكبر روسيا وتركيا اللتين تتطوران بسرعة. والعمل على دمجها في المؤسسات الأوروبية والأطلسية، والتي تمتد من فانكوفر إلى فلاديفوستوك في الشرق الأقصى.⁽²⁾ ويتمثل الهدف الاستراتيجي للغرب الأكبر في توثيق العلاقات مع أوربا والشرق المستقر وهنا إشارة إلى تركيا وروسيا لإحتواء الصين ومواجهة التنافس الجيوبوليتيكي والتهديد الاقتصادي الذي تمثله للولايات المتحدة ويكمن نجاح هذه الاستراتيجية في تبسيط المخاوف الجيوبوليتيكية للتطور الصيني كما يلي:

⁽¹⁾- Zbigniew Brzezinski, **Strategic Vision: America and the Crisis of Global Power**, (Basic Books,2012), p 2.

⁽²⁾- Martin Riegl and Jakub Landovský, op, cit, p3.

(1) للحد من التوسع الجيوبوليتيكي للصين وجب تطويقها جغرافيا عن طريق بناء روابط أمنية مع كل من اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين لإضعاف إمكانيات وصول الصين للمحيط الهندي من خلال مضيق ملقا ومن ثمة تقويض دورها في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا.

(2) بناء مكانة أمريكية في مجتمع شرق آسيوي ناشئ وكذلك الأمر بالنسبة لرابطة أمم جنوب شرق آسيا.

(3) ترسيخ باكستان كقوة موازية للهند.

(4) تحقيق وضع اقتصادي أفضل من روسيا في آسيا الوسطى ومنغوليا اللتين تعتبرتا مجال روسيا الجيوبوليتيكي.

(5) التأسيس لوضع اقتصادي أفضل وحضور وسياسي غير مباشر في عدد من بلدان الشرق الأوسط وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.⁽¹⁾

إن تحليل تراجع القوة الأمريكية من قوة عظمى منفردة بعد نهاية الحرب الباردة وتحول مركز القوة الجيوبوليتيكية من الغرب إلى القوى الأورو آسيوية التي قال بها بريجنسكي وكابلن وجوزيف ناي ليست بالفكرة الجديدة، فقد لاحظ خلال الحرب الباردة سنة 1969 أن المركز الجيوبوليتيكي كان ينتقل من منطقة الريميلاند الأوربية إلى آسيا والمحيط الهادي، وتوقع أن تكون المحيط الهادي وليس الهندي-كما تنبأ كابلان- منطقة صدام بين القوتين.⁽²⁾ وهذا ما يشكل تهديد للقوة الأمريكية من خلال التنافس الجيوبوليتيكي مع الصين القوة الاقتصادية الأكبر عالميا.

من جهة أخرى أجمع المفكرين السابق ذكرهم إلى أن الدولة القومية ستظل المؤسسة التأسيسية الرئيسية والفاعل المحوري في النظام العالمي للقرن الحادي والعشرين، وهنا إشارة إلى أن الدولة تبقى الفاعل الرئيس في العلاقات الدولية وأن المتغير الجغرافي لا يمكن تحييده عكس ما قالت به طروحات العولمة ونهاية الحدود. كما أن قوة الدولة تبقى تحددها مجموعة من العوامل كالقوة العسكرية وعدد السكان وحجم الدولة وقدرتها على الوصول للموارد الأساسية الضرورية لنمو الدول.⁽³⁾

⁽¹⁾-Martin Riegl and Jakub Landovský, op, cit, p4.

⁽²⁾- Ibid, p4.

⁽³⁾-Ibid, p4.

وتعتبر هذه العوامل من الأسس الجيوبوليتيكية لأي دولة التي على اعتبارها تحدد وترتب الدول في سلم القوى العالمية. كما أن القوة العسكرية لا تحدد بعدد السكان ومساحة الأرض لكن بمستوى التقدم التكنولوجي، وبعد أن وصلت الطفرة النفطية إلى ذروتها، سيكون الذهب الأزرق مصدر قوة للقوى الكبرى مثل روسيا وكندا، ويستمر تهميش إفريقيا؛ كما أن التنافس الجيوبوليتيكي سوف يكون بسبب الماء كما يقال حروب القرن الواحد العشرين هي حروب من أجل الماء.

كما أن مجال التنافس بين القوى الكبرى سوف يقوم في فضاء جغرافي مختلف عما كان عليه في القرن السابق، لقد توقفت أوروبا عن كونها بؤرة النظر الجيوبوليتيكي الجيوستراتيجي للأطراف الفاعلة الرئيسية، كما يتنبأ كابلان بأن المعركة ستتحول من منطقة الريملاند الأوروبية إلى الشرق؛⁽¹⁾ حيث أن المحيط الهندي الكبير الذي يمتد شرقاً من القرن الإفريقي عبر شبه الجزيرة العربية، والهضبة الإيرانية، وشبه القارة الهندية، على طول الطريق إلى الأرخبيل الإندونيسي وما بعده، قد يشتمل على خريطة مميزة للقرن الجديد، ويمكننا تحديد موقع الحوار المتوتر بين الحضارات الغربية والإسلامية، والتنافس حول طرق الطاقة العالمية، والنفوذ الواسع والهادي للصين والهند على اليابسة والبحر.⁽²⁾ هذه القضايا شكلت معالم التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في الألفية الثالثة، حيث انتقل مركز الثقل الجيوبوليتيكي إلى آسيا في صراع بين القوى الكبرى البرية الممثلة في روسيا والصين والبحرية الأمريكية للهيمنة العالمية على مجريات السياسة الدولية.

أعلن مدير وكالة الأمن القومي الأمريكية في بداية 2016 أن الاتجاهات التي تبرز على الساحة تظهر أن التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في تزايد بطريقة تمثل تهديداً للمؤسسات الدولية.⁽³⁾

عندما يتحدث مسؤول استراتيجي أمريكي سامي عن تخوفه من التنافس الجيوبوليتيكي على المؤسسات الدولية فهي إشارة إلى زعزعة النظام والأعراف الدولية، وفي نفس السياق أعرب هنري كسينجر عن رأيه بقوله بأن زخم الزعزعة التي أحدثتها العولمة فاق كل حنكة أو كياسة سياسية.⁽⁴⁾ وتساعدت النزعة التشاؤمية حول التنافس بين القوى بعد تصويت البريطانيين لصالح البريكست*

(1)- Martin Riegl and Jakub Landovský, op, cit, p 4

(2)- Kaplan, Monsoon: **The Indian Ocean and the Future of American Power**, XI on Martin Riegl and Jakub Landovský, op, cit, p5.

(3)- ريتشارد هاس، مرجع سابق، ص 19

(4)- المرجع نفسه، ص 20.

ولقد اتسم التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في القرن الواحد والعشرين باتساع نطاقه، وتعدد مجالاته كما يلي:

✓ التنافس على المفهوم الأوسع للفضاء الحر والمشاعات غير الخاضعة للرقابة فالمجالات الواسعة سواء كانت واقعية أو افتراضية لا تخضع لسيادة دولة واحدة أو دولة طامحة، ولكنها يجب أن تلعب دورا كبيرا في السياسة العسكرية للولايات المتحدة. وهذه الفكرة تعتبر من المصطلحات المفتاحية عند الفريد ماهان⁽¹⁾ حيث ركز على المحيطات وسماها "ب المشاعات العظيمة للبشرية" التي لا تخضع لرقابة دولة واحدة وأن القوة البحرية عكس القوة البرية تعمل أساسا في مناطق لا يحكمها أحد، وأن قدرة الدولة تتحدد بمدى استطاعتها السيطرة على المشاعات سواء باستعمالها أو محاصرتها أو حظرها على قوة معادية.⁽²⁾ والقرن الواحد والعشرين هو قرن اتساع المشاعات إلى ما وراء المحيطات كما قال الباحث

(^٤) - اتفاقية خروج بريطانيا من الإتحاد الأوروبي، وقد أطلق على الإتفاقية هذا الاسم الذي يتكون من مختصر اصطلاحي لكلمتين هما Britain وخروج exit صوت لصالح هذه الإتفاقية اثنان وخمسون بالمئة ممن شاركوا في الاستفتاء وطبقا للمادة الخمسين من معاهدة تأسيس الإتحاد الأوروبي يجب أن تبدأ إجراءات خروج المملكة المتحدة في نهاية مارس 2017 على أن تكتمل هذه الإجراءات تماما مع حلول مارس 2019 وقد أصبحت نتائج الاستفتاء نهائية وبدأت إجراءات الخروج بعد تصويت مجلس العموم البريطاني على تطبيقها في 24 مارس 2017. وفي 31 جانفي 2020 أصبحت بريطانيا رسميا خارج الإتحاد الأوروبي للمزيد حول الجدول الزمني لاتفاقيات خروج بريطانيا من الإتحاد الأوروبي اطلع Nigel Walker, Brexit timeline: events leading to the UK's exit from the European Union, Commons Library Briefing, 6 January 2021, pp-54.

(¹) - الفريد ماهان الفريد ماهان Alfred Thayer Mahan (1840-1914): لم يكن الأمريكي ماهان عالما بل عسكريا. ولم يستخدم مصطلح الجيوبوليتيكا إلا أن منهج تحليله والنتائج الأساسية التي توصل إليها تتطابق مع الرؤية الجيوبوليتيكية البحتة. ويعتبر مؤسس الجيوبوليتيكا الأمريكية بتطويره لتحليل جيوبوليتيكي يقوم على الدفاع عن المصالح الأمريكية باعتبارها قوة عالمية، بمعنى القدرة على تحقيق الأهداف عن طريق مراقبة البحار والتحكم فيها حيث يرى أنقوى البحر أكثر حصانة لإحاطة المياه بها من كل جانب، وهي التي تتحكم في حركة التجارة البحرية أثناء السلام والحرب. وقد قام ماهان بتدريس تاريخ الأسطول الحربي في « Naval War Collage » في نيويورك (رود آيلاند)، وفي سنة 1890 نشر كتابه الأول " القوى البحرية في التاريخ " و الذي أصبح فور صدوره مرجعا كلاسيكيا في الإستراتيجية العسكرية، وتوالت بعد ذلك أعماله " تأثير القوى البحرية على الثورة الفرنسية و الإمبراطورية 1793-1812"، "اهتمام أمريكا بالقوة البحرية في الحاضر و المستقبل"، "مشكلة آسيا و تأثيرها على السياسة الدولية " والقوة البحرية وعلاقتها بالحرب". و قد كرست جميع كتبه تقريبا لموضوع واحد وهو القوة البحرية Sea power للمزيد اطلع: ألكسندر دوفاي، الجغرافيا السياسية جيوبوليتيكي، تعريب حسن حيدر، (بيروت: عويدات للطباعة و النشر، ط1، 2007، ص23.

(²) - إيلين كوهين، العصا العليظة حدود القوة الناعمة حتمية القوة العسكرية، ترجمة فواز زعرور، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2018)، ص229-230.

أرنولد وولفرز Arnold wolfers ليشمل الفضاء والقطب الشمالي (بعد فتح ذوبان الجليد ممرات للعبور وأفسح المجال أمام أعمال التعدين).

✓ الفضاء الرقمي cyberspace يعتبر من العوالم التي تكون فيها لكل الدول الكبرى، إن لم لكل الدول مصلحة وستتشكل السيطرة عليها، أو تعطيلها من جانب من جانب العناصر العدائية تهديدا لقوة الولايات المتحدة حيث قد يشكل استيلاء قوة أخرى عليها تنافسا جيوبوليتيكيًا للولايات المتحدة في مجالات كانت تعتبرها جزء من أولويات السياسة الخارجية.⁽¹⁾

✓ الأراضي الحرة غير الخاضعة للرقابة وهي مناطق العالم تخضع اسميا لسيطرة دولة معينة لكنها تقبع في الواقع تحت حكم مجموعات فاعلة غير حكومية كالعشائر أو القبائل أو العصابات (الصومال) بالإضافة إلى سوريا واليمن ومناطق الحدود الباكستانية.⁽²⁾

كل هذه المناطق تحت سيطرة جماعات متطرفة إرهابية أو عصابات أو عشائر وهذا ما يجعل فرض السيطرة عليها أمرا صعبا، تكون المنافسة الجيوبوليتيكية غير واضحة المعالم على اعتبار إن هذه الجماعات لا تخضع للقانون الدولي وتشكل خطر على أمن الدولة والأمن الدولي بصفة عامة هذا من جهة ومن جهة أخرى تشكل السيطرة عليها من طرف هيئات غير حكومية توسع لنطاق التنافس الجيوبوليتيكي في القرن الواحد والعشرين ليشمل فواعل غير دولاتية وفي هذا المعنى تعريف للجيوبوليتيكا حسب الفرنسي إيف لاكوست: "Yve Lacoste" إلى كل ما يتعلق بعلاقات التنافس على بسط السلطة أو النفوذ على مناطق جغرافية أو على من يعيش فيها من السكان، وتتراوح هذه العلاقات بين تنافس سلمي وصراع عنيف بين القوى السياسية بأشكالها المختلفة أي ليس فقط بين الدول، بل صراع داخل دولة واحدة بين جماعة سياسية أو مجموعات مسلحة تعمل في الخفاء إلى حد ما، غاية هذا التنافس وضع اليد أو السيطرة على مساحات من الأراضي قد يكبر حجمها أو يضيق حتى لا تتجاوز رقعة صغيرة.⁽³⁾

في تعريف لأكوست للجيوبوليتيكا إشارة إلى الفواعل غير الدولاتية بالإضافة إلى الدول في علاقاتهم التنافسية من أجل السيطرة على الأرض أو من يعيش على هذه الأرض سواء كانت مساحتها كبيرة أو

(1) - إيلون كوهين، مرجع سابق، ص 230.

(2) - المرجع نفسه، ص 231.

(3) - إيف لاكوست، الجغرافيا السياسية للمتوسط، ترجمة زهيدة درويش، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1،

(2010)، ص 21.

صغيرة. وتظهر هذه المساحات غير الخاضعة للرقابة على إثر إنهيار الدولة أو فشلها أو إنشاء بعض الكيانات أو الدول لم يكن لديها القدرة على ضبط المشاعات في المرحلة الأولى.⁽¹⁾

كل هذه المجالات التنافسية للقوى الكبرى صعبت من مهمة كل دولة على حدا السيطرة على منطقة المشاعات أو الفضاء الرقمي أو الأراضي الحرة غير الخاضعة للرقابة وجعلت من التنافس الجيوبوليتيكي أمرا واقعا ميز بدايات القرن الواحد والعشرين خاصة في ظل صعود قوى جديدة للساحة التنافسية على غرار الصين وروسيا العائدة بقوة والقوى الفاعلة على المستوى الإقليمي كتركيا وإيران وإسرائيل.

مما سبق يتضح أن التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في القرن الواحد والعشرين تزايد في وتيرة الصعود وشمل مجالات جيوبوليتيكية أوسع من تلك التقليدية المتمثلة في صراع التالاسوكراتيا والتيلوروكراتيا إلى المجالات الافتراضية الرقمية. وهذا ما يجعل منه صفة ملازمة للتفاعلات الدولية على المستويين القريب والمتوسط على الأقل.

(1) - إيليو كوهين، مرجع سابق، ص 231.

المبحث الثاني:

منطقة الشرق الأوسط: قلب الجيوبوليتيكا القديمة والجديدة

يقول جورج لينكوفيسكي: " لا يمكن لأية سياسة خارجية رشيدة أن تتجاهل منطقة الشرق الأوسط وأثره على بقية العالم وهذا نابع من الأهمية الجيوبوليتيكية للمنطقة"⁽¹⁾

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أهم المناطق الساخنة في العالم - وهذا لأهميتها الجيوبوليتيكية النابعة من موقعها الجيوستراتيجي والقدرات الجيوبوليتيكية التي تزخر بها، وهذا ما جعلها قبلة للاستراتيجيات العالمية للقوى الكبرى على مختلف حقبة التاريخ، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المبحث. من خلال تقسيم المبحث لمطلبين نعالج في المطلب الأول موقع الشرق الأوسط، وفي المطلب الثاني الخصائص والمقدرات التي تتوفر عليها هذه المنطقة.

المطلب الأول: الموقع الجيوبوليتيكي لمنطقة الشرق الأوسط

الفرع الأول: تسمية الشرق الأوسط

يعتبر مصطلح الشرق الأوسط من بين أكثر المصطلحات السياسية زئبقية وهلامية، وذلك نظرا للنطاق والهدف من استخدامه من قبل الدول والمعاهد والهيئات والمنظمات الدولية المختلفة، وكذا المحللين السياسيين والدول.

أكد الباحث Percy منذ حوالي خمسين عاما أن الشرق الأوسط هي في الواقع منطقة مجهولة وغير واضحة ومحددة المعالم.⁽²⁾ لهذا يعتبر الشرق الأوسط من المناطق الإقليمية الأكثر غموضا مقارنة مع المناطق والأقاليم الأخرى في العالم فقد عبر عنه الباحثون والكتاب وحتى الهيئات الحكومية والدولية بمصطلحات متباينة سواء للدلالة عليه كليا أو جزئيا ومن أهمها اللغات Levant، الشرق القديم أو الأقدم

(1) - فتحي أحمد، الشرق الأوسط والأهمية الاقتصادية والجيوبوليتيكية، في إيلاف نوفل العكدي، الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط وأثرها على العلاقات الروسية الإيرانية، (عمان: دار الراية للنشر والتوزيع، ط 1، 2016)، ص 13.
(2) - G, Etzel Percy, **The Middle East an indefinable region**, (Washington: U.S. Govt. Print. Off, 1964), p72.

most ancient east، الصحاري الكلاسيكية classical desert، جنوب غرب آسيا south west asia، الشرق الأدنى والشرق الأوسط.⁽¹⁾

لهذا تواجه الباحثين مشكلة تحديد مصطلح الشرق الأوسط وأبعاده الجغرافية والسياسية فمنهم من يجعله منحصرًا في الدول العربية ومنهم من يوسعه لدول الجوار غير العربية (تركيا إيران وإسرائيل) ومنهم من يوسعه ليضم أيضا دول أفغانستان وباكستان والهند ومنهم من يضيق الدائرة العربية ليأخذ منها المشرق العربي ويضيف إليها تركيا وإيران وإسرائيل وأفغانستان وباكستان ويسمى الشطر العربي الإفريقي بتسمية شمال إفريقيا، ولكل من هذه التسميات دلالة وسبب متعلقين بدوافع الجهة التي أطلقتها التي في الغالب تتعلق بتغيب الهوية العربية وإطلاق هويات مختلفة للمنطقة، وهذا للتقليل من الحضور العربي وزيادة الحضور غير العربي.⁽²⁾

يتساءل الكثير من المفكرين هل هناك شرق أوسط حقيقي أم أنه مجرد مصطلح مفروض من طرف القوى الكبرى، في هذا الشأن كتبت ديانا ديفيز في تعريف الشرق الأوسط أنه تم بناؤه إلى حد كبير من طرف القوى الاستعمارية الأوروبية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ بين كل من بريطانيا وفرنسا لإنشاء منطقة تكون تحت سيطرتهم بكل مقوماتها البشرية ومقدراتها الجيوبوليتيكية كالطاقة والمياه والممرات المائية.⁽³⁾

كما أن البدايات الأولى لظهور المصطلح تشير إلى الدول التي غلب على تسميتها بالعالم القديم بين علماء التاريخ، بوصفها مهد الحضارات الإنسانية، ومهبط جميع الديانات السماوية. كما أنه على مر التاريخ لم يكن تحديد اسم المنطقة أو هويتها مثار للنزاعات، رغم أنه تاريخيا هناك صراعات بين العرب والجوار، إلا أن الصراع بدأ يتصاعد على المنطقة لما تعلق الأمر بهويتها وبالسيادة عليها، فالصراع على هوية المنطقة والسيادة عليها هو محدد لصياغة النظام الإقليمي الجديد في المنطقة الذي بدأت تروج له

(1) - عبد الرزاق بوزيدي، التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط دراسة حالة الأزمة السورية 2014-2010، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماجستير في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية (جامعة بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2014/2015)، ص 37.

(2) - عمار بهاء الدين، مستقبل التنافس الروسي الأمريكي في الشرق الأوسط: دراسة في الأبعاد الاقتصادية والسياسية، (بغداد: مكتبة السنهوري، ط1، 2016)، ص ص 19-20.

(3) - Scott Lucas, Joanna Paraszczuk, **The Middle East: Between Geography and Power**, Bustan: The Middle East Book Review 5 (2014), p18.

القوى الكبرى منذ أكثر من قرن وهو صراع في جوهره قائم بشأن ثروات المنطقة⁽¹⁾. هذه الأخيرة التي شكلت نقمة على الشرق الأوسط منذ بداية التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى على مناطق النفوذ فترات الحربين العالميتين وفترة الحرب الباردة وما تلا ذلك من تنافس عالمي متعدد الأبعاد.

من الغريب ألا تتوفر إلا مصادر قليلة حول التسمية والحدود الحقيقية لمنطقة الشرق الأوسط حتى أوائل القرن العشرين، وجاء هذا التحديد لتعيين وترسيم المصالح البريطانية في المنطقة وهذا لقربها من الخليج الفارسي والطريق إلى الهند.⁽²⁾

حيث يعود التأسيس للشرق الأوسط المعاصر بدوله الحالية؛ إلى فترة نهاية الحرب العالمية الأولى وانهايار الإمبراطورية العثمانية، وتقسيم أراضيها بين القوى الكبرى في تلك المرحلة ممثلة في فرنسا وبريطانيا العظمى. وقد أسسوا لمصير شعوب هذه المنطقة من خلال حثهم على العيش ضمن الحدود المفروضة دون مراعاة تطلعات الشعوب واختلافاتها، بل بالعكس وبالضبط لخلق منطقة مشتتة الهوية. وقد وضعت معاهدة سايكس بيكو 1916 وسيفر 1920 حدود منطقة الشرق الأوسط. حسب المصالح الجيوبوليتيكية التوسعية للقوتين الكبيرتين فرنسا وبريطانيا العظمى.⁽³⁾

إن الشرق الأوسط بصفة عامة منطقة يصعب تحديدها، وهذا ليس لأن المصطلح ليس مجرد ابتكار لفظي في قاموس السياسة العالمية منذ أواخر القرن الماضي، ولكن الصعوبة في تحديد منطقة الشرق الأوسط راجع إلى أنه إقليم هلامي القوام بمعنى أنه يتسع وبضيق وفق مقتضيات مصلحة القوى الفاعلة به.⁽⁴⁾

وهو مصطلح جغرافي وسياسي شاع استخدامه في مختلف أنحاء العالم، حيث كان يقصد به تقسيم الشرق إلى أقسام حسب التباعد والتقارب الجغرافي من أوروبا، في حين أن الإقليم هو إقليم أوسط بالنسبة لخريطة العالم بصفة عامة، والعالم القديم بصفة خاصة، وتحديد منطقة الشرق الأوسط بالتدقيق أمر صعب، ويرجع ذلك إلى هلامية هذا الأخير، فهو يتسع أو يضيق حسب التصنيف أو الهدف الذي يسعى إليه جهة أو صاحب التعريف.

(1) - عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص 20.

(2) - Percy, op, cit, p4.

(3) - Pierre Blanc jean Paul Chagnollaud, *l'invention tragique du moyen-orient*,(Paris, Editions autrement, 2017), p11.

(4) - عبد الرزيق المخادمي، مشروع الشرق الأوسط الكبير، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2005)، ص43.

كما أن الغموض الذي يكتنف تحديد مفهوم الإقليم يعود إلى وجود نوع من المفاهيم المسبقة التي أدت إلى التباس المصطلحات وهي الشرق الأوسط، العالم العربي، العالم الإسلامي. ومعروف أن العالم العربي يشتمل على الجزء الغربي من الشرق الأوسط، ويمتد خارجه إلى شمال أفريقيا ونطاق السافانا من السنغال إلى السودان، أما العالم الإسلامي فيشمل كل الشرق الأوسط ويمتد فيما وراءه في شتى الاتجاهات الجغرافية، وأكثر الغموض الذي يجعل تحديد الشرق الأوسط أمرًا غير سهل المنال، راجع إلى كثرة الأسماء والمصطلحات التي استُخدمت في الماضي، وتُستخدم في الحاضر، للإشارة إلى كل الإقليم أو إلى جزء منه.⁽¹⁾ فوصف الشرق الأوسط قد نقل عن البريطانيين، حيث يكون الشرق أدنى أو أوسط أو أقصى بالنسبة للجزر البريطانية، وكل يمثل وحدة جغرافية كبرى، وقد جرى العرف على إطلاق مصطلح الشرق الأدنى على الشمال الإفريقي حتى مصر والشرق الأوسط على المنطقة من غرب مصر حتى شرق إيران، أما الأقصى فيطلق على شرق آسيا حتى اليابان.⁽²⁾

كما أن الصعوبة في تحديد الشرق الأوسط نابعة عن أن هذا الإقليم يتكون من عدة متداخلات طبيعية وبشرية، وأنه على هذه المتداخلات يمتد بعد زمني هو أطول بعد تاريخي يمكن أن نعرفه عن أي إقليم آخر في العالم، وبالإضافة إلى ذلك يرتبط الإقليم بعامل جغرافي واضح الأثر في كل أرجائه؛ ذلك هو عامل المكان والعلاقات المكانية التي ميزت، وتميز الشرق الأوسط كمنطقة مركزية منذ القدم في علاقات الشرق والغرب القديم، وحديثًا الشرق بمضمونه الحضاري الاقتصادي عامة في آسيا وأفريقيا الشمالية والشرقية، والغرب بالمضمون الحضاري الصناعي العام في أوروبا وأمريكا.⁽³⁾

على الرغم مما تتعرض له العلاقات المكانية من تغيرات، قد تكون جذرية، نتيجة متغيرات التكنولوجيا في مجالات النقل والاقتصاد والمواصلات إلا أن أغلب هذه التغيرات قد دعمت أهمية المكان الجغرافي للشرق الأوسط وأعادت تأكيد هذه الأهمية مجددًا، لكن هذه الأهمية المكانية جعلت الشرق الأوسط قبلة أنظار المتوسعين الأوروبيين في العصر الاستعماري ومحط منافسة حادة بين القوى

(1) - محمد رياض، الأصول العامة للجغرافيا السياسية الجيوبوليتيكا مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2010)، ص 220.

(2) - مصطفى كامل محمد، التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط ودور مصر، في وهبة زلاقي،، أثر المتغيرات الدولية على الدور الإقليمي لإيران في الشرق الأوسط فترة ما بعد الحرب الباردة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، (جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية،

104ص(2018/2017

(3) - المرجع نفسه، ص 220.

الإمبريالية، وصراع بين الشرق والغرب ككتل سياسية معاصرة، فوق صراع قومي لشعوب المنطقة، فمنذ بداية القرن التاسع عشر ظهرت المشكلة الشرقية في قاموس السياسة الأوروبية، وتأكدت المنافسة الأوروبية بعد شق قناة السويس، وظهرت في بريطانيا فكرة تأمين طريق الهند التي انتهت بإستراتيجية الأمان الإمبريالي التي تنادي بها إسرائيل كآخر رأس جسر غربي في المنطقة، والآن تشترك فكرة الأمان الغربية مع مشكلة الطاقة العالمية في تفاعلات دولية تجاه دول الشرق الأوسط، وذلك منذ أن أصبح الإقليم أكبر مصدر للبتروول وأكبر مخزن احتياطي في العالم.⁽¹⁾

أن تتبع البدايات الأولى لمصطلح الشرق الأوسط على الصعيدين الأكاديمي والسياسي يلاحظ أن المصطلح ظهر أولاً في كتابات القنصل البريطاني العام في مسقط عند منتصف القرن التاسع عشر، كذلك استخدمه المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن الذي كان أول مؤسسة غربية تعنى بالكتابة عن الشرق الأوسط ضمن بحوثها في الشؤون الدولية. وفي سنة 1898 كتب تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية كحركة سياسية عالمية منظمة حيث كتب في يومياته قائلاً: "يجب قيام كومونولث شرق أوسطي يكون لدولة اليهود فيه شأن قيادي فاعل ودور اقتصادي قائد وتكون المركز لجلب الاستثمارات والبحث العلمي والخبرة الفنية".⁽²⁾

وأشار أيضا إلى المصطلح ضابط المخابرات البريطانية توماس غورت Tomas Gort عام 1900 في سياق تنبيهه بريطانيا من الخطر الروسي على مصالحها.⁽³⁾ ويعد الأمريكي الفريد ماهان أول من استخدم مصطلح الشرق الأوسط أكاديميا في سبتمبر 1902 في مقال بعنوان الخليج الفارسي والعلاقات الدولية في مجلة the British national review بعنوان the persian gulf and international relations ووفقا لما نشره ماهان فالشرق الأوسط يعني المنطقة الواقعة بين شبه الجزيرة العربية والهند.⁽⁴⁾ ثم استخدمه فالنتاين شيرول مراسل التايمز اللندنية في أكتوبر عام 1902 و1903 في سلسلة من المقالات تحت عنوان المسألة الشرق أوسطية ثم أصدرها في كتاب عام 1903، وبعد ماهان تنوعت آراء الباحثين ومراكز

(1) - محمد مصطفى كامل، مرجع سابق، ص 220.

(2) - عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص ص 21-22.

(3) - محمد أحمد النابلسي، أوهام مشروع الشرق الأوسط الكبير، في وهيبة زلاقي، أثر المتغيرات الدولية على الدور الإقليمي لإيران في الشرق الأوسط فترة ما بعد الحرب الباردة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، (جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2017/2018) ص 103.

(4) - Gérard-François DUMONT, Les paramètres géopolitiques du Moyen-Orient, G.-F. Dumont - La géostratégie des crises au « Grand Moyen-Orient » Février 2009, p47.

الأبحاث والدراسات داخل المنطقة وخارجها حول تحديد دقيق لمفهوم الشرق الأوسط والدول الداخلة في نطاقه والخارجة منه.

ففي عام 1911 استخدم اللورد كيرزون Kirzounn حاكم الهند وقتئذ عبارة (الشرق الأوسط) للإشارة إلى تركيا والخليج العربي وإيران في آسيا باعتبارها تمثل الطريق إلى الهند، وفي المدة التي تلت الحرب العالمية الأولى بدأت دلالة التعبير في التغيير حيث أطلقت عبارة الشرق الأوسط على جزء من المنطقة الجغرافية التي يشملها الشرق الأدنى، وفي عام 1921 أنشأ ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك ما عرف بإدارة الشرق الأوسط لكي تشرف على شؤون فلسطين وشرق الأردن والعراق في عام 1932 تم إدماج القيادة الشرق أوسطية للقوات الجوية الملكية البريطانية التي كان مقرها العراق مع قيادة القوات البريطانية في مصر واحتفظت القيادة الجوية باسم قيادة الشرق الأوسط ومن ثمة شاع استخدام مصطلح الشرق الأوسط.

شهدت فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية تطورات دفعت في اتجاه ظهور تعريفات سياسية اقتصادية للشرق الأوسط، تختلف عن التعريفات الجغرافية والتاريخية للشرق الأوسط المرتبطة بالمركزية الأوروبية، وبدأت التعريفات السياسية والاقتصادية تحتل أولوية مع ظهور دول عربية مستقلة وكذا ظهور متغير النفط على الخريطة السياسية بعد الحرب العالمية، إلا أن حدود المنطقة المشار إليها في هذه المرحلة لم تتغير وظل يشير لها أنها المنطقة الممتدة من مصر غرباً إلى إيران شرقاً.⁽¹⁾

جاءت الحرب العالمية الثانية لتؤكد ذلك المفهوم حين أنشئ مركز تموين الشرق الأوسط التي كانت تشرف على مساحة غير محدودة تزيد أو تنقص وفقاً لتطورات الحرب، فمثلاً أضيفت لها غيران عام 1942 كما استبعدت منها إريتريا في سبتمبر 1941 ثم أعيدت مجدداً بعد أشهر. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية دخل مصطلح الشرق الأوسط مرحلة مهمة، وهذا بظهور فاعل جيوسراتيجي جديد في الحسابات السياسية للمنطقة، وهو الولايات المتحدة الأمريكية، وما مثلته منطقة الشرق الأوسط جيوبوليتيكي بالنسبة للولايات المتحدة. فقد أسس معهد الشرق الأوسط وكان يصدر مجلة الشرق الأوسط

(1) - حبيبة زلاقي، أثر المتغيرات الدولية على الدور الإقليمي لإيران في الشرق الأوسط فترة ما بعد الحرب الباردة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، (جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2017/2018)، ص 104.

ويهتم بدراسة التفاعلات السياسية في هذه الرقعة الجغرافية التي حددها حسب الإمتداد الجغرافي الإسلامي من المغرب العربي إلى إندونيسيا ومن السودان إلى أوزبكستان.⁽¹⁾

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قدم معهد الشرق الأوسط الذي أسس سنة 1946 بواشنطن من مصطلح الشرق الأوسط ليشمل كل من باكستان وآسيا الوسطى، الأقطار العربية في شمال إفريقيا. ومنذ ذلك التاريخ أطلق مصطلح الشرق الأوسط على تلك المنطقة من قبل وزارة الخارجية الأمريكية ومراكز الأبحاث.⁽²⁾

إذ نجد أن تعريف المنطقة كان مثار اهتمام دوائر صنع القرار السياسي ومراكز الدراسات الأكاديمية، فقد عرفت الموسوعة الأمريكية منطقة الشرق الأوسط بأنها تشمل الدول التالية: قبرص، الأردن، الكويت، السودان البحرين، مصر، تركيا، اليمن، سوريا، الإمارات، لبنان، العراق، قطر، السعودية وإيران.⁽³⁾

أما الموسوعة البريطانية فتعرف المصطلح أنه يعود استعماله للحرب العالمية الثانية وتشمل الأراضي الواقعة حول الساحلين الجنوبي والشرقي للمتوسط من المملكة المغربية إلى شبه الجزيرة العربية، فالشرق قسم إلى ثلاث مناطق:

- الشرق الأدنى: **near east** تاريخيا يعتبر من أقدم المصطلحات استخداما يضم البلاد الواقعة شرق البحر المتوسط بين أوروبا ويضم في الدراسات الحديثة بلاد الشام والعراق وإيران وتركيا.
- الشرق الأقصى: ويضم دول جنوب شرق آسيا والقسم الشرقي من الصين وكوريا، وصولا إلى الاتحاد السوفيتي وهو مصطلح بعيد عن الشرق الأوسط.

(1) - حبيبة زلاقي، مرجع سابق، ص105.

(2) - المرجع نفسه، ص105.

(3) - فراس محمد أحمد الجحيشي، التوازنات الاستراتيجية الجديدة في ظل بيئة أمنية متغيرة، (عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2015)، ص20

- الشرق الأوسط: Middle east هي المنطقة الواقعة بين المنطقتين السابقتين الشرق الأقصى والشرق الأدنى.⁽¹⁾

تعريف الأمم المتحدة: مر تعريف الشرق الأوسط لدى منظمة الأمم المتحدة بالعديد من التطورات، فقد عرفت دراسة نشرتها الأمم المتحدة سنة 1975 الشرق الأوسط أنه المنطقة الواقعة من ليبيا غربا حتى إيران شرقا ومن سوريا شمالا حتى اليمن جنوبا، ومن ثمة عادت منظمة الأمم المتحدة لتعديل التعريف حتى يشمل كل المنطقة العربية.⁽²⁾

كما قدمت الأمم المتحدة تعريفا للشرق الأوسط من خلال تحديد لجنة نزع السلاح لإقامة منطقة منزوعة السلاح في الشرق الأوسط، وفيما بعد منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل وقد وسعت هذه اللجان من مفهوم الشرق الأوسط ليضم كل الدول العربية بالإضافة إلى إيران وإسرائيل.⁽³⁾ سنة 1990 بمبادرة من الرئيس المصري السابق حسني مبارك الذي اعترف بالتهديد الذي يمثله وجود الأسلحة الكيميائية والبيولوجية في المنطقة والحاجة إلى جذب دعم إسرائيل والولايات المتحدة للمشروع وقد أيدته إسرائيل والمشاركون الآخرون في مؤتمر مدريد للسلام في أوائل 1990.⁽⁴⁾

أما الولايات المتحدة الأمريكية في تعريفها الحديث للشرق الأوسط تنظر إلى المنطقة بأنها مصر والجزيرة العربية ومنطقة الخليج وتركيا وإيران.⁽⁵⁾ ونعني بمنطقة الشرق الأوسط The Middle East منطقة إقليمية واسعة، تتمتع بمواصفاتها وتراكيبيها وتعقيدها ومسالكها التي تربط الشرق بالغرب وتؤلفها مجموعة من أقاليم متنوعة تقع في جنوب غربي آسيا التي تتوسط العالم، وتمتد فيها بحار عدة لها استراتيجيتها الدولية وتعد " المنطقة" بالذات من أغنى مناطق العالم بثرواتها النفطية وهي تتوسط الشرقيين الأدنى

(1) - ليلى مداني، "الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط في عهبة مزوزي ومحمد بن عيشة محررا، الثقل الآسيوي في السياسة الدولية محددات القوة الآسيوية، (برلين: المركز الديمقراطي للدراسات السياسية والاستراتيجية، الطبعة 1، 2018)، ص. 24.

(2) - إيلاف نوفل أحمد العكدي، الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط وأثرها على العلاقات الروسية الإيرانية، (الأردن: دار الزاوية للنشر والتوزيع، ط1، 2016)، ص. 15.

(3) - فراس محمد أحمد الجحيشي، مرجع سابق، ص 20

(4) - Grégoire Mallard and Paolo Foradori, **The Middle East at a Crossroads: How to Face the Perils of Nuclear Development in a Volatile Region**, Global Governance 20 (2014), p501.

(5) - إيلاف نوفل أحمد العكدي، مرجع سابق، ص 15

والأقصى.⁽¹⁾ أما المنظمة الدولية للطيران المدني حددت الشرق الأوسط بالدول الآتية: مصر والسودان وإسرائيل ودول مجلس التعاون الخليجي واليمن والعراق وإيران وأفغانستان (مستبعدة تركيا منه).⁽²⁾

تعريف بريجنسكي: لقد أشار بريجنسكي في مؤلفه بين عصرين عن ضرورة استمرار الوطن العربي مجزئاً ودعا إلى خلق عوامل جديدة لبث الفتنة والنزاعات بين دول المنطقة، والذي أشار أن الشرق الأوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة يجمعها إطار إقليمي وعلى ذلك سوف يكون هناك شرق الأوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة على أساس مبدأ الدولة الأمة وتتحول إلى كانتونات طائفية وعرقية يجمعها إطار إقليمي كونفدرالي سيسمح لإسرائيل أن تعيش في المنطقة بعد أن تصفي فكرة القومية.⁽³⁾

مما تقدم فإن التأسيس لمصطلح الشرق الأوسط لم يكن عبثاً أو لأغراض موضوعية بل يتعلق الأمر بنزع العوامل القومية واعتبار المنطقة تتشكل من مجموعات إثنية مختلفة لا رابطة بينها، وبالتحديد التأسيس لمركزية إسرائيل فيه. وما يؤكد ذلك الاختلاف الواضح بين الكتاب حول حدود المنطقة وهي عموماً تشمل كل منطقة المشرق العربي فضلاً عن إسرائيل ومصر وتركيا وإيران. ولما أطلق المصطلح كانت دلالاته محددة بين منطقتين شرق أدنى من جهة بريطانيا (ويضم أوروبا الغربية وصولاً لتركيا أي مناطق شمال البحر المتوسط) وشرق أقصى (يضم ما بعد الهند وصولاً إلى سواحل بحر الصين الجنوبي) وبينهما شرق أوسط تعلقت أهميته بأهمية الهند في الاستراتيجية البريطانية، ونظراً لأهميته تعمدت الإدارات الأمريكية المتعاقبة بالتعاون مع إسرائيل على إعادة صياغته بشكل متكرر، ولكن كل الصياغات أكدت على استبعاد منطقة المغرب العربي، بمعنى أن مصطلح الشرق الأوسط اخترع لخلق عوامل ارتباط بين دول عربية ودول الجوار غير العربية وفي نفس الوقت نزع الارتباط بين الدول العربية المشرقية والمغربية.⁽⁴⁾

(1) - حارث قحطان عبد الله، "الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط (مرحلة ما بعد أحداث 11 سبتمبر)"، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد 6، ص 309.

(2) - عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص 23.

(3) - زيغينيو بريجنسكي، بين عصرين الاستراتيجية الأمريكية في العصر التكنونوي، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ط، 1970، 2)، ص 72.

(4) - عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص 25.

ويحاول الباحثون كما السياسيون التأسيس لمصطلح مكتمل المعالم ليكون نظاما إقليميا مميزا في النظام الدولي ألا وهو الشرق الأوسط ؛ وهو يتألف من عدة دول بعضها متفق عليه والبعض الآخر هناك اختلاف حوله، ولكن يتفق على أن منطقة الشرق الأوسط تمتد من مصر غربا وتركيا شمالا وصولا إلى بحر العرب جنوبا وإلى إيران شرقا هذه الدول تشكل مساحة جغرافية واسعة وفيها عدة تكوينات قومية واضحة العرب والأتراك والأكراد والفرس والآذريين والعبرانيين وعدة ديانات أهمها الإسلام والمسيحية واليهودية وكل منها فيها عقائد واتجاهات مذهبية متعددة.⁽¹⁾

من التسميات الجديدة أو المشاريع الأمريكية في المنطقة مشروع الشرق الأوسط الجديد ومشروع الشرق الأوسط الكبير.

الشرق الأوسط الجديد: لا يخفى علينا أن مصطلح الشرق الأوسط هو صناعة خارجية للقوى الكبرى الفاعلة في المنطقة، بهدف صياغة استراتيجيات تأخذ بعين الاعتبار مصلحتها في هذه المنطقة المحورية للسيطرة العالمية. وهذا ما أشار إليه تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندو ليزا رايس إبان الحرب الإسرائيلية على لبنان عام 2006، حيث طرحت مفهوم الشرق الأوسط الجديد ومقوماته وملامحه، وجدير بالذكر أن ما طرحته الوزيرة الأمريكية من شرق أوسط جديد يتوافق والرؤى الأمريكية في المنطقة، وفي هذا الصدد قدم الخبير الأمريكي ريتشارد هاس نظرة لما يكون عليه الشرق الأوسط الجديد في مقالة له نشرت في مجلة foreign affairs بعنوان The New Middle East وضع فيها اثنا عشر ملحا للشرق الأوسط.⁽²⁾

- سوف تستمر الولايات المتحدة محتفظة بنفوذها في المنطقة مع أن هذا النفوذ ينخفض تدريجيا.
- ستواجه الولايات المتحدة سياسات معرضة ومنافسة من طرف قوى كبرى أخرى مثل الإتحاد الأوربي وروسيا والصين.
- إيران ستبقى قوة إقليمية لها مكانتها ودورها في صياغة التفاعلات في منطقة الشرق الأوسط.
- إسرائيل هي الدولة الأقوى منافسة لإيران في المنطقة بسبب ترسانتها العسكرية وقوتها الاقتصادية.

(1) - عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص 25.

(2) - عبد السلام جمعة زاغود، الأبعاد الاستراتيجية للنظام العالمي الجديد قراءة في حصاد وقائع وأحداث عقدين من الزمن 1989/2011، (مصر: دار زهران للنشر والتوزيع، 2014)، ص 79.

- غياب الشريك القوي والواضح عن الجانب الفلسطيني يؤدي إلى استمرار إسرائيل في التوسع والنفوذ على الأراضي الفلسطينية، وفشل الحل الدبلوماسي.
- العراق سوف يظل في حالة فوضى وتشظي تقسمه الحروب الطائفية والفشل المؤسسي الاقتصادي والسياسي وبالتالي يغيب عن الدور الإقليمي في المنطقة لفترة طويلة نسبياً.
- سعر البترول سوف يستمر في ارتفاع بسبب القوى الصناعية الصاعدة متمثلة في الهند والصين واستغلالها لنفط المنطقة وهذا ما يخدم السعودية وإيران بطريقة غير متناسبة.
- استمرار سباق التسلح وظهور جيوش خاصة في كطل من لبنان والعراق وسوريا.
- السلوك الإرهابي الطي يعتبر طريقة للتعبير عن الأهداف سيظل مستمرا ومتصاعدا، ظهور الجماعات الإرهابية هذه الأخيرة التي هي صنيعة أمريكية ومن شأنها أن تنعكس على أمنها.
- سوف تتراجع في المجتمعات العربية ثقافة القومية والوحدة العربية وتنامي أشكال المطالبة بالديمقراطية، كما أن الإسلام سيملاً الفراغ السياسي في أغلب الدول العربية مع استمرار التوتر المذهبي السني الشيعي وينعكس على الدول المنقسمة مثل السعودية البحرين ولبنان وحتى سوريا.
- ستظل بعض الأنظمة العربية سلطوية ومعادية للولايات المتحدة، وقد يتزعم الإخوان الحكم في بعض الدول العربية لأن الشعب سئمت البدائل التقليدية.
- المؤسسات الإقليمية سوف تظل ضعيفة وعاجزة ومتخلفة كثيرا فالجامعة العربية ستظل هيكل بلا روح.⁽¹⁾

من خلال محاولة تحليل هذه الملامح وتطبيقها على الشرق الأوسط نهاية 2019 - مع العلم أن هذه الدراسة قدمها توماس هاس سنة 2006- نجد أنها تشرح الوضع الشرق أوسطي الحالي وتوضحه بدقة، كما أنها دراسة استشرافية أنذاك حيث لا تزال السيطرة الأمريكية في المنطقة لسبين النفط هذه الطاقة الهيدروكربونية التي مهما ظهرت البدائل مازالت تحافظ على ارتفاع سعرها في السوق الدولية وتشكل أحد أسس العلاقات الدولية في المنطقة، والحفاظ على أمن إسرائيل وقوتها في المنطقة التي أردادتها القوى الكبرى أن تكون متداخلة الهويات والكيانات، وذات بناء مؤسساتي هش يسهل من عملية التدخلات سواء كانت غير مباشرة كما هو حال أغلب الدول العربية الموالية للولايات المتحدة في المنطقة،

(1) - عبد السلام جمعة زاوود، مرجع سابق، ص ص 80. 82.

أو عن طريق التدخل العسكري المباشر للدول التي تراها أمريكا خطرا على الأمن الدولي من المنظور الأمريكي مثل العراق، سوريا.

من خلال استعراض التعاريف السابقة والمختلفة للشرق الأوسط نحاول تقديم تعريف إجرائي للمنطقة: يمثل الشرق الأوسط رقعة جغرافية ممتدة بين قارات العالم الثلاث أوربا وآسيا وإفريقيا، وتشمل دوله الدول العربية من مصر غربا حتى دول الخليج شرقا ومن سوريا شمالا حتى اليمن جنوبا، مع اعتبار إيران وتركيا غير العربيتان وإسرائيل دول شرق أوسطية وهذا ما تقتضيه الدراسة على اعتبار أن مفهوم الشرق الأوسط هلامي ودائم التغير ولا يتميز بالثبات نظرا لحسابات القوى الكبرى في المنطقة وكذا تفاعلاتها بها.

خريطة رقم 1: دول منطقة الشرق الأوسط



المصدر: www.marefa.org

يبين الشكل رقم 1 دول الشرق الأوسط على الرغم من الاختلاف في التعاريف إلا أنه وبمحاولة إحداث تقاطع لما ورد في التعاريف بين الرؤية البريطانية والأمريكية -باعتبارهما الأكثر اهتماما بتسميات وتقسيمات المنطقة- نجد أن منطقة الشرق الأوسط تضم دولاً وتعتبر دول القلب التي لا اختلاف فيها ودول أخرى محيطة ينظر لها من زوايا مختلفة سواء بإدراجها في المنطقة أو استبعادها وهذا كما قلنا سابقاً لأغراض وأهداف سياسية استراتيجية لا علاقة بها لخصوصيات الشعوب أو اهتماماتها.

الفرع الثاني: موقع منطقة الشرق الأوسط:

تقع منطقة الشرق الأوسط جغرافيا في قلب العالم، وهو ما يتبين من أي نظرة لقاراته وجغرافيته فهي تتوسط القارات الثلاث أوربا وإفريقيا وآسيا، كما أنها من أهم المناطق عالميا من حيث وفرة الموارد وكثرة التفاعلات والبعد الحضاري في العالم وهذا ما جعلها قلب الجيوبوليتيكا العالمية في نظريتي الجيوبوليتيكيين الأبرز عالميا الانجليزي ماكندر والأمريكي ماهان إذ أن منطقة الشرق الأوسط تقع في قلب التفاعلات العالمية كما أنها تؤثر على هذه التفاعلات بشكل أو بآخر.⁽¹⁾

إن الميزة التي تتمتع بها هذه المنطقة تتعلق بموقعها الجغرافي ومجاورتها لمراكز القوة العالمية في العالم المعاصر، حيث الصين واليابان شرقا وأوربا غربا، فالموقع الجغرافي والمساحة والحدود سواء بالنسبة للدولة أو الإقليم كلها عوامل جيوبوليتيكية تؤثر في السياسات والاستراتيجيات الدولية التي توجه إليه من القوى الأخرى.⁽²⁾

على الرغم من تأثيرات العوامل التكنولوجية على تحييد متغير الجغرافيا في السياسات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة، ومن ثم التحليل الجيوبوليتيكي لظواهر السياسة الدولية. حيث ظهرت أطروحات فكرية تمجد وتنبئ بعصر جديد تسود فيه القيم والأفكار الليبرالية. عصر حمل شعار "النهايات" (نهاية التاريخ ونهاية الدولة ونهاية الإيديولوجيا ونهاية الجغرافيا)، بفعل الديناميكية والتعقيد اللذين يميزان الظواهر والأحداث، وتزايد التقدم التقني والاكتشافات العلمية في شتى المجالات والميادين. فبفعل ذلك تعزز النقل الجوي بأحدث وأسرع الطائرات التي تتجاوز الحواجز مهما عنت وعلت، وتميز عالم الحروب والنزاعات بكثافة باستخدام الأسلحة الفتاكة كالصواريخ التي تخترق أصلب الحواجز. وبحكم ثورة الاتصالات والتقدم التكنولوجي التقني الفائق زادت سرعة التصميم والتخطيط والتنفيذ، ولم تعد الجغرافيا عامل محوري في جيوسراتيجيات الدول حيال القضايا الدولية وهذا جراء التدفقات الاقتصادية والإعلامية والاجتماعية والثقافية وفي ظل اختزال الزمان والمسافة.⁽³⁾

إلا أن جغرافيا المناطق لا زالت محدد للسياسات الدولية ومؤثرة فيها وهذا ما عبر عنه كولين غراي الذي كتب بهذا الشأن يقول "إنه لأمر مهم وأساسي كل ما يحدث داخل الحدود، فالعوامل الجغرافية

(1) - عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص 31.

(2) - المرجع نفسه، ص 31.

(3) - عبد الله راقي، الجيوبوليتيكا والعولمة في الحديث عن نهاية الجغرافيا، دفاتر السياسة والقانون، العدد 17، جوان

2017، ص 210.

متضمنة في ترتيبات السياسة العالمية".⁽¹⁾ فهي من تحدد اللاعبين، وكثيرا ما تحدد معالم الحدود التي يكافح من أجلها اللاعبون، ودائما تحدد الشروط التي يقيس بها اللاعبون أنهم بالنسبة لأمن الأطراف الأخرى.⁽²⁾ وفي مقال حديث في مجلة الدراسات الاستراتيجية، كتب غراي بأن "جميع المسائل السياسية ذات بعد جيوبوليتيكي، " وخلص، بأنه بالنسبة لدراسة وممارسة العلاقات الدولية" تصبح الجغرافيا مسألة لا مفر منها".⁽³⁾ وعلى نحو متصل فكل المسائل والقضايا السياسية تتطوي على بعد جيوبوليتيكي، وأنه لا مناص من الجغرافيا في دراسة وممارسة العلاقات الدولية.⁽⁴⁾

كان بناء الشرق الأوسط مستنداً إلى المصالح المادية والإيديولوجية. وكما يتبين لنا، فإن التعريفات المختلفة للمنطقة تأثرت بأربعة عوامل رئيسية: سياسة القوة، النفط، الصراع العربي الإسرائيلي، والدين. وفي بعض الأحيان، تتنافس هذه العوامل على الصدارة، ولكنها تتعايش أيضاً وتعزز بعضها البعض في كثير من الأحيان ويؤكد الباحثين برنارد لويس PM Holt و Bernard Iwis أنه إذا كان الشرق الأدنى هو نتاج دبلوماسية القرن التاسع عشر فإن الشرق الأوسط هو نتاج استراتيجية القرن العشرين لان التنافس الجيوبوليتيكي على السيادة في هذه المنطقة كان في الاستراتيجيات العسكرية والمؤسسات السياسية للقوى الكبرى⁽⁵⁾

(1)- Francis P Sempa, **Geopolitics From the Cold War to the 21st Century**, (New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.), 2002). p.9.

(2)-Francis P Sempa,op, cit, p9.

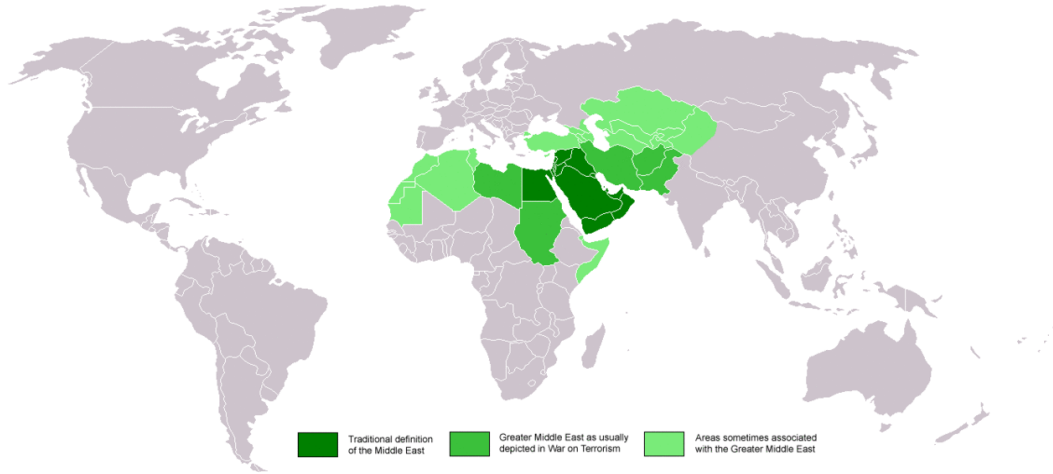
(3)- Colin S Gray, "Inescapable Geography " Journal of Strategic Studies, in, Francis P Sempa, **Geopolitics From the Cold War to the 21st Century**, p. 113.

(4)- Francis P Sempa, op, cit, p. 113

في عبد الله راقي، الجيوبوليتيكا والعولمة، الجيوبوليتيكا والعولمة في الحديث عن نهاية الجغرافيا، مرجع سابق، ص 215.

(5) Osamah Feisal Khalil, **At the Crossroads of Empire: The United States, the Middle East, and the Politics of Knowledge, 1902-2002**, A dissertation submitted in partial satisfaction of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy in History in the Graduate Division of the University of California, Berkeley, p18.

خريطة رقم 2: خريطة توضيحية لمنطقة الشرق الأوسط بمفهومها الضيق والواسع.



المصدر: <https://www.marefa.org>

إن قراءتنا لهذه الخريطة توضح تحديرات دول الشرق الأوسط في كل مستوياتها، حيث نجد الدول المنطوية تحت تعريف الشرق الأوسط التقليدي أو ما يسمى القلب الشرق أوسطي، والتي تضم كل من مصر والجزيرة العربية وسوريا وفلسطين والأردن، أما الشرق الأوسط الكبير أو ما يتداول في دوائر صنع القرار الغربية وحتى الدراسات الأكاديمية الحديثة بإضافة ليبيا والسودان وإيران وأفغانستان، والدول القريبة من الشرق الأوسط والتي تدخل أحيانا في حسابات التوسيع للشرق الأوسط الكبير بإضافة شمال إفريقيا ودول آسيا الوسطى.

المطلب الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لموقع الشرق الأوسط:

تحدث الكاتب الألماني "أرنست جاخ" حول الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط قائلا: " أن الحرب تأتي من الشرق والحرب ستندلع بسبب الشرق وتحسم في الشرق" ويستدل من هذا القول الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة كونها تتمتع بموقع جيوبوليتيكي، وتمتلك موارد طبيعية وسوقا اقتصادية واسعة، وذات قيمة دينية ومعنوية لدى جميع الأديان السماوية.⁽¹⁾

يعد موقع منطقة الشرق الأوسط على قدر كبير من الأهمية الجيوبوليتيكية وهذا لاحتوائها على أهم المضائق البحرية في العالم، يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة تحتوي على المصالح الأمريكية والمتمثلة

(1) - صدام مريم حمد عطية، "الصراع الولي والإقليمي في الشرق الأوسطو أثره على المنطقة العربية" (أنموذج ثورات الربيع العربي)، مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد 11، ص 299.

بوجود إسرائيل، وغنى منطقة الشرق الأوسط بالنفط حيث امتلاكها لأكبر إنتاج واحتياطي نفطي في العالم، وتُعتبر منطقة الشرق الأوسط، التي تسمى أيضًا في بعض دوائر القرار بمنطقة غربي آسيا وشمال أفريقيا، من أهم المناطق التي تتنافس فيها الدول الكبرى نتيجة لموقعها الإستراتيجي البالغ الأهمية في العالم، وبسبب التنافس الدولي والنزاعات والتوترات الداخلية، جعلها تعاني اضطرابات وتوترات بين حين وآخر، وتتفجر فيها الحروب والنزاعات المسلحة. ويولي معظم حكومات الدول الكبرى اهتمامًا كبيرًا لهذه المنطقة.⁽¹⁾

حيث أن التنافس على موارد الطاقة هي إحدى الغايات الرئيسة للدول الكبرى التي تسعى إلى تأكيد نفوذها، وتأمين احتياجاتها من النفط الخام والغاز، في ظل تسارع وتيرة الإنتاج وفي ظل اضطرابات مالية تصيب الاقتصاد العالمي باهتزازات متتالية، فضلا عن السباق لحجز مواقع متقدمة في السوق الدولية. من هنا تكمن أهمية منطقة الشرق الأوسط في حسابات الدول، وخاصة بعد نهاية مرحلة الحرب الباردة وبروز أقطاب جدد على المسرح الدولي.⁽²⁾

يعد الشرق الأوسط معرضا للصراع الدولي بسبب التحولات الجيوبوليتيكية التي تعرفها المنطقة، وتعود حالة الأمن والاستقرار التي عرفتتها المنطقة لحدثين مهمين الأول يتمثل في الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003 وما تلاه من عواقب وخسائر بشرية ومادية، وثانيا حالة الفوضى التي عرفتتها المنطقة فيما عرف بالربيع العربي منذ 2010. وهذا للأهمية الجيوبوليتيكية للشرق الأوسط وخاصة منطقة الخليج العربي ذات الأهمية المتزايدة بسبب مصادر الطاقة المتزايدة والمقدرة بـ 52.5% من إجمالي احتياطات النفط العالمي و44.6% من إجمالي احتياطات الغاز الطبيعي.⁽³⁾ كما أن من عوامل أهمية المنطقة أنها تنفرد بموقع جيوبوليتيكي محاط بمنافذ مائية مهمة في التجارة الدولية قديما وحديثا كما أنه يحيط بمنطقة الشرق الأوسط خمسة بحار هي بحر قزوين، البحر الأسود، شرق البحر المتوسط، البحر الأحمر، خليج عدن والخليج العربي.⁽⁴⁾ علاوة على ذلك، النقل البحري من خلال ثلاث نقاط قناة السويس (تربط البحر

(1) - نبيل سرور، "الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 96، ماي 2016، ص 1.

(2) - المرجع نفسه، ص 2

(3) - Saman ZULFQAR, "Competing Interests of Major Powers in the Middle East: The Case Study of Syria and Its Implications for Regional Stability", PERCEPTIONS, Spring 2018, Volume XXIII, Number 1, p. 121.

(4) - ibid, p121.

المتوسط والبحر الأحمر)، باب المندب (يربط البحر الأحمر بخليج عدن)، ومضيق هرمز (يربط الخليج الفارسي خليج عمان وبحر العرب) كل هذه الممرات المائية والمضائق جعلت منطقة الشرق الأوسط محورية في الاقتصاد العالمي.

جيوبوليتيكا الشرق الأوسط؛ بموقعة عند تقاطع ثلاث قارات، ومع موارد الطاقة الضخمة التي تتوفر عليها المنطقة مثلت عوامل جذب جيوسراتيجي لفواعل دولية متضاربة المصالح، وهذا ما سعد من حالة الأمن والاستقرار بالعمل على متغير التشققات الطائفية، بالإضافة إلى هشاشة هيكل الدولة في أغلب دول منطقة الشرق الأوسط سهل للقوى الراغبة في الإنخراط في مسعى التنافس الجيوبوليتيكي الدولي الحصول على ميزة تنافسية أفضل.⁽¹⁾ وتحتوي منطقة الشرق الأوسط على مقدرات جيوبوليتيكية مادية وغير مادية.

أولاً: المقدرات الجيوبوليتيكية المادية

1. الموارد الهيدروكربونية

ما من شك في أنّ النفط قد شكل منذ اكتشافه العام 1859، ولا يزال حتى الآن، أحد أهم أسباب الصراع في العالم، وقد شغلت هذه الطاقة مساحة كبيرة من خريطة الصراع العالمي طوال القرن الماضي، ومن المرشح أن يستمر هذا الأمر لفترة طويلة مقبلة في قرننا الحالي، ويعتبر نفط الشرق الأوسط من أهم مصادر الطاقة العالمية وهذا لوفرتة وسهولة استخراجها، كما أن معظم منابع النفط في العالم في طريقها للجفاف ما عدا بترول بحر قزوين التي لم تكتشف كلياً، فضلاً عن دول أخرى يتعاطم فيها هذا المصدر وتمتلك وحدها حوالي 70% من الاحتياطي البترولي المؤكد وهي كل من السعودية والعراق والإمارات العربية وإيران.

ذكرت مجلة نيويورك تايمز في مقال جاء فيه أنه أي كان الذي يسيطر على المصادر البترولية الجديدة فإنه سيكون بذلك مسيطراً على الموارد الرئيسية للطاقة في العالم إلى أن تصبح الطاقة الذرية في متناول الجميع، وهذا ما يشدد على أهمية نفط الخليج والشرق الأوسط في فترة الحرب الباردة لضمان تدفقه للولايات المتحدة وحلفائها في شرق السويس، وفي الفترة الحالية للتطور الصناعي وتزايد الطلب على

(1)- Saman Zulfqa,op,cit , p122.

الموارد الطاقوية. ومن جانب آخر أضاف البترول إلى منطقة الشرق الأوسط أشكالاً جديدة من الاستراتيجيات الجيوبوليتيكية العالمية المتمثلة في الصراع حول المنطقة.⁽¹⁾

على العموم تمتلك منطقة الشرق الأوسط احتياطات كبيرة من المواد الخام 62% من احتياطات البترول الخام و42% من احتياطات الغاز الثابت المخزونة في هذا الجزء من العالم وبلغت حصتها من إنتاج البترول العالمي المستخرج في عام 2005 يقارب 30, 4 من مواردها من تصدير البترول الخام فتقدر في عام 2005 بـ 363 دولار أمريكي، كما بلغ الناتج المحلي الإجمالي للمنطقة عام 2004 ما تقدر قيمته الإجمالية 2000 مليار دولار أمريكي، وهذا ما أكدته تقارير وإحصائيات الطاقة العالمية؛ إذ أشارت إلى أن الخليج العربي وبحر قزوين تنتج ما نسبته 65% من إنتاج البترول والغاز الطبيعي وفي 2050 سترتفع تلك النسبة إلى 80% من الاحتياطي العالمي.⁽²⁾

تشمل الموارد الطاقوية أنشطة اقتصادية مختلفة منها الأنشطة المتعلقة بحساب الاحتياطات، ومنها المتعلقة بعمليات الاستكشاف والاستخراج والنقل والتكرير والتصدير والتصنيع وإعادة تصدير المواد المنتجة من تلك الموارد، والموارد الهيدروكربونية منذ نحو قرن من الزمن والتي تشكل عصب الصناعة؛ إذ يصعب على الصناعة اليوم التحول عنها نحو بدائل اقتصادية، فبعض الاستخدامات حدية لا يمكن استبدالها بمنتج أو مورد اقتصادي ومنها مثلاً استخراج مشتقات النفط بعمليات التكرير وبحسابات بسيطة، فإن ثروة الشرق الأوسط من الموارد الهيدروكربونية تقدر بنحو 1000 مليار برميل من أصل 1260 مليار برميل من النفط التقليدي المؤكد في العالم أما الغاز الطبيعي فحجم الاحتياطي 95101 مليار متر مكعب أي أنه يبلغ نحو 49, 4% من الاحتياطي العالمي لعام 2012، في حين تنتج المنطقة نحو 32, 921 مليون برميل من النفط⁽³⁾. أما إنتاج الغاز الطبيعي بمنطقة فيبلغ حوالي 700, 4 مليار متر مكعب قياساً للإنتاج العالمي البالغ نحو 3417, 6 مليار متر مكعب عام 2012.⁽⁴⁾

(1) - فراس محمد أحمد الجحيشي التوازنات الاستراتيجية الجديدة في ظل بيئة أمنية متغيرة، (عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2015)، ص 41.

(2) - نفس المرجع، ص 43.

(3) - عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص 41.

(4) - التقرير الإحصائي السنوي، منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط، الكويت، 2013، ص 7 و 8 في عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص ص 41-42.

إن الثروات النفطية من البترول والغاز الموجودة في منطقة الشرق الأوسط لا تتميز بغزارة الكمية الاحتياطية وانتشارها بصورة مكثفة فحسب، إنما تتوفر في هذه الثروات عناصر التنمية الفاعلة، على سبيل المثال أن الكمية الإنتاجية للبئر الواحدة كبيرة، حيث فيبلغ سمك الطبقات التي تحتوي على النفط من ثلاثمائة إلى أربعمائة، كما أن التركيبة البيولوجية لهذه الطبقات مليئة بالجير والصخور الرملية يتخللها النفط الذي يتميز بالسيولة، وهذه العناصر عندما تتوفر في البئر يمكننا الحصول على كمية إنتاجية ضخمة من النفط، أي أنه كلما كان ضغط البئر مرتفعاً زادت قدرة النفط على التدفق بغزارة (75 % من آبار النفط في الشرق الأوسط غزيرة التدفق). ويمتاز هذا النفط بجودة عالية وقلة الشوائب وارتفاع نسبة النفط الخفيف به، كما أن درجة تجمده تكون تحت عشرين درجة سيليزيوس تحت الصفر.⁽¹⁾

بالإضافة إلى ذلك أن منطقة الشرق الأوسط قريبة من المياه الدولي وتتميز بسهولة وسائل النقل، فهي منطقة تتوافر لديها عوامل للتنمية كبيرة الفعالية ومنخفضة التكاليف؛ حيث أن استخراج برميل من النفط التي تبلغ في المتوسط نحو نصف دولار فقط، وهذا ما يؤدي للحصول على أرباح طائلة من استخراج نفط الشرق الأوسط في ظل الاستمرار العالمي لارتفاع سعر النفط، وهذا ما فتح التنافس على مصراعيه في هذه المنطقة لما تتمتع به من مقدرات جيوبوليتيكية وموقع مهم في الاستراتيجيات العالمية.⁽²⁾

2. الممرات المائية والمضائق

تعتبر الممرات الملاحية من العوامل الأساسية في الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط، فأغلب التجارة العالمية هي تجارة تمر عبر البحار وتسلك الممرات البحرية، أي نظرة لتركيز التجارة الدولية وللممرات المائية يتضح أنها تعلق بمراكز مهمة وفي أوروبا الغربية وشرق آسيا والولايات المتحدة الأمريكية، أما الممرات المائية التجارية الرئيسية فهي المحيط العادي والمحيط الأطلسي والبحر المتوسط والمحيط الهندي وتمر تجارة مهمة في المنطقة المحيطة بمنطقة الشرق الأوسط (البحر العربي والخليج العربي والبحر الأحمر والبحر المتوسط والبحر الأسود)، والممرات المائية التي بهذه البحار هي (مضيق هرمز ومضيق باب المندب ومضيق قناة السويس ومضيق البوسفور والدردينيل وهذه المواقع تسيطر على

(1) - وانغ جينغ ليه، رؤية تحليلية لاضطرابات الشرق الأوسط، ترجمة أمينة عز الدين، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2013) ص 36.

(2) - المرجع نفسه، ص 37

حركة مرور قسم من التجارة الدولية سواء ما تعلق منها بالبضائع أو المواد الهيدروكربونية والأسلحة وهو ما يعطيها أهمية في حركة التجارة الدولية.⁽¹⁾

بمعنى أن الممرات المائية الموجودة في منطقة الشرق الأوسط تعطي أهمية للمنطقة في الاعتبارات الروسية والأمريكية كونها ممرات تتحكم بجزء مهم من حركة التجارة الدولية، ولو تنازلت عنها أو على الأقل تركت سيطرتها للدول الشرق أوسطية فإن هذا سيؤثر على القدرات الروسية والأمريكية في تحقيق المكانة والنفوذ العالمي.⁽²⁾

يوجد في منطقة الشرق الأوسط بعض المضائق ومعابر المياه الدولية المشهورة في العالم، حيث تعتبر مضائق البحر الأسود وقناة السويس ومضيق هرمز ومضيق باب المندب من أكثر المضائق والمعابر الإقليمية التي تمتاز بأهمية استراتيجية على الساحة الدولية. حيث تشمل مضائق البحر الأسود مضيق البوسفور ومضيق مرمرة ومضيق الدردنيل، حيث يصل طولها إلى حوالي 375 متر وتعتبر مضائق البحر الأسود خطا فاصلا بين القارة الأوربية والآسيوية، ومن المعروف أن مضائق البحر الأسود تمثل الطريق الوحيدة التي تصل البحر الأسود ببحر إيجه والبحر الأبيض المتوسط، وهي مرفق الخروج الوحيد للبلاد المطلة على ساحل البحر الأسود حيث يمكن الوصول إلى المحيط الأطلسي مرورا بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق عبور مضائق البحر الأسود، أما إذا اتجهنا جنوبا فسنصل إلى المحيط الهندي عن طريق عبور هذه المضائق ثم عبور قناة السويس ثم المرور بالبحر الأحمر.

أما بالنسبة لقناة السويس فقد كانت برزخا قبل حفرها حيث تقع في شمال شرق مصر وتعتبر خطا فاصلا بين آسيا وإفريقيا.⁽³⁾ أما مضيق هرمز فيقع في شرق الخليج الفارسي ويبلغ طوله من 55 متر إلى 90 متر، حيث تطل الضفة الشمالية لهذا المضيق على إيران وأفغانستان، ويشكل مضيق هرمز مرفقا الخروج الوحيد للدول المطلة على ساحل الخليج الفارسي، كما يعتبر ممرًا استراتيجيًا يصدر النفط إلى العالم وخاصة دول الغرب الصناعية، وتجدر الإشارة إن هذا المضيق يربط أهم ثلاث خطوط ملاحية في العالم وهي الخط الملاحي الذي يصل بين اليابان عن طريق مضيق ملقا، والخط الملاحي الذي يصل إلى أوروبا عن طريق المرور ببحر العرب ثم البحر الأحمر عابرا قناة السويس، والخط الملاحي الذي

(1) - عمار بهاء الدين، مرجع سابق، ص 45.

(2) - المرجع نفسه، ص 46.

(3) - وانغ جينغ ليه، مرجع سابق، ص 34.

يصل إلى غرب أوروبا والقارة الأمريكية عن طريق المرور بمضيق موزنيق جنوباً والإبحار عن طريق رأس الرجاء الصالح وقد وصف الخليج الفارسي الغني بالنفط بأنه مخزن النفط العالمي.⁽¹⁾

ثانياً: عوامل القوة الجيوبوليتيكية غير المادية

بالإضافة إلى المقومات المادية التي تتمتع بها منطقة الشرق الأوسط فهي مهد الأديان السماوية الثلاثة في العالم، كما أنها في الوقت الحاضر مجال للانبعاث العالمي للتيار الديني، إذ يعتبر تاريخ الشرق الأوسط ومن عدة جوانب تاريخ التوحيد، والإيمان بوجود إله واحد في هذا الكون، ولقد شهدت الأديان السماوية الثلاثة؛ اليهودية، المسيحية والإسلام وانتشر الإسلام في مختلف أرجاء الشرق الأوسط ليشمل شمال أفريقيا وإيران وباكستان ومناطق آسيا الوسطى مثل أوزبكستان، تركمنستان، طاجيكستان وفي الوقت الحاضر يشكل المسلمون الأغلبية بين سكان الشرق الأوسط، ويتركز اليهود في إسرائيل مع وجود أقليات يهودية في إيران وتونس وسوريا والمغرب ومصر، أما أهم الأقليات المسيحية فتوجد في مصر، لبنان وسوريا والعراق.⁽²⁾

كما تعد هذه المنطقة مهد للحضارة، ومولد أولى الحروف وموطن الكلمة والكتابة في العالم وأول من صنع وأنشئ الأبنية الحضارية، حيث نشأت فيها العديد من الحضارات نذكر أهمها على سبيل المثال حضارة بلاد الرافدين "بابل وأشور وسومر واكد" وحضارة وادي النيل "الحضارة الفرعونية" والحضارة الفينيقية في بلاد الشام).

وكانت تتبع نظاماً قانونياً وسياسياً يرتب حياة الناس، في الوقت الذي كان فيه باقي العالم تعيش في الكهوف وعصور الظلام، وتخاف من الشمس لشدة حرها، وقد نشأ تنوع فكري وثقافي، نتيجة وجود تلك الحضارة وفي الجانب الديني؛ وهو ذو الأهمية الكبرى لمنطقة الشرق الأوسط ومحرك الصراع الخفي (إن هذه المنطقة مهد للديانات السماوية الثلاث الكبرى في العالم (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، فكل أنبياء الأرض نزلت رسالاتهم في هذه البقعة من العالم، ما بين (مصر وفلسطين وبلاد الشام والعراق والأردن وشبه الجزيرة العربية).⁽³⁾

(1) - وانغ جينغ ليه، مرجع سابق، ص 35.

(2) - ديورا ج جيرنر، ترجمة أحمد عبد الحميد أحمد، الشرق الأوسط المعاصر محاولة للفهم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2003)، ص 497

(3) - صدام مريم حمد عطية، مرجع سابق، ص 200 - 201

يحظى الشرق الأوسط بمكانة جيوسياسية مهمة في خريطة السياسة العالمية يزيد من أهميتها ما يتمتع به من تنوع في الهوية الإثنية والدينية ومن تعقيد في البنية الاجتماعية والسياسية الأمر الذي يجعل منه ساحة ملائمة لتفاعل مصالح إقليمية وعالمية متصارعة على الواقع وهذا انعكس على الأوضاع السياسية فيه قديما وحديثا حيث أن أي تغيرات سياسية في الشرق الأوسط لا تتوقف عادة عند حدود الدولة الواحدة.

المبحث الثالث:

التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط:
تأصيل نظري

إنه من الضروري اعتماد النظريات التي هي عبارة عن مجموعة من الاقتراحات المرتبة منهجياً، إذ تعمل على تقديم تفسيرات للعلاقة بين الظواهر والتكهن بالتطور المستقبلي لها⁽¹⁾، "يقال أن كل تطبيق دون نظرية أعمى"⁽²⁾ لهذا حاولت القوى الكبرى الإعتماد على نظريات يضعها الباحثون في حقول المعرفة المختلفة من أجل تحقيق أهدافها الحيوية.

تهدف نظريات الجيوبوليتيكا إلى التوصل إلى مجموعة من العوامل الأساسية الأقرب لاستمرار نموذج الدولة القومية بخصائصها الحضارية الشاملة، فنظريات الجيوبوليتيكا أو كما سماها عباس غالي بنظريات السيطرة الجيوستراتيجية في كتابه **نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات** تقوم على ثلاثية الجغرافيا، التاريخ والتكنولوجيا؛ فالجغرافيا (المنطقة، الموارد، السكان) تكاد تقدم القاعدة الأساسية لنظريات القوة إلا أن التاريخ المتضمن (الزمن+التغير+التطور) يقدم النماذج والاحتكام للسابقة التاريخية أحد أسس الجيوبوليتيكا التي لا غنى عنها في تحليل ومقاربة ومقارنة الظواهر الدولية الحالية بتلك التي حدثت في زمن آخر بمتغيرات مختلفة ونتائج متشابهة، أما التطور التكنولوجي فيمثل المحرك للعاملين السابقين.*

(1) - عباس غالي، **نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات** (الأردن؛ دار أسامة للنشر والتوزيع، 2004)، ص3.
 (*) - من بين عناصر الجغرافيا يظهر عامل توزيع اليابسة الماء والموارد والسكان اشد حسماً في مجال البحث عن العلاقة بين الجغرافيا والقوة ومن بين تيارات التاريخ الحافلة يتجلى القوة الإقليمية والعالمية كتعبير متجسد لهذه العلاقة. أما التكنولوجيا التي قدمت أدواتها في السلم والحرب معا فأن تأثيرها يتجسد على نقاط التأثير الأساسية، سواء بالنسبة لما أدت إليه من فائض وازدهار عند بعض المجتمعات دون غيرها، أو بالنسبة لما أدت إليه من سيطرة على عنصري المكان (المسافة) والزمن (السرعة) برا وبحرا عند بعض المجتمعات بدرجة تفوق غيرها (المواصلات) أو بالنسبة لتشكيل الخامات واستغلال الطاقة الصناعية أو غير ذلك من خطوط المفارقة بين المجتمعات البشرية من هذه الناحية. لمزيد من التفاصيل اطلع على عباس غالي، **نظريات السيطرة الاستراتيجية** من ص10 إلى ص12.

(**) - هو السويدي رودولف كيلين (1864-1922) والذي كان أستاذاً في جامعة **جيتبرج Geteberg** وتأثر كثيراً بأفكار راتزل في الجغرافية السياسية ذات الصلة بدراسة السياسة العالمية وطبيعة الحكومات. بالرغم من أن راتزل هو مؤسس الجيوبوليتيكا، إلا أن رودولف كيلين هو أول من استخدم هذا المصطلح. للمزيد اطلع:

https://www.britannica.com/biography/Rudolf-Kjellen geopolitics Daniel H. Deudney,

(2) - عباس غالي، مرجع سابق، ص3.

نحاول في هذا المبحث التطرق للنظريات الجيوبوليتيكية التي اهتمت بتفسير ظاهرة التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بتقسيم المبحث لمطلبين يتناول المطلب الأول التنافس الجيوبوليتيكي في نظرتي قلب الأرض لماكندر الحافة الأرضية لسبيكمان على اعتبارهما أهم النظريات الجيوبوليتيكية الكلاسيكية التي اهتمت بالأهمية الجيوبوليتيكية للكتل البرية ودورها في توجيه السياسات العليا للدول، ومكانة منطقة الشرق الأوسط في النظريتين، في حين يتناول المطلب الثاني تفسير الجيوبوليتيكيين المعاصرين (دعاة إعادة بعث الجيوبوليتيكا وعودتها لفهم التفاعلات الدولية)، فننتاول آراء بريجنسكي فيما يتعلق بالماكندرية الجديدة والأوراسية الجديدة لألكسندر دوغين، بالإضافة إلى نظرية صدام الحضارات لـ صاموئيل هنتنغتون. كمحاجة أكاديمية على عودة الجيوبوليتيكا وعدم القدرة على تحييد المتغير الجغرافي في العلاقات الدولية، في هذا الصدد يقول روبرت كابلن: "عامل الجغرافيا مؤثر آخر في السياسات الدولية إذ أنه يقيد الكثير من الدول، في حين يمنح دول أخرى فرصا لا تعد ولا تحصى"⁽¹⁾

المطلب الأول: التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط من منظور الجيوبوليتيكا الكلاسيكية

ارتبطت الجيوبوليتيكا -منذ ظهورها بصفتها علم على يد الألماني "رودولف كيلن" Rudolf** Kjellén وهو من علماء السياسة، ويعد أول من استخدم المصطلح الجرمانى "الجيوبوليتيكا" Geopolitik عام 1905 في المجلة الجرمانية Geographische Zeitschrift - بالتنافس بين القوى الكبرى الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر، هذا الأخير الذي كان ذو خلفية اقتصادية وسياسية وأمنية وفكرية روج لها مفكرها لهذا سميت الجيوبوليتيكا من طرف الدوائر المنتقدة لها بالعلم العدائى والابن غير الشرعى للعائلة الجغرافية.

من بين المناطق التي شهدت تنافسا جيوبوليتيكا بين القوى الكبرى هي منطقة الشرق الأوسط وذلك أن الأهمية الجيوبوليتيكية للفضاءات الجيوبوليتيكية في عملية هيكلية النظام الدولي تغيرت جوهرياً بعد الحرب الباردة. وأن الفضاء الجيوبوليتيكي الشرق أوسطى(اليابسة ما بين المحيط الأطلسي وآسيا -

(1) - روبرت كابلن، انتقام الجغرافيا ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضد المصير، ترجمه، إيهاب عبد الرحيم علي، (الكويت، عالم المعرفة، 2015)، ص29.

المحيط الهادي (يتمثل فيه أكثر التغيرات من حيث عملية إعادة الهيكلة في نوعها وتفاعلات ديناميتها، وانعكاساتها على التنافس والصراعات بين القوى الكبرى في النظام الدولي.⁽¹⁾)

تقدم لنا نظرية قلب الأرض لماكندر ونظرية الإطار الهامشي لسبيكمان الفهم العلمي والواقعي للاهتمام الدولي بمنطقة الشرق الأوسط في مسعى تنافسي.

الفرع الأول: ماكندر نظرية قلب الأرض: Heart Land

يعد ماكندر أشهر جيوبوليتيكي بريطاني بشهادة هاوسهوفر⁽²⁾، الذي اعتبر نظريته أعظم النظريات الجيوبوليتيكية العالمية، حيث لم يحظ بحث قدم لجمعية علمية أو أثار اهتمام المشتغلين بالشؤون الاستراتيجية والعلوم الجغرافية والتاريخ مثلما حظي بحث "ماكندر"⁽³⁾ "H.Mackinder" حول المحور الجغرافي للتاريخ The Geographic Pivot History،⁽⁴⁾ لأنه أول من ربط بين التاريخ البشري والمتغير الجغرافي في دراسة له نشرت عام 1904 في المجلة الجغرافية. حيث يرى أن مواقع البحار والقارات ثابتة

(1) - كاظم هاشم نعمة، "المحور الجيوبوليتيكي العربي الإسلامي وعملية هيكلة النظام الدولي: نحو مقارنة جديدة"، سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات العدد 43، مارس 2020، ص 8.

(2) - كارل هاوسهوفر Karl.Haushofer (1869-1946) ولد كارل هاوسهوفر في ميونيخ بألمانيا سنة 1869. بدأ هاوسهوفر حياته ضابطاً في الجيش القيصري الألماني، وذهب إلى اليابان معلماً 1909، وكان لهذه الرحلة أثر كبير على تكوينه السياسي والعسكري وفي الفترة 1908 ذهب بحرًا عبر قناة السويس، وعاد براً بطريق سيبيريا في صيف 1910 بعد عودته وفي فترة السنتين أصدر كتابان عن اليابان، الكتاب الأول جاء بعنوان 'اليابان العظيمة "Dai Nihon" أي اليابان في اتساعها وامتداد أرضها، وقدم الكتاب الثاني كدراسة عرضت في جامعة ميونيخ لنيل درجة الدكتوراه، وقد منحت له درجة الدكتوراه في الجغرافيا والجيوبوليتيكا والتاريخ ودرس في أكاديمية الحرب وعين أستاذاً للجغرافيا والعلوم العسكرية في ميونيخ بعد الحرب العالمية الأولى، ثم أسس معهد ميونيخ للجيوبوليتيكا سنة 1912 للمزيد اطلع: boniface,la geopolitique48 fiches pour comprendre l'actualite,paris:groupe eyrolles,5^{eme}edition,2018,p26

(3) - هالفورد ماكيندر Halford Jhon Mackinder (1861-1947) ولد هالفورد جون ماكيندر في "غايانسبور" Gainsborough ببريطانيا عام 1861 ودخل جامعة "أكسفورد" عام 1880. يعد أفضل من فهم العلاقة بين الجغرافيا والتاريخ العالمي البريطاني. كان مولعاً بالظواهر الطبيعية وبتاريخ الاستكشافات الجغرافية، كما كان مهتماً بالشؤون الدولية، وبصنع الخرائط. بعد أن أنهى علومه الجغرافية أخذ منذ عام 1887 يعمل في التدريس في أكسفورد إلى أن عين مديراً للمدرسة الاقتصادية في لندن. وصار بين 1910-1922 عضواً لمجلس العموم، وكان بين 1919-1920 الموفد البريطاني إلى روسيا الجنوبية. يشتهر ماكندر بمقامه الرفيع في عالم السياسة الإنجليزية التي ترك تأثيره العميق على توجهاتها

الدولية للمزيد اطلع: GEOSTRATEGY: THE HEARTLAND AND RIMLAND THEORIES HISTORY

399B6—WORLD WAR II,p1.

(4) - عبد الغني سعودي، الجغرافيا السياسية المعاصرة دراسة الجغرافيا والعلاقات السياسية الدولية، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية 2010)، ص 231.

لا تتغير مقارنة بعدد السكان الذي يعرف الزيادة والنقصان والموارد التي تتميز بالوفرة أحيانا والنضوب أحيانا أخرى.⁽¹⁾ وفي وصفه للتاريخ الحركي في العالم، ميز ماكندر بين جزيرة العالم world island المشكلة من إفريقيا وأوراسيا التي تكون وضعية الولايات المتحدة الأمريكية تجاهها هي ذاتها بالنسبة لبريطانيا تجاه أوروبا (القرب ووجود الخطر) فداخل جزيرة العالم يشير ماكندر إلى نقطة ارتكاز قارية pivot continental التي هي صعبة الاختراق ومن يسيطر عليها يسيطر على جزيرة العالم، كما زود دراسته بعدد من الخرائط التوضيحية دارسا ومحللا فيها التاريخ العالمي والجغرافي.⁽²⁾

يرى "ماكندر" بأن الكرة الأرضية تنطوي على كتلة قارية واحدة تتشكل من - أوروبا، آسيا، وإفريقيا، أطلق عليها "جزيرة العالم" والمنطقة الوسطى منها تعتبر - قلب العالم وتسمى بمفتاح السيطرة heartland.⁽³⁾ هذه الكتلة المفتاح تشمل روسيا وسيبيريا دون الأجزاء الشرقية منها المطللة على المحيط الهادي، فضلا، عن إيران ومنغوليا.⁽⁴⁾ وصور ماكندر أوروبا وآسيا كقارة واحدة عظيمة: "الأور-آسيا" Euro-Asia، ووصف أوروبا -آسيا بالأرض (اليابسة) الممتدة، حيث يطوقها الجليد بحزام الشمال ice-girt in the north، والمياه، تطوقها بحزام من مكان آخر، تبلغ مساحتها 21 مليون ميل مربع. وتبلغ مساحة وسط وشمال أوروبا وآسيا حوالي تسعة مليون ميل مربع، وهي دون ممرات مائية موصولة بالمحيط إلى شرق وجنوب قلب هذه الأراضي"، وقدم 'ماكيندر' توضيحات إضافية حول المناطق المهشمة، والتي تمتد في منطقة الهلال الواسعة، التي لا يصل إليها البحارة.⁽⁵⁾

ورَّع ماكندر العالم إلى نظام دوائر مركزية مترابطة، وأرسى "منطقة المحور" في مركز الأرض، وتضم أحواض فولغا، وينيبي، وأمو داريا، وسير داريا، وبحر قزوين، وبحر آرال. ورأى أن المركز حصين في وجه هجمات القوى البحرية، وأنه قادر على استدامة سكان كثيرين. وبعد دراسته لتاريخ الشرق والغرب الأوروبي خلال أربعة قرون، خلص إلى أن "وسط آسيا محور التاريخ." وهناك دائرة ثانية "الهلال الداخلي"، وفيه أوروبا، وجنوب آسيا، وجنوب غرب آسيا، وشرق آسيا. أما "الهلال الخارجي"، فيتكون من

⁽¹⁾- Francis P. Sempa, **Geopolitics From the Cold War to the 21st Century** (New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.), 2002). p.9.

⁽²⁾- Klaus Dodds, **Geopolitics a very short introduction**, (United Kingdom: oxford university press, 1ed,2007), p. 122.

⁽³⁾- بيار سيليريه، **الجغرافية السياسية والجغرافية الإستراتيجية**، ترجمة أحمد عبد الكريم (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000) ص 30.

⁽⁴⁾- محمد حجازي محمد، **الجغرافيا السياسية** (القاهرة: مكتبة الإسكندرية، 1996)، ص 293.

⁽⁵⁾- Halford J Mackinder, "The Geographical Pivot of History, in, K Francis P. Sempa, **Geopolitics from the Cold War to the 21st Century** (New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.), 2002), p.11.

بريطانيا، وشمال أميركا وجنوبها، وجنوب إفريقيا، وأستراليا، واليابان، وهي المواقع البحرية أو الجزيرية، وترتبط جغرافياً وثقافياً بـ "الهلال الداخلي".⁽¹⁾ وهو بهذا التقسيم يوضح أهم المناطق الجيوبوليتيكية للسيطرة العالمية، وتأتي منطقة الشرق الأوسط في تحليل ماكندر للكتل الجيوبوليتيكية في الهلال الداخلي المحيط بالقلب الأرضي.

تعتبر نظرية ماكندر عمل تأسيسي للجيوبوليتيكا كما يقول سبرينغل "Rainer Springel" كما أنها تتميز بدرجة عالمية واسعة بمستوى تحليلها ووزن حتميتها الجغرافية، وعلى الرغم من تكرار الحديث عن قلب الأرض heartland فإن مقارنة ماكندر تبقى مفتوحة وأنها لا تبالغ في قياس بعد الفضاء الذي يربطه بالتقنية والثقافة، كما أن اعتبار كتابه المحور الجغرافي للتاريخ مرجعية يعني عدم تحديد زمانية intemporaliser الجيوبوليتيكا وفقاً لتعبير سبرينغل، علماً أن ماكندر كان يعيد ترسيم منطقة قلب الأرض على اعتبار أنها سياق قابل للمراجعة مع مرور الزمن.⁽²⁾ حيث تقوم ترسيمة ماكندر كلها حول أولوية الجزيرة العالمية world Island مجتمعة في قارة واحدة هي أوراسيا وإفريقيا من مضيق بهرينغ behring إلى رأس الرجاء الصالح ويفصل بينهما بحر داخلي هو البحر المتوسط الذي لا يشكل فصلاً حقيقياً لأن الفصل ليس على كل عرضه.

يميز ماكندر داخل الجزيرة العالمية بين منطقتين إحداهما سماها القلب الشمالي والثانية القلب الجنوبي، فحدودهما تتقاطع مع أحواض الأنهار الجارية نحو البحار الداخلية أو نحو المحيط المتجمد.⁽³⁾ ولهذا تكون مغلقة أمام الملاحة البحرية، ويحد القلب الشمالي والقلب الجنوبي أحدهما من الشمال والآخر من الجنوب شريط من السهول المتصلة التي تجتاز شبه الجزيرة العربية، لهذه السهول في تقسيم ماكندر للعالم أهمية استراتيجية حول المنطقة - المحور الذي يشكله قلب الأرض، حيث تدور الحلقتان المحيطتان الأولى تدعى داخلية؛ وهي حلقة الأراضي المنخفضة الأوربية والأسبوية الجنوبية تعقبها الأراضي العربية من النيل إلى شبه الجزيرة، والحلقة الثانية أو ما يسمى الحلقة الخارجية أو المحيط الخارجي للقلب الأرضي وتتمثل في الجزيرة الدائرة في فلك جزيرة العالم وإفريقيا الجنوبية، حيث يولي ماكندر أهمية للحلقة

(1)- Halford Mackinder, **Democratic Ideals and Reality: A Study in the Politics of Reconstruction**, NDUpress defense Classic edition, with a new introduction by Stephen V.MLADINEO, national defense university press, Whashington, DC, p86.

(2)- جيرارد دسيوا، **دراسة في العلاقات الدولية**، النظريات الجيوسياسية، ترجمة قاسم المقداد، (سوريا، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، الجزء الأول، 2014) ص 87.

(3)- المرجع نفسه، ص 111.

الداخلية والتي تشمل الأراضي العربية في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية وهذا لأهميتها الجيوبوليتيكية؛ إذ لا يمكن لمنطقة قلب الأرض أن تلعب دورا مهما بفصلها عليها وهذا لأن المنافسة بين القوى البرية والبحرية تلتقي وتتصادم في هذه المنطقة، وهي المقياس الحقيقي لقدرة أي من القوى على السيطرة العالمية، وهذا بالتحكم فيها وهي نفس المنطقة التي ركز عليها سببكيما فيما بعد واعتبرها مفتاح السيطرة العالمية.⁽¹⁾

كما يؤكد ماكندر أن الوضع الجيوبوليتيكي الأفضل لكل دولة هو الوضع المتوسط المركزي، والمركزية مفهوم نسبي بإمكانه أن يتبدل مع كل سياق جغرافي محدود، والقارة الأوراسية من وجهة نظره تقع في مركز العالم ويقع في مركزها قلب العالم الذي يمثل تجمع للكتل القارية للأوراسيا.⁽²⁾ والهارتلاند هو المنطقة الأكثر أهمية في السياق العالمي ضمن حدود الجزيرة العالمية world island ويدخل ماكندر ضمن الجزيرة العالمية آسيا وإفريقيا وأوروبا.

قدم ماكندر تدرج كوني عبر نظام الدوائر المتحدة، المركز وفي الوسط بالذات يقع المحور الجغرافي للتاريخ أو المنطقة المحورية وهذا المفهوم الجيوبوليتيكي يطابق روسيا ولذلك الواقع المحوري ينتمي الهارتلاند، يجيء بعد ذلك الهلال الداخلي أو الحدي وفي هذه المنطقة يقع الشرق الأوسط التي وصفها ماكندر بأنها منطقة حضارة وثقافة، وهذا ما يتفق مع ما تطرقنا له سابقا في الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط أنها منطقة تلاقي القارات وقيام الحضارات القديمة على ضفاف الأنهار. وتمثل منطقة الشرق الأوسط حسب ماكندر التي تقع في الهلال الداخلي بؤرة التطوير الأفضل للحضارة بسبب ازدواجيتها وتعرضها الدائم للتأثيرات الثقافية المتناقضة الأكثر نشاطا.⁽³⁾ وكان ماكندر سابق التنبؤ حيث كتب سنة 1919 في كتابه المثل الديمقراطية والواقع " ما الذي سيحدث لقوى البحر فيما لو قامت القارة العظيمة بالتوحد سياسيا ذات يوم لتصبح أساس الأرمادا* التي لا تقهر".⁽⁴⁾

في تحليل بسيط لهذه المقولة الجيوبوليتيكية الاستشرافية نلاحظ تخوف ماكندر من روسيا التي تحتل موقعا استراتيجيا مركزيا عالميا، لهذا طالما حذر ووجه أنظار الجيوبوليتيكا الأنجلو سكسونية إلى

(1) - جيرارد ديسوا، مرجع سابق، ص 112.

(2) - ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تعريب عماد حاتم، (بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2004) ص 86.

(3) - المرجع نفسه، ص 88.

(4) - المرجع نفسه، ص 90.

الحيولة دون تشكل الإتحاد الاستراتيجي القاري حول المحور الجغرافي للتاريخ، ومحاولة عزل روسيا عن الأماذ الشاطئية في الهلال الداخلي.⁽¹⁾

هذا ما يفسر الاهتمام الأمريكي الدائم بمنطقة الشرق الأوسط وجعلها بؤرة توتر وذات أنظمة سياسة دكتاتورية تسلطية لا تحظى بشرعية شعوبها، تمزقها الصراعات العرقية والمذهبية تجنباً لتكتلها بصفة قوة واحدة موالية لروسيا الواقعة في قلب العالم الأوراسي، وهذا ما من شأنه تشكيل خطر على الولايات المتحدة، ويبرهن ويبرر التواجد الأمريكي الدائم في كل تقاعلات الشرق الأوسط، والعمل على خلق كيانات سياسية تخدم مصلحتها في المنطقة -إسرائيل- بالإضافة إلى أنظمة دول الخليج العربية الموالية لأمريكا.

وهو ما نادى به الكسندر دوغين الجيوبوليتيكي الروسي الأبرز والذي يعتبر مخطط الاستراتيجية الروسية الحديثة وعقل بوتين المدير حيث اعتبر أن التحالف الروسي الإيراني بالدرجة الأولى والتحالف الروسي العربي من شأنه أن يشكل تهديداً للتواجد الأمريكي في الشرق الأوسط⁽²⁾، ويبعدها عن قلب العالم الأوراسي، وتتبعنا لتطورات الوضع في سوريا نلاحظ الإصرار الروسي على الإنخراط في النزاع السوري منذ بدايته سنة 2011 سواء بدعم نظام الأسد عبر استخدام حق الفيتو مرتين أو التدخل العسكري على الأرض منذ 2015، من أجل تشكيل حاجز في وجع الولايات المتحدة القوة البحرية الأولى عالمياً كي لا تتمكن من السيطرة على الهلال الداخلي المحيط بالقلب والعمل على تشتيت دوله وصولاً على السيطرة على القلب الأرضي الأوراسي.

ليس من الصعوبة بمكان أن نفهم أن ماكندر قد عزز الجيوبوليتيكا الأنجلو سكسونية التي أصبحت بعد نصف قرن جيوبوليتيكا أمريكا والحلف الأطلسي بالتوجه الأساسي، وهو الحيولة دون بناء المعسكر الأوراسي، وبقطع التدعيم الجيوبوليتيكي لالهارةلاند وتوسيعه لحوافه من الإطار الداخلي المكون الأساسي للحضارات القديمة.

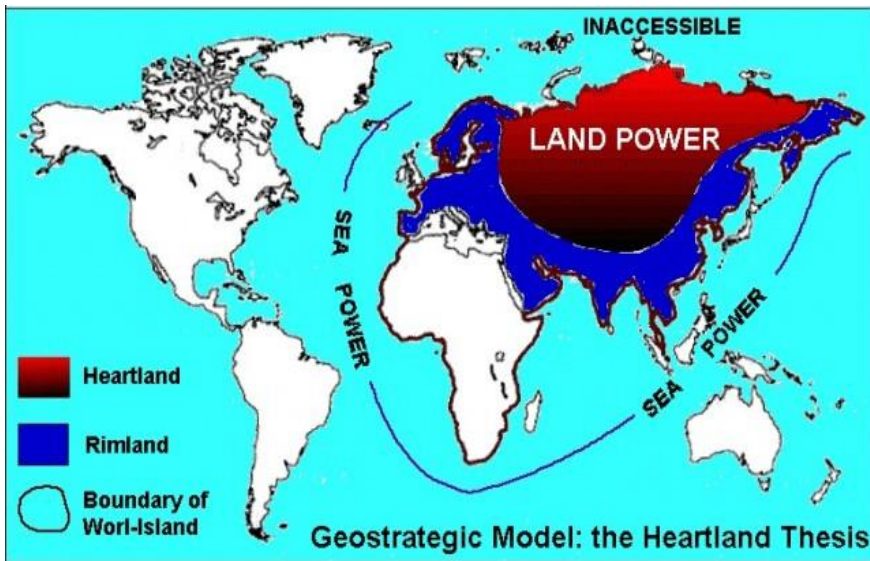
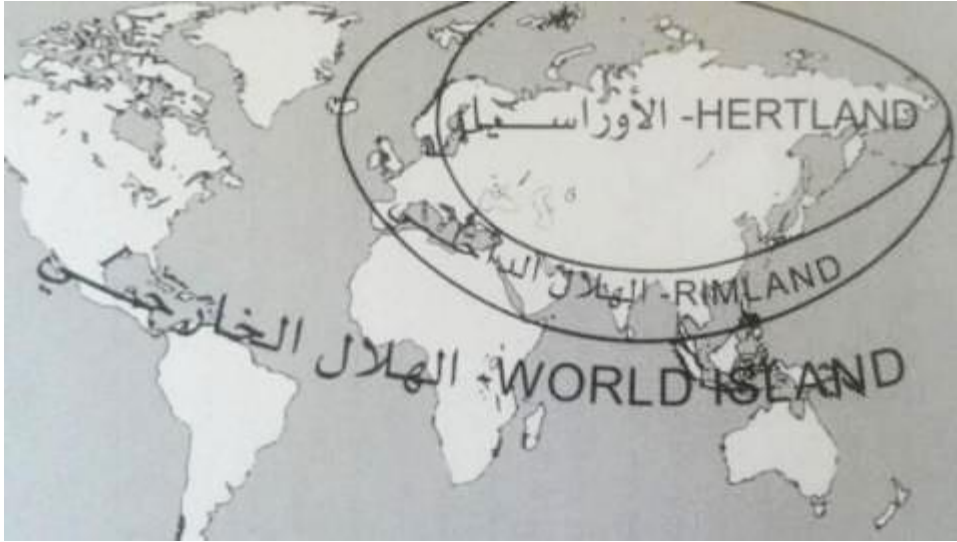
(1) - ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 89.

(*) - الأرمادا من الإسبانية أسطول أو عمارة كما تعني تجمعا كبيرا لبواخر وطائرات ودلالات تتحرك بتنسيق مشترك armada للمزيد اطلع: ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا، مرجع سابق.

(2) - المرجع نفسه، ص 90.

إن نظرية ماكندر تقدم لنا الاستبصارات المناسبة لفهم العداء الأمريكي والمنافسة الشديدة لروسيا في منطقة الشرق الأوسط التي تدخل في حيز الهلال الداخلي؛ الذي إن تمكنت روسيا من السيطرة عليه تسيطر على العالم.⁽¹⁾

خريطة رقم 3: خريطة توضح منطقة قلب الأرض لماكندر



المصدر: <https://www.google.com/search?biw=1366&bih>

تقدم لنا الخريطين التقسيمات العالمية للعالم حسب الطرح الماكندري حيث توضح الخريطة الأولى كل من منطقة قلب الأرض وحدودها القريبة والبعيدة أي الهلال الداخلي والخارجي ويتضح جليا وقوع منطقة الشرق الأوسط ضمن الهلال الداخلي لقلب الأرض الذي لا تقل أهميته عن الهارتلاند، وهذا ما

(1) - ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 91.

أكده سببكمنا فيما بعد. والخريطة الثانية بالإضافة إلى تحديدها لمنطقة قلب الأرض والإطار أعطت للمتبع نظرة شاملة عن قوى البر وقوى البحر المتمثلة في أمريكا وبريطانيا.

النقطة الأساسية التي يقول بها ماكندر هي التنافس بين القوى البرية والقوى البحرية وهذه الفرضية مجسدة في التنافس والتصارع بين مختلف القوى العالمية والإقليمية في منطقة الشرق الأوسط التي تعتبر منطقة تصادم للمصالح البرية (روسيا) والقوى البحرية (الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا) في مختلف الفترات التاريخية؛⁽¹⁾ حيث كانت منطقة الشرق الأوسط مسرحاً للصراع الجيوبوليتيكي بين القوتين العالميتين أثناء الحرب الباردة ليهدأ الصراع قليلاً بانتهاء الإتحاد السوفييتي وسيطرة الولايات المتحدة على العالم باعتبارها القوة العظمى العالمية، لكن التعافي الاقتصادي الروسي مع بداية القرن الحادي والعشرين وصعود قوى إقليمية أخرى أعاد بعث الصراع الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى على مناطق النفوذ أو ما سماها ماكندر نقاط التحكم العالمية؛ ولسوء حظ منطقة الشرق الأوسط أنها تقع في منطقة الجذب الجيوستراتيجي للمطامع الدولية وهذا ما جعلها مجالاً للتنافس الجيوبوليتيكي حرب العراق سنة 2003 والنزاع السوري منذ 2011 نماذج واضحة تبين صدقية أهمية الموقع الجغرافي للمناطق في الصراعات الدولية للقوى الكبرى بغض النظر عن رغبة شعوب هذه المناطق في عدم الإنخراط في الحروب المدمرة أو الهروب في قوارب الموت بحثاً عن حياة آمنة.

كما أن منطقة الشرق الأوسط على قدر من الأهمية الجيوبوليتيكية حسب التحليل الجيوبوليتيكي لماكندري الذي قسم العالم إلى كتل قارية ومناطق جذب جيوستراتيجي، حيث ينطلق ماكندر في تحليله من الأهمية الجيوبوليتيكية للمناطق والأقاليم وليس الدولة في حد ذاتها، وهنا يتبين الاختلاف بالإضافة على من سبقة من الآباء المؤسسين لهذا العلم مثل راتزل وكيلن وهاوسوفر الذين انطلقوا في تحليلاتهم من الدولة سواء من الناحية البنوية أو الوظيفية، عكس ماكندر الذي ركز على المناطق والكتل القارية التي تؤثر في الحركة السياسية للقوى الكبرى، ويكون موضع استقطاب وجذب لهذه الحركة. وهذا للمزايا الاستراتيجية التي تتمتع بها كل منطقة والموارد الضخمة التي تتوفر عليها، حيث يرى أن من يسيطر على قلب العالم يسيطر على العالم برمته وهي نظرية تنطلق من المقومات الجيوبوليتيكية للمنطقة أو الكتلة القارية كما سماها ماكندر وجدت فيها من الخصائص ما تؤهله لأن يكون منطقة القلب أو مفتاح

(1) - ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 136.

السيطرة العالمية⁽¹⁾. ويدرك السياسيون في الولايات المتحدة الأميركية أن الهيمنة الدولية قد تتراجع، لا محالة، في هذا الفضاء الجيوبوليتيكي؛ لذا ترمي محاولات السيطرة على اليابسة، كما يبدو عقب هجمات 11 سبتمبر 2001، وغزو أفغانستان عام 2001، والعراق عام 2003، إلى "إبطاء" الانحدار و"استيعاب" تكاليفه، أو إلى التصدي له؛ حتى تستعيد القوة الأميركية العافية⁽²⁾، ومن ثم تكون اليابسة هي المفتاح لـ "استيطان" الولايات المتحدة في نظام دولي متعدد الأطراف، يصون لها مزايا ومنافع⁽²⁾.

إذن وبتتبعنا للتحليل الجيوبوليتيكي لماكندر نلاحظ تركيزه على منطقة الشرق الأوسط في إطار توسيعه لمنطقة القلب الأرضي بعد تعديلات الحرب العالمية الأولى وخاصة الثانية، ومن الناحية التي قسم فيها العالم إلى مفاتيح السيطرة العالمية من مناطق جذب تؤسس وتؤثر في الحركة العالمية للفواعل الدولية على اعتبارها محور جيوبوليتيكي له وزن في التفاعلات الدولية، لهذا يمكن القول أن ماكندر بدأ دراسته جيوبوليتيكا وأنهاها جيواستراتيجيا.

الفرع الثاني: نظرية الإطار أو الحافة Rimland: سبيكمان ومراجعة نظرية ماكندر:

يرى سبيكمان أن الجيوبوليتيكا الأداة الأكثر أهمية في السياسة الدولية المحددة كمنهج تحليلي ونظام للمعادلات يسمحان معا باستنباط الإستراتيجية الأشد تأثيرا. وفي هذا المعنى وجد أعنف نقده للمدرسة الجيوبوليتيكية الألمانية وبخاصة في كتابه "جغرافية العالم" والذي عد فيه الحدود العادلة والظالمة هراء ميتافيزيقيا⁽³⁾. من سمات "سبيكمان" المدخل النفعي والرغبة المحددة في تقديم المعادلة الجيوبوليتيكية الأشد تأثيرا والتي تتمكن الولايات المتحدة بعونها في التوصل، وبأسرع الطرق إلى تحقيق السيطرة العالمية⁽⁴⁾.

كانت فكرة "سبيكمان" الأساسية تقوم على أساس أن "ماكندر" قد بالغ في تقييم الأهمية الجيوبوليتيكية لـ الهارتلاند. وهذه المبالغة لم تتناول فقط التموضع الحيوي للقوى على خارطة العالم من ذلك جبروت الإتحاد السوفييتي بصفة خاصة⁽⁵⁾. كان "سبيكمان" يرى أن التاريخ الجغرافي "للهمال

(1) - عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الاستراتيجية، (مصر: دار المجدلوي للنشر والتوزيع، 2014)، ص 85.

(2) - كاظم هاشم نعمة، المحور الجيوبوليتيكي العربي - الإسلامي وعملية هيكل النظام الدولي: نحو مقاربة جديدة، مرجع سابق، ص 8.

(3) - ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص. 105.

(4) - المرجع نفسه، 105.

(5) - نفس المرجع، ص. 105.

الداخلي للريملاند"، (أي المناطق الشاطئية) قد تكونت من تلقاء نفسها وليس بتأثير "رجل اليايسة" حسب ما قال ماكندر. فـ"الهيرتلاند" من وجهة نظر "سبيكمان" ليس إلا مدى مكانيا محتملا يتلقى جميع النبضات الحضارية من المناطق الشاطئية ولا يحمل في طياته أي رسالة جيوبوليتيكية مستقلة أو حافز تاريخي. و"الريملاند" وليس "الهيرتلاند" مفتاح السيطرة العالمية بحسب "سبيكمان".⁽¹⁾

يقترح "سبيكمان" معادلته القائلة: "من يسيطر على 'الريملاند' يسيطر على أوراسيا ومن يسيطر على أوراسيا يسيطر على العالم ومنطقة الشرق الأوسط تقع في الريملاند حسب ما قدمه سبيكمان من أهمية وحيوية لهذه المنطقة".⁽²⁾ ويرى كولن غراي بأن "سبيكمان" تحدى بنظريته أطروحة "ماكندر" المحورية حول "الهارتلاند" وزود بذلك الولايات المتحدة وحلفائها بإستراتيجية مضادة قابلة للتطبيق.⁽³⁾

بحسب "دوغين" فإن "سبيكمان" لم يأت بجديد فـrimland أو "الحافة" أو "الهلال الخارجي" هي النقطة الأساسية في السيطرة على القارة،⁽⁴⁾ وبحسبه فقد فهم "ماكندر" أن الريملاند ليس كتشكيل جيوبوليتيكي مستقل ومكثف بذاته بل كميدان للمواجهة بين نبضين "البحري" و"البري".⁽⁵⁾ فضلا عن ذلك فإن "ماكندر" بحسبه لم يفهم Heartland على الإطلاق على أنه مفهوم للسيطرة على روسيا والتكتلات القارية المحيطة لها.⁽⁶⁾ إن أوروبا الشرقية كما يقول مجال بيني - بين "المحور الجغرافي للتاريخ" والـrimland وعليه في تناسب القوى على أطراف الـ heartland يكمن مفتاح مشكلة السيطرة العالمية. وبحسبه فقد تخيل "سبيكمان" عملية خلط الأوراق في مقولته الجيوبوليتيكية المتعلقة بنظرية "ماكندر" على أنها شيء جديد كل الجدة. أما في واقع الأمر فما دار الحديث حوله إلا قليل من الإختلاف في اللونيات الدلالية للمفاهيم.⁽⁷⁾

يرى سبيكمان في كتابه American strategy in world politics بضرورة ربط الجغرافيا بالقوة في حديثه عن هدف معالجة السلوك الخارجي للولايات المتحدة، حيث أصر على ربط أربع نقاط في تعامل

(1) - ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 105.

(2) - المرجع نفسه، ص 105

(3) - Colin S. Gray, The Geopolitics of the Nuclear Era: Heartland, Rimlands, and the Technological Revolution (New York: Crane, Russak and Company Inc., 1977), p. 27.

(4) - ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 106.

(5) - نفس المرجع، ص 105.

(6) - نفس المرجع، ص 105.

(7) - نفس المرجع، ص 106.

الولايات المتحدة مع مراكز القوة العالمية؛ الوسط الدولي فوضوي والولايات المتحدة مسؤولة عن أمنها، السياسة الخارجية الناجحة هي التي تتجذر في جغرافية البلد، العالم منظومة مغلقة وما يحدث في أية نقطة من الكوكب سيكون له تأثيرات عالمية، ومنه على أمريكا أن تمنع *prevenir* عبر غزو الفضاء أي توحد بين الأطلسي أو الهادي حتى لا تتم محاصرتها وهزيمتها أي إفريقيا وآسيا.⁽¹⁾

طالما عاد سبيكمان في تفسيراته وبراهينه إلى ماكندر وهاوسوفر حيث يتبنى منهجهم الخرائطي مستخدماً فيها قوة الأسهم وخطوط الضغط، ويرى أن الضغط يأتي للولايات المتحدة من الهلال الأرضي *rimland* من جانب القوى البحرية الأوراسية التي قد تسيطر على مركز القارة.⁽²⁾

لقد رسم 'سبيكمان' إطاراً نظرياً جيوبوليتيكيًا عالمياً لإثنين من كبريات اليابسة *landmasses* أوراسيا وأمريكا الشمالية؛ وثلاث جزر، أمريكا الجنوبية، وأفريقيا، وأستراليا. وخمس أجسام رئيسية من المياه، القطب الجنوبي، القطب الشمالي، والمحيط الهندي، والمحيط الهادئ والمحيط الأطلسي.⁽³⁾ واستعرض التحولات التاريخية في مراكز القوى في العالم؛ من الشرق الأوسط، إلى بحر إيجه، إلى البحر الأبيض المتوسط، إلى أوروبا الغربية، إلى المحيط الأطلسي، إلى ذلك الوقت في (1938) الوضع حيث كانت هناك أربع "مناطق" من القوى العالمية، كل قوة تسيطر على مراكز مختلفة، "الأمريكيتين من قبل الولايات المتحدة، والشرق الأقصى من قبل اليابان وقلب أوراسيا من طرف موسكو، والمحيط الأطلسي الشرقي والمحيط الهندي من طرف أوروبا."⁽⁴⁾ واختتم 'سبيكمان' بأن الولايات المتحدة، مع وجود إمكانية للوصول مباشرة إلى أحواض المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ، تكون "الدولة التي تحظى بأفضلية أكثر في العالم وفقاً لوجهة النظر التي تستند للموقع."⁽⁵⁾

بعد الحرب العالمية الثانية بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بتطبيق آراء جديدة من خلال مبدأ ترومان المتضمن إقامة قواعد بحرية وأحلاف عسكرية في مختلف مناطق العالم، وهي إشارة إلى بداية خروج الولايات المتحدة من عزلتها والاهتمام بالمناطق المهمة استراتيجياً، وأصبحت الولايات المتحدة أكبر

(1) - جيرارد ديسوا، مرجع سابق، ص 155.

(2) - المرجع نفسه، ص 156.

(3) - Nicholas J. Spykman, "Geography and Foreign Policy I, In Francis P. Sempa, Spykman's World http://www.unc.edu/depts/diplomat/item/2006/0406/semp/sempa_spykman.html

(4) - Nicholas J. Spykman, op, cit.

(5) - Ibid.

قوة بحرية في العالم. وفي هذا السياق الجيوبوليتيكي يعتبر "نيكولاس سبيكمان"⁽¹⁾ خليفة "ماهان" في استراتيجيته. لكنه لا يتفق معه في سيادة القوة البحرية بل يتأثر بـ "ماكندر" في كل شيء سوى النتائج السياسية. فقد كان "سبيكمان" يخشى من سيطرة ألمانيا على القارة الأوروبية ومن ثم على "الهارتلاند الأورو- الآسيوي"، لذا فهو يرى ضرورة التحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كقوة بحرية والإتحاد السوفيتي كقوة برية لمنع ألمانيا من تنفيذ مخططها العالمي.⁽²⁾ وهذا تطور لافت في الجيوبوليتيكا الأمريكية التي مزجت بين آراء "ماكندر" و"ماهان" بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية.

يعد سبيكمان المتابع المباشر لأعمال ماكندر لكنه انتقدها وقدم نموذج جيوبوليتيكي مغاير لما جاء به ماكندر الذي حسب سبيكمان بالغ في تقديم الأهمية الجيوبوليتيكية لـ heartland فكان سبيكمان يرى أن التاريخ الجغرافي للهلال الداخلي للريملاند تكون من تلقاء نفسه، وليس بتأثير رجل اليابسة حسب ماكندر، وأن قلب العالم لا يحمل أي رسالة جيوبوليتيكية مستقلة أو حافظ تاريخي والريملاند وليس الهارتلاند هو مفتاح السيطرة العالمية.⁽³⁾

اعتبر سبيكمان منطقة الهلال الهامشي أو الريملاند -الذي يحيط بالهارتلاند عند ماكندر - مفتاح السيادة العالمية، ولهذا يسمى هذه الأراضي الإطار "Rimland" أو الحافة التي تضم أوروبا البحرية (الغربية) والشرق الأوسط والهند وجنوب شرق آسيا والصين. هذا الإطار يتمتع بعدد كبير من السكان، وغني بالثروات بالإضافة إلى استخدام البحر كخطوط حركة أساسية للتجارة والحرب.⁽⁴⁾ وفي هذا الصدد يقول سبيكمان على نفس قول ماكندر لكن باختلاف النتائج:

- من يحكم الإطار يحكم أورو آسيا

(1) - نيكولاس سبيكمان Spykman Nicolas (1893-1943): يعد الأمريكي نيكولاس سبيكمان الهولندي المولد، المتابع المباشر لخط الأميرال ماهان. كان سبيكمان أستاذا للعلاقات الدولية في جامعة ييل Yale، وخلافا لعلماء الجيوبوليتيكا الأوائل لم تكن الجغرافيا تعني له أمرا لها من أهم مؤلفاته من أهم مؤلفاته المثل الديمقراطية سنة 1942 Democratic ideals and reality، استراتيجية أمريكا في عالم السياسة 1942 America's strategy in world politics، وجغرافية السلام 1944 Geography of peace للمزيد أطلع: (paris: groupe Pascal Boniface, la geopolitique eyrolles, cinquieme edition, 2018), pp26/27.

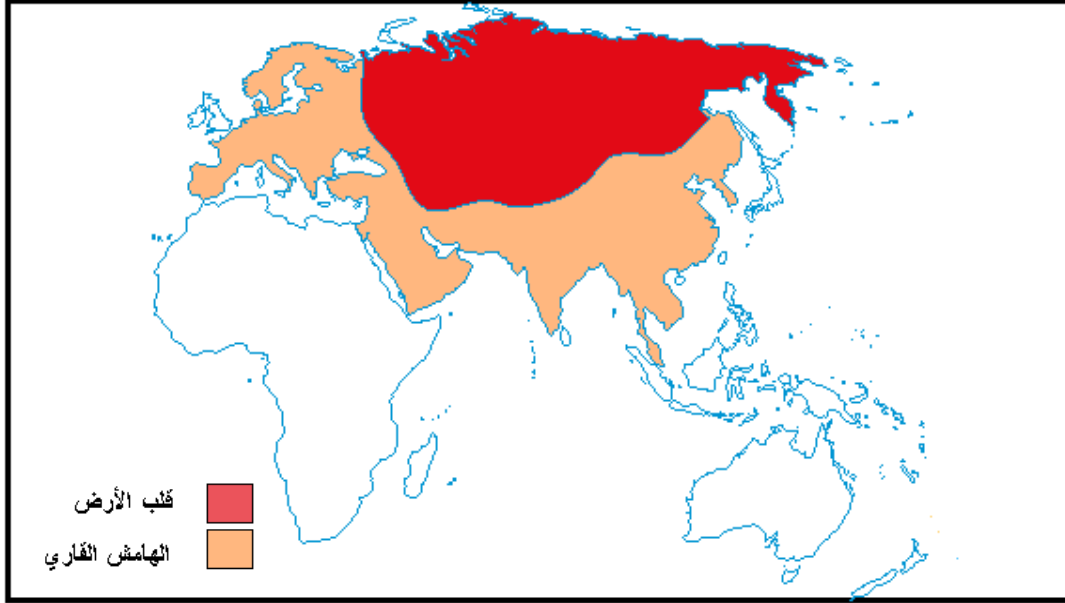
(2) - محمد رياض، الأصول العامة للجغرافيا السياسية الجيوبوليتيكا مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص 78.

(3) - الكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 106

(4) - المرجع نفسه، ص 78.

- و من يحكم أورو آسيا يتحكم في مصير العالم.(1)

خريطة رقم 4: خريطة توضح الهلال الهامشي لسبيكمان



المصدر: <https://www.google.dz/search?q=>

لا تختلف نتائج سبيكمان وآرائه الجيوبوليتيكية كثيرا عما طرحه ماكندر في نظرية قلب الأرض إلا تركيزه على منطقة الهلال الهامشي المحيط بالقلب الأرضي، وفي الحالتين إشارة إلى أهمية الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في استراتيجيات الولايات المتحدة من أجل السيطرة والتحكم في المناطق المفتاحية للهيمنة العالمية.

كان الشرق الأوسط في أطروحة ماكندر في جزيرة العالم يتأثر بعلاقات القوى في أوراسيا، ولا يؤثر فيها، وكان عند سبيكمان الحزام الثاني أو الطوق للحافة في احتواء أوراسيا. بيد أن إيران والسعودية وقطر أصبحت تؤثر في استراتيجيات القوى الكبرى من مقاومة جيوبوليتيكا الطاقة"، أو من خلال جيوبوليتيكا جديدة ليس تقليدية، وإنما "جيو-اقتصادي". إن "المكان" أو "الموقع" لم يعد بذي أهمية قصوى في حد ذاته، بل بما فيه من مصادر الموارد الطبيعية والسوق وفرص الاستثمار التي جعلت منه ميدان صراع، وبذلك تغيرت القيمة الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط ووسط آسيا من كونها ذات مزايا

(1) - عدنان صافي، الجيوبوليتيكا من النشأة إلى الحداثة، (الإسكندرية: مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، 2010)، ص

إيجابية في الصراع على القوة لأغراض الأمن فحسب، وانتقالها لتصبح ساحة تنافس ونزاعات مسلحة (التدخل واحتلال العراق) (من منطلق جيوبوليتيكا الموارد) (الطاقة)؛ إذ يمثل إقليم الشرق الأوسط ووسط آسيا أهم موقعين في جيوبوليتيكا الطاقة، وتأثيرها في النظام الدولي والسياسة العالمية.⁽¹⁾

كما يدخل التواجد الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ضمن استراتيجية تجمع بين طروحات ماهان وسبيكمان؛ بالنسبة لماهان التفوق المطلق للولايات المتحدة في مجالات الدفاع لاسيما في المجال البحري والصاروخي بهدف إعادة المناعة للأراضي الأمريكية وسبيكمان - السيطرة الاستراتيجية في محيط الجزيرة العالمية على كل الدول المصنفة بوصفها خطيرة -.⁽²⁾ وحسب كوهين في وصفه للمناطق المهمة عالميا أن المنطقة الجيوستراتيجية تتحدد بمنظومات العلاقات والمنطقة الجيوبوليتيكية تتميز بتجاوز الأراضي وتكامل الموارد⁽³⁾، عند إسقاط هذه المعادلة نجد أن منطقة الشرق الأوسط تجمع بين الجيوبوليتيكا والجيوستراتيجيا، وهذا ما جعلها منطقة جذب وصراع للقوى الكبرى قديما وحديثا كما سنحاول توضيحه في المطلب الموالي حول نظريات الجيوبوليتيكا المعاصرة وتفسيراتها للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: النظريات المعاصرة: تجاذبات العولمة والجيوبوليتيكا وعودة جيوبوليتيكا العصر القديم

مع نهاية الحرب الباردة، وجدت النزعة الليبرالية مناخها الأنسب، إذ عرف العالم آنذاك تحولات بنيوية عميقة مسّت العالمين الأكاديمي والواقعي على حدّ سواء، وكانت للجغرافيا كعامل حاسم وللجيوبوليتيكا كعلم مرتبط بالسياسات العليا للدول حظهما من النقاشات والقراءات النقدية، فقد تنامت الأفكار والطروحات المنادية "بموت الجغرافيا" وانتهاء عصر الجيوبوليتيكا، وبداية عصر جديد لم تعد فيه للأرض والجغرافيا أيّة أهمية تذكر،⁽⁴⁾ وبسبب هذا الوضع الجديد بدا للعديد من الباحثين مسار العولمة قد نزع سلاح الجيوبوليتيكا، وينبغي التركيز على حقل الاقتصاد بدلا من الجغرافيا، وعلى التعاون الدولي والأسواق العابرة للقوميات بدلا من دراسات التنافس القائم تقليديا على الأرض، فالعولمة

(1) - كاظم هاشم نعمة، المحور الجيوبوليتيكي العربي الإسلامي وعملية هيكلية النظام الدولي: نحو مقاربة جديدة، مرجع سابق، ص 12.

(2) - جيرارد ديسوا، مرجع سابق، ص 155.

(3) - المرجع نفسه، ص 159.

(4) - جلال خشيب، "أوهام العولمة وعودة جيوبوليتيكا العصر القديم"، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، نوفمبر 2019، ص 2.

إذن حسب طرح هؤلاء الباحثين قد "قتلت الجيوبوليتيكا بالفعل".⁽¹⁾ لكن الوقائع الجديدة التي يعرفها العالم المعاصر ساهمت إلى حد بعيد في توفير الحجج الإمبريقية لباحثي الجيوبوليتيكا، ودفعهم نحو إنقاذ الطروحات الوضعية العلمية لهذا الحقل المشتت بين ضربات العولمة من جهة، وما أحدثته النزعة التفكيكية التي حملتها التيارات المابعد الوضعية من جهة أخرى، وهذا ما أدى إلى إحياء الطروحات الجيوبوليتيكية الكلاسيكية من جديد التي حاجبت باستمرار على دور المتغير الجغرافي في تفسير التنافس والصراع بين القوى الكبرى كما كانت دائما.⁽²⁾ حيث يقول كولن قراري: إن اعتبار أن التكنولوجيا تلغي الجيوبوليتيكا تحمل ما يمكن تسميته المغالطة المعقولة.⁽³⁾

شكلت عودة الصراعات بين القوى الكبرى في مناطق النفوذ الجيوبوليتيكية مثل التنافس الأمريكي الروسي الصيني في آسيا الوسطى بعد نهاية الحرب الباردة، وعودة أمريكا للساحة الشرق أوسطية بقوة بعد أحداث 11 سبتمبر بغزو أفغانستان والعراق وذلك في إطار سياسة إعادة الانتشار الجيوستراتيجي. وما شكلته أحداث الربيع العربي نهاية 2010 في المنطقة العربية من فرصة سانحة لإعادة التنافس الجيوبوليتيكي والتدخلات الخارجية في سوريا وبعدها ليبيا من تأكيد لحضور الجيوبوليتيكا بقوة في تفسير الظواهر الدولية بين القوى الكبرى في شقها التنافسي.

الفرع الأول: الماكندرية الجديدة في أفكار بريجنسكي الجيوبوليتيكية

"في مطلع القرن الحادي العشرين "يجب علينا التفكير بجرأة في بعض النظريات، فبعض النماذج تتوافق مع أوقات معينة، والتي تعطي بدورها الرؤية الأنسب، لأنها أقرب إلى قيم ومفاهيم ومصالح هذه الأوقات"⁽⁴⁾

"Il faut oser penser que certaines théories, certains paradigmes correspondant à certains époques dans ils donnent la vision la plus adéquat par ce que la plus proche des valeurs, des concepts, des intérêts de cette époque ».

لعل جملة التغيرات والمستجدات الحاصلة عبر الفضاءات العالمية المختلفة، دفعت أكثر نحو التوجه إلى الجيوبوليتيكا بغرض التنظير أو من أجل تفسير طبيعة النظام الدولي في فهم العوامل الرئيسة

(1) - جلال خشيب، أوهام العولمة وعودة جيوبوليتيكا العصر القديم، مرجع سابق، ص 3.

(2) - المرجع نفسه، ص 3.

(3) - المرجع نفسه، ص 3.

(4) - Gérard Dussouy, *Quelle Geopolitique Au Xxe Siecle ?* (Paris: Les Editions Complex, Collection Theorie Politique 2001), P15.

الفاعلة وآليات عملها، فالجيوبوليتيكا أصبحت " تشهد تقبل لا لبس فيه، وهي تفرض نفسها وتدافع عن ذاتها حتى من قبل المعلقين على الأخبار الدولية ؛ ذلك أن ظاهرة وسائل الإعلام وانتشار الأطالس الاستراتيجية، والمقالات الصحفية تحتاج وتدافع معها عن ذاتها، كما أن تكرار البرامج التلفزيونية يشير أكثر أو أقل إلى دورها، فانتصار الاتصالات بالصورة وانتشار بطاقات المساعدة البسيطة يدعو إلى إمكانية أن يتحدث المرء عن المسرح الجيوبوليتيكي".⁽¹⁾ كما أنه ليس من المبالغة إذا قلنا أن الجيوبوليتيكا تعيش حالة ثورة وإعادة انتعاش سواء من خلال الخطاب أو الدراسة الأكاديمية لأنها تعطي لنا الفهم الكافية والتفسيرات المقنعة للوقائع الدولية والمتغيرات المتسارعة من تنافس جيوبوليتيكي للقوى الكبرى في مناطق النفوذ مثل منطقة الشرق الأوسط.

يقع تطور الخط الفكري الجيوبوليتيكي الأمريكي الأطلسي أساسا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية؛ ضمن مشروع تطوير أطروحات "نيكولاس سبيكمان"، الذي تولى بنفسه تصحيح نظريات ماكندر"، من أتباع "سبيكمان" نجد: د. أمينغ، وأ.كيرك، وس.ب.كوين، وكولن. س.غراي، هنري كيسنجر وبريجنسكي.⁽²⁾ الذين عملوا على صياغة نظرية جيوبوليتيكية للولايات المتحدة بناء على أطروحة ماكندر، تعمل على تحديد المصالح الجيوبوليتيكية الكبرى لأمريكا في مناطق النفوذ خاصة منطقة الشرق الأوسط.

لقد اعتبر زبيغنيو بريجنسكي - وهو أحد أهم الجيوبوليتيكيين الأمريكيين المعاصرين الذين كان لهم صيت مسموع لدى صناع القرار في أمريكا- أن الصراع العالمي، بعد نهاية الحرب الباردة، اتخذ أبعادا أكبر، وبات يشمل الساحتين الأوروبية والآسيوية، "أوراسيا"، وهو يحاول التوفيق بين ماكندر (قلب العالم- أوراسيا) وسبيكمان (الحاقّة) ويحاول ابتكار خطّ سياسيّ يسمح للولايات المتّحدة، التي لا بدّ أن تتراجع، بأن تحافظ على هيمنتها ما أمكن في وجه أوراسيا، وخاصّة روسيا.⁽³⁾ يرى بريجنسكي أن الولايات المتّحدة الأميركيّة، القوّة الأولى الشاملة globale في التاريخ، لا تسيطر على كامل المحيطات والبحار، ولكن لديها، قوى برمائيّة تسمح لها بالتدخّل في كلّ مكان، لذلك هي القوّة العظمى hyper puissance التي تفرض نفسها على العالم، ولا نظير لها في ديمقراطيّتها، وتتميّز بقوّة ميلها الفطريّ للحروب البعيدة، وهيمنتها لا تعتمد على الاجتياح الأرضيّ الصرف، بل هي تختار شركاء لتصنع منهم حلفاء

(1)- Gérard Dussouy, op, cit, P15.

(2)- الكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 140.

(3)- محمد طي، "الجيوبوليتيكي منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن"، دراسات وتقارير، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، العدد 19، جانفي 2019، ص 18.

طبعين (ألمانيا، اليابان)، إذا هي بدل السيطرة، تؤكد أنها نموذج يقتدى به وهي تدير علاقاتها مع الخارج، كما تدير تنوعها الداخلي، من خلال "بنية معقدة من المؤسسات والوسائط المقامة لتخلق التوافق وتخفف من اللاتوازن والاختلاف". لكن رغم هذا الحجم، فالهيمنة الأمريكية تبقى سطحية وتحت رحمة عودة النزاعات، إنما هذا لا يحصل إلا في أوراسيا، المنطقة الجيوبوليتيكية التي من الخطأ على المهتم بالسياسة العالمية تجاهلها، فأوراسيا لم تقل بعد كلمتها الأخيرة.⁽¹⁾

إن المحور الجغرافي للتاريخ، والرهان الجيوبوليتيكي الأساسي هو أوراسيا هذه، التي تشكل المسرح الوحيد الذي يمكن أن يحدث ظهور المنافس من أجل السيطرة عليه، لكن القوى الرئيسية؛ أوروبا الغربية والمجمع الصيني - الياباني في الشرق، لا تتركز في قلب العالم، بل في الريميلاند السبكيمانية. أما الهوامش الجنوبية، وعلى رأسها منطقة الشرق الأوسط بامتداداتها للخليج العربي، فهي ذات أهمية استراتيجية مفصلية، بسبب الكميات الهائلة من موارد الطاقة - ما كان يهمله ماكندر سابقاً -، وظهور جيوبوليتيكا النفط في منطقة الشرق الأوسط، فالخطر على القوة المهيمنة لا يمكن أن يأتي إلا من قوة مضادة تتوصل إلى فرص هيمنتها على أوراسيا، وهذا السيناريو يمكن أن يتحقق انطلاقاً من محاور جغرافية متعددة.⁽²⁾

ينطلق بريجنسكي من افتراض مفاده أن السيطرة العالمية للولايات المتحدة تبقى منقوصة ما لم تعززها بالتحكم في منطقة قلب الأوراسيا التي تعتبر بمثابة الفراغ الجيوبوليتيكي المتمم لسيطرتها العالمية.⁽³⁾ كما أن أمريكا تعتبر أن الأوراسيا هي الجائزة الجيوبوليتيكية الرئيسية، لأن الشؤون الدولية تتحرك من خلالها، وأهميتها ليس لرفاه أمريكا فقط وإنما لتحقيق السلام العالمي.⁽⁴⁾

يمكن تلخيص أفكار بريجنسكي الجيوبوليتيكية كما يلي: أوراسيا هي القارة الأكبر في العالم وهي محرك الجيوبوليتيكا ومركز الاهتمامات الجيوستراتيجية، من يسيطر عليها يستطيع التحكم في اثنين من مناطق العالم الثلاث الأكثر إنتاجاً اقتصادياً ووفرة بالمواد الأولية (أوروبا وآسيا)، والمناطق الثلاث التي يقصدها بريجنسكي هي آسيا وإفريقيا وأوروبا.

(1) - Zbigniew Brzezinski, **The Grand Chessboard American Primacy And Its Geostrategic Imperatives**, (Published By Basic Books, 1st Ed 1997), P30.

(2) - محمد طي، مرجع سابق، ص 19.

(3) - عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص 111.

(4) - Zbigniew Brzezinski, op, cit, pp29-30.

ثم يذهب بريجنسكي إلى إبراز الخصائص الجيوبوليتيكية لمنطقة أوراسيا حيث يقول يعيش في أوراسيا 70% من شعوب العالم، وتوجد بها معظم ثروات العالم، كما أن أوراسيا موطن الدول الأكثر والأقدر سياسيا واقتصاديا وأكثر ديناميكية في العالم.⁽¹⁾ ولو اجتمعت هذه الدول تكون أقوى من أمريكا، ومن شأنها أن تشكل تهديد للمصالح الجيوبوليتيكية الأمريكية، لكن من عوامل ضعف تكامل وتعاون دول الأوراسيا في مواجهة الولايات المتحدة أنها تتباين في القدرات حيث يستقر اللاعبون الرئيسيون في الغرب والشرق والمركز والجنوب. تحتوي النهايات الغربية والشرقية للرقعة على مناطق كثيفة السكان وجيدة التنظيم بعدد من الدول القوية في الطرف الغربي الصغير من أوراسيا (أوربا الغربية)، أما الطرف البري في أقصى الشرق ويقصد الصين فهي اللاعب الذي يزداد فاعلية وقوة في الرقعة الجيوبوليتيكية.⁽²⁾

يتابع بريجنسكي وصفه لمنطقة أوراسيا - هنا نشير لضرورة التعريف بمنطقة أوراسيا للوصول إلى أهمية الشرق الأوسط في أفكار بريجنسكي الجيوبوليتيكية التي تعتبر امتداد فكري لنظرية قلب الأرض لماكندر-. حيث يقول ما بين النهايتين الغربية والشرقية تمتد مساحة وسطية واسعة قليلة السكان، كما أنها تعاني سيولة سياسية وتشظي تنظيمي، وقد كانت هذه المنطقة محتلة من قبل منافس قوي لسيادة أمريكا وإلى الجنوب من تلك السهوب الأوراسية المركزية الواسعة تقع منطقة تجمع بين الفوضى السياسية ومصادر الطاقة الغنية وتمتلك أهمية عظمى بالنسبة لدول أوراسيا الغربية والشرقية، وتوجد بهذه المنطقة دول تتطلع للهيمنة الإقليمية، في إشارة إلى إيران.⁽³⁾ ويرى بريجنسكي أن رقعة الشطرنج الأوراسية توفر الأرضية التي تدور عليها اللعبة، وهنا يقدم افتراض، أنه إذا كان بالإمكان سحب المساحة الوسطية إلى داخل الفلك الغربي المتوسع (حيث تسود أمريكا)، وإذا لم تخضع المنطقة الجنوبية (الشرق الأوسط) لسيادة لاعب واحد، وإذا لم يتوحد الشرق بطريقة تتيح له طرد أمريكا من قواعد المقامة على سواحلها، يمكن الحديث عن سيادة أمريكا على الأوراسيا.

كما يؤكد بريجنسكي أن الموقع المتوسط المركزي ليس بالضرورة هو المتغير الأهم جيوبوليتيكيًا للسيادة العالمية، بل يمكن لأي منطقة متى توافرت لها الظروف الجيوبوليتيكية أن تلعب الدور المركزي، ويعطي مثالاً توضيحياً بمنطقة الخليج العربي الامتداد الأرضي لمنطقة الشرق الأوسط؛ حيث أنها - منطقة الخليج - من الناحية الجغرافية لا تتوسط العالم إلا أنها تمثل من الناحية الاستراتيجية الشريان

(1) - عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص 112.

(2) - المرجع نفسه، ص 112.

(3) - عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص 113.

الحيوي الذي يغذي العالم، خاصة في ظل التقدم الصناعي، وزيادة الطلب على مصادر الطاقة الخليجية، وهذا ما يفسر الإصرار الأمريكي على الحضور الدائم في تفاعلات هذه المنطقة المهمة جيوبوليتيكا للقوى الكبرى.⁽¹⁾

حظيت منطقة الشرق الأوسط بمكانة مهمة في إطار السياسة العالمية والقوى الكبرى المتحكمة بها، فموقعها الجغرافي يمثل حلقة وصل بين آسيا بعمقها الجغرافي، وأوروبا، وإفريقيا، فهي تمثل منطقة انفتاح نحو آسيا عن طريق إيران ونحو أوروبا عبر تركيا، البحر المتوسط بسواحلها الشمالية ثم نحو العمق الأوروبي، وإفريقيا عن طريق باب المندب والبحر الأحمر، البحر المتوسط، المحيط الهندي والأطلسي. هذه الأهمية الجيوبوليتيكية للمنطقة في النظريات الجيوبوليتيكية للمفكرين المؤسسين لعلم الجيوبوليتيكا أو المعاصرين جعلت منها محورا جيوبوليتيكا حيويا من محاور الصراع بين القوى الدولية.⁽²⁾

مثلت أفكار بريجنسكي في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى إعادة لبعث النظرية الماكندرية في الجيوبوليتيكا حيث يرى زبغنيو بريجنسكي⁽³⁾ أن الصراع الدولي أصبح في منطقة أوراسيا بشكل عام، والمناطق المتاخمة لها التي من شأن السيطرة عليها التأسيس للوصول إلى قلب الأوراسيا، ومن هذه المناطق ركز بريجنسكي على آسيا الوسطى ومنطقة الشرق الأوسط التي اعتبرها رقعة الشطرنج المتنافس عليها من طرف القوى الكبرى. وما يتوجب على الولايات المتحدة للسيطرة على هذه المنطقة التي تعتبر مركز القوة العالمية. خاصة في ظل ظهور قوى كبرى تنتمي لجغرافيا وإيديولوجية مغايرة ولها نفس النظرة الجيوبوليتيكية للسيطرة العالمية، وهذا ما سنتطرق إليه في الفرع الموالي مع الأوراسية الجديدة لدوغين.

(1) - عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص 114.

(2) - المرجع نفسه، ص 114.

(3) - زبغنيو بريجنسكي: ((Zbigniew Brzezinski) (28 مارس 1928 - 26 ماي 2017) مفكر استراتيجي ومستشار للأمن القومي لدى الرئيس الأميركي جيمي كارتر بين عامي 1977 و 1981. كما عمل مستشاراً في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، وأستاذاً لمادة السياسة الخارجية الأميركية في كلية بول نيتز للدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جون هوبكينز في واشنطن. كان زبغنيو بريجنسكي من الشخصيات القليلة بين خبراء السياسة الخارجية الأمريكية التي حذرت إدارة بوش صراحة من غزو العراق. للمزيد حول بريجنسكي أطلع:

Pascal Boniface, *la geopolitique* 48 fiches pour comprendre l'actualite, (paris: eyrolles groupe, cinquieme edition, 2018), pp28.

الفرع الثاني: الأوراسية الجديدة في فكر ألكسندر دوغين وعودة روسيا للشرق الأوسط:

أنجبت المدرسة العسكرية والجيوبوليتيكية الروسية منذ مطلع القرن العشرين شخصيات أكاديمية ذات صيتٍ عالمي أسهمت بنظرياتها في صياغة التوجهات الاستراتيجية الكبرى للبلد في أذهان صناع القرار الروس ولعلّ أشهرها، تلك النظريات المحاججة على قوة البر الروسي (التيلوروكراتيا) في مواجهة قوى البحر الغربية المنافسة (التالاسوكراتيا)، ثمّ قوى الجو والفضاء لاحقاً.⁽¹⁾ ولعلّ شخصية البروفيسور ألكسندر دوغين تُعدّ أكثر الشخصيات الجيوبوليتيكية الروسية شهرةً، وهو الذي وصفته أوساط عالمية كثيرة بأنه العقل الجيوبوليتيكي الأول الذي يقف وراء التوجهات الاستراتيجية لروسيا المعاصرة، كما يعد عقل بوتين المدبر، وهو من أعاد بعث الأوراسية كتوجه وفلسفة روسية خالصة.⁽²⁾

تعتبر الأوراسية الجديدة -التي هي امتداد للأوراسية التي ظهرت في عشرينات وثلاثينيات القرن الماضي على يد مفكرين روس منفيين، عندما أصدروا مجموعة مقالات تحت عنوان "النزوح الكبير إلى الشرق"⁽³⁾ فلسفة جيوبوليتيكية محلية متميزة عما هو سائد في الشرق والغرب ومنافسة له، حيث ترجع الأوراسية الجديدة أو "الجيوبوليتيكا الدوغينية" إلى سنة 1991، حينما نشر دوغين مقالا بعنوان حرب القارات The war of the continents، الذي تضمن تصورات دوغين الجيوبوليتيكية الكبرى للعالم، حيث وصف التنافس والصراع العالمي بالصراع الجيوبوليتيكي الأزلي بين قوى البحر (الولايات المتحدة الأمريكية)، وقوى البر (روسيا)، وحسب دوغين أن الصراع يبقى قائماً إلى أن يدمر أحد الطرفين الآخر، رغم العلاقات البينية بين الطرفين إلا أنها لا تستطيع إيقاف حدة هذا الصراع.⁽⁴⁾

كانت هذه ملامح الأوراسية الجديدة لدوغين والتي تعززت بكتابه "أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي". وقد آمن دوغين بالأوراسية الجديدة واعتبرها عقيدة تحمل خلاصاً لكل مشكلات روسيا في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية القوة البحرية المنافسة الأولى لروسيا.⁽⁵⁾ كما تم تطوير المشروع

(1) - جلال خشيب، الجيوبوليتيكا الروسية الكلاسيكية والمعاصرة بين النظرية والتطبيق، رؤية تركية، ربيع 2018 ص.98

(2) - المرجع نفسه، ص.98.

(3) - المرجع نفسه، ص.100

(4) - المرجع نفسه، ص.104.

(5) - المرجع نفسه، ص.105.

الأوراسي في شكل فلسفة سياسية تركز على تعدد الأقطاب والحضارات ومعاداة الإمبريالية الغربية.⁽¹⁾ وترتبط الأوراسية الجديدة بالسياسة في طريقة التفكير الجيوبوليتيكي الذي ربطته بتنائية الصراع بين التيلوروكراتيا والتالاسوكراتيا أو الأطلسية مقابل الأوراسية.⁽²⁾

و تقوم افتراضات الأوراسية الجديدة على ما يلي:

- تجنب تحول روسيا إلى مجرد ملحق للإمبراطورية الأمريكية، وهذا ما عمل عليه فلاديمير بوتين منذ وصوله للحكم، عكس سابقه يلتسين الذي ارتدى في أحضان الغرب بعد انهيار الإتحاد السوفييتي.

- السعي لإيجاد مراكز متعددة للقوة غير مرتبطة بالعولمة الأمريكية، وأن ترى فيها مركزا.

- خلق فضاءات كبرى عديدة وموحدة عبر شبكة التحالفات مع عديد الدول، ومثل هذا الفضاء الكبير من شأنه خلق مركز جديد للقوة.

- يرى دوغين بوجود العديد من مراكز القوة أو القوى الناشئة التي من شأنها خلق قوة جديدة مركزية مثل اليابان، الهند، إسرائيل، تركيا وإيران هذه الأخيرة التي يراها دوغين حجر الزاوية في تحالفات أوراسيا، كما ينظر دوغين للصين باعتبارها حليفا محتملا في مواجهة الولايات المتحدة، لكنها حليف أخير وغير موثوق، نظرا لنشاطها الاقتصادي والتجاري الكبير مع أمريكا، إلى جانب توسيعها الديمغرافي في الشرق الروسي البعيد وسيبيريا.⁽³⁾

- إعادة تعريف روسيا في الساحة الدولية انطلاقا من موقعها الجيوبوليتيكي الأوراسي المركزي، ويخلق تحالفات مع قوى صغيرة ناشئة بالدرجة الأولى، وهذا ما يعزز علاقتها بدول الشرق الأوسط خاصة تركيا وإيران اللتان تشكلان المحاور الجيوبوليتيكية التي من شأنها أن تكون لها الكلمة الأولى في تفاعلات المنطقة الجيوستراتيجية لو توحدت ضد أمريكا، وهذا ما تخوف وحذر منه بريجنسكي.

⁽¹⁾- Alexander Dugin, **Eurasian Misson** An Introduction To Neo Eurasianism, (Russia, Arktos Media Ltd, First Edition, 2014), p8.

⁽²⁾- Ibid, p9.

⁽³⁾- جلال خشيب، الجيوبوليتيكا الروسية الكلاسيكية والمعاصرة بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 105.

وعليه حسب دوغين على أغلب دول أوراسيا أن تحشد جهودها ضد العدو المميت لكل شعوبها وهو الولايات المتحدة الأمريكية، وأن تشكل كتلات دول شبه إمبراطورية منها تكتل الدول المسلمة الذي سيكون إمبراطورية قوية مستقلة ونووية، وعلى روسيا مساعدة هذه الإمبراطورية النووية.⁽¹⁾ ما نلاحظه من خلال الافتراضات النظرية للجيوبوليتيكا الدوغينية هو التركيز على الأوراسيا ضمن نطاقها الجغرافي القريب والبعيد، وخلق كيانات صغيرة أو إمبراطوريات ناشئة لمواجهة المنافس الأزلي وهو القوة البحرية الأولى الممثلة في الولايات المتحدة، لهذا يركز على منطقة الشرق الأوسط ويعتبرها من الأحزمة المحورية للأوراسية ومنطقة لا مجال للتنازل عليها في أي صراع جيوبوليتيكي بين روسيا (التيلوروكراتيا) والولايات المتحدة الأمريكية (التالاسوكراتيا). والنزاع السوري ليس إلا أحد أكبر الأدلة المُحاججة بذلك، ولا يزال الرئيس الروسي يرى فيه نزاعا صفريا، ومعرفة روسيا فيه أهم معارك التيلوروكراتيا ضد التالاسوكراتيا الجديدة على حد تعبير دوغين⁽²⁾، فالحلم الروسي للوصول للمياه الدافئة صار قريبا ومن ثم الدفع بقوى البحر بعيدا عن إقليمها ومجالها الحيوي.

الفرع الثالث: نظرية صدام الحضارات: أطلسية هنتنغتون الجديدة

شكلت نهاية الحرب الباردة وانهايار الإتحاد السوفييتي فجوة جيوبوليتيكية عالمية وانتصار أمريكي عالمي وفي هذا الصدد يقول هنتنغتون⁽³⁾: "العالم دون تفوق الولايات المتحدة الأمريكية عالما به المزيد من العنف والفوضى وأقل ديمقراطية لأن تأثير أمريكا أكبر من تأثير أية دولة".⁽⁴⁾

اعتبرت أطروحة "صموئيل هنتنغتون" تلخيصا لمشروع جيوبوليتيكي كبير بعنوان "التحولات في الأمن الكوني والمصالح القومية الأمريكية"؛ بحيث أن هذه الأطروحة ترى من ناحية أن الانتصار الجيوبوليتيكي الظاهري للأطلسية انهيار والإتحاد السوفييتي سابقا لا يمت بصلة للحقيقة الواقعية القائمة فعلا؛ كما أنها تؤكد من ناحية أخرى؛ بأن النجاح الاستراتيجي لحلف الناتو والذي يتوافق مع توجهه الإيديولوجي للمعسكر الغربي من حيث معاداة الشيوعية، لا يمس الطبقات الحضارية العميقة، وهو

⁽¹⁾- Dmitry Shlapentokh, Dugin Eurasianism: a window on the minds of the Russian elite or an intellectual ploy?, Studies in East European Thought, Vol. 59, No. 3 (Sep., 2007), pp. 215-236 Published by: Springer Stable URL: <http://www.jstor.org/stable/40345272>.

⁽²⁾- جلال خشيب، الجيوبوليتيكا الروسية الكلاسيكية والمعاصرة بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 119.

⁽³⁾- صاموئيل هنتنغتون (1927-2008) مفكر سياسي أمريكي، وأستاذ بجامعة هارفارد لأكثر من خمسين عاما اشتهر بتظيره لفكرة صراع الحضارات التي أثارت جدلا فكريا وسياسيا على مستوى العالم. للمزيد حول هنتنغتون اطلع:

Samuel Huntington, auteur du « choc des civilisations » est mort, le monde, Publié le 27 décembre 2008 à 18h55, at: https://www.lemonde.fr/disparitions/article/2008/12/27/samuel-huntington-auteur-du-choc-des-civilisations-est-mort_1135885_3382.html

⁽⁴⁾- Zbigniew Brzezinski, op, cit, p30.

انتصار لا يكتسي الطابع الحضاري؛ ذلك أن الإيديولوجية الغربية "ليبرالية السوق" أصبحت - حسب دوغين- اليوم بلا بدائل مؤقتة فقط، ومع مرور الوقت سوف تكتسب المجتمعات والشعوب غير الغربية خصائص حضارية وجيوبوليتيكية جديدة، كما أن مسألة رفض الأيديولوجية الشيوعية وإنهيار التشكيلات السياسية وظهور أخرى لن يؤدي - بحسب هنتنغتون- إلى الترافف الآلي للإنسانية بأسرها على النمط العالمي للقيم الأطلسية، بل على العكس سيعيد تفعيل الرقائق الثقافية الأعمق والتي تحررت من القوالب الإيديولوجية السطحية.

تعتبر نظرية صدام الحضارات التي نشرها صاموئيل هنتنغتون عام 1993 خطوط واضحة للجيوستراتيجية الأمريكية في عالم ما بعد الحرب الباردة الذي أوضح فيها أن الصراع في العالم لن يكون بين الطبقات الاجتماعية بل ستكون بين القوميات والأديان والحضارات، بمعنى أن الصراع بعد الحرب الباردة ليس صراعا عسكريا بل حضاريا بين مناطق معينة قائم أساسا على الهوية القومية والدينية والحضارية،⁽¹⁾ رغم أن مصطلح "صدام الحضارات" يرتبط بالمفكر المحافظ "صموئيل هنتنغتون" فإن "لويس" هو من قدم التعبير أولاً إلى الخطاب العام، ففي كتاب "هنتنغتون" الصادر في 1996 يشير المؤلف إلى فقرة رئيسية في مقال كتبها "لويس" عام 1990م بعنوان جذور الغضب الإسلامي، قال فيها: "هذا ليس أقل من صراع بين الحضارات، ربما تكون غير منطقية، لكنها بالتأكيد رد فعل تاريخي منافس قديم لتراثنا اليهودي والمسيحي، وحاضرنا العلماني، والتوسع العالمي لكليهما."⁽²⁾ وفي هذا الصدد اعتبر برنارد لويس⁽³⁾ أن الشرق الأوسط عبارة عن موزايك من القوميات والأديان والأعراق والقوميات لا ترتقي لإقامة دولة عصرية علمانية أو حتى إسلامية، لذا يجب أن تستثمر هذه النقطة عبر تفكيكهم وممارسة السلطة عليهم من قبل قوى خارجية.⁽⁴⁾

(1) - صاموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات.. إعادة صياغة النظام العالمي، ترجمة، طلعت الشايب، (سطور للنشر، ط1999، 2)، ص 10.

(2) -Thierry Paquot ,BERNARD LEWIS (1916-2018) Orientaliste reconnu et discuté HERMÈS 82, 2018, pages 265 à 270

(3) - برنارد لويس من مواليد 31 مايو 1916 لندن أستاذ فخري بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب وتشتهر خصوصا أعماله حول تاريخ الإمبراطورية العثمانية. لويس هو أحد الباحثين في تاريخ الشرق الأوسط للمزيد حول برنارد لويس اطلع:

Thierry Paquot ,BERNARD LEWIS (1916-2018) Orientaliste reconnu et discuté HERMÈS 82, 2018, pages 265 à 270

(4) - ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص158.

يقول لويس برنارد أيضاً في إحدى مقابلاته سنة 2005 أن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يمكن تحضرهم، وإذا تُركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات، ولذلك فإن الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة، لتجنب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتھا الدولتان، إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد لا مانع أن تقدم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية- من دون مجاملة ولا لين ولا هودة- ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة، ولذلك يجب تضيق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها واستثمار التناقضات العرقية، والعصبية القبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمر الحضارة فيها، ففي عالم ما بعد الحرب الباردة ولأول مرة في التاريخ يحدث ما يعرف " بالصدام الحضاري "، إذ أن السياسية العالمية متعددة الأقطاب وهذا يعني متعددة الحضارات، وخلال كل فترات التاريخ البشري كانت الاتصالات بين الحضارات إما منقطعة أو غير موجودة ولكن في ظل مفهوم العولمة الذي قاد إلى شفافية الحدود بين الحضارات ظهر ما يعرف بالصدام الحضاري.⁽¹⁾

طبقت هذه النظرية بالفعل على منطقة الشرق الأوسط (شمال إفريقيا - شرق البحر المتوسط) إذا أن ما يحدث في عالم اليوم من فوضى تحت مسميات مختلفة منها الثورات العربية والربيع العربي ما هي إلا تطبيق لتلك النظرية المزعومة التي يتحرك الغرب على خطاها، ففي الواقع أن المتتبع لأحداث العالم العربي سيشاهد أنه صراع حضاري قائم بين حضارات مختلفة.⁽²⁾ سواء بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية أو بين الحضارة الغربية والحضارات الشرقية التي تخالفها في التوجه مثل التنافس الأمريكي الروسي الصيني خاصة في ظل صعود فلسفة الأوراسية الجديدة وإعادة بعث روسيا مجدداً للساحة الدولية لاعتبارها حضارة متميزة عن الحضارة الغربية.

(1) - أعياد عبد الرضا، مسلم مهدي علي الخوالدي، النظريات الجيوبوليتيكية الحديثة وتطبيقاتها على منطقة آسيا الوسطى،

مجلة البحوث الجغرافية، العدد 21، دون سنة النشر، ص 291

(2) - المرجع نفسه، ص 292.

يرى هنتنغتون أن ما يحدث من صراعات في الشرق الأوسط هي صراعات داخل حضارة واحدة لتمزيقها لأنها تمثل بنظره تهديدا للغرب.⁽¹⁾ وهو بهذا أي هنتنغتون يحاول توجيه العدسات الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط التي نالت الكثير من الاهتمام في الدوائر الأكاديمية ودوائر صنع القرار، وهذا لتقل هذه المنطقة الجيوبوليتيكي لرسم أي استراتيجية أمريكية تروم السيطرة على العالم في ظل ظهور أقطاب أخرى منافسة للولايات المتحدة وتختلف عليها حضاريا ودينيا خاصة العودة الروسية للساحة الدولية والاستيقاظ الصيني الكبير، بالإضافة للقوى الإقليمية الصاعدة في المنطقة، والتي لها نزعة التاريخ والجغرافيا والهوية لبناء عالم متعدد الأقطاب والقوى (تركيا وإيران).

من خلال فرضيات هنتنغتون نلاحظ أنه يحاول رسم ملامح علائقية متبادلة بين الحضارة الغربية والأقاليم الحضارية الأخرى عدا الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية؛ وذلك من خلال اعتماده معايير القبول والرفض للتحديث والتمدن الغربي. ويركز هنتنغتون على أن التعاون سيكون بين الحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية على أساس وجود عدو واحد ومصالحة مشتركة تتمثل بالدفاع عن مصالحها ضد الحضارة الغربية.⁽²⁾ ويلج في اصطدامها به، وهو ما يجعلنا نستنتج أن ما يعنيه هو استمرار وتوسيع نطاق الحرب الباردة بوسائل جديدة بين الحضارات الثمانية التي حددها، خاصة الحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية، والتخوف من توحيد هذين الحضارتين ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

لهذا تركز الجهد الأمريكي في كل فترات التحولات الجيوبوليتيكية على إعادة صياغة البنية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط الكبير أو العالم الإسلامي في المنظور الأمريكي على اعتبار أنه المصدر الرئيس الذي يهدد المصالح الأمريكية.⁽³⁾

استندت الرؤية الجيوبوليتيكية للولايات المتحدة على تأطير حدود الشرق الأوسط الكبير المستند على بيئة ثقافية (دينية) من خلال إعادة هيكلة تلك البنية، ليس من خلال البنية الفوقية المتمثلة بالمقومات المادية للكيان الحضاري الإسلامي، بل يذهب إلى رسم استشراق جديد، ليس وظيفته قراءة الخطاب الديني وتشويهه، وإنما تفكيك ذلك الخطاب وتهميش لأجزاء منه لا تتوافق وحضارة الغرب على نحو يعمل

(1) - صاموئيل هنتنغتون، مرجع سابق، ص 63.

(2) - أحمد حسن، "الجيوبوليتيك ونظرية صدام الحضارات"، المجلة السياسة والدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة المستنصرية، العدد 8، 2008، ص 30.

(3) - المرجع نفسه، ص 34.

المشروع فيه على إعادة الهيكلية الثقافية للمنطقة، وتطبيق الفكر الحدائي بكل جزئياته على المجتمعات الإسلامية وهو لا يؤدي إلا إلى زيادة التوتر والتصعيد لهيمنة الخطابات الدينية المتشددة.⁽¹⁾

إن التحليل الجيوبوليتيكي لنظرية صدام الحضارات من خلال السلوك الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط يساعدنا على فهم المحاولة الأمريكية للهيمنة على العالم الإسلامي، التي تمثل للولايات المتحدة الأمريكية فرصة لتطويق أي كتل جيوسراتيجية يتشكل في آسيا ولاسيما وجود مناطق احتكاك وتماس جغرافي للعالم الإسلامي مع كيانات سياسية تؤهله للصعود مثل الصين والآسيان. كما يمنح الولايات المتحدة أيضا السيطرة على جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية والسيطرة على الحدود الروسية شمالا. فضلاً عن دورها في تحجيم دور الصين الرامي إلى الدخول في تفاعلات هذه المنطقة خاصة المجال الاقتصادي.⁽²⁾

(1)- أحمد حسن، مرجع سابق، ص 34.

(2)-، المرجع نفسه ، ص 39.

الفصل الثاني:
مستويات حضور القوى الكبرى في منطقة
الشرق الأوسط

مثلت منطقة الشرق الأوسط مجالاً حيويًا وساحة صراع ونفوذ ساخنة لمختلف القوى الاستعمارية قديماً وحديثاً، فكانت في فترة الحرب الباردة ساحة تنافس بين المعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الليبرالي، وبعدما انتهت الحرب الباردة، وانفردت الولايات المتحدة بالزعامة العالمية جعلت منها منطقة نفوذ أمريكي منفرد عن طريق التدخلات السياسية، والعسكرية في شؤون المنطقة بدءاً بالتدخل في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بإشرافها على مؤتمر مدريد للسلام، إلى غزو أفغانستان سنة 2001 والعراق 2003 بحجة الحرب على الإرهاب.

لكن التغيرات على الساحة الدولية وظهور قوى تقليدية أعادت ترميم وجودها في المشهد الدولي، وأخرى حديثة طامحة وطامعة للسيطرة على هذه الرقعة الجغرافية الحيوية، -لما لها من أهمية جيوبوليتيكية متنامية-، رفع مستويات الحضور وعدد الفواعل الدولية المنخرطة في التنافس الجيوبوليتيكي في منطقة الشرق الأوسط بين قوى كبرى فاعلة على المستوى العالمي، كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية وأخرى إقليمية تبحث عن دور في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها رقعة شطرنج إقليمية (إيران، تركيا، إسرائيل ودول خليجية).

المبحث الأول:

المسوغات الجيوبوليتيكية لتنافس القوى الكبرى العالمية في منطقة الشرق الأوسط

إن الخصائص الجيوبوليتيكية للشرق الأوسط جعلت منه نقطة تماس استراتيجي، وساحة تنافس جيوبوليتيكي بين مختلف القوى الكبرى القارية والبحرية، وهذا ما سنوضحه في هذا المبحث بالتطرق للأهمية الجيوبوليتيكية للشرق الأوسط في المدركات الاستراتيجية للقوى الكبرى العالمية والإقليمية.

المطلب الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط في مدركات القوى الكبرى العالمية

لا تتوقف أهمية الشرق الأوسط على موقعه الجغرافي المتوسط للقارات فحسب، وإنما هناك أهمية أخرى تتعلق بحسابات القوة والنفوذ والتأثير في السياسات الدولية، وكذا الأهمية الجيوبوليتيكية لهذه المنطقة في مدركات القوى الكبرى الاستراتيجية حيث سنتناول بالدراسة المسوغات الجيوبوليتيكية لروسيا والولايات المتحدة الأمريكية للاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط والعمل على الحضور في كل تفاعلاتها.

الفرع الأول: أهمية الشرق الأوسط بالنسبة لروسيا: بوابة العودة للساحة الدولية

تعد روسيا الإتحادية وريثة الإتحاد السوفييتي دولة كبرى لها طموحات توسعية ونفوذ في المجالات الحيوية سواء البرية أو البحرية، وتسعى لتحقيقها باستخدام جميع الوسائل، ولمعرفة الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط في المدرك الاستراتيجي الروسي يجب تتبع التطور التاريخي لأهمية المنطقة بالنسبة لروسيا.

فمنذ عهد قياصرة الروس كانت لهم توجهات نحو الشرق الأوسط، وذلك لأبعاد دينية واقتصادية وثقافية لأن حلم الروس كان السيطرة على المضائق البحرية الاستراتيجية التي تربط البحر الأسود والمياه الدافئة بالبحر المتوسط. وتعزيز النفوذ على المقدرات المسيحية في فلسطين، ولقد كان القياصرة يهدفون لإقامة علاقات مع العرب، ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبعدها الثورة البلشفية سنة 1917 انقطعت اتصالات روسيا مع المنطقة.⁽¹⁾

(1) - إيلاف نوفل أحمد العكيدى، الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط وأثرها على العلاقات الروسية الإيرانية، (عمان: دار الولاية للنشر والتوزيع، ط1، 2016)، ص 24.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت تزداد أهمية المنطقة في المدرك الاستراتيجي الروسي، إذ جعلها بمثابة المجال الحيوي للسوفييت إبان الحرب الباردة، ولكن من النقاط التي أثرت على إدراك السوفيات لمنطقة الشرق الأوسط اعترافها بإسرائيل كدولة في 14 ماي 1948 وما تلا ذلك من تداعيات على العلاقات الثنائية لما تعنيه فلسطين للعرب.⁽¹⁾ لكن سرعان ما استطاعت كسب صداقة الشعوب العربية بعد دعمها لثورة جوان 1952 في مصر والثورة الجزائرية، وبعد نهاية الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفييتي سنة 1989 تراجع الدور والاهتمام الروسي بمنطقة الشرق الأوسط، لأن روسيا تتخبط في مشاكلها الاقتصادية من جهة، وسيطرة التيار الأطلسي من جهة أخرى خلال فترة الرئيس بورييس يلتسين⁽²⁾ (1991.1999)، لأنه كان يرغب في توثيق العلاقة مع الغرب ورؤيته لروسيا أقل من أن تكون منافسا جيوبوليتيكا للولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.⁽³⁾

مع نهاية الحرب الباردة وسقوط الثنائية القطبية لم تختف الصراعات في الشرق الأوسط وأوراسيا، بل أن معطيات وعوامل جديدة ظهرت، أوجب الخلافات خاصة أن روسيا لم تستسلم للمقاربة الأحادية لقيادة العالم من طرف الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط مكانا أساسيا لارتدادات التجاذب وتبادل المنافع وهو بؤرة توتر دائمة ومسرح للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى.⁽⁴⁾ ولقد شكل وصول فلاديمير بوتين للحكم في جانفي سنة 2000 منعطفا حاسما، ونقطة تحول مركزية للاستراتيجية الروسية تجاه جوارها القريب والبعيد، لاسيما منطقة الشرق الأوسط تحديدا في فترة ولايته الثانية، إذ بدأت روسيا بالتقرب للمنطقة بأساليب جديدة، حيث قام الرئيس بوتين بزيارة رسمية للمنطقة سنة (2005.2007) وهذا ما هيا

(1) - إيلاف نوفل العكدي، مرجع سابق، ص 25.

(2) - بورييس نيكولايفتش يلتسن، بالانجليزية **Boris Nikolayevich Yeltsin** (فيفري 1931-أفريل 2007) كان أول رئيس لروسيا الاتحادية من 1991 إلى 1999. كان عهد حكم يلتسن فترة مظلمة في التاريخ الروسي الحديث لم يشهد الروس مثلها حتى أثناء الاحتلال النازي أثناء الحرب العالمية الثانية أو قبل الثورة البلشفية- وهي فترة شهدت انتشار الفساد، وانهيار اقتصادي هائل، والمشاكل السياسية والاجتماعية. للمزيد حول يلتسن اطلع:

Boris Yeltsin president of russia By The Editors of Encyclopaedia Britannica Last Updated: Jan 28, 2022, at <https://www.britannica.com/biography/Boris-Yeltsin>

(3) - إيلاف نوفل العكدي، مرجع سابق، ص 30.

(4) - ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر إلى فلاديمير بوتين، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2013)، ص 250.

الأرضية للعودة الروسية للساحة الدولية عبر البوابة الشرق أوسطية، نظراً لما تعنيه المنطقة من أهمية في المدرك الاستراتيجي الروسي.⁽¹⁾

حيث عمل بوتين بصورة ثابتة ومنتظمة لإعادة روسيا إلى الشرق الأوسط. وأصبح نهجه تجاه المنطقة امتداداً لرؤية رئيس وزرائه "بريماكوف"⁽²⁾ المتمثلة بعالم "متعدّد الأقطاب". وبالفعل، كان بريماكوف هو الذي قاد يلتسين إلى الاعتقاد، قبل اجتماعه مع بيل كلينتون في أبريل عام 1996، بأن الولايات المتحدة كانت تحاول تهميش روسيا في الشرق الأوسط.⁽³⁾

لقد كانت مصالح بوتين في المنطقة سياسية في المقام الأول، ولكنها كانت اقتصادية أيضاً. فقد حدّد "مفهوم السياسة الخارجية" لروسيا في جانفي عام 2000 أولويات موسكو في الشرق الأوسط على أنها "استعادة المراكز وتعزيزها، لا سيما تلك الاقتصادية"، وأشار إلى أهمية مواصلة تطوير العلاقات مع إيران. وأبرزت الوثيقة ذاتها "محاولات إنشاء هيكل علاقات دولية يقوم على هيمنة الدول الغربية المتقدمة في المجتمع الدولي تحت قيادة الولايات المتحدة". كما أن أحدث نسخة من هذه الوثيقة، الصادرة في نوفمبر 2016، سلّطت الضوء أيضاً على أهمية الشرق الأوسط في السياسة الخارجية الروسية واعتبرت أنّ "التدخل الخارجي" هو سبب رئيسي لعدم الاستقرار في المنطقة. وتظهر هاتان الوثيقتان معاً استمرارية في تفكير الكرملين حول دور كل من روسيا والغرب في المنطقة.⁽⁴⁾

على عكس الاتحاد السوفييتي، لا يرتبط نظام بوتين بأيديولوجية ما، بل يعمل بدلاً من ذلك على بناء علاقات مع كل جهة فاعلة رئيسية في المنطقة والمحافظة عليها. ومن خلال جهود بوتين، استعادت روسيا نفوذها السياسي والدبلوماسي والاقتصادي، مبرهنناً أنّ مقاربتة البراغماتية تفوّقت على مقاربة الاتحاد السوفييتي التي ركّزت على الإيديولوجيا. وبذلك يوازن بوتين بين علاقاته الجيدة مع القوى السنية والشيعية، وكذلك مع إسرائيل، بينما يفضّل القوى الشيعية المناهضة للولايات المتحدة في المنطقة.⁽⁵⁾

(1) - العكيدي، مرجع سابق، ص30.

(2) - يفيغيني بريماكوف (1929.2015) سياسي وصحفي سوفييتي، أوكراني المولد روسي الوظيفة، اشتغل بالصحافة خدمة للحزب الشيوعي فاكشف الشرق الأوسط وألف عنه عددا من الكتب، عمل في جهاز الاستخبارات أيام الاتحاد السوفييتي وبعد تفككه، ثم أصبح رئيساً لوزراء روسيا.

(3) - Anna Borshchevskaya, Russia in the Middle East: Is There an Endgame?, The Washington Institute for Near East Policy, p17, on:

<https://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/opeds/Borshchevskay20190123-CAP.pdf>.

(4) - Ibid, p17

(5) - Ibid, p17.

حيث تعتبر روسيا منطقة الشرق الأوسط منطقة جغرافية مجاورة لحدودها الجنوبية، كما أنه من المجالات الحيوية لأمنها القومي، ولها تأثير على الاقتصاد الروسي، فضلا على أن روسيا ترى في الشرق الأوسط عمقا استراتيجيا روسيا، وحديقة خلفية لها على أساس أنها بقعة أرضية متواصلة مع المساحة الأوراسية المترامية، وكانت دائما للأوراسية أبعاد عقائدية في ذاكرة الروس، حيث كانت تتطلع باستمرار إلى الجنوب والغرب، أكثر مما تتطلع إلى الشرق والشمال.⁽¹⁾

يشكل العامل الجغرافي من المصادر التي تدفع الدور الروسي في الشرق الأوسط إلى الأمام حيث قلنا أن القرب الجغرافي الروسي للشرق الأوسط واعتبار هذا الأخير الخاصرة الجنوبية الرخوة للأمن القومي الروسي ومن العوامل الجغرافية أيضا الممرات المائية، الاعتبار الدينية إضافة إلى العامل الاقتصادي. "كانت روسيا تعتبر في علم الجيوبوليتيك قلب العالم"⁽²⁾ ونظرا لأن الشمال الروسي متجمد فهذا ما دفع بروسيا دائما بالاهتمام بالجنوب المتنوع حضاريا ودينيا وثقافيا، كما أنه يحتوي على أراض وبحار وممرات مائية لها مدلولاتها في علم الجيوبوليتيكا.

خريطة رقم 5: موقع الشرق الأوسط بالنسبة لروسيا



المصدر: <https://www.google.com/search?q=> مع تعديلات الباحثة

(1) - ناصر زيدان، مرجع سابق، ص 250.

(2) - ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 232

توضح الخريطة موقع روسيا القاري من جهة ومساحتها الضخمة، لكنها تفتقر للإطلاقات البحرية الدافئة هذا ما جعلها ترى في منطقة الشرق الأوسط الظهير الجنوبي ومنفذ لا غنى عنه، وعمق استراتيجي روسي لا مجال للتنازل عليه في أي صراع جيوبوليتيكي مع القوى البحرية.

يتداخل في العلاقة بين روسيا ومنطقة الشرق الأوسط البعد الجيوبوليتيكي مع البعد الديني والاقتصادي، وتهدف كل السياسات الروسية للوصول إلى البحر المتوسط سعياً روسيا لإدارة شؤون المناطق الطرفية لأوراسيا rimland⁽¹⁾.

إذا كان عام 1989، قد وضع نهاية لفترة الحرب الباردة بين موسكو وواشنطن، فإن عام 2001، قد شكل أيضاً نهاية المرحلة الانتقالية في روسيا فيما يخص نظرتها للأحداث الدولية وتعاملها مع الولايات المتحدة. وقد تزامن ذلك مع وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى الكرملين، أين أقدم هذا الأخير على إصلاحات جذرية داخلية وخارجية في شكل استراتيجية منظمة لاستعادة مكانة روسيا كقوة عظمى⁽²⁾. ولو جزئياً في سياستها الدولية المعهودة في المناطق الحيوية بالنسبة لروسيا مثل منطقة الشرق الأوسط؛ كما أن أحداث الربيع العربي التي عصفت بالمنطقة العربية نهاية 2010 شكلت فرصة دسمة لروسيا البوتينية العودة للساحة الدولية ومنطقة الشرق الأوسط من خلال البوابة السورية للإعتبارات البراغماتية الروسية وهذا لتحقيق الأهداف والمصالح الروسية في منطقة الشرق الأوسط:

1. العمل على إنهاءك الولايات المتحدة استراتيجياً، وذلك بمنافستها ومزاحمتها في المناطق المهمة جيوبوليتيكية وأمريكا، خاصة منطقة الشرق الأوسط وذلك للاعتبارات الأمريكية في المنطقة، كما أنها تعمل على إقحامها في أكثر من منطقة من العالم لتشتيت القوة الأمريكية، وذلك نابع من الإدراك الروسي لإعادة حساب موازين القوى العالمية، وإن كانت روسيا على يقين بعدم قدرتها على التفوق على القدرات العسكرية والاقتصادية الأمريكية في الوقت القريب⁽³⁾.

2. رفض روسيا لأن تكون قوة عالمية من المستوى الثاني، إذ أنها تسعى لتحقيق مكاسب سياسية وممارسة دور أمني وعسكري ينافس الوجود الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، وتصر على إعادة

(1) - ناصر زيدان، مرجع سابق، ص 257.

(2) - يوسف رماش، روسيا الاتحادية في البيئة الأمنية الدولية: التحديات والمواقف، أطروحة دكتوراه علوم سياسية وعلاقات دولية (جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية، 2012/2016)، ص 197.

(3) - إيلاف نوفل أحمد العكيدي، مرجع سابق، ص 34.

تشكيل ميزان القوة العالمية من خلال استعادة الدور العالمي والإقليمي في مناطق العالم الاستراتيجية، وأحد أهم وسائلها التمركز العسكري حيث أعلنت روسيا بعد 2003 على وضع جزء من أسطولها البحري في البحر المتوسط كقوات لوجيستية في سوريا.⁽¹⁾

3. المصالح الاقتصادية الروسية في منطقة الشرق الأوسط، فقد استطاعت روسيا في عهد الرئيس بوتين من التوفيق بين أهدافها الاقتصادية والاستراتيجية السابقة الذكر والمتعلقة بالتنافس الجيوبوليتيكي الروسي الأمريكي، كما أن منطقة الشرق الأوسط تعتبر سوقاً رائجة ذات قوة استيعابية كبيرة للصادرات الروسية من السلع الأساسية (الآلات والمعدات والأجهزة والشاحنات والحبوب) فضلاً عن تجارة السلاح، فعلى سبيل المثال استلمت روسيا من إيران 80 مليون دولار لبناء مفاعل بوشهر السلمي كما تعهدت روسيا بتزويد 6 محطات جديدة بالتقنيات اللازمة.⁽²⁾

4. تعمل روسيا جاهدة لترسيخ صورة ذاتية جديدة لها كمركز أوراسي يربط بين أوروبا والصين. عقب التخلي عن كافة المساعي للانضمام إلى النظام السياسي العالمي الغربي وعلى إثر تلك المساعي، بات الشرق الأوسط مركزياً في الاستراتيجية الروسية وفي هذا السياق، تبرز أهمية دراسة "برونو ماسيس" المستشار لدى (London's Flint Global)، المعنونة: "مغامرة الطاقة الروسية الجديدة"، والمنشورة في دورية (The Cairo Review of Global Affairs)، الصادرة عن كلية الشؤون الخارجية والسياسة العامة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة. حيث يركز الكاتب على المصالح الروسية في الشرق الأوسط والمتعلقة بجيوبوليتيكا الطاقة وسوق السلاح، من خلال تدخلها في شؤون المنطقة كما لم يسبق للاتحاد السوفيتي أو الإمبراطورية الروسية خوض أية حرب في المنطقة العربية. ويمكن فهم ذلك في إطار الحروب الروسية في شمال القوقاز، وضد أفغانستان، وآسيا الوسطى. فانخرطت روسيا في النزاع السوري لم يكن متوقعاً، ولا يمكن فهمه بمعزل عن الكيفية التي تُعزز بها سوريا المصالح الاستراتيجية الروسية.⁽³⁾

⁽¹⁾- Amin Saikal, Albercht Schnabe, Democratization in the Middle east: experiences, struggles, challenges, the united nation university, new York, usa, 2008, pp107-108 ص 35.

⁽²⁾- نورهان الشيخ، "السياسة الروسية وحدود الدور في الشرق الأوسط"، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 65، 2013، ص 27 في العكيدي، مرجع سابق، ص 34.

⁽³⁾- Bruno Mações, "Russia's New Energy Gamble: Russia Seeks to Position Itself as a Leader among Energy-Producing Equals in Eurasia", *The Cairo Review of Global Affairs*, No. 28, Winter 2018, pp. 56-63.

5. تأكيد العودة الروسية للمساحة الدولية: لقد وصفت مجلة التايمز الإتحاد السوفييتي في أعوامه الأخيرة بأنه قوة عظمى صغرت حد التسول كما علقت الأستاذة "أنيتا تيراسبولسكي" (Anita tiraspolsky) على انسحاب الإتحاد السوفييتي سابقا واختفاء نفوذه من أوروبا الشرقية بأنه انهزام جيوسياسي، اقتصادي وثقافي، بل أن الأمريكي "ريتشارد بايب" (Richard Pipe) قال إن الجيش الأحمر صاحب المكانة الأولى عالميا قد وجد نفسه مهزوما بطريقة لا مثيل لها في التاريخ، فقد جرت العادة أن تهزم الجيوش في المعارك لكن الجيش الروسي هزم دون حرب، كل ذلك جعل "هنري كيسنجر" (Henry Kissinger) يجزم بأن الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" يعلم أن روسيا أضعف من أن تسمح لنفسها بالانطلاق في منافسة إستراتيجية مع الولايات المتحدة، ومن هنا ينبع بحثها عن المصالحة والتقارب مع أمريكا⁽¹⁾.

لكن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والجيوبوليتيكي الكسندر دوغين الذي وصفته أوساط عالمية كثيرة أنه العقل الجيوبوليتيكي الأول الذي يقف وراء التوجهات الاستراتيجية لروسيا المعاصرة،⁽²⁾ عمل على خلق مكانة لروسيا في مصاف القوى الكبرى الموازية لأمريكا والمنافسة لها في مخرجات التفاعلات الدولية.

6. فك الحصار للوصول إلى المياه الدافئة: تعتبر روسيا كتلة برية ضخمة جدا لكنها معزولة عن المياه الدافئة ومحاطة بالمياه المتجمدة، لهذا رأت السياسات الروسية ضرورة فك هذا الحصار الطبيعي وإقامة علاقات صديقة مع الدول ذات الموقع الجيوبوليتيكي بالنسبة لروسيا، كما أن الولايات المتحدة تريد محاصرة روسيا وهذا بتوسيع حلف الناتو إلى دول أوروبا الشرقية، دول البلطيق وأوكرانيا، فضلا عن ذلك اعترفت الولايات المتحدة باستقلال كوسوفو 2008، وساعدت جورجيا وأوكرانيا، كما نشرت قواعد صواريخ في بولونيا وتشيكيا، مثل هذا الإدعاء بوجود محاصرة أكده الوزير الأول الروسي "ديمتري ميدفيدف" في قمة ميونيخ حول سياسة الإتحاد الأوروبي في تدعيم الشراكة مع الجمهوريات السوفييتية السابقة في ألمانيا فيفري 2016 حيث أعلن أن الغرب أنشأ حزام إقصاء لروسيا.⁽³⁾

(1) - شامة خير الدين، أبعاد التدخل العسكري في سوريا، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، العدد الأول، جانفي 2016، ص 14.

(2) - جلال خشيب، الجيوبوليتيكا الروسية الحديثة والمعاصرة بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 98

(3) - شامة، مرجع سابق، ص 17.

7. أرادت روسيا أن تثبت أنها قادرة على حماية مصالحها في الخارج البعيد والخارج القريب (أوكرانيا)، وفي إطار البحث عن فك الحصار والوصول للمياه الدافئة يقول "بيير بيارنيس" (Pierre Biarnes) "التاريخ الروسي حركه دائما هدفان، إرادة قوية في التقدم والنمو لتجاوز الخصم أوروبا والولايات المتحدة فيما بعد، وطموح إلى مد الحدود إلى أبعد حد ممكن باتجاه المياه الدافئة، البلطيق وبحر الشمال والبحر الأسود، بل أبعد من ذلك باتجاه البحر المتوسط⁽¹⁾.

من خلال التعرف على المسوغات الجيوبوليتيكية للاهتمام الروسي بمنطقة الشرق الأوسط، وما تعنيه للسياسة الخارجية الروسية في مرحلة العودة للساحة الدولية، نلاحظ مدى أهمية الإنخراط الروسي في كل شؤون المنطقة، وعدم السماح للفواعل الأخرى المنافسة من مزاحمتها على منطقة الشرق الأوسط التي تعتبرها روسيا حديقته الخلفية، وخاصة الأمن القومي الروسي الرخوة التي وجب وضعها تحت المراقبة والسيطرة في أي صراع جيوبوليتيكي بين القوى الكبرى.

الفرع الثاني: أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية

تحتل منطقة الشرق الأوسط مكانة جيوبوليتيكية في الحسابات الاستراتيجية للدول الكبرى، ويرجع هذا لعدة اعتبارات، غير أن تحديد مكانتها في المدرك الاستراتيجي لدولة معينة يختلف كل الاختلاف عن مكانتها لدولة أخرى، فهو يرتبط بقوة هذه الدولة ومكانتها في الساحة الدولية.

لذا فإن المكانة الجيوبوليتيكية التي تحتلها منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ترتبط بالمصالح الأمريكية في المناطق الساخنة وأمنها القومي الممتد إلى كل العالم بعد نهاية الحرب الباردة حسب جون كيفر في كتابه "الحقائق والقوى العالمية" Réalist world power حيث يعتبر بأن العالم بأسره مجالا حيويا للولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب الباردة⁽²⁾. حيث وسعت الولايات المتحدة وجودها الأمني في المنطقة في تسعينيات القرن الماضي لاحتواء نظام صدام حسين بالعراق ونظام رجال الدين في إيران. في الوقت نفسه، انخرطت واشنطن في جهود نشطة ومستمرة، - لكنها باءت بالفشل في نهاية المطاف- لإحلال السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب. وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 ازداد الحضور الأمريكي في المنطقة؛ حيث عمقت الولايات المتحدة علاقاتها التعاونية مع الدول الحليفة

⁽¹⁾ - Pierre Biarnes, *le 19 siecle ne sera pas American*, (paris: édition du roches, , 1998), p187.

⁽²⁾ - محمد أحمد عقلة المؤمني، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا في القرن الواحد والعشرين، (الأردن: دار الكتاب الثقافي 2009) ص24.

في المنطقة (مصر والأردن) من أجل محاربة الإرهاب، ودفعت لإقامة علاقات أكثر شمولاً مع أنظمة تعتبر معادية لأمريكا؛ مثل اليمن وليبيا.

وفي عام 2003 قامت الولايات المتحدة بغزو العراق، واستمر تواجدها حتى نهاية عام 2011.⁽¹⁾ وبعد ذلك عندما غادرت القوات الأمريكية العراق، هز ما يسمى بـ "الربيع العربي" المنطقة، وأطاح بحلفاء الولايات المتحدة منذ فترة طويلة في مصر وتونس واليمن، وخلق انزلاقات أمنية في العديد من دول المنطقة أبرزها سوريا. على الرغم من أن إدارة أوباما قامت بحملة أمنية عسكرية في المنطقة، بعد تقدم تنظيم الدولة الإسلامية عام 2014 في العراق، فقد بدأت الضربات الجوية ضد قوات الدولة الإسلامية وكثفت جهودها للعمل مع الحلفاء الإقليميين والشركاء المحليين ضد التنظيمات الإرهابية.⁽²⁾

وهذه التفاعلات والاستراتيجيات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط هي في النهاية لحماية مصالحها الجيوبوليتيكية الثابتة في المنطقة المتمثلة في الحفاظ على إمدادات النفط وأمن إسرائيل وكذلك محاربة الإرهاب الذي يهدد الأمن القومي الأمريكي باعتباره يشمل كل العالم.

أولاً: أسس الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط: ما من شك أن الولايات المتحدة تصوغ استراتيجيتها في مناطق العالم المختلفة، ومنها منطقة الشرق الأوسط على هدي مرتكزات أساسية تحاول من خلالها تمرير سياساتها الخارجية بغية تحقيق الأهداف النهائية لمصالحها القومية، ولأن منطقة الشرق الأوسط من بين تلك المناطق المفصلية في تحقيق تلك الأهداف فقد خصها الخطاب الأمريكي بنوع من الاستثنائية لا سيما بعد التحول الحاصل في النظام الدولي منذ انتهاء الحرب الباردة.⁽³⁾

1. الأساس الإيديولوجي: يندرج تحت هذا الأساس اعتبارين أساسيين وهما:

أ. الإعتبار الديني: لا يمكن عزل الظاهرة الدينية عن نطاقها التاريخي، إذ لا وجود لأي ظاهرة مهما كان شكلها أو مضمونها إن لم تقع ضمن السياقات التاريخية التقليدية، وضمن هذه الطروحات يصبح من الطبيعي أن يتلازم الخطاب الديني في بعده الفلسفي والوظيفي مع التوجهات الاستراتيجية

⁽¹⁾- Daniel Byman and Sara Bjerg Moller, The United States and the Middle East: Interests, Risks, and Costs, This chapter will appear in: *Sustainable Security: Rethinking American National Security Strategy*, edited by Jeremi Suri and Benjamin Valentino. Copyright © 2016 The Tobin Project on: www.tobinproject.org PDF, p1.

⁽²⁾- Ibid, p1.

⁽³⁾- حسين حافظ وهيب، استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد 46، بغداد: مركز الدراسات الدولية، 2010، ص51.

العامّة للدولة، حتى بالنسبة لتلك الدول التي تتادي بفصل الدين عن الدولة ووظفت فيما بعد الخطاب الديني في اتجاهات متلازمة مع سياسة الدولة خاصة إذا كان هذا التوجه لا يتعارض مع المصالح العليا للدولة، ومنه فإن المبررات الدينية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمضامين السياسية والاقتصادية والأمنية للإستراتيجية الأمريكية، كما وأنها نهضة تركز لاهوتي قائم على ميتافيزيقيا يمتزج فيها فعل الإنسان بفعل الله وعليه أصبحت التحركات الأمريكية تتحرك وفق أبعاد دينية وعقائدية تجاه الشرق الأوسط خاصة وأن الديانة السائدة في المنطقة الإسلام.⁽¹⁾

ب. **الإعتبار الفلسفي:** يقول في هذا الشأن المستشار الأسبق للأمن القومي الأمريكي "زيبغنيو برجينسكي" بأن الإسقاط الخارجي للديمقراطية الأمريكية ينسجم مع المسؤولية شبه الإمبريالية ويمكن للقوة المهيمنة الدفاع عن الديمقراطية، بل تعزيزها لكن يمكن أيضاً تهديد الديمقراطية في المحور الأول إذا طبقت في الخارج بطريقة تراعي طموحات الآخرين وحقوقهم لكن في المحور الثاني إذا اعتمدت الشعارات الثقافية في الديمقراطية.⁽²⁾

2) الأساس الجيوستراتيجي:

أ. **الإعتبار الجيوبوليتيكي:** يشكل الشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وحدة جيوبوليتيكية ورقعة شطرنج إقليمية واضحة، وإن تضمنت أكثر من منطقتين متميزتين؛ هما جوار إسرائيل والخليج النفطي، وتختلف كل واحدة منهما من حيث وظيفتها الجيو-سياسية والجيو-عسكرية، إذ تتنازع هذه المنطقة على عوامل عدة أكثرها بروز عاملان أحدهما جغرافي والآخر بنيوي اقتصادي وسياسي وأمني وأي من هذه العناصر يشكل أهمية خاصة للولايات المتحدة الأمريكية.

ب. **الإعتبار الجيو اقتصادي:** هناك ثلاثة عناوين رئيسية تجعل من منطقة الشرق الأوسط مرتكزا جيو اقتصاديا بالغ الخطورة على الإقتصاد الأمريكي هذه العناوين هي: حماية الإقتصاد الأمريكي من أي هزة قد يتعرض لها نتيجة انقطاع تدفق النفط أو حتى إرتفاع أسعاره بشكل كبير بسبب الطلب المتزايد عليه، ثانيا الحفاظ على هذا المستوى والنمط لأي تهديد مهما كانت الكلفة، ثالثا التحكم بأسعار النفط وتوزيعه، ومن ثم التحكم بعصب اقتصاديات الدول الصناعية المنافسة لها.⁽³⁾ وتستعمل

(1) - حسين حافظ وهيب، مرجع سابق، ص 53.

(2) - المرجع نفسه، ص 57.

(3) - المرجع نفسه، 60

الاستراتيجيات الأمريكية المتعاقبة في منطقة الشرق الأوسط هذه الاعتبارات لتحقيق أهدافها والحفاظ على مصالحها في منطقة الشرق الأوسط.

ثانياً: الأهداف والمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط

إن القضايا التاريخية الكبرى التي تتمثل في الحفاظ على التفوق الذاتي في ظل المنافسة على القوة الشاملة للدولة، وكيفية إحراز مكانة مناسبة بين القوى في ظل بناء منظومة عالمية في المستقبل، كانت مطروحة أمام حكومات الدول دون استثناء، وفي ظل مكانة الشرق الأوسط المهمة سياسياً واقتصادياً، وانتهاء الحرب الباردة؛ شهدت هذه المنطقة صراعاً وتنافساً على الموارد رغم أن نهاية الحرب الباردة جاءت بتغييرات هيكلية على البنية الدولية لكن صراع النفوذ والموارد لا يزال قائماً. (1)

كانت الولايات المتحدة القوة العالمية الكبرى التي تهدف للحفاظ على مكانتها، وذلك بالانخراط في كل صراعات المنطقة للحفاظ على تدفقات الموارد الشرق أوسطية واستمرار سيطرتها. وفي هذا الصدد تنطبق مقولة الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون، إننا لا نذهب إلى خارج الولايات المتحدة دفاعاً عن الديمقراطية أو الشرعية الدولية أو لمحاربة الدكتاتورية، بل "نذهب إلى هناك لأننا لن نسمح بأن تمس مصالحنا الحيوية". (2) إن المصلحة الوطنية هي أساس أي رؤية للاستراتيجية للقوى الكبرى، وهي مفهوم مركب وديناميكي وخاصة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فهو مركب لأن لها مصالح كثيرة ذات أبعاد عديدة في الأوساط، يمكن قياسها (النفط)، وبعضها معنوي محسوس غير قابل للقياس (إسرائيل) قد عبر عن هذه المصالح مفكرون وسياسيون أمريكيون بارزون على رأسهم "ريتشارد هاس" (3)

(1) - وانغ جينغ ليه، رؤية تحليلية لاضطرابات الشرق الأوسط، ترجمة، أمينة عز الدين، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2013)، ص195.

(2) - خالد هنية، الاستراتيجية الأمريكية بالشرق الأوسط في ظل القوى الصاعدة، من الموقع: <https://www.aa.com.tr/> تصفح الموقع يوم 26.04.2020. على الساعة 11:00.

(3) - ريتشارد هاس عمل هاس في وزارة الدفاع من 1979 إلى 1980، وفي وزارة الخارجية من 1981 إلى 1985، وكان مساعداً خاصاً لرئيس الولايات المتحدة جورج بوش من 1989 إلى 1993 والمدير الأول لمجلس الأمن القومي للشرق الأدنى شئون جنوب آسيا. شغل هاس العديد من المناصب الأخرى، حيث كان نائب الرئيس ومدير دراسات السياسة الخارجية بمعهد بروكينغز، كما أنه أحد كبار مشاركي معهد كارنيجي للسلام الدولي، ومحاضر في السياسة العامة بجامعة هارفارد، وزميل باحث في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية. للمزيد اطلع:

https://www.aljazeera.net/author/richard_hass_

و"مارتن أنديك"⁽¹⁾ "إن الهدف الأساسي للإستراتيجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرون، هو إدماج دول ومنظمات أخرى في الترتيبات التي ستدعم عالما يتسق مع المصالح والقيم الأمريكية"⁽²⁾ ريتشارد هاس "إن المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية هي النفط وإسرائيل واستقرار المنطقة"⁽³⁾.

أما المصلحة كونها مفهوما ديناميكيا متطورا فتعني أنها تتضمن عناصر ثابتة وأخرى قابلة للتغير مع تغير النخبة الحاكمة، أو تغير هيكل موازين القوى، وهذا ما حصل بعد الحرب الباردة وترسخ بعد 11 سبتمبر 2001، فلولايات المتحدة الأمريكية عدة مستويات للمصالح والإستراتيجيات في الشرق الأوسط تتراوح بين حد أدنى هو الدفاع عن النفط وإسرائيل وحد أقصى هو التمدد الإمبراطوري، إذ يبقى الحد الأدنى مجرد أداة لتحقيق الحد الأقصى والمصالح القومية العليا.⁽⁴⁾

كتب خبير العلاقات الدولية، آرون ميلر، مقالة في مجلة "السياسة الخارجية" عام 2012 حول مصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، حيث حصر الكاتب هذه المصالح بشكل رئيسي في حماية مصادر الطاقة، وحماية أمن إسرائيل، ومكافحة الإرهاب. لكن التطورات الحاصلة في منطقة الشرق الأوسط على الصعيدين الخارجي والداخلي تجعل من إعادة نقاش هذه المصالح بعيدا عن المنظور الأمريكي الصرف أمرا ضروريا.

حدد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الأهداف الرئيسية لأمريكا في منطقة الشرق الأوسط؛ وهي أهداف تخص الحاضر والمستقبل الأمريكي حسب كلينتون؛ حيث يركز على النفط وإدامة تدفقه دون عوائق وبأسعار معقولة ومستقرة، ومنع بروز أي قوة إقليمية بمقدورها تهديد أو منافسة النفوذ والمصالح

(1) - مارتن أنديكهو نائب الرئيسي للشؤون الخارجية في معهد بروككنغرفي واشنطن كان أنديك سفيراً للولايات المتحدة في إسرائيل ومساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى أثناء إدارة بيل كلينتون للمزيد اطلع: مارتن أنديك، المعرفة من الموقع:

<https://www.marefa.org>

(2) - وفاء بوكابوس، "أهمية الشرق الأوسط في ميزان القوى الدولي والإقليمي"، في عبلة مزوزي، محمد بلعيشة، الثقل الآسيوي في السياسة الدولية محددات القوة الآسيوية، (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2018)، ص 47.

(3) - المرجع نفسه، ص 48.

(4) - المرجع نفسه، ص 48.

الأمريكية في المنطقة بالإضافة إلى حماية إسرائيل واستمرارها حليفاً استراتيجياً للولايات المتحدة، ومكافحة التنظيمات الإرهابية المهددة لأمن أمريكا وحلفائها في المنطقة.⁽¹⁾

زادت أهمية منطقة الشرق الأوسط بما فيها منطقة الخليج العربي في المدرك الاستراتيجي الأمريكي ومن ضرورة السيطرة عليها، على اعتبارها مجالاً متقدماً يحمل من المعطيات الجيوبوليتيكية ما يؤهل من يتحكم فيه تأكيد تفوقه على بقية الفواعل الدولية

أ. مصادر الطاقة:

"من يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على النفط العالمي ومن يسيطر على النفط العالمي يسيطر على الاقتصاد العالمي"⁽²⁾ انطلاقاً من هذه المقولة الجيوبوليتيكية حددت الولايات المتحدة نفط الشرق الأوسط أولوية في سياساتها في المنطقة ومصصلحة أمريكية لا مجال للتنازل عنها في ظل تزايد الطلب العالمي على الموارد الطاقوية. حيث يلعب نفط الشرق الأوسط أحد أهم الأسباب التي تدعو الولايات المتحدة للإنخراط في كل تفاعلات المنطقة، وعدم الإبتعاد عنها، وهذا بفضل الأنظمة الموالية للولايات المتحدة التي تشكل حليف أمريكا في الشرق الأوسط وتسعى للدعم الأمريكي سواء على المستوى الدبلوماسي أو العسكري أو الاقتصادي.⁽³⁾

لقد أدت أزمة النفط الأولى عام 1973 (أكتوبر 1973 – مارس 1974) إلى رفع قيمة النفط الخام من 3 دولارات إلى 12 دولار للبرميل، وتم حظر تصدير النفط العربي إلى خمسة دول على رأسها الولايات المتحدة بسبب إمدادها لإسرائيل بالسلاح أثناء حرب أكتوبر 1973. منذ ذلك الحين، دأبت السياسة الخارجية الأمريكية على تحييد النفط كسلاح قد يستخدم ضدها بالرغم من أن الاعتماد الأمريكي على النفط العربي قد بدأ في الانحسار. كما أن أزمة النفط الثانية التي واكبت الثورة الإيرانية عام 1979 أرست قناعة لدى صانع القرار الأمريكي بأن أي اضطراب خارج عن السيطرة في أي دولة رئيسية من الدول المصدرة للنفط ستكون له نتائج سلبية على الاقتصاد العالمي، وبالتالي سيتأثر الاقتصاد الأمريكي سلباً. لذلك فإن القوات العسكرية الأمريكية المتمركزة برا وبحرا في منطقة الخليج لن تتوانى عن التدخل

(1) - محمد طالب حميد، العلاقات الإيرانية الأمريكية توافق أو تقاطع، (لبنان، العربي للنشر والتوزيع، 2016) ص52.

(2) - حسين حافظ وهيب، مرجع سابق، ص 60-61.

(3) - Patrick Clawson and Simon Henderson, Energizing Policy: America and the Middle East in an Era of Plentiful Oil, Copyright 2020 The Washington Institute - printed with permission, Policy Focus 146, July 2016, p1.on file:///C:/Users/DELL/Downloads/energizing-policy-america-and-the-middle-east-in-an-era-of-plentiful-oil-en.pdf

العسكري ضد أي دولة أو جماعة تحاول إعاقة تدفق النفط إلى الدول المستهلكة. تبعاً لذلك، فإن إيران لا تحاول استثارة الولايات المتحدة، وإن كانت تطمح إلى استخدام موقعها الجغرافي المؤثر على تدفق النفط عبر مضيق هرمز كرد على استخدام النفط كسلاح سياسي من قبل المملكة العربية السعودية.

لكن تبقى هذه الحرب البينية عديمة التأثير السلبي على مصالح الولايات المتحدة ما دام الإمداد النفطي مستمراً.⁽¹⁾ في المقابل، فإنه من غير المرجح أن تستخدم دول الشرق الأوسط النفط كسلاح ضد الولايات المتحدة، كما حدث في سبعينيات القرن الماضي، وذلك لأن هذه الدول تعتمد على النفط كمصدر رئيسي لميزانياتها، وأي منع لتصدير النفط سيؤدي إلى تآكل الاحتياطي النقدي الأجنبي لدى هذه الدول، ومن ثم التسبب بأزمات اقتصادية قد تؤدي إلى تغيير سياسي. وبالتالي فإن الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط يحمي التدفق النفطي في حالات خارجة عن الحساب، وخارجة أيضاً عن إرادة الأنظمة الحاكمة، أو في حال تطور الحرب بين دول المنطقة إلى مواجهات مباشرة.⁽²⁾

ب. منع الانتشار النووي:

إن منع انتشار الأسلحة النووية يمثل مصلحة مركزية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط وغالبا ما يستشهد به قادة أمريكيين في الشرق الأوسط حيث تهدف الولايات المتحدة الأمريكية إلى منع أي دولة معادية من اكتساب قوة كافية لتهديد المصالح الأمريكية فيما يتعلق بأمن النفط، لكن هذه القضية تتطوي أيضاً على مخاوف تتعلق بأمن إسرائيل، كما أنها تتخوف من الانتشار النووي في المنطقة لا سيما فيما يتعلق بالأنظمة "المارقة" أو المعادية للسياسات الأمريكية.⁽³⁾ وهنا إشارة إلى إيران وعراق صدام حسين.

على الرغم من امتلاك إسرائيل لبرنامج نووي إلا أن الولايات المتحدة لا تعتبره تهديداً للمصالح الأمريكية لأن إسرائيل حليفة. كما يطمئن المسؤولون الأمريكيون من حقيقة أن إسرائيل لم تستخدم الأسلحة النووية حتى عندما تم تهديد أمنها في حرب 1973. اعتبرت الإدارات الأمريكية المتعاقبة إسرائيل فاعلاً مستقرًا وعقلانياً لديه قدرات عسكرية مهمة تضمن القيادة والسيطرة على استقرار المنطقة.⁽⁴⁾

(1) - منار محيسن، المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط: الواقع والصورة النمطية، من الموقع:

<https://arabi21.com/story/908040> تم تصفح الموقع يوم 26.04.2020 على الساعة 11: 20

(2) - المرجع نفسه

(3) - Daniel Byman and Sara Bjerg Moller, op,cit , p13.

(4) -Ibid, p14.

في حين تعتبر البرنامج النووي الإيراني تهديدا للأمن الأمريكي في المنطقة، خاصة بعد أن طورت طهران برنامجاً نووياً مكثفاً، وقامت بتخصيب اليورانيوم إلى عشرين بالمائة رغم العقوبات الأمريكية الشاملة المفروضة عليها، مما أدى بإيران الجلوس لطاولة المفاوضات مع الولايات المتحدة سنة 2015 لتوقيع اتفاق خطة العمل الشاملة المشتركة التي تهدف إلى حل برنامج الأسلحة النووية الإيراني مقابل تخفيف العقوبات.⁽¹⁾

وهذا لأن الولايات المتحدة ترى في امتلاك قوة إقليمية شرق أوسطية لبرنامج نووي من شأنه أن يؤدي إلى ما يسمى الانتشار "التفاعلي" أو "الانتقائي"؛ أي أنه عندما تمتلك دولة معينة لسلح نووي يؤدي إلى رد فعل من القوى المجاورة، وبالتالي زيادة عدد القوى النووية بشكل كبير. يُشار إلى كل من المملكة العربية السعودية وتركيا ومصر ودول إقليمية أخرى. ما من شأنه تهديد المصالح الأمنية والاقتصادية لأمريكا في الشرق الأوسط⁽²⁾

ج. أمن إسرائيل:

منذ ستينيات القرن الماضي، ربطت الولايات المتحدة علاقات وثيقة، وبشكل متزايد مع دولة إسرائيل. وقد أعلنت الإدارات الأمريكية المتعاقبة أن أمن إسرائيل يمثل مصلحة وطنية مهمة لأمريكا. حيث يقوم هذا التحالف على ثلاث ركائز: المصالح الأمنية والقيم المشتركة والدعم المحلي.⁽³⁾ وطالما عارضت الولايات المتحدة وإسرائيل الأعداء المشتركين في منطقة الشرق الأوسط سواء في فترة الحرب الباردة (الإتحاد السوفييتي)، والأنظمة الموالية (مصر الناصرية وعراق صدام) أو ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من إرهاب، وجماعات متطرفة تهدد أمن إسرائيل في المنطقة، و طالما اعتبرت الولايات المتحدة أن إسرائيل جزيرة الديمقراطية في البحر التسلطي الشرق أوسطي. لذا ترى الولايات المتحدة أنه من واجبها الدفاع على إسرائيل، وهذا حفاظا على قيمها والعلاقات المثبتة بين الشعبين والحكومتين.⁽⁴⁾

حيث أيّد الأمريكيون بقوة العلاقات الوثيقة مع إسرائيل، وحسب استطلاع الرأي لعام 2015 فإن أكثر من سبعين بالمائة من الأمريكيين ينظرون إلى إسرائيل بشكل إيجابي، ويقدمون لها دعم كبير عكس الكثير من الدول في الشرق الأوسط، رغم أن هناك نقد شديد داخل الأوساط الأكاديمية الأمريكية ضد

(1)- James Jeffrey, "U.S. Policy and Strategy in the Middle East, policy analysis", Congressional Testimony, Dec 14, 2017, p3.

(2)- ibid, p3.

(3)- Daniel Byman and Sara Bjerg Moller, op,cit, p15.

(4)- Ibid pp15-16.

تصنيف أمن إسرائيل على أنها مصلحة أمريكية حاسمة؛ فحسب "جون ميرشايمر" John Mearsheimer و"ستيفن والت" Stephen Walt، فإن إسرائيل مذمومة على نطاق واسع في العالمين العربي والإسلامي، وبالتالي فإن العلاقات الأمريكية الوثيقة بإسرائيل والدعم الواسع لسياساتها يخلق للولايات المتحدة أعداء جدد في المنطقة.⁽¹⁾

د. الحرب على الإرهاب: لم تكن هجمات 11 سبتمبر 2001، مجرد عملية إرهابية، بل إنها شكلت قفزة نوعية بالغة الأهمية في أشكال وآليات الصراع الدولي، وتسببت في إعادة تشكيل السياسات الخارجية للدول الكبرى بما يتضمن ذلك إعادة تعريف أدوار هاته السياسات ولا سيما منها العسكرية، ومن ذلك وضعت الولايات المتحدة هدفاً معيناً وهو مكافحة الإرهاب، ومعاقبة الدول التي ترعاه باعتباره الهدف الرئيسي للسياسة الخارجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.⁽²⁾ ولقد جاء هذا في خطاب الرئيس الأمريكي بوش الابن سنة 2002 "لن أنتظر على الأحداث فيما يدهم الخطر، ولن أقف متفرجاً فيما تقترب التهلكة أكثر فأكثر... إن حربنا على الإرهاب قد بدأت فعلاً، ولكنها ما تزال في بدايتها، إن هذه الحملة قد لا تنته في زمننا ولكنها يجب أن تثن في زمننا...إننا لا نستطيع أن نتوقف فجأة إن التاريخ يهيب بالولايات المتحدة وبحلفائها أن تعمل، وإنه لمن مسؤوليتنا أن نحارب حرب الحرية"⁽³⁾

فلقد أعطت هجمات 11 سبتمبر 2001 الأولوية للولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب في سياستها تجاه الشرق الأوسط، بالتعاون مع أنظمة صديقة للولايات المتحدة في المنطقة مثل مصر والأردن والمملكة العربية السعودية واليمن، التي تحظى بتقدير خاص لتعاونها في مكافحة الإرهاب، ووسعت واشنطن علاقاتها مع دول مهملتها سابقاً مثل الجزائر. حيث ضغطت كل من إدارتي جورج بوش الابن وأوباما بقوة من أجل قمع تمويل الإرهاب ودعم الحركات الجهادية بشكل عام في المنطقة.⁽⁴⁾

كما حددت الإدارات الأمريكية القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية والحركات المرتبطة بها بمثابة ثلاث فئات من التهديدات الأمنية للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، وهذا لأن هذه الحركات قد تخطط

⁽¹⁾-Daniel Byman and Sara Bjerg Moller, op,cit, p17.

⁽²⁾- إيناس شيباني، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارتي جورج بوش الأب والإبن، دراسة تحليلية مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص دبلوماسية وعلاقات دولية جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2009/2010، ص 60.

⁽³⁾- نصير عاروري، "حملة جورج بوش المناهضة للإرهاب"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 284، 2002، ص ص 54-58.

⁽⁴⁾- Daniel Byman and Sara Bjerg Mollerop, cit, p21.

لشن هجمات مباشرة على أهداف أمريكية، أو لحلفائها سواء في المنطقة أو خارجها. وهذا على اعتبار الأعمال الإرهابية التي عرفتتها أمريكا، وبعض الدول الأوروبية منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، وكانت تنسب لتنظيم القاعدة، كما أن ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام أعاد المخاوف الأمنية لدى المسؤولين الأمريكيين، حيث حذر مدير مكتب التحقيقات الفدرالي **جيمس كومي James B. Comey** بقوله "تتذكر جميعا الخط الممتد من أفغانستان في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي حتى تفجيرات 11 سبتمبر 2001، ويضيف كومي " كلنا نرى سوريا اليوم، والأمر قد يكون أسوأ وهذا لسهولة السفر إليها والعودة منها (الشباب الأمريكي والأوروبي المسلم)، وسيكون هناك شتات خارج سوريا في مرحلة ما وهذا، ما يقد يؤدي إلى بناء خط إرهابي من سوريا اليوم إلى حادي عشر سبتمبر آخر مستقبلاً".⁽¹⁾ يوضح التركيز الأمريكي على مقاومة الحركات الإرهابية في منطقة الشرق الأوسط التخوف الأمريكي والأوروبي من تداعيات الإرهاب سواء في الوقت الراهن، أو مستقبلاً بتشكلات تهدد الأمن القومي الأمريكي مستقبلاً، مع أن الأعداد والتخوف مبالغ فيه من طرف أمريكا لأن غالبية هؤلاء الشباب يفضلون البقاء في مناطق الصراع ويفجرون أنفسهم كانتحاريين.

وقد اعتمدت الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ أحداث 11 سبتمبر استراتيجيات لمكافحة الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، وجعلت منه أولوية لتحقيق الأمن القومي الأمريكي، سواء في إدارة بوش وحرابه المعلنة ضد الإرهاب في الشرق الأوسط، وما تلاها من غزوه لأفغانستان والعراق، أو في إدارة الرئيس أوباما الذي تحدث في الخطاب الذي ألقاه يوم 23 ماي 2013 عن مستقبل مكافحة الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط في ظل ولايته الثانية، وذكر فيه أن أهداف مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط تتمثل في تفكيك الشبكات الإرهابية التي تمثل خطراً مباشراً على الولايات المتحدة، وتبعاً لذلك فإن دحر الإرهاب في المنطقة من أولويات الأمن القومي العليا عند الرئيس أوباما.⁽²⁾

(1) - Sari Horwitz, Adm Goldman, National Security, FBI Director: Number of Americans traveling to fight in Syria increasing, May 2, 2014, on <https://www.washingtonpost.com>, visited the 18 /06/2020.

(2) - فوزية الفرجاني، **مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط (2013/2016)** دراسة في الاستراتيجية الأمريكية الشاملة، في الشرق الأوسط في ظل أجنادات السياسة الخارجية الأمريكية دراسة تحليلية للفترة الانتقالية بين حكم أوباما وترامب، مؤلف جماعي، تحرير هادي الشيب، (برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2017) ص 136.

ولقد اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية في استراتيجيتها لمكافحة الإرهاب-فترة حكم أوباما- على القوة الذكية **Smart Power**، وذلك بالجمع بين القوة الصلبة والقوة الناعمة.⁽¹⁾ التي من شأنها تحقيق المصالح الأمريكية المتصلة بالأمن والقيم والنظام الدولي؛ ففي مجال الأمن تمثل مكافحة الإرهاب جزء من أهداف أمنية أخرى مثل تعزيز الأمن القومي، ومنع انتشار الأسلحة، ومواجهة التغير المناخي، وتنمية الأمن الصحي العالمي.

أما في مجال القيم ترشح الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بصفتها القوة العالمية الأولى التي من واجبها قيما مواجهة الإرهاب والقضاء على أسبابه، وتشجيع الديمقراطيات الناشئة. كما ترى أن تحقيق السلم والأمن في منطقة الشرق الأوسط من أهداف النظام الدولي.⁽²⁾

ومع وصول ترامب للسلطة في الولايات المتحدة، عبر عن استيائه من الاستراتيجية الأمريكية السابقة في المنطقة التي عملت على نهج القيادة من الخلف، وذلك باستعمال القوة الذكية والقوة الناعمة، والتي يعتبرها ترامب فاشلة من وجه نظره، ويجب وضع مجموعة أولويات للعودة للتدخل أكثر وتعزيز النفوذ الأمريكي ودعم كل ما من شأنه أن يعزز مقولة "أمريكا أولا"، حيث جاء في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي في ديسمبر 2017 التركيز على منطقة الشرق الأوسط من ثلاث زوايا متعلقة بالتهديدات الأمنية؛ الإرهاب والدور المتزايد للمنظمات الإرهابية، تصدير الإرهاب للعالم وكذلك القضية الفلسطينية،⁽³⁾ حيث كتب "دانيال بايمان" أستاذ دراسات الأمن في جامعة "جورج تاون" ومدير البحوث في مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط في معهد بروكنغز وأواخر شهر ديسمبر 2019 مقالا مهما تحت عنوان "كيفية محاربة الإرهاب في عهد ترامب" نشرته *national interest* جاء فيه: "سيكون التصدي لخطر الإرهاب، سواء كان حقيقيا أم ظاهريا على رأس أولويات إدارة ترامب، وعلى الرغم من قلة هجمات تنظيم داعش على الأراضي الأمريكية، فمن خلال حملته الرئاسية حذر دونالد ترامب من التهديد الذي يشكله الإرهاب الإسلامي المتطرف."⁽⁴⁾

(1)- Anna Dimitrova, Obama's Foreign Policy: Between Pragmatic Realism and Smart Diplomacy? on: www.culturaldiplomacy.org > pdf, p4.

(2)- فوزية الفرجاني، مرجع سابق، ص 139.

(3)- Saif Nussrat Tawfeeq, Muthanna Faeq Merie, and Harith Qahtan Abdullah, US National Security Strategy under President Trump Toward Middle East Issues, *Central and East European Law* · January, Vol Jan, No 3- 2020 (Part I), p146.

(4)- دانيال بايمان، كيفية محاربة الارهاب في عهد ترامب، مركز الفرات، 2017/02/11، من الموقع:

<http://fcds.com/politics/653>، تم تصفح الموقع يوم 2020/06/20.

لقد اهتم ترامب في استراتيجيته لمكافحة الإرهاب بقلب الشرق الأوسط باعتباره المنطقة الأكثر استراتيجية (إيران والعراق وسوريا)، كما يبدو أن سياسة ترامب هي نسخة ساخنة إلى حد كبير من سياسات سلفه أوباما، على الرغم من أنه يدعي أن سياسته مختلفة بشكل كبير.⁽¹⁾ وقد حددت وثيقة الأمن القومي الأمريكي النقاط الأساسية لمكافحة الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط كما يلي:

أولاً: مكافحة الإرهاب وملاحقة الجماعات الإرهابية العابرة للحدود مثل داعش والقاعدة والمليشيات.
ثانياً: مساعدة النظام العراقي في محاربة داعش من خلال توفير الدعم الاستخباراتي والجوي والعسكري للجيش العراقي في تحرير معظم المناطق التي كانت تسيطر الجماعات الإرهابية عليها عام 2014.

ثالثاً: دعم المعارضة السورية بالتعاون مع تركيا لمنع توسع الحركات الإرهابية على الأرض.

رابعاً: دعم الوحدات الكردية إلى جانب قوات سوريا الديمقراطية لمحاربة داعش وطردها من المناطق الكردية في سوريا التي كانت تحت سيطرتها، وبالتالي السيطرة على مصادر النفط.

خامساً: معالجة قضايا عائلات داعش من خلال تقديم الدعم لمجموعة من دول المنطقة لإيواءهم في المخيمات لمنع التطور الفكري وإعادة دمجهم في المجتمع مرة أخرى.⁽²⁾

إن تحليل مضمون وثيقة الأمن القومي الأمريكي في شقها المتعلق بالشرق الأوسط يظهر مدى تركيز الولايات المتحدة على شرق أوسط آمن، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى شرق أوسط خالي من التهديدات الإرهابية، وليس ملاذاً آمناً أو أرضاً خصبة للحركات الجهادية أو الإرهابية، كما تهدف الولايات المتحدة إلى استبعاد أي قوة معادية لأمريكا تبحث عن التوسع الإقليمي في المنطقة (في إشارة إلى إيران)، مما يساهم في استقرار سوق الطاقة العالمية لسنوات.⁽³⁾

(1)- Saif Nussrat Tawfeeq, Muthanna Faeq Merie, and Harith Qahtan Abdullah, op, cit, p147.

(2)- Ibid, p147-148.

(3)- National Security Strategy, of the United States of America, decembre 2017

<https://news.usni.org/2017/12/18/document-national-security-strategy-united-states-america>, p48.

ثالثاً: التحديات التي تواجه المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط

1. التوسع الإيراني في المنطقة

من أجل تحقيق هذه المصالح الأمريكية والحفاظ عليها مدة طويلة تواجه الولايات المتحدة عدداً من التحديات، يمثل وجود إيران في المنطقة وسياساتها العدائية للولايات المتحدة واحداً من التهديدات؛ حيث من شأنها أن تشكل عائقاً لوصول النفط الشرق أوسطي لأمريكا، وكذلك ملف مكافحة الإرهاب، والانتشار النووي.⁽¹⁾

2. التنافس الروسي الصيني في منطقة الشرق الأوسط: في ظل الصعود الصيني الملف للانتباه والعودة الروسية للساحة الدولية يتعين على الولايات المتحدة أيضاً ان تتعامل مع أكبر تهديدين جيوسراتيجيين في منطقة الشرق الأوسط، وهما روسيا والصين، وكلاهما لديه مصالح في الشرق الأوسط ذلك ان الصين تعتمد في الحصول على الطاقة على منطقة الشرق الأوسط، فهي تسعى إلى تأمين امدادات الطاقة الخاصة بها، واستكمال القسم الأوسط في مبادرة الحزام والطريق، وتعرض الموانئ الأوربية التي يمكن أن تعتمد عليها الولايات المتحدة في أي حرب قارية للخطر. إن أهداف الصين تهدد مصالح واشنطن في احتياج حلفائها في الناتو وفي شرق آسيا إلى الطاقة، بالإضافة إلى تهديد العلاقة الوثيقة بين الولايات المتحدة وبين القارة الأقرب لها من حيث المصالح السياسية والاقتصادية.⁽²⁾

إن تنامي السيطرة الصينية على البنية التحتية للبحر المتوسط والموانئ الأوربية يمكن أن يعقد الامدادات اللوجستية المصاحبة لأي استجابة أمريكية لما يحدث في منطقة الشرق الأوسط. كما حققت روسيا تقدماً كبيراً في سبيل تحقيق أهدافها الاستراتيجية في الشرق الأوسط و المتمثلة في الحفاظ على اليد العليا في سياسة المنطقة، ووجود ميناء مطل على المياه الدافئة طيلة أيام السنة، ومدخلا تحاول من خلاله التأثير على الأحداث التي تجري فيما وراء شرق المتوسط، وبات بوسع روسيا، بعد أن حصلت على قاعدة جوية وأخرى بحرية في حميميم وطرطوس بسوريا، أن تحول تركيزها مرة أخرى تجاه أوربا، و مع ذلك فإن الكرملن يفضل الوصول إلى أي ترتيب سياسي من شأنه أن يضمن بأسرع صورة ممكنة

(1)- Daniel Byman and Sara Bjerg Moller, op, cit, p24.

(2)- دون اسم الكاتب، انقلاب موازين القوى.. هل تستطيع أمريكا التخلي بسهولة عن الشرق الأوسط، وما تبعات انسحابها؟، تحليلات عربي بوسنت، 2019/12/21، من الموقع: <https://arabicpost.net/> تم تصفح الموقع يوم 20/06/2020، على الساعة 19:08

ترسيخ مكانة روسيا كأكبر قوة مهيمنة على الشرق الأوسط، حتى وإن كان هذا سيحدث شقاً بينه وبين حليفته إيران.⁽¹⁾

المطلب الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط في مدركات القوى الإقليمية

على مدى 20 عاماً منذ نهاية الحرب الباردة، كانت ديناميكيات القوى الإقليمية في الشرق الأوسط مستقرة نسبياً، وكانت الولايات المتحدة هي القوة الخارجية الوحيدة المهيمنة بلا منازع. لكن التغيرات الدولية من الاضطرابات والثورات والحروب الأهلية في المنطقة، وحالة الإعياء الأمريكية من الحروب، وثورة الطاقة الصخرية وعودة منافسة القوى الكبرى، أدى إلى تحول جذري في جيوبوليتيكا الشرق الأوسط.⁽²⁾ وظهور حركات جديدة لقوى إقليمية طامحة للمشاركة في مخرجات التفاعلات الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط ومن هذه القوى؛ نجد إيران وتركيا غير العربيتان بالدرجة الأولى، وحلم العودة مجدداً لكليهما للمنطقة لاعتبارات التاريخ والجغرافيا، بالإضافة إلى إسرائيل والعربية السعودية التي تعمل تحت المظلة الأمريكية.

الفرع الأول: أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لإيران

ليس من السهل دراسة وفهم الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط في المدرك الإيراني بشكل جلي؛ وذلك لأن إيران دولة شرق أوسطية ودورها يعد دوراً داخل إقليمها الجغرافي،⁽³⁾ حيث ترتبط الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط بالنسبة لإيران بالجيوبوليتيك الشيعي الذي صيغ مع انتصار الثورة الإيرانية عام 1979، والذي استند إلى طبيعة النظام الشيوعي الديني بقيادة المرشد الأعلى للثورة الإيرانية، آية الله الخميني، ويمكن القول في هذا الإطار بأن الثورة الإيرانية من جهة، ونشوء حزب الله اللبناني من جهة أخرى، قد وضع الجيوبوليتيك الشيعي في صدارة المشهد السياسي الإقليمي والعالمي.⁽⁴⁾ وقد شكّل مشروع الشرق الأوسط الإسلامي، الذي طرحته إيران بديلاً لمشروع الشرق الأوسط الأمريكي

(1) - انقلاب موازين القوى.. هل تستطيع أمريكا التخلي بسهولة عن الشرق الأوسط، مرجع سابق.

(2) - Jeff Feltman and others, the new geopolitics of the middle east: america's role in a changing region, a brooking interview, foreign policy at brookings, 2019, p1.

(3) - إيلاف نوفل أحمد العكدي، مرجع سابق، ص 41.

(4) - فراس إلياس، "الجيوبوليتيك الشيعي والمخيلة الجيوستراتيجية الإيرانية: مجالات التأثير وبناء النفوذ"، مجلة لياب للدراسات الاستراتيجية والإعلامية، مركز الجزيرة للدراسات، العدد 4، نوفمبر 2019، ص 11.

خلال فترة الرئيس الإيراني الأسبق، محمد خاتمي، أحدث المشاريع الجيوبوليتيكية التي تستهدف ربط المجتمعات الشيعية وباقي الحركات الإسلامية بدولة القلب المذهبي-إيران-.

يمكن تعريف مشروع الشرق الأوسط الإسلامي-الإيراني بأنه "مشروع هيمنة إيراني باسم المذهب الشيعي ككل". الهدف منه انتزاع إيران للمبادرة التاريخية أو مهام القيادة الإسلامية في العالم الإسلامي، وبناء إطار مقاوم باسمهم على المستوى الإقليمي الواسع، الذي تعيش فيه شعوب إسلامية، وفي هذه الحالة يكون هدف استخدام تعبير الشرق الأوسط الإسلامي للتغطية على عملية بناء مجال حيوي مذهبي، يقوم على الهيمنة أو القيادة السياسية للدولة الإيرانية.⁽¹⁾

لكن افتقاد إيران للقوة العسكرية الكافية ولحليف استراتيجي في المنطقة بعد تخلي الولايات المتحدة الأمريكية عنها حال دون تحقيق استراتيجيتها التوسعية في الشرق الأوسط لدول عربية وإسلامية. رغم أن إيران حاولت إقامة تحالفات مع بعض الدول الأوروبية، إلا أن هذه الشراكة لم توفر لها بديلا عن الولايات المتحدة لأن السياسات الأوروبية غالبا محكومة بالرؤية الأمريكية، فضلا عن مراعاتها للمصالح الإسرائيلية في المنطقة.⁽²⁾

أولا: أسباب الإهتمام الإيراني بالشرق الأوسط

تعدى الإهتمام الإيراني بمنطقة الشرق الأوسط حدود الأمن القومي الإقليمي إلى محاولات التوسع الجيوبوليتيكي، وتصدير الثورة الإسلامية ما أنتج ردود فعل معارضة من طرف الدول العربية التي بها أقلية شيعية. كما أن إيران تسعى لأن تكون دولة محورية في المنطقة، وهذا ما جعل مسار العلاقات بين إيران والدول العربية يتحول من التعاون إلى التنافس، حيث وضع محمد جواد لاريجاني استراتيجية لمستقبل إيران الإقليمي سميت بمشروع الاستراتيجية الوطنية (نظرية أم القرى) في كتابه المعنون مقولات في الاستراتيجية الوطنية وتتحدد أهداف هذه الاستراتيجية فيما يلي:

• الحفاظ على الطابع الإسلامي للنظام الإيراني وعلى موقع إيران في العالم الإسلامي.

• الدفاع عن أمن إيران.

(1) - فراس إلياس، مرجع سابق، ص 23.

(2) - المرجع نفسه، ص 42.

• التوسع إقليمياً. (1)

ويفسر محمد جواد لاريجاني النقطة الأخيرة تفسيراً جيوبوليتيكياً محضاً؛ بقوله " هذه الاستراتيجية تحتم على إيران أن لا تحد حدودها الجغرافية إذ لا دولة باستثناء إيران يمكنها قيادة العالم الإسلامي، وهي لحظة تاريخية لتحقيق ذلك ". (2) لاريجاني بقوله هذا يقر بهلامية الحدود الجغرافية وأن الدولة بإمكانها التمدد والتوسع في إقليمها، إذ استدعت المصالح الاقتصادية، أو الزيادة السكانية والحاجات البيولوجية لتطور الدولة، وهذه الفكرة التي نادى بها راتزل الذي يعتبر من الآباء المؤسسين للجيوبوليتيكا وبعدها كيلين وغيره. وعليه نلخص أسباب الاهتمام الإيراني بمنطقة الشرق الأوسط على النحو التالي:

- التخوف الإيراني من اختراق أمنها القومي، وخاصة أن منطقة الشرق الأوسط تعتبر من المناطق الساخنة نظراً لكثرة التنافس حولها سواء العالمي أو الإقليمي، وارتفع مستوى هذا التنافس بعد ثورات الربيع العربي التي كانت من انعكاساتها على إيران قيام ما يسمى بالثورة الخضراء؛ وهي حركات احتجاجية وغضب شعبي تجسد بمظاهرات عمت مختلف المدن الإيرانية. (3)

- تعتبر إيران منطقة الشرق الأوسط مجالاً إقليمياً حيوياً وعمقاً استراتيجياً، تسعى من خلاله لتحقيق دورها الإقليمي الرائد، حيث تطلق إيران على منطقة الشرق الأوسط لفظ الشرق الأوسط الإسلامي.

- سعي إيران الحثيث لاستقطاب دول الشرق الأوسط، باعتبار هذه الأخيرة أداة من أدواتها للولوج في مختلف التفاعلات الإقليمية، حيث تعتبر إيران نفسها لاعباً جيوسراتيجياً محورياً ووحيداً في المنطقة باعتبارها من أكبر الدول الإقليمية التي لها مقومات أساسية؛ فهي تمتلك كتلة بشرية ضخمة وموقعا جيوبوليتيكياً وامتداداً تاريخياً عميقاً وتأثيراً معنوياً متواصلاً على جوارها الجغرافي، (4) وذلك من خلال التدخل في كل القضايا (الحرب العراقية، الحرب اليمنية، النزاع السوري).

(1) - علي حسن باكير، "إيران والتنافس الشرق أوسطي التقاء وتصادم المشاريع (تركيا وإسرائيل)"، في صباح الموسوي، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، (عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، 2013)، ص 96.

(2) - علي حسن باكير، مرجع سابق، ص 96.

(3) - حبيبة زلاقي، مرجع سابق، ص 125.

(4) - فراس عباس، "إيران وتركيا وإسرائيل: قوى إقليمية كبرى"، في علي بشار محرراً، مطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى، (عمان، دار الرمال للنشر والتوزيع، ط1، 2019)، ص 482.

- محاولة تطوير التواجد والتدخل الأجنبي في منطقة الشرق الأوسط وخاصة التدخل الأمريكي الذي يشكل لإيران هاجسا أمنيا.
- الضغط لجعل قضايا الشرق الأوسط كأوراق في يد إيران تستخدمها لدعم دورها الإقليمي في المنطقة، وذلك بحكم التاريخ والجغرافيا، إذ تسعى لإعادة إحياء الإمبراطورية الفارسية من خلال دعم الشيعة في مختلف مناطق تواجدهم في الدول العربية(العراق، سوريا، اليمن، السعودية، اليمن).⁽¹⁾
- ضعف النظام الإقليمي العربي الواضح، خاصة بعد انهيار نظام صدام حسين في العراق، وغياب الاستراتيجيات التي بإمكانها المحافظة على فاعلية هذا النظام، التي هي محصلة قوة أعضائه الذاتية ن فالعالم العربي تسوده ظاهرة الدوائر المتقاطعة الجزئية، دون الاهتمام ببناء نظام إقليمي عربي قوي ومتماسك، يمتلك آلية حركية فاعلة ومنظمة للعلاقات بين دوله، بل يشهد انقسامات على المستوى الأفقي والعمودي، سواء فيما تعلق بالعلاقات مع الولايات المتحدة وإسرائيل، وأخرى حول التعامل مع إيران، ومواقف متباينة حول النزاع السوري، حزب الله في لبنان، المقاومة الفلسطينية، بالإضافة إلى الانقسامات الطائفية والمذهبية سنية وشيعية حول قضايا خلافية لم تحسم بعد.⁽²⁾ هذا الانقسام والضعف شجع القوى الإقليمية مثل إيران على التدخل في قضايا المنطقة والاهتمام بها، ينسحب هذا المؤشر على تركيا أيضا في عودتها للمنطقة العربية.

ثانيا: الأهداف الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط

من خلال اهتمام إيران بمنطقة الشرق الأوسط تسعى لتحقيق مجموعة أهداف استراتيجية

- **الأمن القومي الإيراني:** يمثل الأمن القومي عرفا عالميا وهدفا تنشده كل دولة وشعب وهو "تصور استراتيجي ينبع من متطلبات وحماية المصالح الحيوية الأساسية لأي شعب بحيث يطرح في جوانبه المختلفة عناصر الحماية المركزية للمصالح الحيوية".⁽³⁾

(1) - حبيبة زلاقي، مرجع سابق، ص125-126.

(2) - طایل يوسف عبد الله العدوان، الاستراتيجية الإقليمية لكل من إيران وتركيا نحو الشرق الأوسط(2002-2013)، رسالة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية، (جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، 2013)، ص29.

(3) - عبد النور بن عنتر، "محاولة لمقاربة حديثة لمفهوم الأمن القومي العربي"، مجلة شؤون عربية، العدد133، ربيع 2008، ص74.

وبما أن إيران بعد الثورة الإسلامية 1979 ترى في الشرق الأوسط مجالاً حيويًا داخل في نطاق محيطها الجغرافي الإقليمي، فترى ضرورة الحفاظ على النفوذ في المنطقة.

- **السعي لأداء دور عالمي:** وهذا ما يتطلب منها التركيز على البيئة الإقليمية والعالمية، ومنطقة الشرق الأوسط رقعة شطرنج إقليمية تراهن إيران على محوريته في استراتيجيتها للسيطرة الإقليمية.⁽¹⁾ من خلال عرض أسباب اهتمام إيران بمنطقة الشرق الأوسط وأهدافها؛ والتي توضح حضور البعد الجيوبوليتيكي في كل التفاعلات والاستراتيجيات المتبعة أكثر من البعد الديني والإيديولوجي وإن حاولت التغطية عليه. يتضح لنا أن إيران تضع نفسها كقوة إقليمية محورية في المنطقة في ظل غياب نظام إقليمي عربي خاصة بعد غزو العراق وسقوط نظام صدام حسين، وثورات الربيع العربي التي شكلت منفذاً لولوج المنطقة مجدداً.

الفرع الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط بالنسبة لتركيا

تبنّت تركيا منذ تأسيس الجمهورية سنة 1923 وإلى غاية عقد التسعينات سلوكاً خارجياً أحادي التوجه نحو الغرب، أي انصب اهتمام صانع القرار الخارجي التركي بدائرة اهتمام واحدة تمثلت في الولاء للغرب من خلال سعي هذه الأخيرة لإقامة علاقات متينة مع العديد من الدول الأوروبية وخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية في شتى المجالات وعلى كافة الأصعدة ليكفل مسعاها هذا بالانضمام إلى حلف الشمال الأطلسي سنة 1952.⁽²⁾ وباستثناء فترة وجيزة في منتصف الخمسينيات، كانت العلاقات مع الشرق الأوسط مهملة إلى حد كبير، لكن مع وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة، أعادت تركيا اكتشاف الشرق الأوسط وظهرت كفاعل مهم بشكل متزايد في المنطقة. ولكن لا يعني الانخراط التركي الأكثر نشاطاً في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة أن تركيا تدير ظهرها للغرب أو أن سياستها أصبحت "أسلمة". بل إن الانفتاح على الشرق الأوسط يمثل محاولة لتكييف السياسة التركية مع التغيرات في البيئة الاستراتيجية لتركيا.⁽³⁾

(1) - حبيبة زلاقي، مرجع سابق، ص 127.

(2) - بدره سليم، مجناح آمال، الشرق الأوسط: دراسة تحليلية في طبيعة المتغيرات الدولية والإقليمية المساهمة في التحول الاستراتيجي التركي تجاه المنطقة، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، العدد التاسع، مارس 2018، المجلد الثاني، ص 1038.

(3) - F. Stephen Larrabee and Alireza Nader, Turkey and Iran in a Changing Middle East, RAND Corporation.(2013);: <https://www.jstor.org/stable/10.7249/j.ctt4cgdbg.8>, p5.

أولاً: أسباب الاهتمام التركي بمنطقة الشرق الأوسط

شهدت السنوات الأولى لبداية القرن الواحد والعشرين تزايد الاهتمام التركي في منطقة الشرق الأوسط وقضاياها ولاسيما بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا في نوفمبر 2002، وحرص قيادات الحكومة الجديدة على تأكيد تبنيهم رؤية مختلفة نوعياً لسياسة تركيا وعلاقاتها الخارجية في الدوائر المختلفة، وخاصة في الدائرة الشرق أوسطية وعزز من هذا الاهتمام ما شهدته عناصر القوة التركية من تطورات إيجابية خلال هذه الفترة، لا سيما في أبعادها الاقتصادية، حيث احتلت تركيا المرتبة الأولى بين اقتصاديات المنطقة والسادسة عشرة على المستوى العالمي (من حيث حجم الناتج المحلي الإجمالي)، وصاحب ذلك زيادة حضور الدور التركي ونشاطه في العديد من قضايا المنطقة.⁽¹⁾

1. ساهمت الرؤية الجيوبوليتيكية الشاملة التركية حول المجال الحيوي، الذي يجب أن تنشط فيه، وكذلك أفضل مقاربة لبناء قوة إقليمية كبرى، وكان لأحمد داوود أوغلو وزير الخارجية السابق دور في تشكيل المنظور التركي للذات وللعالَم وللدور الخارجي لتركيا، مترجماً الأسلوب الأكاديمي في صياغة السياسة الخارجية، وتلك الحالة من التلازم بين النظرية والتطبيق -النادرة في الدول العربية- أفرزت سياسة خارجية مدروسة ومتطورة فمن خلال العمق الاستراتيجي استطاعت تركيا المصالحة بين عدة ثنائيات كثيراً ما خلقت استقطاباً في العالم العربي مثل ماضيها وحاضرها، وذلك بالحديث عن العثمانية الجديدة، وحتمية التاريخ والجغرافيا، كما أن ضعف وانهيار النظام الإقليمي العربي ساعد تركيا على بلورة هذه الرؤية واقعيًا والتوغل في منطقة الشرق الأوسط.⁽²⁾

2. واقع النظام الإقليمي العربي: النظام الإقليمي العربي لم ينضج إلى مستوى نظم إقليمية غربية كالإتحاد الأوروبي، وسياسات دوله غير موحدة لانعدام التفاعل الحقيقي بين دوله في كثير من المواقف، وهذا لاختلاف المدركات السياسية وسوء تقدير مكامن التهديد وغياب الفهم الدقيق لمعادلات العلاقات

(1) - صدام مريم محمد عطية، مرجع سابق، ص 310.

(2) - طایل يوسف عبد الله العدوان، مرجع سابق، ص 30-30.

الدولية والافتقار إلى جهاز عربي مشترك لصنع القرار الأمني على المستوى العربي بسبب غياب الإرادة السياسية العربية.⁽¹⁾

3. التنافس الجيوبوليتيكي الإيراني التركي في الشرق الأوسط

تعتبر المنافسة الإيرانية التركية في منطقة الشرق الأوسط من بين أهم المسوغات الجيوبوليتيكية للاهتمام التركي بقضايا المنطقة، حيث استغلت قيادة حزب العدالة والتنمية فرصة التطورات التي حدثت في كل من سوريا والعراق، خاصة بعد الإنسحاب الأمريكي من العراق، إذ أصبحت بوابتي تركيا نحو العالم العربي؛ أي سوريا والعراق تحت التأثير المباشر لإيران، وهذا ما يعتبر تهديدا لدور تركيا في منطقة الشرق الأوسط، وهذا هو مبرر لتركيا للتدخل تجاه النزاع السوري لأنه في الوقت الذي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى عزل إيران في المنطقة، تتيح المجال لتركيا للتمدد في أي فراغ مستجد.⁽²⁾

الفرع الثالث: الأهداف الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط

حددت دراسة بعنوان "إسرائيل على مشارف القرن الـ21" الصادرة عام 1988 عن معهد "فان لير" الإسرائيلي في القدس، والمتخصص في الدراسات الإستراتيجية، الغايات والأهداف القومية لدولة إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط على النحو التالي:

1. الهدف القومي الأعلى لإسرائيل

إقامة إسرائيل الكبرى ذات الهوية اليهودية النقية، كقوة إقليمية عظمى مهيمنة، في منطقة الشرق الأوسط، ولتحقيق ذلك في المرحلة القادمة -وفي ضوء ما يسمي بعملية السلام التي قبلها العرب- فإن على إسرائيل أن تسعى من خلال معاهدات السلام وترسيم الحدود إلى ضم ما تستطيعه من المناطق التي احتلتها في عام 1967، والتي تحقق متطلبات أمنها من وجهة النظر الجيوبوليتيكية، ويكفل لها الحصول على مصادر مياه إضافية، وفرض شرعيتها على تلك الأراضي، مع إخلائها من السكان العرب حفاظاً على الهوية اليهودية، على أن تعمل الإستراتيجية العسكرية على تحقيق ذلك من خلال الردع الوقائي

(1) - محمد العربي لادمي، التنافس الإيراني التركي على مناطق النفوذ في منطقة الشرق الأوسط 1996-2014، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، (جامعة بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2013/2014)، ص 101.

(2) - عليان محمود، التوافق والصراع في العلاقات الدولية: العلاقات الروسية التركية مثالا، (المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، ط1، 2016)، ص 91.

والانتقامي الجسيم، وتأمين عمليات الضم والاستيطان وتهويد الأراضي، والتحكم في المنطقة سياسياً واقتصادياً وثقافياً مع الاعتماد على الذات عسكرياً واقتصادياً.⁽¹⁾ وقد حدد شارون في عام 1982 عندما كان وزيراً للدفاع دائرة المجال الحيوي لإسرائيل، وذلك أمام لجنة الدفاع والخارجية للكنيست في جلستها في 1982/12/12 على النحو التالي:

"هي المنطقة التي تضم مصالح إسرائيل الإستراتيجية، وتشمل جميع مناطق العالم العربي المتاخمة، علاوة على إيران وتركيا وباكستان وشمال أفريقيا وحتى زيمبابوي وجنوب أفريقيا جنوباً". وقد توسعت هذه الدائرة في التسعينيات لتمتد من الساحل الشرقي للأطلسي غرباً، إلى إيران وباكستان شرقاً، ومن دول آسيا الوسطى الإسلامية شمالاً إلى كيب تاون بجنوب أفريقيا جنوباً.⁽²⁾

2. الهدف السياسي

ضمان بقاء الدولة العبرية في الشرق الأوسط داخل حدود آمنة معترف بها دولياً، وفي ظل تفوق حضاري، وعلاقات عميقة مع جيرانها العرب ودول الجوار الجغرافي الأخرى، وبما يؤمن سيادة إسرائيل على المنطقة سياسياً واقتصادياً، ويمنع قيام دولة فلسطينية مستقلة وفاعلة مجاورة لإسرائيل، ويضع الكيان الفلسطيني في مناطق الحكم الذاتي تحت الهيمنة الإسرائيلية المباشرة عسكرياً، وغير المباشرة سياسياً واقتصادياً. هذا مع التكيف والتأثيرات التي تفرضها عملية السلام، وتهويد المناطق التي سيتم ضمها لإسرائيل من خلال تكثيف الاستيطان وتقليص التواجد العربي فيها إلى أدنى حد، والسعي إلى مد السيطرة الإسرائيلية بأساليب مباشرة وغير مباشرة إلى منابع أنهار الأردن وجنوب لبنان وجبل الشيخ، مع السعي للحصول على حصة (0.8 مليار م³) من مياه النيل في إطار التعاون الإقليمي مع مصر.⁽³⁾

3. الهدف العسكري

احتفاظ إسرائيل بتفوق عسكري كمي ونوعي في المجالين التقليدي وفوق التقليدي على جميع الدول العربية، وبما يمكن إسرائيل من تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية، وتفعيل سياسة الردع ببعديها النفسي والمادي وفرض إرادتها على المنطقة، ومع الاستعداد للجوء للعمل العسكري المباشر قبل حدوث خلل في

(1) - حسام سويلم، الأهداف القومية الإسرائيلية واستراتيجية تنفيذها، مقالات الجزيرة، 3 أكتوبر 2004، من الموقع: تم زيارة

<https://www.aljazeera.net/opinions/> تمت زيارة الموقع يوم 2020/06/29.

(2) - حسام سويلم، مرجع سابق.

(3) - لاري هاناور، مصالح إسرائيل وخياراتها في سوريا، منظور تحليلي، مؤسسة راند، 2016، ص 2.

الميزان العسكري لغير صالح إسرائيل، أو خرق الترتيبات الأمنية المتفق عليها، أو عند ظهور بوادر لشن عمليات عسكرية شاملة أو محدودة أو استنزافية من جانب أعداء إسرائيل خاصة إيران، أو وجود دلائل تهدد بكسر الاحتكار النووي الإسرائيلي في دائرة مجالها الحيوي، مع السعي لزيادة قدرة إسرائيل على تحقيق الاكتفاء الذاتي في التسلح. وامتلاك قدرات ردع تقليدية وفوق تقليدية متنوعة، وذات مصداقية وعلى درجة عالية من التأهب، قادرة على تدمير أية قوات مسلحة أو إرهابية مناوئة لإسرائيل، وذلك بالاستعداد لتوجيه ضربات وقائية واستباقية عند اللزوم داخل أرض الدول المعادية، وبما يقضي على التهديد قبل انتقاله إلى داخل إسرائيل. مع الاستعداد أيضاً لاستغلال نجاح العمليات القتالية لأقصى حد وطبقاً لظروف المواقف التي تنشب في حينه، وبما يخلق أوضاعاً إقليمية جديدة تؤمن حصول إسرائيل على المزيد من الأراضي والموارد الطبيعية، وتقل حدود إسرائيل إلى خطوط جديدة يمكن الدفاع عنها والتمسك بها.⁽¹⁾

4. الهدف الاقتصادي

استقرار وتنمية الاقتصاد الإسرائيلي باستثمار الإمكانيات الذاتية والمساعدات الخارجية على الوجه الأمثل، مع بسط السيطرة على اقتصاديات دول المنطقة بأساليب مباشرة وغير مباشرة، وفتح أسواق جديدة لإسرائيل في جميع دول العالم، والتعامل مع التكتلات الاقتصادية الإقليمية والدولية من أجل الاستفادة من الميزات التي تمنحها لأعضائها، وخلق المصالح المشتركة، هذا مع تأمين حصول إسرائيل على المزيد من الموارد المائية والنفطية والمعدنية، وبما يمكنها من استيعاب مزيد من جهود الشتات، والسعي التدريجي لتقليل اعتماد الاقتصاد الإسرائيلي على المساعدات الأجنبية. فعلى الرغم من الأزمة المرتبطة كوفيد - 19 فقد دخلت إسرائيل العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين في موقع من الثقة الوطنية، مع براعة عسكرية تفوق بكثير ما لدى جيرانها، ومع اقتصاد قوي أنتج التحول العميق في الشرق الأوسط في العقد الملاضي تهديدات جديدة، لكنه أضعف أيضاً خصوم إسرائيل املحتملين؛ حيث إن التنافس مع إيران، وهو القلق الأمني الرئيسي لإسرائيل في الاعوام الأخيرة، وفتح الباب أمام تعاون جديد مع دول عربية مهمة. في وقت متأخر من الية إدارة ترامب، وقعت إسرائيل معاهدات لتطبيع العلاقات مع الإمارات العربية المتحدة والبحرين، وبدأت مثل هذه العملية مع السودان، لتعميق العلاقات العامة التي كانت تتطور

(1) - لاري هاناور، مرجع سابق، ص3.

منذ عقود. وكذلك لإسرائيل علاقات مهمة مع المملكة العربية السعودية ضيفت هذه الدول الخليجية إلى صفوف مصر والأردن، اللتين أبرمتا بالفعل العربية معاهدات سلام رسمية مع إسرائيل.¹

5. الهدف الاجتماعي

استمرار البقاء القومي بدرجة عالية من الصلابة ونقاء الجنس اليهودي، وذلك بزيادة حجم القوة البشرية وتحسين نوعيتها من خلال استكمال هجرة يهود العالم لإسرائيل (10 مليون يهودي في الشتات) وتشجيع زيادة النسل اليهودي، وتقليص التواجد العربي في أرض إسرائيل. مع السعي لتقوية روابط التماسك الاجتماعي والقضاء على الصراعات والتناقضات العرقية والثقافية والاجتماعية والسياسية التي تسود المجتمع اليهودي، وترسيخ قواعد التضامن بين فئاته، ورفع المستويات الثقافية والخدماتية في مجالات الصحة والتعليم والإسكان والتأمين، وتوازن التركيبة السكانية رأسياً وأفقياً داخل إسرائيل (تعمير صحراء النقب) وبما يحقق أهداف ومخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدولة.⁽²⁾

6. الهدف الأيديولوجي

إحياء الحضارة اليهودية بإعادة بعث الروح اليهودية الدينية في المجتمع الإسرائيلي، وتقوية التقاليد اليهودية بين الشباب، وإثراء فكرة الصهيونية كمبدأ أساسي عنصري، وإعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى باعتباره الهدف الأسمى لليهود العالم، والقادر على توحيدهم والتفافهم حول إسرائيل. وذلك من خلال تنشيط الثقافة والتاريخ اليهودي في نفوس الشبيبة الإسرائيلية، وبالتقدم والرقي في كافة المجالات العلمية، وزيادة نفوذ اللوبيات وجماعات الضغط الصهيونية في الدول الكبرى وتقوية النفوذ اليهودي في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وبلدان أوروبا الشرقية، مع العمل في ذات الوقت على زرع ونشر عوامل الفرقة والتشتت والتحزب الفكري في البلدان العربية، وبما يؤدي إلى زيادة التطرف الديني والطائفي والعربي، والقضاء على فكريتي القومية العربية والتضامن الإسلامي وإحلالهما بفكرة التعاون الإقليمي الشرق أوسطي، وتوظيف الأصولية الإسلامية وأيديولوجيات الأقليات في المنطقة لصالح إسرائيل، وذلك في تعاون وثيق مع قوي التطرف الصليبي في العالم.⁽³⁾

(1) - ناتان ساشنزوكيفن هغارد، "إسرائيل في الشرق الأوسط العقدين المقبلين، ترجمة أحمد عيشة"، أبحاث سياسية، مركز

حرمون للدراسات المعاصرة، نوفمبر 2020، ص 6.

(2) - حسام سويلم، مرجع سابق.

(3) - المرجع نفسه.

7. الهدف التكنولوجي

تطوير البنية الأساسية القومية في مجالات العلوم والاتصالات والتقنية الآلية، والصناعات كثيفة العلوم، خاصة في ميادين البيوتكنولوجيا، والميكرو إلكترونيك، والذكاء الصناعي، والأدمغة الإلكترونية، وغزو الفضاء، وأنظمة المعلومات، وبما يشكل ركيزة وقاعدة للانطلاق التكنولوجية التي ستسود بها إسرائيل المنطقة في هذا القرن، وبحيث تكون مالكة للمعارف العلمية والتكنولوجية التي تملكها الدول العظمى، وليست متخلفة عنهم، وبما يساعد على الانطلاق أفقياً ورأسياً في مجالات التنمية الشاملة، ويهيئ الشعب الإسرائيلي ليعيش في عصر متقدم علمياً وتكنولوجياً¹.

الفرع الرابع: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط بالنسبة للمملكة العربية السعودية

يتمتع الشرق الأوسط بموقع استراتيجي مهم جداً نظراً لكونه ملتقى لثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وإفريقيا، جعله منطقة تنافس وصراع بين مختلف القوى الإقليمية والعالمية، خاصة في ظل التغيرات والأحداث الدولية المتسارعة منذ أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001.

فنظراً لذلك تحولت منطقة الشرق الأوسط بكل اتجاهاتها إلى ساحة صراع مكشوفة، بل مختبر لطرح المشاريع والتحالفات العسكرية، والاقتصادية، والأمنية، والسياسية بالشكل الذي يُلائم الخيارات والاستراتيجيات الكونية للقوى الكبرى، التي تبنت كل منها تصورات وأهداف وأفكار خاصة تهدف إلى تطويق المنطقة واحتوائها، نظراً لأهميتها في استراتيجيات مختلف القوى سواء العالمية أو الإقليمية التي تعتبر جزء من المنطقة مثل المملكة العربية السعودية: (2) ويأتي الدور الإقليمي السعودي في منطقة الشرق الأوسط انطلاقاً من ضرورات تحقيق الأمن والاستقرار فيها، وهو ما تجلّى بشكل واضح في رؤية 2030، والذي تضمن في جزء منه تعزيز مكانة المملكة إقليمياً وعالمياً.⁽³⁾

(1) - ناتان ساشنزوكيفن هغارد، مرجع سابق، ص 19.

(2) - خالد عايد نياي العاصم، أثر العلاقات الإيرانية السعودية على الإستقرار الإقليمي في الشرق الأوسط (2011-2016) الأزمة السورية واليمينية حالة دراسة، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات حصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية، (معهد بيت الحكمة في جامعة آل البيت، الأردن، 2017)، ص 14

(3) - أحمد عبد الحليم، الدور السعودي في المنطقة.. دبلوماسية إدارة الأزمات، العين الإخبارية، 2019/09/23، من

الموقع:

<https://al-ain.com/article/saudi-arabia-iran-region-crisis>

أولاً: التنافس الإيراني السعودي في منطقة الشرق الأوسط

يعتبر تصاعد المدّ الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، -الذي يرجع إلى ما بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر لسببين أساسيين الأول هو الجغرافيا وطبيعة التطورات الجيوبوليتيكية التي انبثقت عن أزمة العراق في عام 2003- تهديداً للدور السعودي في المنطقة. وغالبا ما تتحدد المنافسة بين العربية السعودية وإيران على أساس جيوبوليتيكي. وتعمل كل من إيران والسعودية في المنطقة عن طريق دعم الوكلاء ومنع منافسها من الوصول للهدف نفسه، وقد تصاعد العداء بين طهران والرياض منذ الغزو الأمريكي للعراق عام 2003، وهذا ما يفسر أن الديناميات الثنائية القطب آخذة في الازدياد على الأرض وكيف يعزز ذلك من إمكانية الصراع في المنطقة.⁽¹⁾ وقد زاد التنافس الإيراني السعودي في منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2011، كما أن التغييرات في النظام الإقليمي لا تتعلق فقط بالتنافس الإيراني السعودي ولكن أيضاً بالطموح والقدرة المتزايدة لعدد من اللاعبين الإقليميين لإبراز القوة. مثال على ذلك تركيا الطامحة إلى التحول إلى قوة إقليمية كاملة⁽²⁾

والتحوّل الدراماتيكي للأحداث في اليمن الذي برز مع عملية "عاصفة الحزم"، هو أكثر من مجرد نزاع داخلي في بلد مستقل. فهو تمحور في الواقع حول عودة إطلالة المملكة العربية السعودية بقوة على السياسات الإقليمية في الشرق الأوسط. والتطورات في اليمن، في هذا الإطار، سوف يكون ممكناً استخدامها للمساومة مع إيران حول قضايا إقليمية، بما في ذلك سوريا.⁽³⁾

(1)- Raffaella A. Del Sarto, Helle Malmvig And Eduard Soler I Lecha, Interregnum: The Regional Order In The Middle East And North Africa After 2011, Middle East And North Africa Regional Architecture: Mapping Geopolitical Shifts, Regional Order And Domestic Transformations Final Reports no. 1, February 2019, P 20

(2)- القوة الإقليمية هي تلك الوحدة الدولية التي تمتلك كل من القوة والقدرة على التأثير داخل حدود إقليمها، فهي مشابهة للقوى الكبرى في النظام الدولي ولكن فقط على مستوى الإقليم التابعة له. ويجب للقوة الإقليمية أن تستوفي ثلاثة شروط: عرض الموارد الإيديولوجية لحماية القوة الإقليمية، تقديم نفسها بأنها في موقع إقليمي رائد، ممارسة التأثير الحقيقي في الشؤون الإقليمية وعلى مدى السنوات الماضية وخاصة منذ 2011 أظهرت السعودية استثنائات هائلة في كل هذه الأبعاد،

وساعدها في ذلك عائدات النفط بعد ارتفاع أسعار النفط منذ منتصف العقد الأول من القرن الحالي للمزيد انظر:

Thomas Richter, Saudi Arabia: A Conservative P(1)ayer on the Retreat?, in Henner Furting, regional powers in the middle east new constellations after the arab revolts, First published in 2014 by PALGRAVEMACMILLAN® in the United States—a division of St. Martin's Press LLC, 175 Fifth Avenue, New York, NY 10010, p179

(3)- لينا الخطيب، الدور السعودي النافذ في الخليج والشرق الأوسط، مقال تحليلي، مركز كارينغي للشرق الأوسط، أبريل

2015، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/2015/04/01/ar-pub-59558>

وتعتبر المملكة العربية السعودية أن الصراع اليمني هو صراعها الوجودي مع إيران، كما تخوفت السعودية من عدوى الانتشار للنزاع اليمني، والحقيقة إيران قد حققت ميزة استراتيجية من خلال كل من النزاع السوري والحرب الأهلية العراقية، التي تعتبرها السعودية صراع إقليمي معقد.⁽¹⁾

ثمة مسألة يتفق عليها جميع الدبلوماسيين الأجانب في الرياض؛ أن الفهم السعودي للأوضاع في المنطقة هو فقط من منظور الهاجس الإيراني. يقول أحدهم: "يُبصرون اليد الإيرانية في كل شيء ويأخذون على محمل الجد العنتريات الواردة في الصحافة الإيرانية بأن إيران باتت تسيطر اليوم على أربع عواصم عربية هي بغداد وصنعاء وبيروت ودمشق"، بل ويذهب دبلوماسي آخر إلى أن: "إيران باتت الهاجس، لدرجة أنهم ينسون أنه بلد جار، ومهما كان الحكم على سياسته فهو لن يختفي فجأةً من الوجود" ويجمع الدبلوماسيون على أن هذا الهاجس كان أول الدوافع للتدخل السعودي في اليمن.⁽²⁾

وتعتبر المملكة العربية السعودية وإيران الفاعلان الأكثر نفوذاً في المنطقة. لقد قاما بتشكيل المنطقة واستمررا في تشكيلها. لكن هناك الفاعلون الجدد. إحداها هي الإمارات لما تتمتع به من طموح السياسات والاستعداد لتوسيع السيطرة في المنطقة،⁽³⁾ وكذلك العودة القوية لتركيا للدائرة الشرق أوسطية.

ثانياً: تراجع الدور المصري: تراجعت قدرة مصر القيادية كقوة إقليمية في منطقة الشرق الأوسط منذ السبعينيات، ولكن بشكل أكبر منذ عام 2011، حيث لم تعد قادرة على التأثير في المحيط الجوّاري لها (القضية الفلسطينية، لبنان، ديناميات شرق البحر المتوسط، حوض النيل..)، وأصبحت تلعب أدوار ثانوية، وهذا للمشاكل الاقتصادية التي يعاني منها هذا البلد، وكذا الاختلالات الأمنية التي عصفت به منذ 2010 كقوة إقليمية متخصصة، تعتبر مصر جهة فاعلة ثانوية إلى حد ما.

يتعلق الأمر بسوريا واليمن والعراق والمغرب العربي (باستثناء ليبيا). علاوة على ذلك، منذ 2011 تضاعف استقلال القاهرة المالي عن المانحين الخليجيين بشكل ملحوظ. وهذا ما أدى إلى عدم استقلالية

تم الأطلاع على الموقع يوم 20/08/2020.

(1)- Ross Harrison, "The Global And Regional Geopolitics Of Civil War In The Middle East", The Middle East Institute, February 2019 Policy Paper 2019-1, P18.

(2)- Thomas Richter, Saudi Arabia: A ConservativeP(1)ayer on the Retreat?, in Henner Furting, regional powers in the middle east new constellations after the arab revolts, First published in 2014 PALGRAVE MACMILLANin the United States—adivision of St. Martin's Press LLC, 175 Fifth Avenue, New York, NY 10010, p177

(3)- Raffaella A. Del Sarto, Helle Malmvig and Eduard Soler i Lecha, op, cit, p20.

القرار المصري في القضايا الإقليمية وتبعيته لأجندات قوى إقليمية أو عالمية.⁽¹⁾ مما ساعد العربية السعودية على التدخل في القضايا الإقليمية للشرق الأوسط خاصة النزاع اليمني والنزاع السوري.

ثالثاً: التنافس السعودي التركي في ظل عودة تركيا للشرق الأوسط:

يوجد في الشرق الأوسط دول محورية تُدر لها بحكم التاريخ والجغرافيا أن تكون في محور جيوبوليتيكي قادر على التحكم في توجهات وطموحات بقية اللاعبين السياسيين في المنطقة، بالإضافة إلى امتلاكها الأدوات المؤثرة للعبها هذا الدور، مما يزيد من توغلها وهيمنتها على المنطقة، لغرض تبديل الوضع الجيوبوليتيكي القائم إلى الحد الذي يؤثر على مصالح المنافسين لها، وتعتبر تركيا من أهم الدول الشرق أوسطية حضوراً في تفاعلات المنطقة خاصة بعد وصول حزب العدالة والتنمية للحكم، وإتباع سياسة التوجه شرقاً وغرباً.⁽²⁾

يتميز سياق الصراع والتنافس بين المملكة العربية السعودية والجمهورية التركية؛ بحالة من الخصوصية نتيجة الخلفية التاريخية السلبية الحاكمة لعلاقتها طوال أربعة قرون، وانطلاقاً من هذه الخلفية، بُنيت العلاقات السعودية التركية، وُغفرت بالحذر والعداء الدفين، رغم ضخامة الاستثمارات والعلاقات التجارية بين البلدين. حيث تبلغ الاستثمارات السعودية بتركيا قرابة 6 مليار دولار، ويصل عدد الشركات السعودية هناك نحو 1000 شركة. إلا أن الصراع الخافت بين المملكة العربية السعودية وتركيا أخذ يتشكل بدنامية تتحكم بها عدة متغيرات تتراوح ما بين الخلفية التاريخي، واختلاف المصالح، إلا أن وصل الصراع لأحد أهم بؤر التنافس الإقليمي وهي منطقة الشرق الأوسط⁽³⁾

حيث ساهم انهيار النظام الإقليمي العربي بعد الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003 في منح فرص لتركيا لفرض سياساتها التنافسية في تفاعلات المنطقة والعودة للمنطقة العربية باستعمال المتغير التاريخي والديني بعد أن نجحت في التوفيق بين القيم الإسلامية المحافظة والقيم السياسية الليبرالية.

⁽¹⁾ - Ibid, op, cit, p20..

⁽²⁾ - محمد رمضان أبو شعيشع، ملفات معقدة، مستقبل الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 12 مارس 2018، من الموقع: <http://www.acrseg.org/40684> تمت زيارة الموقع يوم 2020/08/21 على الساعة 23:45.

⁽³⁾ - محمد حسن، التنافس "السعودي التركي" يلقي بظلاله على "شرق المتوسط، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 31 جانفي 2020، من الموقع: <https://marsad.ecsstudies.com/19263/> تم الإطلاع على الموقع يوم 2020/08/24.

ومع بداية ثورات (الربيع العربي) أواخر عام 2010 وأوائل عام 2011، ظهرت تركيا أنها المنافس الأكثر احتمالا للقيادة الإقليمية في الشرق الأوسط. وقد كانت علامات هذا التطور واضحة للغاية في تلك الفترة وما تلاها من تطورات خاصة النزاع السوري المتعدد الفواعل.⁽¹⁾ فقد شجع أردوغان المسيرات في مصر وليبيا وتونس. ولتركيا القدرة على متابعة مصالحها الخاصة بشكل مستقل، وغير ملزمة بقوة كبرى من خارج المنطقة، كما ساهمت فواعل أخرى مثل العربية السعودية وإسرائيل مثلا في تقديم الصورة الإيجابية لتركيا في المجتمعات العربية بسبب سياساتهم السلبية، وما زالت تركيا تناور بشكل فعال بين التطلعات المجتمعية العربية الجديدة وتحقيق المصالح الاستراتيجية. ولكن تركيا لم تستطع الحفاظ على دورها بصفتها القوة الإقليمية الوحيدة في المنطقة خاصة بعد تدخل روسيا على الأرض لصالح الحفاظ على النظام السوري.⁽²⁾

⁽¹⁾- André Bank and Roy Karadag, Before the Arab Revolts and After: Turkey's Transformed Regional Power Status in the Middle East, on Regional Powers in the Middle East new constellations after the arab revolts, edited by Henner Furting, 1st edition,: the United States, PALGRAVE MACMILLAN, p104.

⁽²⁾- André Bank and Roy Karadag, op,cit,p104.

المبحث الثاني:

الحضور الجيوبوليتيكي للقوى العالمية في الشرق الأوسط

إن محاولة تحديد رؤية القوى الكبرى⁽¹⁾ في العالم - الولايات المتحدة، الصين، روسيا والإتحاد الأوروبي - واستراتيجياتها في الشرق الأوسط في عالمنا المعاصر ليست أقل صعوبة من أي وقت مضى. لأن علاقات القوة على الصعيد العالمي في حالة تغير مستمر، ومنطقة الشرق الأوسط في حالة اضطراب دائم، كما أن القوى نفسها تتنافس خلال فترة التحولات الجيوبوليتيكية العالمية الصعبة. ويمكن أن نصف التنافس بين القوى الكبرى في الشرق الأوسط بالمعقد على اعتبار أن المنطقة هي رقعة شطرنج ومجال حيوي للقوى الكبرى في كل نظريات الجيوبوليتيكا.⁽²⁾ كما أنه من الصعب معرفة سير الأحداث وحركية التحالفات وتغيرات المواقف، دون التطرق للحضور الجيوبوليتيكي للقوى العالمية الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط. ونحاول في هذا المبحث التركيز على مستويات الحضور الأمريكي والروسي في تفاعلات المنطقة منذ أحداث الربيع العربي نهاية 2010، على اعتبار أنه الحضور الأبرز والأكثر تأثيراً وتأثراً بمنطقة الشرق الأوسط في مطلبين منفصلين، والتطرق للحضور الصيني والأوروبي في المنطقة في مبحث واحد وهذا لنسبية التأثير بالمقارنة مع روسيا والولايات المتحدة من جهة، والسير في فلك التحالفات الدولية من جهة أخرى.

المطلب الأول: الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط: محاولة الحفاظ عن هيمنة أحادية في عالم يسعى للتعدد

يؤكد بريجنسكي في كتابه "الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم" أنه مع بداية القرن الحادي والعشرين تكون أمريكا القوة الأولى من حيث مداها العسكري على الصعيد العالمي ومحورية النشاط الاقتصادي الأمريكي بالنسبة إلى صحة الاقتصاد العالمي، والتأثير الإبداعي للدينامية التكنولوجية

(1) - القوى الكبرى: تعرف القوة وترتبط بالدولة والقوى الكبرى تقاس بمساحتها وعدد سكانها وقوتها الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية، وتقسم القوى الكبرى إلى قوى كبرى من المستوى الأول أو القوى العالمية (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا الاتحادية، الصين، الإتحاد الأوروبي، ودول كبرى إقليمية أو من المستوى الثاني وهي القوى الصاعدة التي تتمتع بنفس خصائص القوى الكبرى لكن بنسبة أقل وبدرجة أقل في التأثير في التفاعلات الدولية (تركيا، إيران، السعودية، إسرائيل) للمزيد اطلع على جون مرشايمر، مأساة سياسة القوى الكبرى

(2) - Raffaella A. Del Sarto, Helle Malmvig And Eduard Soler I Lecha, Interregnum: The Regional Order In The Middle East And North Africa After 2011, **Menara Final Reports**, No. 1, February 2019, P7.

الأمريكية، ومن حيث الجاذبية العالمية للثقافة الأمريكية المتعددة الأوجه، وقد وفرت هذه العناصر كلها لأمريكا نفوذا سياسيا عالميا لا نظير له وأصبحت أمريكا في كافة الأحوال ضابط الإيقاع العالمي دون النظر إلى هذا الطرف أو ذاك كمنافس لها على المدى المنظور.⁽¹⁾

وضعت الولايات المتحدة منذ ثمانينات القرن العشرين استراتيجية شاملة لضمان تفوق الجيش والشركات الأمريكية على العالم، تمحورت هذه الإستراتيجية حول مجموعة من الشركات الكبيرة في قطاعي الكمبيوتر والطيران، وتشمل حاليا جميع النشاطات تقريبا، وهي التي مكّنت القوّات الأمريكية من غزو العراق عام 2003، إذ تعتمد على استخدام منظمّ جدا لتكنولوجيا المعلومات، وقد دفعت الرغبة في الوصول إلى الموارد النفطية إلى تحديد استراتيجيات خاصة تقوم على السيطرة على هذا المورد الحيويّ عالميا، وهذا لحاجة الولايات المتحدة له من جهة وللسيطرة على عملية استخراج وتوزيعه وأسعاره من جهة أخرى. في إطار ما عرف بجيوبوليتيكا النفط.⁽²⁾

لقد ركزت الولايات المتحدة اهتمامها بالمناطق المهمة جيوبوليتيكا، إذ تتميز بعض مناطق العالم عن غيرها بالثبات النسبي لوزنها وموقعها الجيوبوليتيكي على مر فترات التاريخ، ومن بين أهم هذه المناطق، منطقة الشرق الأوسط التي كانت ولا تزال تسيل لعاب الطامعين والطامحين من القوى الدولية، ومن أهم القوى المنخرطة في كل تفاعلات الشرق الأوسط الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أنه مع نهاية الحرب الباردة بدت الحاجة الأمريكية إلى الوصول إلى موارد الطاقة في مناطق وراء البحار أكثر إلحاحا، وهذا يعكس الأهمية المتنامية للبعد الاقتصادي للأمن، لأن عالم ما قبل نهاية الحرب الباردة كانت قوة الولايات المتحدة تقاس بترسانتها العسكرية وقوة تحالفاتها في الخارج، لكن نهايتها أعطت الأولوية للدينامية الاقتصادية والتطور التكنولوجي، ولممارسة الزعامة العالمية تبحت الولايات المتحدة عن القوة الاقتصادية والتفوق التكنولوجي.⁽³⁾ وهذا ما يجعل حضورها في تفاعلات المنطقة أحد ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية.

(1) - باهر مردان، الاستراتيجية الأمريكية: الأهداف والوسائل والمؤسسات، بكين، 2014، ص 7. من الموقع:

[file:///C:/Users/DELL/Downloads/32857138%20\(1\).pdf](file:///C:/Users/DELL/Downloads/32857138%20(1).pdf)

(2) - محمد طي، مرجع سابق، ص 18.

(3) - مايكل كلير، الحرب على الموارد الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة، عدنان حسين، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 2002) ص 10.

رغم أن السياسة العالمية بعد نهاية الحرب الباردة أصبحت أقل اهتماماً بالتنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الدولية، وحول العديد من الباحثين اهتماماتهم إلى المجمعات الأمنية الإقليمية المستقلة بشكل متزايد إلا أن منطقة الشرق الأوسط بقيت في صلب اهتمامات السياسة الخارجية الأمريكية وذلك من خلال "باكس أمريكانا Pax Americana"⁽¹⁾ أو السلام الأمريكي الذي تستند فيه أمريكا على قوتها العسكرية في المنطقة، وذلك باحتواء العراق وإيران وإدارتها لعملية السلام العربية الإسرائيلية، وتعزيزها للإصلاحات النيوليبرالية الأمريكية، حيث سعت الولايات المتحدة إلى تنظيم المنطقة وإعادة تشكيلها.⁽²⁾

كانت أوروبا والولايات المتحدة أكثر انخراطاً في الشرق الأوسط من القوى الكبرى الأخرى، بحيث انجذبت الولايات المتحدة إلى المنطقة بسبب مسؤولياتها العالمية المتصورة والتزامها بأمن إسرائيل واحتياجاتها من الطاقة. وتشارك مصالح أوروبا والولايات المتحدة في الشرق الأوسط إلى حد كبير، ولديهم تصور مشترك بشكل عام للاتجاه الذي يريدون صناعته لمسارات التحولات في منطقة الشرق الأوسط.⁽³⁾

وتأخذ منطقة الشرق الأوسط حيزاً مهماً لدى صناع القرار في البيت الأبيض، لارتباطها بالمصالح الأمريكية الحيوية المتمثلة في مصادر الطاقة الضرورية للاقتصاد الأمريكي خاصة منذ أن لبست الولايات المتحدة عباءة القيادة العالمية بعد نهاية الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفييتي المنافس الجيوبوليتيكي لتمدد النفوذ الأمريكي.⁽⁴⁾

(1) - Pax Americana أو ما عرف بالسلام الأمريكي والذي يعني حلول السلام في جميع أنحاء العالم تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بصفتها (رجل الشرطة العالمي) (World Policeman) الذي يحمي العالم، والذي من حقه التدخل في أي أزمة عالمية للحفاظ على السلام العالمي. ولكن، على العكس تماماً، فقد شهدت الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية تصاعد وتيرة الحروب، فشهدت تلك الفترة الحرب الكورية، والحرب الفيتنامية، وحرب الخليج، والحرب الأهلية الصومالية، وحرب كوسوفو، وحرب أفغانستان، وحرب العراق، وذلك على سبيل المثال لا الحصر للمزيد حول الموضوع اطلع: أحمد شوكت، السلام الأمريكي Pax Americana كيف تتحول من الإنعزالية إلى الامبريالية، من الموقع:

<https://www.egyres.com>

(2) - Rasmus Alenius Boserup And Others, **New Conflict Dynamics** Between Regional Autonomy And Intervention In The Middle East And North Africa ; (Denmark, Danish Institute For International Studies, 2017), P7.

(3) - Jon B. Alterman, **Rocky herbors** taking stock of the middle east in 2015, center strateging international studies, A Report of the CSIS Middle East Program 2015, p7

(4) - William F. Wechsler, US With drawal from the Middle East: Perceptions and Reality, on: Karim Mezran, Arturo Varvelli, **THE MENA REGION: A GREAT POWER COMPETITION**, (Italy:Ledizioni Ledi Publishing, First edition, October 2019), p14.

كما تعتبر المصالح الإقليمية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، انعكاساً لمصالحها الأوسع في فهم متطلبات الأمن القومي الأمريكي. كما هو الحال مع أي جزء في العالم، فالولايات المتحدة مصلحة قوية في ضمان عدم وجود سلطة في منطقة الشرق الأوسط، سواء كانت دولية أو غير دولية، لديها الإرادة والقدرة على مهاجمة الولايات المتحدة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لهذا عملت على ضمان عدم تمكن أي كيان بمفرده من الهيمنة عسكرياً على النطاق الأوسع للكتلة الأرضية الأوراسية، التي يعد الشرق الأوسط جزءاً منها، على هذا النحو ستشكل القوة بطبيعتها تهديداً عسكرياً مباشراً، وخلال نفس الفترة الزمنية، اعتبرت الولايات المتحدة أيضاً أن مصالحها العالمية تتم حمايتها على أفضل وجه من خلال تعزيز النظام الدولي الليبرالي.⁽¹⁾ ولقد ظل أمن النفط الخليجي لفترة طويلة مصدر اهتمام الجيوبوليتيكا الأمريكية في الشرق الأوسط بعد سقوط الإتحاد السوفييتي، حيث ظهرت تحديات ومخاوف أمريكية جديدة في المنطقة تتمثل في سياسة خطوط الأنابيب والعمل على فصل هذه الموارد والطرق التي تصل من خلالها إلى الأسواق الدولية عن سيطرة روسيا ومنع النفوذ الإيراني الذي من شأنه زيادة دور الخليج كمر لنفط العالم.⁽²⁾

لهذه الأسباب فإن الولايات المتحدة الأمريكية ابتداء من عهدة كلينتون الثانية عارضت اقتراح نقل موارد كازاخستان عبر ميناء نوفوروسيسك الروسي في البحر الأسود بالإضافة إلى معارضة مشروع يربط تركمنستان وباكستان وأفغانستان، وفي المقابل نجحت الولايات المتحدة في إقناع أذربيجان، جورجيا كازاخستان، تركيا وأوزبكستان لدعم خيارها لخط أنابيب باكو تيبيلسي، الذي يمتد من أذربيجان عبر جورجيا إلى تركيا. ويمكن النظر إلى توسيع المشاركة العسكرية الاستراتيجية لأمريكا في آسيا الوسطى كآلية لتعزيز اندماج هذه الدول في السياسة الغربية من جهة، ومن جهة أخرى العمل على إقصاء وتحييد القوى المنافسة من السيطرة على المنطقة المهمة جيوبوليتيكا في الحلقة الأوراسية.⁽³⁾ فسياسة الولايات المتحدة في منطقة أوراسيا سواء في قلبها المتمثل في آسيا الوسطى أو الحواف الشاطئية (الشرق الأوسط) تقوم على حماية المصالح الاقتصادية والأمنية الأمريكية وعزل روسيا والصين وعبرهما إيران التي تمثل فاعل مشوش على أمريكا في منطقة الشرق الأوسط.

(1)- William F. Wechsler, op.cit, p14.

(2)- Simon Bromley, Connecting Central Eurasia to the Middle East in American Foreign Policy Towards Afghanistan and Pakistan: 1979-Present, Perspectives on Global Development and Technology, PGDT 6 (2007), p93.

(3)- ibid, p94.

عملت الولايات المتحدة على زيادة دور الشركات الأمريكية الرائدة في هذه التطورات وهذا بسبب ريادتهم التكنولوجية في جميع مراحل الصناعة وسهولة وصولهم على مصادر التمويل الشركات الأمريكية هي عوامل تمكين رئيسية لسياسة الولايات المتحدة في مناطق النفط العالمية المتخلفة تقنيا والتي تقتصر لرأس المال، وقد أعطت أحداث الحادي عشر سبتمبر دفعا للسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط سواء عن طريق الشركات واستعمال البعد الاقتصادي أو التدخل العسكري المباشر كما هو الحال في أفغانستان 2001 والعراق 2003.⁽¹⁾

منذ أحداث الحادي عشر سبتمبر استحوذت منطقة الشرق الأوسط على مكانة محورية في السياسة الخارجية الأمريكية بصورة تفوق أهميتها عن أي فترة مضت، حيث طورت إدارة بوش مفاهيم وآليات جديدة للتعامل مع الواقع الذي خلفته الأحداث. فأصبحت الحرب على الإرهاب مكونا رئيسيا في استراتيجية أمريكا في الشرق الأوسط، وهذا لهندسة جديدة للمنطقة يكون لإسرائيل فيها موقعا مهما.⁽²⁾

في إطار استراتيجية إعادة الانتشار الجيوسراتيجي في المنطقة، رغم أن العديد من المفكرين والمعلقين يرون أن قوة الولايات المتحدة في تراجع عالمي في فترة ما بعد الحرب الباردة والنظام "أحادي القطب"، الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة، أصبح "متعدد الأقطاب، إذ تشكل الصين وروسيا وربما الاتحاد الأوروبي والهند والبرازيل تحديا للهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط وهذا ما يسميه فواز جرجس أستاذ العلاقات الدولية بجامعة لندن "لحظة أمريكا".⁽³⁾

بعد الربيع العربي اعتمدت الولايات المتحدة على استراتيجية الحضور والدعم للحلفاء المحليين والإقليميين في المنطقة، فكانت وراء تركيا في تنافسها الجيوبوليتيكي مع إيران، ومحاولة جعل النظام التركي كنموذج يحتذى به في دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد الانتفاضات العربية ومحاولة صنع نظم إقليمية على شاكلة النظام التركي (مصر وتونس)، وفي مكان آخر في المنطقة تركزت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على المملكة العربية السعودية كدولة غنية بالنفط وفاعل سني، حيث أصبحت الجزيرة العربية دعامة أخرى لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وقد كانت الولايات

(1)- Simon Bromley, op, cit, p94.

(2)- غنية أفنوخ، "الاستراتيجية الشرق أوسطية للولايات المتحدة بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات استراتيجية، العدد 22، ص 79.

(3)- Christopher Phillips, **the Battle for Syria, international rivalry in the new middle east**, (Yale University press, new Havan and London, 1st published in paperback 2018), p4

المتحدة تتعاون مع العربية السعودية، متجاهلة موقفها غير الديمقراطي والطابع الاستبدادي الملكي على اعتبار أنها شريك عسكري وتجاري مهم في المنطقة، حيث تم استخدام المملكة العربية السعودية كأداة من قبل الولايات المتحدة في سعيها وراء الازدواجية السنية الشيعية بين دول المنطقة.⁽¹⁾

للحديث عن مستوى الحضور والتفاعل الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط يجب وضعه في سياقه التاريخي؛ الذي يرجع إلى سنة 1973 (حرب أكتوبر)، حيث ظهر تأثير هنري كيسنجر بقوة كوزير خارجية في عهد ريتشارد نيكسون، وعملت الولايات المتحدة للتوفيق بين إسرائيل وجيرانها العرب، ولقد أصبح ذلك الأساس، "باكس أمريكانا" كما يسميه مارتن أندريك محور أمريكا.⁽²⁾ حيث يرى أندريك أن باكس أمريكانا كان يمثل جزء من نفوذ الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وأساس ذلك هو انتزاع مصر من الإتحاد السوفييتي، الذي حدث في بداية عملية السلام التي تقودها أمريكا وإلى حد ما سوريا، وبدأ قوس النفوذ الأمريكي يتصاعد بعد جهود الرئيس جيمي كارتر للتوسط في معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، حيث أخرج مصر من دائرة الصراع مع إسرائيل.⁽³⁾ واعتبر أندريك اتفاقيات أوسلو ومعاهدة السلام الإسرائيلية الأردنية في عهد الرئيس "بيل كلينتون" نقطة تحول لصالح التواجد الأمريكي في المنطقة، كما أن حرب الخليج الأولى التي انتهت بالحرب على العراق وإخلاء جيش صدام حسين من الكويت أدت إلى تعزيز مكانة الولايات المتحدة في المنطقة، حيث أنه بحلول تسعينات القرن الماضي كانت الولايات المتحدة القوة الكبرى الأولى المهيمنة على المنطقة.

تمتد فترة "العصر الأمريكي في الشرق الأوسط" تقريباً من 1990 إلى 2005، وتتكون من مرحلتين: المرحلة الأولى: بدأت تلك الحقبة مع صعود الهيمنة السياسية والعسكرية للولايات المتحدة أعقاب حرب الخليج الأولى سنة 1990؛ وتبين هذه المرحلة قوة النفوذ الأمريكي سواء بالتواجد العسكري المباشر، أو القدرة على أنماط التغيير وبذل جهوداً لتشكيل نظام إقليمي موالٍ للولايات المتحدة منذ تسعينيات القرن العشرين، ففي عهد الرئيس بيل كلينتون، حاولت الولايات المتحدة إنشاء منطقة من الدول

(1)- Jülide Karakoç, Challenges To Us Middle East Policyin The Post-Arab Uprisings Period, in, Jülide Karakoç and Duygu Ersoy, New Actors and Issuesin the Post-ArabUprisings Period, Cambridge Scholars Publishing, 2016, p2.

(2)- Jon B. Alterman, op, cit, p7

(3)- مارتن أندريك، الجغرافيا السياسية الجديدة في الشرق الأوسط الحلقة الثالثة، الإنسحاب من الشرق الأوسط، الخبر برس، 4 أوت 2020، من الموقع: <https://alkhabrpress.com/archives/25047> تم تصفح الموقع يوم 2021/01/23.

المتحالفة، في سلام مع إسرائيل، وأكثر اندماجاً في الاقتصاد العالمي.⁽¹⁾ ولكن مع نهاية إدارة كلينتون بدأ الحضور الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط بالتراجع كلينتون بعد الفشل في تحقيق انفراج بين إسرائيل وسوريا أولاً، ثم بين إسرائيل والفلسطينيين في كامب دافيد، ثم تبع ذلك الانتفاضة التي أثبتت هشاشة فكرة السلام الفلسطيني الإسرائيلي.⁽²⁾

المرحلة الثانية بعد الفشل الأمريكي في السيطرة على المنطقة بداية من غزو العراق عام 2003 بدأت ملامح المرحلة الثانية في عهد الرئيس جورج بوش الابن، حيث حاولت الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش الابن تحويل المنطقة من خلال إعادة الانتشار الجيوستراتيجي على أساس نشر القوة العسكرية في المنطقة، والعمل على ما سمي بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان،⁽³⁾ لكن غزو العراق عام 2003 وما تلاه من خسائر مادية للولايات المتحدة اعتبره العديد من المفكرين الأمريكيين خطأ جيوستراتيجي لصناع القرار، ساهم في انحدار مستوى الحضور الأمريكي في الشرق الأوسط، وهذا بسبب زيادة الضغوط الشعبية الداخلية بعدم التدخل في الشؤون الدولية والاهتمام بالشأن الداخلي الأمريكي، وكذلك تصاعد الفاعلين الدوليين وغير الدوليين في المنطقة في إطار التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى العالمية والإقليمية وهنا إشارة للعودة القوية لروسيا للساحة الدولية واعتبارها لمنطقة الشرق الأوسط الحديقة الخلفية لها التي لا مجال للتنازل عنها والقوى الإقليمية (إيران وتركيا)، وزيادة دور التنظيمات الإرهابية وتشكيلها تهديد مباشر للوجود المتفرد للولايات المتحدة في المنطقة.

رغم الاتفاق على الأهداف الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، لكن الفرق يكمن في آليات تنفيذ هذه الاستراتيجيات بين الحكومات الجمهورية والديمقراطية، فبالنسبة لإدارة باراك أوباما اعتمدت على التركيز على إعادة الثقة بالولايات المتحدة من خلال تعزيز العلاقات والمصالح المشتركة مع دول الشرق الوسط، مع إيلاء إسرائيل وأمنها أهمية خاصة كونها تمثل قاعدة المصالح الأمريكية في المنطقة، لذلك وضع أوباما في أولوياته إنهاء التواجد العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط واستبداله بترتيبات أمنية وسياسية ضامنة للمصالح الأمريكية في ظل الإدراك الأمريكي بتفوق القوة العسكرية الإسرائيلية، كما سعى أوباما إلى تحسين صورة الولايات المتحدة من خلال السعي إلى إحياء عملية السلام في الشرق الوسط،

(1)- Rasmus Alenius Boserup and others, **NEW CONFLICT DYNAMICS** Between Regional Autonomy and Intervention in the Middle East and North Africa, (Denmark, Danish Institute for International Studies, 2017), p32.

(2)- مارتن أندريك، مرجع سابق

(3)- Rasmus Alenius Boserup and others, op, cit, p32.

وكذلك محاولة إبعاد خطاب الكراهية ضد الإسلام وربطه بالإرهاب، ومن الواضح أن أوباما حاول تغيير اهتمامات الولايات المتحدة الاستراتيجية إلى شرق آسيا، لذلك سمحت الولايات المتحدة بتدخل روسي في سوريا بما لا يتناقض مع المصالح الأمريكية مع وجود تنسيق أمريكي روسي وفق مبدأ القيادة من الخلف التي اعتمدها أوباما.⁽¹⁾

أما إستراتيجية الولايات المتحدة في عهد ترامب فقد اعتمدت أدوات أكثر واقعية من تلك التي اعتمدها أوباما، وذلك لأن ترامب رجل مال وأعمال ينطلق في تعامله مع الأحداث وفق منطق تجاري واضعاً في حساباته تحقيق أكبر ربح مادي للولايات المتحدة، وقد انطلق ترامب في سياسته من مبدأ (أمريكا أولاً) والذي يستند إلى أفكار تدور حول الدفاع عن الهيمنة الأمريكية ورفض الأقطاب المتعددة.

اتسمت سياسة ترامب بميله للقوة المادية والانفرادية في القرارات الدولية، لذلك نرى ترامب قد لجأ إلى اتخاذ قرارات مثيرة للجدل منها إلغاء الاتفاق النووي مع إيران كونه حسب رأيه ليس لصالح الولايات المتحدة، وقرار ترامب بانسحاب الولايات المتحدة من 14 معاهدة ومنظمة دولية التي يعتقد إنها تقتقد لشروط الهيمنة الأمريكية.⁽²⁾ ثم كثف الضربات الجوية الأمريكية من الصومال إلى سوريا ثم أعلن انسحاباً كاملاً للقوات الأمريكية من شرق سوريا في ديسمبر 2018 مُعلنًا، "إنهم جميعًا يعودون ويعودون الآن" ثم أعلن عن نشر عمليات عسكرية إضافية في المنطقة لمواجهة إيران لمدة ستة أشهر في وقت لاحق. وقد شجب في الوقت نفسه إفراط سلفه في الاستثمار في الشرق الأوسط وضعفه هناك⁽³⁾ ولقد نصت استراتيجية الأمن القومي في عهد الرئيس ترامب على تحقيق النجاح في التنافس الجيوبوليتيكي مع القوى الكبرى المنافسة (روسيا والصين) في القرن الحادي والعشرين كأحد النقاط الرئيسية التي وردت في الوثيقة، والحفاظ على توازن القوى إقليمياً وعالمياً لصالح الولايات المتحدة في مناطق العالم الرئيسية: الهند، المحيط الهادي، أوروبا والشرق الأوسط.⁽⁴⁾

(1) - قحطان حسين طاهر، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بين الثبات والتغير، 20 أوت 2020، من الموقع

تم زيارة الموقع يوم 2021/01/26. <https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/24258>

(2) - المرجع نفسه.

(3) - Daniel Benaim and Michael Wahid Hanna, The Enduring American Presence in the Middle East The U.S. Military Footprint Has Hardly Changed Under Trump, August 7, 2019, <https://www.foreignaffairs.com>.

(4) - محمد ميسر فتحي، "الأداء الاستراتيجي الأمريكي تجاه الشرق الأوسط في عهد إدارة ترامب": دراسة مستقبلية، مجلة العلوم السياسية، العدد 56، 2018، ص 344.

تستند عقيدة الرئيس دونالد ترامب إلى تقاليد الحزب الجمهوري القائمة على أربع مرتكزات وهي؛ حماية الولايات المتحدة وتأمين الشعب الأمريكي وتعزيز الازدهار الأمريكي والحفاظ على السلام بالقوة. حيث اتسمت الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط في فترة حكم الرئيس ترامب بتصعيد التوتر للأزمات السياسية القائمة في الشرق الأوسط بخلاف سياسة سابقه باراك أوباما التي كانت مزيج من (الفوضى الخلاقة) و(القوة الناعمة) من أجل تحقيق مصالح الولايات المتحدة في المنطقة مستعينة بأدواتها المختلفة (نظم سياسية، جماعات إرهابية، إسرائيل، منظمات مجتمع مدني) الموجودة في المنطقة وتظل نقطة القوة الصلبة وتوظيفها نقطة الخلاف بين الجمهوريين والديمقراطيين.⁽¹⁾

في محاولة ترامب لاخترق منطقة الشرق الأوسط سعت الاستراتيجية الأمريكية إلى تفكيك التحالفات والتفاهات القائمة بين كل من تركيا وإيران وروسيا، فيما يتعلق بحل النزاع السوري الذي توصلت إليه الأطراف عبر مسارات الأستانة، والذي أقر مناطق خفض التصعيد، وهدف واشنطن من ذلك هو إعادة ترتيب موازين القوى بخصوص القوة المهيمنة في سوريا وطرح الحل بما يتماشى والنظرة الجيوبوليتيكية الأمريكية للمنطقة.⁽²⁾ وهذا في إطار عودة الصراع الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط سواء القوى الكبرى الفاعلة على المستوى العالمي (روسيا وعودتها للساحة الدولية واعتبارها للمنطقة الحديقة الخلفية لروسيا التي لا تتنازل عنها في أي صراع)، أو القوى الفاعلة على المستوى الإقليمي، تركيا وإيران ومستوى حضورهما في كل تفاعلات المنطقة بحكم التاريخ والجغرافيا.

فيما يخص سياسة ترامب تجاه إيران فقد شهد عام 2017 تحولا جذريا يتناقض مع ترتيبات إدارة أوباما وقد عبر ترامب صراحة عن موقفه خلال حملته الانتخابية والمتمثل برفضه التام للإتفاق النووي الذي أبرمته إدارة أوباما مع إيران لأنه رغم أنه يقيد إيران نوويا إلا أنه لا يقطع عليها الطريق نهائيا.⁽³⁾ والمخاوف الأمريكية من إيران لا تكمن في احتمالية تصنيع إيران للسلاح النووي مستقبلا بل القلق من طبيعة النظام الإيراني إمكانيات الدولة الجيوبوليتيكية ما يؤهلها لأن تكون قوة إقليمية مهيمنة، وهذا ما من شأنه أن يشكل خطر لأمن إسرائيل، وكذا الرغبة التوسعية لإيران داخل الدول العربية الشرق أوسطية.

(1) - علاء جبار أحمد، "السلوك السياسي للرئيس دونالد ترامب في الشرق الأوسط"، دراسات دولية، العددان 77-78، ص406.

(2) - المرجع نفسه، ص408.

(3) - المرجع نفسه، ص409.

لقد خرج الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يوم 14 أكتوبر 2017 بخطاب للأمريكيين ركز فيه على الاتفاق النووي مع إيران ووصف سياسات إيران بالعدائية في منطقة الشرق الأوسط، وطبيعة حكمها الديكتاتوري وحالة حقوق الإنسان، ولقد شدد في خطابه على أنه لن يصادق على الإتفاق النووي. تقسيم وتنقسم استراتيجيات ترامب التي أعلنها ضد إيران إلى ثلاث خطوات:

- منع إيران من الحصول على السلاح النووي وعدم التصديق على الاتفاق في حالة لم تضاف بنود جديدة تؤكد حظر التصنيع الصاروخي للصواريخ طويلة المدى القادرة على حمل رؤوس نووية.
- فرض عقوبات مشددة على الحرس الثوري مثل حشد المجتمع الدولي لإدانة الحرس الثوري على انتهاكه لحقوق الإنسان، والاعتقال غير العادل لمواطنين أمريكيين وأجانب وفقاً لاتهامات باطلة.
- التضييق على حلفاء إيران خارج حدودها خاصة حزب الله اللبناني وأعلنت الخارجية الأمريكية عن مكافآت مالية لمن وقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية، في العاشر من الشهر الحالي، مكافأة مالية لمن يساعد في اعتقال اثنين من قيادات الحزب الأول طلال حمية والثاني فؤاد شكر وهو عضو المجلس الجهادي للحزب، وقد دعت الولايات المتحدة المجتمع الدولي إلى المشاركة في معاقبة ومنع نشاطات الحزب.⁽¹⁾

من خلال تحليل الاستراتيجية الأمريكية في عهد ترامب في منطقة الشرق الأوسط في الشق الخاص بإيران نلاحظ أنها تسعى لإحتواء النفوذ الإيراني وتقييد برنامجها الصاروخي وإيقاف دعمها للجماعات الإرهابية على حد وصف الإدارة الأمريكية وإرغامها على العودة لطاولة المفاوضات دون شروط كمرحلة أولية، ثم تفكيك برنامجها النووي كمرحلة ثانية، كما ركزت الاستراتيجية الأمريكية على العقوبات الاقتصادية.⁽²⁾ ويكمن التوجس الأمريكي الآخر في المنطقة الجماعات الإرهابية والعمل على قطع مصادر دعمهم، وهنا تستهدف دعم إيران لحزب الله والحوثيين في اليمن، وتستمر السياسة الأمريكية في استعمال التنظيمات الإرهابية بما يخدم مصالحها فقد وفرت هذه التنظيمات الغطاء الشرعي للتدخلات الأمريكية في المنطقة وإعطائها الضوء الأخضر لاستعمال القوة، وهذا لأغراض جيوبوليتيكية أمريكية

⁽¹⁾ دون اسم الكاتب، استراتيجية ترامب تجاه إيران الدوافع والاتجاهات، تقدير موقف، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات،

18 أكتوبر 2017، ص 4.

⁽²⁾ - علاء جبار أحمد، مرجع سابق، ص ص 409-410.

تدخل ضمن نطاق التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى والصاعدة الحاضرة في كل مجريات الشرق الأوسط.

تسعى الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط للحفاظ على نظام الدولة من الانهيار-ولو كانت هذه الدولة ضعيفة أو غير ديمقراطية- خشية من سيطرة الجماعات المتطرفة المسلحة السنية والشيعية على السواء التي تعدّها الولايات المتحدة أخطر على المصالح الأمريكية من الحكومات غير الموالية لواشنطن ورأينا كيف تراجع واشنطن عن هدف إسقاط نظام الأسد في سوريا بعد تصاعد قوة الجماعات المتطرفة، ولازالت الولايات المتحدة ترى أن نظام الدولة في الشرق الأوسط مازال مهدداً ويجب دعمه وحمايته من الانهيار عند الحاجة وهذا ما يحصل مع العراق.

كما تقوم رؤية ترامب أيضاً على تحقيق التنمية الاقتصادية، لكن هذه الرؤية تصادمت مع مصالح واشنطن وأدت إلى تراجع أدائها أو ربما مؤشر لشكل جديد من إدارة نفوذها، كما يذهب الكثير من المراقبين، وبما أن أي نجاح أو فشل يتم قياسه بمؤشرات تحقق البناء عليه، فمن مؤشرات تراجع الاستراتيجية الأمريكية شرق أوسطياً: عدم القدرة على الرد على استهداف "أرامكو"، وتصعد مشروع "الشرق الأوسط الكبير"، وعدم القدرة على تحقيق مشروع التقسيم الجديد "صفقة القرن" على الأقل في هذه المرحلة، وتراجع قوة ونفوذ الحلفاء⁽¹⁾

إن سلوك ترامب في طبيعة وضوح المسار الأمريكي الاستراتيجي، فضلاً عن صعود قوى الشرق روسيا والصين وتقدمها أمام الولايات المتحدة، يعطيان مؤشرات على فهم مجريات الأحداث، لكن ذلك لا يجزم بحدوث تراجع بقدر أن يكون شكل جديد في إدارة الأوضاع في المنطقة، ويعطي الرئيس ترامب صوتاً لرغبة قوية ومفهومة في الانسلاخ عن الشرق الأوسط بشكل نظيف، ومع ذلك قد يكون النهج الأفضل هو الذي يعكس التناقص الأمريكي الطويل الأمد بشأن المنطقة.⁽²⁾

هناك حالة من المبالغة في تقدير واقع مفهوم انسحاب الولايات المتحدة من الشرق الأوسط، لكن النفوذ الأمريكي في المنطقة يمر بالتأكيد بمرحلة تراجع، تحتفظ فيه الولايات المتحدة بوجود مهم لقواتها في المنطقة، لكن الشعب الأمريكي يبدي عدم ترحيبه بمشاركة بلاده العسكرية في الصراعات الجارية في

(1)- خالد هنية، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط في ظل صعود القوى الإقليمية، (مقال رأي)، من الموقع:

<https://www.aa.com.tr/ar>

(2)- Hal Brands, Why America Can't Quit The Middle East, Thursday, March 21, 2019, on: <https://www.hoover.org/research/why-america-cant-quit-middle-east>, visited 5th february 2021.

الشرق الأوسط، لكن الاعتقاد بأن الولايات المتحدة لم تعد تعتمد على إمدادات النفط في المنطقة ليس أمراً مؤكداً من واقع سوق النفط العالمية، ولكنه رغم ذلك اعتقاد يشكل جزءاً من عملية صنع القرار الأمريكي المعاصرة، حيث تراجعت الولايات المتحدة عن القيادة الدبلوماسية لعملية السلام في الشرق الأوسط وإدارة الصراع في جميع أنحاء المنطقة باستثناء القضايا المتعلقة بإيران، التي تركز الولايات المتحدة عليها بشكل مستمر.⁽¹⁾ إن المتتبع للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط يجد أن السياسة الأمريكية في المنطقة تخضع لضرورتين متعارضتين:

✓ الحاجة إلى حماية المصالح الأمريكية الدائمة من ناحية.

✓ الرغبة في الابتعاد عن الصدام الذي لا ينتهي في المنطقة من ناحية أخرى.

ولقد ارتفعت من داخل أمريكا الأصوات الداعية لفك الارتباط العسكري مع الشرق الأوسط، إذ تعكس هذه الدعوات إحباطاً عميقاً من متابع التدخلات الأمريكية على مدى العقدين الماضيين، فضلاً عن الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تواجه تحديات أكبر في أماكن أخرى. ومع ذلك، فإن المصالح الأمريكية في المنطقة لم تختف، واحتمال أن تؤثر مشاكل الشرق الأوسط على أمريكا إذا تركت دون معالجة هو احتمال مرتفع كما كان دائماً إذا سارعت الولايات المتحدة إلى الخروج، فقد تجد أنها تتراجع في ظل ظروف أسوأ وبتكاليف أعلى في المستقبل.

لقد شكلت العلاقات الإيرانية-الأميركية على الدوام معضلة لصناع القرار في كلا البلدين، وفي العقد الأخير بدا واضحاً أن واشنطن لا تستطيع غض الطرف عن الأهمية التي تتمتع بها إيران كدولة ونظام سياسي، ولقد طالبت إيران بإحداث تغيير فعلي في السياسة الأميركية يركز على محاور عدة أهمها: أن تتوقف الإدارة الأميركية عن القيام بأي فعل يكون هدفه إسقاط النظام في إيران، وأن تحترم وحدة الأراضي الإيرانية، وأن تقبل بمشروعية دور إيران في المنطقة. وفي هذا السياق وظفت الجمهورية الإسلامية الإيرانية ملفات العراق وأفغانستان كبالونات اختبار لما يمكن أن يقود إليه التعاون مع الولايات المتحدة.⁽²⁾ وتعتبر إسرائيل أن إيران تشكل خطراً وجودياً، لهذا دعمت إسرائيل فرض المزيد من العقوبات الاقتصادية

(1) - برونس جونز، جيوبوليتيك الشرق الأوسط: نفوذ إيراني متزايد... ومحاولات مصرية لاستعادة الريادة، الجزء الثاني،

المركز الكردي للدراسات، من الموقع: 18 جانفي 2019 <http://www.nlka.net/news/details/755>

(2) - فاطمة الصمادي، "ترامب ولجم إيران محددات الواقع الجيوسياسية"، مركز الجزيرة للدراسات، تقارير، 27 فيفري 2017، ص ص 2-3.

على إيران، على اعتبار أن إيران تشكل تهديدا للأمن الإقليمي في الشرق الأوسط، ولم تركز معارضة إسرائيل للإتفاق النووي مع إيران سنة 2015(1+5) على ما أسمته قصورا في الإتفاق في حد ذاته بل قلقهم من أن يزيد هذا الاتفاق من تقوية إيران في مجالات أخرى غير نووية.⁽¹⁾

في بداية عهدة الرئيس الأمريكي الجديد جو بايدن⁽²⁾ كشفت تصريحات مستشاريه في الأسابيع الأولى لتوليه الرئاسة أن أهم أولويات الإدارة الأمريكية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط تتمثل في مواجهة إيران؛ التي تزعزع الاستقرار في المنطقة، وذلك من خلال برنامجها النووي، تهديدها لأمن إسرائيل. كما تعمل الإدارة الأمريكية الجديدة على تعزيز السلام بين العرب وإسرائيل، وإنهاء الحروب في اليمن وليبيا، وتعزيز وضع حقوق الإنسان⁽³⁾. وتعهد بايدن بتبني سياسة ثلاثية الأبعاد تتضمن الالتزام بمنع إيران من امتلاك سلاح نووي، وعرض طريق واضح للعودة إلى الدبلوماسية والتفاوض، بحيث يعمل مع حلفاء بلاده على تعزيز وتوسيع بنود الاتفاق النووي ومواصلة العمل ضد أنشطة إيران "المزعزعة للاستقرار التي تهدد أصدقاء وشركاء الولايات المتحدة في المنطقة".⁽⁴⁾

أشار **باولو كاساكا Paulo Casaca**، النائب الأوروبي السابق إلى أن إدارة بايدن بدأت خطوة غير مسبقة حيث وجه مجموعة من الأوامر الرئاسية التي تهدف إلى تغيير الإجراءات التي اتخذها سلفه دونالد ترامب فيما يتعلق بالاتفاقيات الدولية مثل اتفاقية باريس للمناخ والانضمام إلى منظمة الصحة العالمية، وقد سارت الأمور بسرعة، أما فيما يتعلق بإيران فإن الأمور ستكون بالتأكيد أكثر تعقيداً مع صفقة إيران على الرغم من أن بايدن التزم بالقيام بذلك في أقرب وقت ممكن. يعتقد كاساكا أنه من

(1) - داليا داسا كاي، "سياسات إسرائيل بشأن إيران بعد الإتفاق النووي، منظور تحليلي"، تقارير مؤسسة راند، 2016، ص 1.

(2) - جوزيف روبينيت بايدين الابن ويُطلق عليه جو بايدن الرئيس السادس والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية، منذ 20 جانفي 2021. شغل سابقاً منصب نائب رئيس الولايات المتحدة السابع والأربعين في الفترة من عام 2009 إلى 2017 إبان حكم الرئيس باراك أوباما

(3) - الثابت والمتغير في سياسة أمريكا في الشرق الأوسط في عهد بايدن، <https://www.dw.com/ar> تم زيارة الموقع يوم 2021/02/10 على الساعة 21:52.

(4) - محمد المنشاوي، بعد سيطرة بايدن الثلاثية على السلطة.. ما مصير قضايا الشرق الأوسط؟ 2021/1/9، من الموقع:

تم تصفح الموقع يوم 2021/02/27. <https://www.aljazeera.net/news/politics/2021/1/9>.

الناحية الفنية، فإن الصفقة الإيرانية الجديدة تحتاج إلى تقويم الوضع الجديد وتطبيق أهداف لخفض مخزونات اليورانيوم والتعامل مع التطورات الجديدة للبرنامج النووي الإيراني المكشوف في غضون ذلك.⁽¹⁾

يعتقد الدكتور رضا بارشي زاده، وهو منظر سياسي إيراني، أنه على الرغم من أن بايدن سوف يغير أغلب الأوامر التنفيذية لترامب، فإنه سوف يحاول الحفاظ على اتفاقية أبراهام سليمة: "لقد فعل ترامب شيئاً جيداً بالفضل، وهو ما اعتبره أهم انجازاته حيث خدم سياسته الخارجية والداخلية على حد سواء".⁽²⁾

إن آمال الإدارة الجديدة في تطبيع العلاقات مع إيران، أو على الأقل البدء في عملية المصالحة، لن تتحقق بسهولة حيث تقوم الميليشيات التي تسيطر عليها إيران في العراق بضرب الأهداف الأمريكية. ووجهت ضربات من طرف بعض الميليشيات الموالية لإيران أهدافاً أمريكية داخل مطار أربيل الدولي في 16 فيفري 2021 وبعده في 21 فيفري ورد أن ثلاثة صواريخ أطلقت على قاعدة بلد الجوية في شمال بغداد. وبحسب التقارير تتوقع كل من الولايات المتحدة وإيران أن يتخذ الآخر الخطوة الأولى، وتشير التفسيرات التي قدمتها السلطات من كلا البلدين إلى أنه لن يكون من السهل بدء عملية تطبيع جديدة؛ لأن إيران تصر على تحسين عملية تخصيص اليورانيوم والطاقة النووية، بينما تعتبر الولايات المتحدة إنهاء هذه العمليات شرطاً أساسياً للتطبيع.⁽³⁾

كما يحذر الكاتبان **بنجامين فيردمان وستيفن ويرثايم** -الذنان يعملان بمركز الأولويات الدفاعية ومعهد كوينسي لفنّ الحكم المسؤول في الولايات المتحدة في مقال نشرته مجلة السياسة الخارجية الأمريكية في نوفمبر 2020- الإدارة القادمة من تبني السياسة الخارجية ذاتها التي تبنتها الإدارات السابقة قبل ترامب والتي جعلت من السعي إلى الهيمنة العالمية هدفاً لها عبر التمدد الاستراتيجي المفرط في العالم والتورط في حروب غير ضرورية لا نهاية لها، مدفوعةً بالإغراء الذي تخلقه القوة الأمريكية للتدخل في شؤون الآخرين والسيطرة عليهم، كما أن الجيش الأمريكي لا يمكن له حفظ السلام والأمن في الشرق الأوسط ولا ينبغي لبايدن المطالبة بذلك، فليس فيه مصلحة للولايات المتحدة، كما أن الكاتبان يقران بأن المنطقة تشهد تنافساً جيوبوليتيكاً بين بقية القوى الدولية وبالتالي فلن تُهدد دولة واحدة بالهيمنة على

⁽¹⁾- Rachel Avraham, Op Ed: Will Biden's Middle East Policy Fail like Previous Obama/Biden Administration? Guest Editorial - February 22, 2021, p2.

⁽²⁾- Ibid, p2.

⁽³⁾- Muhittin Ataman, Biden's policy toward the Middle East, FEB 24, 2021, ON: <https://www.dailysabah.com/opinion/columns/bidens-policy-toward-the-middle-east>

المنطقة وإمداداتها النفطية، ويوصي الكاتبان باتّباع "الدبلوماسية المُنصِفة" لتشجيع قوى الشرق الأوسط على مشاركة الجوار.⁽¹⁾

يبين لنا تحليل الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط أن الولايات المتحدة لا تستطيع تجاهل الدور الجيوبوليتيكي الصاعد لإيران في المنطقة كدولة فاعلة ومؤثرة في سياسات بقية الدول، كما تركز على الملف النووي الإيراني وتعتبره المحدد لبقية قضايا المنطقة. وهذا لما تشكله إيران من ثقل جيوبوليتيكي كدولة إقليمية كبرى، وطبيعة نظامها الذي يتعارض مع المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط حيث تدعم إيران حزب الله والمقاومة الفلسطينية النظام السوري الذين تعتبرهم الولايات المتحدة فواعل مناوئة لها، ومهددة لمصالحها وحلفائها خاصة إسرائيل والدول الخليجية الغنية بالنفط.

المطلب الثاني: اليقظة الروسية وحلم العودة للساحة الدولية من البوابة الشرق أوسطية

لقد أدى تفكك الإتحاد السوفييتي إلى انكشاف الأمن القومي لروسيا الإتحادية، وذلك نتيجة الفراغ الذي نتج "بجواره القريب"، والذي استغلته الولايات المتحدة وحلفائها عبر حلف الناتو من خلال قيامها بإغراء دول المنطقة للانضمام للحلف، وبقواعدها العسكرية في المنطقة للهيمنة عليها، وذلك منعا لانبعاث أي فرصة تمكن روسيا من لعب دور عالمي. وقد نجحت في ذلك في بداية إعادة تأسيس روسيا الإتحادية التي صارت "دولة عادية" تعاني من اقتصاد منهار مثقل بالديون وتتحكم فيه أطراف خارجية، خاصة في فترة الرئيس "يلتسين" الذي عرض اقتصاد بلاده لنموذج "العلاج بالصدمة" من خلال التحول المباشر من النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي، إضافة إلى المشاكل السياسية بين الكرملين والقوميين من جهة والرئيس "يلتسين" من جهة أخرى، كما عانت روسيا الإتحادية من حرب أهلية نتيجة محاولة الشيشان الانفصال عنها. نتيجة كل ذلك حدث تغير في السياسة الخارجية لروسيا، فتوجهت أولاً نحو الغرب (الولايات المتحدة وأوروبا) طمعا في الدخول في فلكه، ولما أدركت أن الغرب لا يرحب بها كشريك بل "كدولة عادية خاضعة" قامت بالتحول مع مرور الوقت وبانتخاب الرئيس "فلاديمير بوتين" سنة 2000 إلى "دولة إقليمية" كمرحلة أولى لها إستراتيجية خاصة بجوارها الإقليمي في شرق أوروبا

(1) - بنجامين فريدمان وستيف وراثيم، جو، قل لا، لا توجد عودة إلى الوضع القائم في السياسة الخارجية الأمريكية، إعداد وترجمة، جلال خشيب، البوصلة الجيوبوليتيكية، مركز دراسات الإسلام وشؤون العالم، المجلد الثاني، العدد 53، 5 ديسمبر 2020، ص ص 8-9.

والقوقاز وآسيا الوسطى، ولما استعادت قوتها وتعافت اقتصاديا توجهت إلى الساحة العالمية بالرجوع إلى الشرق الأوسط، وذلك من أجل استعادة مكانتها الطبيعية والتاريخية "دولة كبرى عالمية" مرة أخرى.⁽¹⁾

حيث أن أحد المطالب الجيوبوليتيكية الأساسية الأكثر إلحاحا لروسيا بعد انهيار الإتحاد السوفييتي وأفوله كقطب منافس للولايات المتحدة الأمريكية، هو تجميع شتات الإمبراطورية الروسية من جديد وهذا ما تحدث عنه الجيوبوليتيكي البلجيكي " جان تيريار " عندما قال هناك ضرورة لإقامة الإمبراطورية الأورو-سوفيتية وإذا لم تفعل فإنها ستواجه عدة مشاكل منها:

- احتمالية تغلغل صيني في سيبيريا الشرقية وكازاخستان.

- تحرك جماعي لدول أوروبا الوسطى نحو أوكرانيا على حساب روسيا.

- تكامل إسلامي بين دول آسيا الوسطى مع تركيا وإيران والعراق وباقي الدول الإسلامية⁽²⁾

من ناحية أخرى فرضت متطلبات الجغرافيا على روسيا الاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط وذلك لأن روسيا تشغل الحيز الأكبر من الكتلة الأورو-آسيوية الملاصقة للشرق الأوسط، لهذا وضعت روسيا هذه الأخيرة في مركز اهتماماتها منذ القديم، وذلك من أجل السيطرة على القوقاز والبحر الأسود ورغبة في الوصول من خلاله إلى المياه الدافئة، إذ يمكن القول أن الشرق الأوسط يمثل حزاما غير محكم الأطراف يحيط بجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز اللتين تعتبرهما روسيا مجالا حيويا روسيا لا مجال للتنازل عليه، وتسخر كل إمكانياتها لمنع أي تهديد لها في تلك المناطق⁽³⁾.

تدخل منطقة الشرق الأوسط في الحسابات الإستراتيجية الروسية للعودة إلى الشؤون الدولية، وذلك بعد أن قامت بإعادة ترتيب أمورها الداخلية، من خلال تسوية المشاكل والتحديات الاقتصادية والمجتمعية التي عانت منها بعد انهيار الإتحاد السوفييتي، ومن ثم تقوية نفوذها في دائرة مصالحها الحيوية بالجوار القريب وآسيا الوسطى وبعد بناء شراكات وتقاهمات إستراتيجية مع الصين والهند.

⁽¹⁾- Constantinos Filis, **RUSSIA, THE MIDDLE EAST AND THE INTERNATIONAL SYSTEM**, (2019 Nova Science Publishers, Inc).p351

⁽²⁾- محمد أحمد عقلة المومني، **السيطرة على العالم**، (الأردن: عالم الكتب الحديث)، 2010، ص130.

⁽³⁾- باسم راشد، **المصالح المتقاربة**، دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي، أوراق، وحدة الدراسات المستقبلية، العدد9، الإسكندرية 2013 في نجاه المدوخ، **السياسة الخارجية الروسية في منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة دراسة حالة سوريا 2010/2014**، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي)، ص 85.

يعتبر الشرق الأوسط أخطر المناطق في السياسة الدولية وهو مركز تجمع مصالح القوى الدولية، لذلك نشهد حضور مكثف للدول الكبرى التي تتحرك وفق استراتيجيات تتبنى عبرها المصالح ذات الصبغة البراغماتية؛ والتي يتم تنفيذها عبر أجندة سياساتها الخارجية، ما يجعلها تتنافس فيما بينها ومع الدول الإقليمية في المنطقة لتعظيم المكاسب والفرص المتاحة فيها.⁽¹⁾

أدى صعود فلاديمير بوتين إلى السلطة عام 1999 إلى ظهور سياسة خارجية أكثر وضوحًا بشكل تدريجي فقد أثرت الحرب الشيشانية والانتفاضات الملونة في أوكرانيا وجورجيا على نظرة بوتين الجيوبوليتيكية. لقد أسس بوتين رأس ماله السياسي وزاد من مكانته بعد ذلك معالجته الناجحة لقضية الشيشان، وقمع التهديد الانفصالي في شمال منطقة القوقاز، حيث كان هدفه الرئيسي هو التغلب على إخفاقات وتذبذبات إدارة يلتسين، ومعالجة القضية الشيشانية بحزم خاصة بعد أزمة مدرسة بيسلان وحصار مسرح موسكو أصبحت إدارة بوتين تنظر إلى تطوير استراتيجية بلاده مع الشرق الأوسط والعالم الإسلامي. لأن جزء كبير من الانفصاليين الشيشان من الدول الإسلامية، بشكل أساسي من المملكة العربية السعودية ودول الخليج وجنوب غرب آسيا.⁽²⁾

روسيا ليست غريبة على الشرق الأوسط، والتوسع الروسي في تلك المنطقة من العالم ليس بأي حال من الأحوال ظاهرة جديدة ولا هو مجرد تدخل عشوائي أقل استراتيجية بل اتبعت روسيا منهجا دقيقا للمنطقة يقوم على أساس فهم عميق للمشهد الجيوبوليتيكي والثقافي والديني للشرق الأوسط على طول خطوط الضرورات الاستراتيجية الروسية التاريخية. على الرغم من أن الروس كانوا غارقين في مضاعفات انهيار الكتلة الشيوعية خلال التسعينيات لكن منذ بداية الألفية الجديدة أظهروا عزمهم على استئناف الاتجاه التوسعي السابق للمناطق الحيوية التي اتبعتها أولاً الإمبراطورية القيصريّة ثم الاتحاد السوفيتي.⁽³⁾

لقد استكملت روسيا في عهد الرئيس فلاديمير بوتين ما كان ينقصها في فترة "العقد الضائع" فإلى جانب الهوية عادت روسيا لترى نفسها خليفة الإتحاد السوفيتي لا بقاياها ورسمت حدودها الجيوبوليتيكية وأهدافها في إطار سياسية خارجية ذات عقيدة أمنية وعسكرية معينة، وحددت الوسائل اللازمة لبلوغ

(1)- Constantinos Filis,op,cit.,p351.

(2)- Constantinos Filis,op,cit, p351.

(3)- Reza Parchizadeh, The Strategic Roots of Russian Expansionism in the Middle East, The Journal for Interdisciplinary Middle Eastern Studies ,Volume 6, No. 2, Fall 2020, p132.

الأهداف المحددة فلموسكو مصالحها التي يجب أن يعترف بها الغرب و"هي ليست تابعة للولايات المتحدة الأمريكية ولا الناتو"⁽¹⁾.

ولقد سعت إدارة بوتين إلى بناء قدرات استراتيجية تعزز الأمن القومي الروسي، وقد نجحت نسبيا في ذلك كما نشطت في قضايا سياسية إقليمية وعالمية لتجر الغرب إلى الإعراف بأنه لا غنى عن روسيا، وهذا ما تخوفت منه الولايات المتحدة أي عودة روسيا إلى مكانتها الدولية قوة عالمية حقيقية، لأنه يعيد التنافس الجيوبوليتيكي الأمريكي الروسي، وكان بوتين قد أعلن عن نظريته الاستراتيجية للعالم الجديد في فيفري 2007 في مؤتمر ميونيخ للأمن بعدما حققت روسيا نموا اقتصاديا وسددت ما عليها من ديون.⁽²⁾

لقد أرادت روسيا انتهاج سياسة ناشطة تحمي أمنها القومي وتمكن دورها كقوة كبرى وتوسع مصالحها الاقتصادية فكان عليها اتباع استراتيجية المسارات المتعددة القائمة على ما يلي:

- ✓ تحقيق تنمية اقتصادية قومية.
- ✓ العمل على إعادة هيكلة العلاقات الدولية وخلق عالم متعدد الأقطاب.
- ✓ العمل على إعادة روسيا كقوة مركزية في غدارة النظام الدولي.
- ✓ اعتماد خيار بناء تقاهمات متعددة الأطراف في وجه الهيمنة الأمريكية (بريكس).
- ✓ انتهاج مقاربة براغماتية في مواقع يمكن لروسيا القيام فيها بدور أساسي ولها فيها مصالح أمنية واقتصادية.⁽³⁾

تتبع الحكومة الروسية مقاربة عامة في السعي إلى المناطق التي تستطيع فيها مواجهة المصالح الأمريكية وتجد فيها دول تشاركها اهتماماتها. ويعتبر الشرق الأوسط من أكثر المناطق التي تتيح لروسيا فرص ومجالات للحركة الناشطة، حيث لم تستطع إدارة يلتسين أن تكون ذات سياسة ناشطة في منطقة الشرق الأوسط وهذا بسبب الأوضاع الداخلية التي كانت تعاني منها روسيا عقب تفكك الإتحاد السوفييتي

(1) - كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2016)، ص58.

(2) - المرجع نفسه، ص59.

(3) - المرجع نفسه، ص60.

لكن بوتين غير هذا الوضع واستطاع النهوض بالاقتصاد الروسي وتحقيق الاستقرار الداخلي، مما جعله يتوجه إلى السياسة الخارجية في الجوار القريب ثم البعيد في المناطق المرشحة أن تكون مصدر تهديدات وتحديات أمنية وفيها مصالح.⁽¹⁾

مع بداية ثورات الربيع العربي تخوف القوميون الروس من أن عدوى الربيع العربي ستنتقل إلى آسيا الوسطى الخاضعة للرخوة للأمن القومي الروسي، وقد تطال القوقاز مما يؤثر على وحدة روسيا الاتحادية لأنها تحمل بذور التغيير. وقد نظر بعض الكتاب الروس إلى الربيع العربي نظرة سلبية واعتبروه فرصة أخرى سانحة للولايات المتحدة ومن ورائها الناتو للتدخل في شؤون المنطقة الغنية جيوبوليتيكيا مما جعلها مركز للاستقطاب الخارجي. وهذا ما تعارضه روسيا لهذا وقفت ضد موجة التغييرات، وهذا لتقديرها أنها تؤدي إلى عدم الاستقرار الداخلي⁽²⁾

قال ديمتري روجزن مبعوث روسيا إلى حلف شمال الأطلسي: "أن الناتو سيوسع عملياته نحو الحدود الجنوبية للحلف بالرغم من أنه لم يتوسع نحو الشرق فإننا لا نستطيع أن نثق بأنه لن يوسع الوصاية على ليبيا، أو لن يلقي قنابله على دمشق" ويضيف أن نموذج الربيع العربي في ليبيا يجعلها أول بلد يواجه حربا صليبية.⁽³⁾

قلقت روسيا من انعكاسات الربيع العربي على مصالحها النفطية، حيث سقط من حسابها أن تحصل على فرص جديدة لأن النفط الليبي ذاهب إلى شركة أي أن تي الإيطالية ومن بعدها إلى الشركات الأمريكية والأوروبية، كما اعتمد المسؤولون الروس نظرية المؤامرة في تفسير ظاهرة الربيع العربي.⁽⁴⁾ ولقد شكل السياق السياسي والأمني العام في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ما بعد ثورات الربيع العربي فرصا سياسية جديدة للقوى العالمية للتوسع الجيوبوليتيكي في المنطقة المهددة بالخطر الأمني ومن هذه القوى روسيا الاتحادية، التي ساعدها الوضع العام لهذه الدول بسبب تغير السياقات الإقليمية للعودة

(1) - كاظم هاشم نعممة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، مرجع سابق مرجع سابق، ص 95.

(2) - في كاظم هاشم نعممة، روسيا والشرق، dimitri rtinin, russia tries to manage arab awakening from the outside.

الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات ص 96

(3) - Andrew Rettman, Libya War Is Nato Conquest Of Oil-Rich South, Russian Diplomat Says, septembre 2011, on: <https://euobserver.com>.

(4) - كاظم هاشم نعممة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، مرجع سابق، ص 100.

مجددا للتدخل السياسي والعسكري للحفاظ على المصالح الروسية في المنطقة الحيوية للقوى الكبرى.⁽¹⁾ تعتبر المصالح الجيوبوليتيكية الحالية لروسيا في الشرق الأوسط متطابقة تقريباً مع تلك المصالح لقد اتبعت منذ القرن التاسع عشر، حيث تركز هذه الاهتمامات على ما كان معروفاً خلال حقبة الحرب الباردة باسم "الطبقة الشمالية"؛ وهي إيران والعراق وتركيا وأفغانستان وبطبيعة الحال، القوقاز وآسيا الوسطى. وبعد نهاية الحرب الباردة، عملت موسكو على تعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية مع دول المنطقة خاصة في قضية الطاقة.

كانت أهداف السياسة الخارجية الروسية خاصة في عهد فلاديمير بوتين هي زيادة النفوذ في القوقاز وآسيا الوسطى وتطوير علاقات مميزة مع إيران وتركيا. كانت حكومة بوتين قلقة من "الثورات الملونة" في أوكرانيا، جورجيا وقرغيزيا، وبالتالي دعم الولايات المتحدة لهما. وعلى ذات النهج اعتبرت روسيا "الربيع العربي" مشابهاً لهذه الانتفاضات، خوفاً من أنه يجلب دعم الإسلام السياسي إلى الوصول إلى السلطة ويخلق نموذجاً خطيراً لروسيا نفسها ومجال نفوذها الإقليمي المباشر. لهذه الأسباب، كانت روسيا تميل إلى موازنة ما تعتبره نفوذ الولايات المتحدة وتطور الإسلام السياسي من خلاله دعم نظام بشار الأسد وحكومة عبد الفتاح السيسي في مصر. التدخل الروسي في سوريا أنتج نموذجاً جديداً من التعددية في إدارة الشؤون الدولية، وهذا ما أعطى موسكو دوراً بارزاً في الشرق الأوسط وفرصة تحدي للغرب الليبرالي على اعتباره نموذج للنظام العالمي.⁽²⁾

اختلف الموقف الروسي من ثورات الربيع العربي في منطقة الشرق الأوسط ومن ثمة مستوى الحضور الروسي في تفاعلات الأحداث في كل دولة؛ ففي الثورة التونسية أو ما عرفت بثورة الياسمين، كانت موسكو شبه غائبة، وهذا لسببين الأول أن الثورة جاءت مفاجئة لروسيا ولم تكن تريد اتخاذ أي موقف حتى تتضح الأمور وثانياً أن روسيا ليس لها مصالح حيوية في تونس، وفي البحرين حاولت روسيا

(1)- Ziad Akl, Russia and Post-Arab Spring Political Elites in Egypt, Libya and Syria, in The Role Of Russia In The Middleeast And North Africa Region.Strategy or opportunism?, Ziad Akl and others, Editorial team: Aleksandra Chmielewska IEMed. European Institute of the Mediterranean, april2019, p55.

(2)- Sotiris Roussos, **RUSSIA, THE MIDDLE EAST AND THE INTERNATIONAL SYSTEM**, In: A Closer Look at Russia and Its Influence in the World, Editor: Constantinos Filis © 2019 Nova Science Publishers, Inc, p349.

النأي بنفسها وهذا لطبيعة الوضع الداخلي المعقد ومشاركة دول مجلس التعاون الخليجي بقيادة السعودية في مواجهة إيران إضافة على وجود قاعدة بحرية أمريكية.⁽¹⁾

اتسمت السياسة الروسية فيا يتعلق بالأزمة اليمنية بالحياد، أو الغموض أحياناً، وكانت أقل تقاطعاً مع خط سير السياسة الأمريكية وبعض الدول الغربية، المتمثل في الاعتراف بسلطة الرئيس عبد ربه منصور هادي، والتعامل معها كسلطة شرعية من جهة، والحيلولة دون هزيمة جماعة الحوثي من جهة ثانية، فهي لم تؤيد عاصفة الحزم، ولم تعلن تأييدها للانقلاب، كما أنها لم تعارض أو تؤيد قرار الأمم المتحدة رقم 2216 الذي أدان الانقلاب، غير أن طول أمد الصراع، ومراوحة ديناميات الحرب، فتحت الباب أمام التدخلات الخارجية، في مقدمتها التدخل الروسي، حيث استخدمت روسيا حق الفيتو ضد مشروع قرار تقدمت به بريطانيا في 24 فيفري 2018، ينص على تجديد حظر نقل السلاح إلى اليمن، وفرض عقوبات على إيران لدورها في تزويد جماعة الحوثي بالسلاح.⁽²⁾

تدرك القيادة الروسية خصوصية الملف اليمني واختلافه عن الملف السوري من نواح عدة، وبالرغم من تساؤل حجم الفرص أمام حجم التحديات بالنسبة للدور الروسي في اليمن فإن الحكومة الروسية ترى بضرورة لاستغلال رتبة الصراع وحالة الفراغ الدولي في المشهد اليمني. وقد طالب مجلس الشؤون الدولية الروسية (RIAC)، في تقرير له، حكومة بلاده بانتهاز الفرصة لتعزيز حضورها السياسي والدبلوماسي في اليمن؛ على اعتبار تغير جميع المعالم الرئيسية للأزمة اليمنية منذ بدايتها حتى الآن حيث تشير كل السيناريوهات إلى استمرار تدهور الحالة السياسية والإنسانية ما لم يتدخل طرف خارجي قوي ومقبول من جميع الأطراف في إشارة إلى روسيا. وتتضح رغبة روسيا في الانخراط في الملف اليمني باعتباره منطقة نفوذ استراتيجي في الشرق الأوسط، وذلك من خلال تصريحات المسؤولين الروس؛ منها ما قاله نائب مدير القسم الإفريقي في وزارة الخارجية الروسية (أوليج أوزيروف) في مؤتمر فالداي في مدينة سوتشي الروسية، الذي حمل عنوان (روسيا في الشرق الأوسط.. لاعب في كل الساحات)، حيث قال "إن بإمكان

(1) - كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، مرجع سابق، ص 101.

(2) - دون اسم الكاتب، مراوحة الصراع في اليمن واحتمالية التدخل الروسي تقدير موقف، وحدة الرصد والتحليل مركز الفكر الاستراتيجي، 22 مارس 2018، ص 2.

روسيا ودول الغرب التعاون بشكل فعال في حل الأزمة اليمنية، وإن حجم التناقضات بين روسيا والغرب أقل في الملف اليمني".⁽¹⁾

رغم إدراك روسيا لاختلاف الملف اليمني عن السوري وتضاءل حجم فرصها إلا أن الرغبة المتواصلة لروسيا للانخراط في الشأن الدولي جعلها ترجح الحضور ولو بمستوى أقل من حضورها البارز والمغير للمعطيات على الأرض في سوريا.⁽²⁾

وعند الحديث عن مستوى الحضور الروسي في الشرق الأوسط لابد من التركيز على العلاقات الروسية الإيرانية التي تعتبر حجر الزاوية في عودة روسيا للشرق الأوسط حسب المفكر الجيوبوليتيكي الروسي ألكسندر دوغين.

ما يبرز دقة وصعوبة الدبلوماسية الروسية أكثر في علاقاتها مع إيران. أنه منذ الثورة الإيرانية في عام 1979، كانت موسكو حذرة من النفوذ الإيراني على محيطها الجنوبي، لاسيما في دول آسيا الوسطى المسلمة مثل أذربيجان وطاجاكستان وتركمانستان، لكن روسيا ساعدت إيران على تحقيق بعض جوانب برنامجها النووي مثل بناء المفاعل النووي في بوشهر، في الوقت نفسه امتنعت موسكو عن تأييد امتلاك إيران للأسلحة النووية، وانضمت إلى الغرب في تأييد العقوبات ضد طهران. لكن روسيا دفعت دائماً من أجل حزمة أقل صرامة مما تريده الولايات المتحدة.⁽³⁾ ويرى سيمون ت. ويزمان وبيتر ويزمان، أن المفاوضات الدولية مع إيران حول تقليص أو تفكيك برنامجها النووي لا يمكن أن يتم في غياب موافقة موسكو. حيث تتركز دوافع روسيا الجيوبوليتيكية الأوسع في الشرق الأوسط في إصرارها على أن تكون لاعباً في القضايا الدولية الرئيسية التي تشترك بقية العالم.⁽⁴⁾

كان وصول بوتين للسلطة في روسيا عام 2000 اللحظة المفصلية في تطور العلاقات بين موسكو وواشنطن لتأخذ الصورة التي عليها الآن، فقد تحولت السياسة الروسية تجاه أمريكا من التبعية إلى عدم الثقة الصريحة والمعلنة. وعمل بوتين خلال عهده الرئاسية على لاستعادة روسيا دور القوة الدولية الكبرى المنافسة للولايات المتحدة، خاصة على مستوى الجوار الإقليمي القريب، حيث بدأت روسيا تفكر

(1)-مراوحة الصراع في اليمن واحتمالية التدخل الروسي ، مرجع سابق، ص2.

(2)- لمزيد من المعلومات حول الأداء الروسي في سوريا انظر الفصل الرابع من الأطروحة، ص267.

(3)- Jon B. Alterman, op, cit, p4.

(4)- Ibid, p5.

بتعزيز مكانتها في آسيا الوسطى وبالعودة إلى الشرق الأوسط؛ ما دفعها لإعادة تقييم دور إيران الجيوستراتيجي، وتأثيرها المباشر في منطقة القوقاز وبحر قزوين وآسيا الوسطى والشرق الأوسط.

في الوقت نفسه، أثارت العمليات العسكرية الأميركية وما تلاها من وجود عسكري في أفغانستان عام 2001، ومن بعدها العراق عام 2003، قلق إيران وروسيا على حد سواء، كما تشابهت المواقف والمخاوف من تقدم حلف الناتو نحو الشرق، في القوقاز وآسيا الوسطى ومنطقة بحر قزوين.

كل هذا أدى لتكثيف المساعي الروسية لتطوير العلاقات مع دول أخرى بعيداً عن الولايات المتحدة الأميركية، وكانت إيران من الدول المهمة في السياسة الخارجية الروسية وهذا لثقلها الجيوستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط، وبإمكان إيران أن تكون شريك اقتصادي واستراتيجي لروسيا⁽¹⁾ وذلك لأهمية إيران في السياسة الخارجية الروسية في منطقة الشرق الأوسط، بل إنها الدولة التي تعطي سياسة روسيا في المنطقة عمقا استراتيجيا، لاعتبارات جيوسياسية واقتصادية نوردتها كما يلي:

أ- تعد إيران الدولة الرئيسية في منطقة الجوار الروسي والتي لها تأثير كبير في الأحداث في الشرق الأوسط، وفي منطقة جنوب القوقاز، ووسط وجنوب آسيا، بما فيها أفغانستان وتؤثر التطورات في هذه المنطقة الواسعة مباشرة في الأمن القومي الروسي، حيث يمثل التشدد الإسلامي والإرهاب التهديد الأول له.

ب- تنظر روسيا إلى الشيعة في إيران كعامل توازن في المنطقة أمام النفوذ المتزايد لكل من الولايات المتحدة الأميركية وتركيا، أو ما يسمى أحيانا من قبل الخبراء الروس بالتطرف السني النشط بصفة خاصة في منطقتي شمال القوقاز الروسي، وآسيا الوسطى المجاورة. وقد زاد التوتر الحالي في العلاقات بين روسيا من ناحية، والولايات المتحدة الأميركية وحلف شمال الأطلسي من ناحية أخرى، من قيمة إيران كشريك مهم في نظر موسكو.⁽²⁾

ج- تعد إيران الحليف الوحيد الذي يدعم النظام السوري، حليف موسكو. ومنذ اندلاع النزاع سنة 2011 قدمت إيران لنظام الأسد دعما ماليا يقدر بنحو 20 مليار دولار، بما في ذلك قرض ميسر لتمويل

(1) - فرح الزمان أبو شعير، العلاقات الإيرانية-الروسية: شراكة حذرة تميز حلف الضرورة، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات، 7 أكتوبر 2013، ص 5.

(2) - السياسة الروسية وأمن الشرق الأوسط.. بين الإرهاب وإيران، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 30 أوت 2015، من الموقع <https://rawabetcenter.com/archives/11734>: تم تصفح الموقع يوم 2020/04/27

شراء بترول وغاز، فضلا عن تقديم استشارات عسكرية من عناصر الحرس الثوري، ومشاركة العناصر العاملة مع حزب الله في لبنان مع قوات النظام.

د- تعد إيران دولة شابة بتعداد سكان يبلغ نحو 80 مليون نسمة، وتملك مقدرات جيوبوليتيكية مهمة لروسيا بما تملكه من احتياطات ضخمة من النفط والغاز، ويعد التبادل التجاري، والعلاقات الاقتصادية مع إيران ضمن أولويات المصالح الروسية في المنطقة⁽¹⁾

تمثل عودة بوتين للكرملين عام 2012 بداية لمرحلة جديدة في العلاقات الروسية - الإيرانية، فقد تأثرت رؤية بوتين لإستراتيجية روسيا في المنطقة التي بلورها في مستهل ولايته الثالثة، بعدد من التطورات الدولية التي دفعته إلى تفعيل علاقات روسيا بدول الشرق الأوسط، بما فيها إيران التي التقى رئيسها آنذاك محمود أحمدني نجاد في جويلية 2012، وتتمثل أهم تلك التطورات فيما يلي:

• فشل مبادرات وخطط روسيا لتطوير علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية.

• استياء موسكو من الموقف الغربي السلبي في ليبيا عام 2011، عندما دعمت روسيا قرار مجلس الأمن 1973 (امتنع عن التصويت)، الذي بموجبه تدخل حلف شمال الأطلسي عسكريا في ليبيا، إلا أنه تصرف خارج الولاية الممنوحة له بموجب القرار، مركزا علي تصفية القذافي.

• التأثيرات السلبية لثورات الربيع العربي في الحضور السياسي والاقتصادي لروسيا في الشرق الأوسط، وبدايات توتر علاقات روسيا بالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوربي بسبب الملف السوري.

• التدهور الحاصل في العلاقات الروسية - الأمريكية بسبب الأزمة الأوكرانية، والتي أدت إلى فرض عقوبات اقتصادية ومالية على روسيا، تماما مثل إيران بسبب برنامجها النووي.

• تقديم دول مجلس التعاون الخليجي لمطالب جديدة تتمثل في ضمانات أمنية أمريكية تحميها من تهديدات إيران في المنطقة.⁽²⁾

نظرا للأهمية الجيوبوليتيكية لإيران بالنسبة لروسيا فإن هذه الأخيرة تعتبر إيران حلقة ضرورية وجسر جغرافي لا بد منه في عودتها للسياسة الدولية عن طريق البوابة الشرق أوسطية، التي تعتبر رقعة الشطرنج الإقليمية، وتفاعلاتها تنعكس على القوى الكبرى القريبة جغرافيا مثل روسيا أو البعيدة، فروسيا ترى الشرق

(1) - السياسة الروسية وأمن الشرق الأوسط.. بين الإرهاب وإيران، مرجع سابق.

(2) - المرجع نفسه

الأوسط الحديثة الخلفية التي لا تتنازل عنها في أي صراع جيوبوليتيكي عالمي، وإيران حجر الزاوية في هذه المنطقة.

المطلب الثالث: التواجد الصيني والأوروبي في منطقة الشرق الأوسط

إن الحديث عن الحضور الصيني والأوروبي في منطقة الشرق الأوسط، بالضرورة يسوقنا لمعرفة التكتلات الدولية وسياسة الأحلاف فبالنسبة لسياسة بكين تتوافق مع سياسة موسكو في ما يتعلق بشؤون منطقة الشرق الأوسط لأن روسيا في طريق عودتها لتأسيس عالم متعدد الأقطاب، تبحث عن شركاء لا يسرون في فك الولايات المتحدة وفي نفس الوقت لهم مكانة وثقل اقتصادي وسياسي في الشؤون الدولية، وفي هذا الصدد ترى في الصين شريك اقتصادي واستراتيجي، كما أنه يمثل قوة برية ضخمة تسمح لها بالتأسيس للأوراسية الجديدة التي دعا لها ألكسندر دوغين.

أما بالنسبة للإتحاد الأوروبي فطالما كانت سياسته تجاه المنطقة تابعة للسياسة الأمريكية، كما كان الحال في غزو العراق سنة 1991، 2003 حيث لم تعترض الدول الأوروبية على التدخل العسكري الأمريكي على العراق، ولهذا لدراسة مستوى الحضور الأوروبي في الشرق الأوسط خاصة بعد ما يعرف بالربيع العربي سنة 2010 وجب التركيز أكثر على الدور الأمريكي.

الفرع الأول: الصين في الشرق الأوسط: طريق الحرير الجديد

لم يكن اهتمام الصين بمنطقة الشرق الأوسط كبيرا في فترة الحرب الباردة، وهذا لاعتبارها قوة ثانوية تعترضها قوتان عالميتان، تعملان في إطار التنافس الجيوبوليتيكي على اقتسام مناطق النفوذ الحيوية، وانحسر وجود جمهورية الصين الشعبية بشكل عام عن الشرق الأوسط في هذه الفترة. وكان للصين حضور ضئيل ولم يكن لديها مصالح جيوبوليتيكية وجيو اقتصادية في المنطقة ولكن بحلول ثمانينيات القرن الماضي ازداد اهتمامها باكتساب النفوذ وتوسيع نطاق حضورها في الشرق الأوسط ويعود ذلك لحاجتها الاقتصادية لتسويق لمنتجاتها من جهة ومنافسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي من جهة أخرى.⁽¹⁾

(1) - سكوبيل أندرو، على رضا نادر، "الصين في الشرق الأوسط التتين الحذر"، مؤسسة راند، سانتا مونيكا، 2016، ص3.

كانت الصيغة التي اعتمد عليها الكثيرون لفهم السياسة الصينية تجاه الشرق الأوسط هي: "أمن الطاقة = التنمية الاقتصادية = الاستقرار السياسي"، كانت سياسة الصين تجاه المنطقة تدور حول النفط والتجارة، مع القليل من المشاركة في السياسة الإقليمية، حيث أن 55% من الطاقة الصينية تأتي من الشرق الأوسط. ولكن مع الصعود الصيني والتطور الاقتصادي عملت الحكومة الصينية على توسيع نطاق العلاقات الصينية مع منطقة الشرق الأوسط وذلك عبر مشروع طريق الحرير الجديد، وهي سلسلة من وسائل النقل والروابط التجارية بين الصين والشرق الأوسط وأوروبا.

يظل أمن الطاقة مصدر قلق دائم لبكين، وهذا للاضطرابات في الشرق الأوسط ودور الولايات المتحدة في المنطقة، وتتخوف بكين من أنها قد لا تكون قادرة على الاعتماد على واشنطن لتوفير الأمن في الشرق الأوسط كنوع من "الصالح العام" لبقية العالم. وهذا بالنظر إلى تخفيضات ميزانية الدفاع الأمريكية والتحرك الأمريكي المتوقع على نطاق واسع للاكتفاء الذاتي من الطاقة في العقدين المقبلين. في حين لا يزال هناك الكثير من الشكوك، حيث يبدو أن ارتفاع إنتاج الغاز الصخري الأمريكي إلى حد كبير إلى جانب انخفاض الطلب، من المرجح أن يقلل من اعتماد الولايات المتحدة على إمدادات من الشرق الأوسط وأماكن أخرى.⁽¹⁾

إن مثل هذه المخاوف هي وراء دفع الصين لتحديث البحري في السنوات الأخيرة وتوسعها في مرافق الموانئ - ما يسمى بـ "سلسلة اللؤلؤ" - من البر الرئيسي الصيني على طول موانئ المحيط الهندي وإلى الشرق الأوسط. هذه ترتيبات تجارية إلى حد كبير للوصول إلى الموانئ والتزود بالوقود. يأتي كل هذا تحت عنوان ما يشير إليه قادة البحرية الصينية على أنه تحول من الدفاع الساحلي إلى "دفاع البحر البعيد". رافق هذا التحول تركيز متزايد على إبراز العلم في منطقة السويس والبحر الأبيض المتوسط - وهو تواصل دفعه القلق بشأن أمن الطاقة لاستكمال الوجود البحري. تقوم الصين ببناء شبكة سكك حديدية وخطوط أنابيب تربط جزءًا من الشرق الأوسط بالصين عبر آسيا الوسطى.⁽²⁾

تكفي لمحة عن تواجد القوى الكبرى الرئيسية في الشرق الأوسط لتبين الحضور الصيني في المنطقة ففي حين تظل الولايات المتحدة أهم شريك أمريكي للسعودية، فإن هذه الأخيرة تعد أيضًا أبرز مصدر للنفط إلى الصين وشريكًا اقتصاديًا تزايد أهميته بالنسبة للصين في السنوات الأخيرة، كما تتطلع

(1) - John Mcla Ughlin, op, cit, p5.

(2) - Ibid, p6.

بلدان الشرق الأوسط على نحو متزايد إلى بكين في مجال التجارة والاستثمارات والاستشارات الدبلوماسية وحتى التعاون الأمني. بالإضافة إلى ذلك نجحت الصين بجدارة في الحفاظ على علاقات جيدة مع بلدان المنطقة كافة تقريبًا بما في ذلك إيران والسعودية وإسرائيل، معتمدة في ذلك على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.⁽¹⁾

تحتاج اهتمامات الصين بـ "إعادة التوازن" Rebalance الذي تفرضه الولايات المتحدة على آسيا والتي أعلنت عنها إدارة أوباما في عام 2012 على ازدياد أهمية الشرق الأوسط الاقتصادية كثيرًا بالنسبة لبكين، والأهمية الجيوبوليتيكية، حيث تركز بكين في المقام الأول على أمن الطاقة فضلًا عن محاولتها إعادة التوازن إلى سياساتها الداخلية والخارجية والأمنية لكي لا تميل كثيرًا لصالح شرق الصين وشرق آسيا، ولكن لا تعتبر إعادة التوازن في بكين ردة فعل على إعادة التوازن الخاصة بإدارة أوباما ولا ظاهرة جديدة؛ ومع ذلك تظهر الولايات المتحدة بدرجة كبيرة من المحركين الأساسيين على حد سواء على الرغم من أن الصين تنظر إلى دور الولايات المتحدة بطريقة مختلفة جدًا في كل منهما. ففي إطار سعي الصين إلى تأمين الطاقة تنظر إلى الولايات المتحدة بطريقة إيجابية لأنها ضامنة أساسية للأمن في الشرق الأوسط من خلال وجودها العسكري ونفوذها الجيوبوليتيكي الكبير ومن ثم تساعد في الحفاظ على الاستقرار وبالتالي على التنمية الاقتصادية الإقليمية والحصول على الطاقة دون انقطاع.⁽²⁾

هذا الشعور بالإلحاح لم يدفع بكين إلى السعي للحصول على مكانة اللاعب الرئيسي في العديد من النزاعات في الشرق الأوسط. لكن الصين لا تقف على نفس درجة الحياد التي كانت عليها في الماضي. تساهم في قوات حفظ السلام في لبنان، كما تسعى جاهدة لتوثيق العلاقات مع سلسلة من القوى الإقليمية تتراوح من تركيا إلى مصر.⁽³⁾ وفي الوقت نفسه، ترى الصين الاضطرابات في منطقة الشرق الأوسط قد تنتقل وتشجع السكان المضطربين في مقاطعة شينجيانغ في غرب الصين، حيث ظهر الإيغور، وهم شعب تركي، وسط مقاتلين إسلاميين في مناطق مثل أفغانستان، مما يجعل العلاقات مع تركيا، -التي انتقدت أحيانًا السياسة الصينية تجاه شينجيانغ-، أكثر أهمية في حسابات بكين.⁽⁴⁾

(1) - أندرو سكوبيل، مرجع سابق، ص 5.

(2) - أندرو سكوبيل، مرجع سابق، ص 6.

(3) - John Mcla Ughlin, The Grea T Powers In The New Middle East.op, cit, p6.

(4) - ibid, p6

يتمثل أحد المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الصينية في معارضة تغيير النظام، على الأقل عندما تدار من قبل القوى الغربية، خوفاً من أن يكون لديهم نفس الهدف بالنسبة للصين. لذلك كان الربيع العربي وتداعياته في مختلف البلدان مقلماً لبكين. فهو لم يتسبب فقط في تعطيل العلاقات التجارية مع الأنظمة التي تمر بالتغيير، بل إنه أدى أيضاً إلى جذب بكين أكثر إلى سياسة المنطقة. أدت سياسة بكين المناهضة لتغيير النظام إلى إحباطها عندما أدى امتناعها عن التصويت على قرار الأمم المتحدة الذي يؤيد التدخل في ليبيا إلى تحرك التحالف الذي تجاوز الإغاثة الإنسانية إلى تغيير النظام. واستخدمت الصين مرة أخرى حق النقض إلى جانب روسيا في الملف السوري لتجنب الخطأ الاستراتيجي في ليبيا. وتخوف الصين من موجة التغيير في الأنظمة في منطقة الشرق الأوسط بسبب شعور الصين التاريخي بـ "التطويق" حيث تعمل "إعادة التوازن" لواشنطن تجاه آسيا ونشاطها المتجدد في الشرق الأوسط على زيادة مخاوف بكين. لهذا عملت الصين على زيادة علاقاتها الاقتصادية والاستراتيجية مع دول المنطقة في إطار الدبلوماسية الناعمة أو التغلغل السلمي، كل هذا يشير إلى موقف صيني أكثر نشاطاً في الشرق الأوسط مستقبلاً خاصة في ظل المشروع الصيني الطموح والضخم طريق الحرير.⁽¹⁾

حرصت بكين على ألا يُنظر إليها وكأنها تتدخل في الشؤون السياسية الداخلية لدول الشرق الأوسط أو أنها تتخذ مواقف واضحة جداً بشأن مسائل إقليمية مثيرة للخلافات إذ لم تتدخل على سبيل المثال في عملية السلام الإسرائيلي الفلسطيني على نحو يُذكر. وتجنبت بكين الانضمام إلى التحالف الدولي ضد الدولة الإسلامية في العراق وسوريا إذ يشكّل "عدم التدخل" أحد المبادئ الشاملة للسياسة الخارجية الصينية.⁽²⁾

كما تعمل الصين في إطار استراتيجية التوغل الناعم إلى مناطق النفوذ المهمة، وذلك بالتركيز على البعد الاقتصادي والبشري عن طريق تسويق منتجاتها الاقتصادية لأغلب دول الشرق الأوسط والحفاظ على علاقات دبلوماسية ودية، بالإضافة إلى انتشار اليد العاملة الصينية في أغلب الدول، وهذا في حد ذاته مبدأ جيوبوليتيكي قال به راتزل في بدايات ظهور علم الجيوبوليتيك وهو من المبادئ السبعة لتوسع الدولة، ولكن في إطار سلمي ولا تعمل الصين على التدخلات العسكرية المباشرة.

⁽¹⁾-Ibid, p7

⁽²⁾- سكوبيل أندرو، مرجع سابق، ص7.

المبحث الثالث:

مستويات نفوذ القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط

لا يعد تنافس وصراع القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وليداً لهذه اللحظة؛ إنما هو صراع له جذور وثوابت تاريخية، حيث تسعى كل دولة إلى تحقيق مصالحها وفرض إرادتها على ما عداها من الدول الشرق أوسطية المنافسة لها، وقد شكلت الأحداث المتسارعة والتغيرات التي عرفتها المنطقة فرصة للقوى الطامحة للسيطرة، ولاسيما عقب ثورات "الربيع العربي"، وبروز نسق إقليمي متعدد القوى الشرق أوسطية إلا أنه يبقى قيد التشكل، ومن ثم فهذه المرحلة تُعتبر انتقالية لتشكل نظام إقليمي جديد من حيث شكل وطبيعة التفاعلات والتحالفات وموازن القوى النسبية بين مختلف القوى الشرق أوسطية، والتي منها قوى فاعلة غير عربية كإيران، إسرائيل، وتركيا، إلى جانب ذلك هناك قوى عربية فاعلة مثل المملكة العربية السعودية ومصر.

ويتمحور التنافس في المنطقة حول عدة جوانب منها؛ حفاظ الدول على حدودها مصالحها الجيوبوليتيكية، الحفاظ على الهوية الوطنية التي تلتف حولها الشعوب سواء كانت أيديولوجية أو دينية أو عرقية، أيضاً من حيث إطار التحالفات الجديدة وتكوين محاور إقليمية وأخرى مضادة.

كل هذه الجوانب تُعد بمثابة العوامل المُحفزة للتنافس في المنطقة قبل ثورات "الربيع العربي" وبعده على السواء، وفي هذا الإطار سوف يتكون لدينا شكل وماهية الدولة الفاعلة والقادرة على الهيمنة داخل النسق الإقليمي، إلى جانب ذلك فإن الصراع على الهيمنة وفرض الإرادة في المنطقة الشرق أوسطية - في ظل وجود مجموعة من القوى المتقاربة من ناحية القوة والموازن النسبية فيما بينها - لا يمكن أن يُحسم إلا من خلال التطرق لكيفية تفاعل هذه الدول ومستويات حضورها في أزمات وتفاعلات المنطقة، وهذا ما سنحاول عرضه في هذا المبحث.

المطلب الأول: الأداء الاستراتيجي الإيراني في الشرق الأوسط: تفعيل الجيوبوليتيك الشيعي

من المؤكد وجود قوى كبرى عالمية وإقليمية فاعلة في الساحة الدولية، ولكن يختلف حضورها من منطقة لأخرى حسب أجندها الأمنية وأهدافها الجيوستراتيجية، ومن القوى الإقليمية الحاضرة في كل تفاعلات منطقة الشرق الأوسط إيران بحكم التاريخ والجغرافيا.

فبعد نجاح الثورة الإيرانية ضد نظام الشاه وقيام النظام الجديد لم يكن لدى هذا النظام خطة واضحة أو استراتيجية محددة لشبكة علاقاته الدولية في ضوء الواقع الجديد، إلا أن النخبة الجديدة كان لديها بعض التصورات الذهنية التي تتمحور حول جملة مفاهيم حملها الخطاب السياسي لهذه النخبة، وقد أثرت هذه التصورات والمفاهيم في السلوك السياسي للنظام الإيراني، وفي بناء شبكة علاقاته الإقليمية والعالمية. من المفاهيم التي تناولها الخطاب السياسي ما بعد الثورة مفهوم الدولة المركز؛ أي أن إيران هي مركز الأمة الإسلامية، وقد نظّر لهذه الفكرة محمد جواد لاريجاني في كتابه "مقولات في الاستراتيجية الوطنية" وعُرفت هذه الفكرة إيرانيًا بنظرية أم القرى، وهناك طروحات تستند إلى جذور تاريخية قديمة تتحدث عن إحياء النفوذ الإيراني في النطاقات الجغرافية التي خضعت لنفوذ الممالك الفارسية القديمة منذ عهد الأخمينيين⁽¹⁾، أو ما يسمّونه "إيران الكبرى" أو "حوزة إيران الحضارية"، ويمتد هذا النطاق الجغرافي إلى أطراف الصين شرقًا، وإلى الجزيرة العربية غربًا، ومن المحيط الهندي جنوبًا إلى البحر المتوسط شمالًا.⁽²⁾ لذا فهم يسعون إلى توسيع نفوذهم خاصة في المناطق المهمة جيوبوليتيكا لإيران، ومنطقة الشرق الأوسط من أولويات السياسة الخارجية الإيرانية سواء لتصدير الثورة أو العمل على الوصول للقيادة الإقليمية في ظل تفكك النظام الإقليمي العربي بعد سقوط النظام العراقي وما تلاه من انزلاقات أمنية في المنطقة بعد الربيع العربي الذي طال العديد من الدول العربية منذ سنة 2010.

(1) - الأخمينيون Les Acheménides أسرة حاكمة قديمة يرجع أصلها إلى الغرب والجنوب الغربي من إيران، وتنسب إلى مؤسسها أخمينيس (Achéménès أخامانيش. وبعد أن حكمت هذه الأسرة، في القرن السابع ق.م، إمارة صغيرة، هي إمارة أنشان، في ذلك الجزء من إيران الذي كان يدعى قديمًا بارسا(فارس)، وهو الاسم الذي أطلق على البلاد الإيرانية كلها قبل أن تعرف به رسمياً في العقد الثالث من القرن العشرين في أيام الشاه رضا بهلوي. إستطاع أشهر الملوك الأخمينيين قوروش الثاني في أقل من ثلاثة عقود من السنين (529-556 ق.م) أن يتخلص من التبعية للميديين الذين كانوا يحكمون إمبراطورية واسعة أركانها قاعدتها في شمالي إيران، وأن يوحد العالم الإيراني القديم، ويؤسس مملكة كبرى بسطت سيطرتها على أوسع إمبراطورية عرفها التاريخ حتى ذلك العصر، امتدت من أطراف الهند والصين إلى البحر المتوسط، واستمر حكم هذه الأسرة حتى سقوطها بعد الاجتياح المقدوني للشرق في أواخر القرن الرابع ق.م لمعلومات أكثر اطلع على: أحمد لوساني، **الأخمينيون الإمبراطورية الفارسية الأولى**، (دار سائر المشرق للنشر والتوزيع، 2018).

(2) - بكر البدور، مستقبل النفوذ الإيراني في منطقة الشرق الأوسط في ظل العقوبات الأمريكية، رؤية تركية، (8/2)، ربيع 2019، ص106.

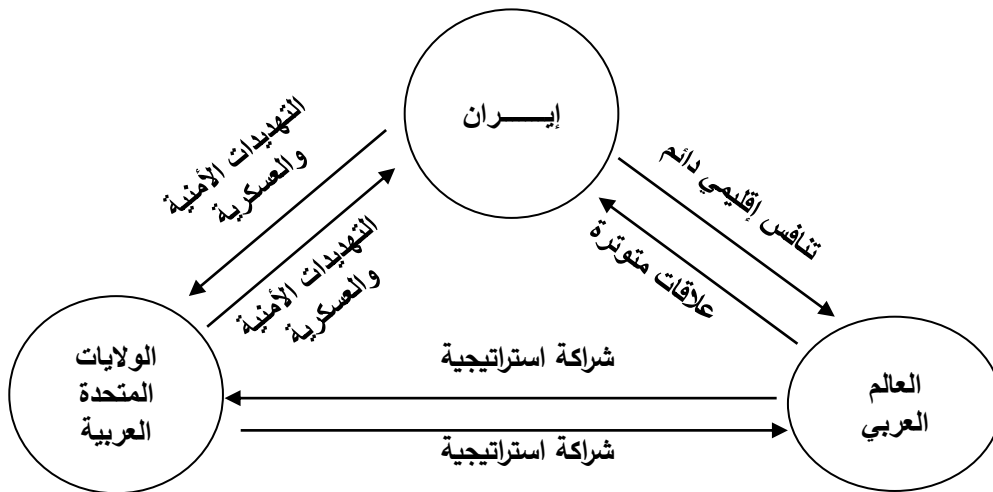
خريطة رقم 6: خريطة تمثل الهلال الشيعي الإيراني



المصدر: <https://www.google.com/search?q>

لقد سعى الإيرانيون إلى الانخراط في تنافس جيوبوليتيكي أمني مع إسرائيل لأغراض استراتيجية وإيديولوجية، وذلك لأنهم يرون أن إسرائيل هي اللاعب الوحيد الذي يمكنهم التنافس معهم على المسرح الإقليمي. كما يعتقدون أن جهودهم لمحاولة المشاركة في هذا الصراع ستساعدتهم في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط. حيث أن إيران لم تكن تتمتع بشعبية مطلقة خارج حدودها، لكن احتجاجها بالقضية الفلسطينية هو إحدى الطرق لدخول تفاعلات المنطقة العربية

الشكل رقم 1: التصورات المتبادلة بين إيران والعالم العربي والولايات المتحدة



المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على معلومات من

Abdullah S F Al-Marzouq, *An Exploration of the Security Dilemma in the Middle East: The Impact of the Transformative Power of Iran's Foreign Policy*, A thesis submitted in accordance with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Keele University School of Politics, International Relations and Philosophy, p7.

يمثل الشكل العلاقات المتبادلة والرؤية الاستراتيجية لكل من إيران باعتبارها قوة إقليمية غير عربية مع الدول العربية في المنطقة من جهة وبين إيران والولايات المتحدة بصفتها اللاعب الجيوسراتيجي الأول في المنطقة منذ أحداث 11 سبتمبر، رغم العودة القوية لروسيا للعب دور في تفاعلات المنطقة خاصة بعد الربيع العربي وانتهاجها سياسة التدخلات العسكرية.

وصف الرئيس جورج دبليو بوش إيران بأنها عضو في "محور الشر" وأن السياسات الإيرانية الحازمة بشكل متزايد في عهد الرئيس محمود أحمد نجاد وضعت إيران والولايات المتحدة في مسار تصادمي، بينما تراجع التهديد بشن هجوم أمريكي على إيران بعد انتخاب الرئيس باراك أوباما في نوفمبر 2008. ومع ذلك بقيت مخاوف النظام الإيراني من الإطاحة به من طرف الولايات المتحدة، لهذا استمرت إيران في تطوير برنامجها النووي، وقد شكلت إزاحة نظام صدام حسين العراقي واحتلال أفغانستان وبعدها ثورات الربيع العربي نهاية 2010 فرصة لإيران لتوسيع النفوذ في الشرق الأوسط وتقديم نفسها كقوة إقليمية⁽¹⁾. كما أن التنافس الجيوبوليتيكي الذي عرفته منطقة الشرق الأوسط بعد 2010 بين إيران والعربية السعودية أدى إلى تأجيج الصراع في المنطقة وغير المعادلة الجيوبوليتيكية وتفاقم الصراع على طول خطوط الصدع الجيوبوليتيكية والطائفية بين إيران والدول المنافسة لها في المنطقة، وهذا ما وضحت النزاعات التي شهدتها المنطقة مثل النزاع الليبي والسوري.

وتعتمد الاستراتيجية الإيرانية لتعزيز نفوذها في منطقة الشرق الأوسط على القوة الذكية التي تجمع بين مفهومي القوة الصلبة والناعمة في آن واحد وقد مكنت هذه الاستراتيجية إيران من التأثير على القرار السياسي في أربع عواصم عربية؛ العراق، وسوريا، واليمن، ولبنان، بصورة تخدم مصالحها الإقليمية والعالمية. ويعمل النظام الإيراني منذ الثورة الإسلامية في عام 1979 بمنطق الجيوبوليتيك الشيعي، وذلك باستعمال الطائفة الشيعية المنتشرة في الدول العربية لخلق قاعدة للتغلغل ليس في منطقة الشرق الأوسط، ولكن كأداة للانتشار في العالم والتسويق لذاتها كقوة شرق أوسطية وإسلامية تستند إلى أسس حضارية وعلمية، وهو الأمر الذي مكنها من امتلاك أدوات ضغط في مواجهة الدول العربية والغربية -على حد سواء- المعارضة للنفوذ والدور الإيراني المتنامي في منطقة الشرق الأوسط.

(1) - Stephen Larrabee and Alireza Nader, Turkey and Iran in a Changing Middle East, at Turkish-Iranian Relations in a Changing Middle East, RAND Corporation. (2013), p7.

لم تقتصر إيران في تعزيز قوتها التأثيرية في منطقة الشرق الأوسط على التقارب المذهبي بينها وبين شيعة الدول العربية، وعلى الدعم المالي والإعلامي للقوى والحركات الشيعية؛ ولكن انطوت على تعزيز قوة الردع الخاصة بتلك الحركات في مواجهة منافسي إيران الإقليميين، أو منافسي القوى الشيعية داخل الدول التي ينتشرون فيها، من خلال تقديم الاستشارات والتدريبات العسكرية عن طريق قوات "القدس" التابعة للحرس الثوري الإيراني، وتزويدهم بمنظومات تسليح متطورة مثل صواريخ كروز مضادة للطائرات والسفن، فضلا عن الصواريخ والأنظمة المدفعية من أمثلة ذلك دعم الحوثيين في صراعهم مع الحكومة اليمنية بقيادة عبد ربه منصور هادي، وتعزيز قوتها لردع الهجمات التي تقودها المملكة العربية السعودية بعد "عاصفة الحزم" وكذلك الدعم العسكري لحزب الله اللبناني في حربه ضد إسرائيل في عام 2006.⁽¹⁾

ساعدت الثورات العربية عام 2011 فيما عرف بالربيع العربي إيران على فرض نفسها بصفتها قوة إقليمية في منطقة الشرق الأوسط وذلك باستغلال تقاربها مع روسيا هذه الأخيرة التي ترى في إيران حجر الزاوية في المشروع الأوراسي في المنطقة من خلال ما عبر عنه المفكر الجيوبوليتيكي الروسي ألكسندر دوغين في كتابه أسس الجيوبوليتيكا.⁽²⁾ كما أن إيران استفادت من تحالفها الاستراتيجي التاريخي مع نظام الأسد في دمشق لمد نفوذها في الخارج وقد بدت إيران أكثر ارتياحا لبيئتها الخارجية مستفيدة من تقارب المصالح مع روسيا، وذلك للخروج من العزلة التي فرضت عليها من طرف الولايات المتحدة والدول الأوروبية.⁽³⁾ وفي توصيفه للربيع العربي الذي عرفته المنطقة العربية نهاية 2010 تعامل إيران مع كل حالة وفق متطلباتها الجيوبوليتيكية والأمنية في المنطقة ففي تونس اعتبر الرئيس الإيراني السابق أحمدى النجاد أن ما حدث في تونس من ثورة للتغيير والإصلاحات هي امتداد للثورة الإسلامية الإيرانية، غير أن الواقع يبين عكس ذلك خاصة وأن الشباب التونسي من رواد التغيير لا يعرفون الفكر الخميني ولا يقتدون به، وفي مصر نفس الشيء وصفت إيران الثورة المصرية أنها ثورة إسلامية وبداية لشرق أوسط إسلامي جديد، وأيدت إيران الثورة اليمنية ودعمت جماعة الحوثي الموالية لها، لكن المفارقة كانت في سوريا،

(1) - عمرو عبد العاطي، الاختراق المذهبي القوة الإيرانية في الإقليم.. مناطق الانتشار وأدوات التغلغل، القاهرة، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، 25 جوان 2016، ص 1.

(2) - ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تعريب عماد حاتم (بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، 2004) ص 200.

(3) - Alberto Gasparetto, Iranian-Turkish Relations in a Changing Middle East, International Studies. Interdisciplinary Political and Cultural Journal Vol. 21, No. 1/2018, 83-98.

فالنزاع السوري كشف عن الموقف الحقيقي لإيران ودعمها للنظام السوري اقتصاديا وعسكريا.⁽¹⁾ وهذا ما بينه تقرير الأمم المتحدة في 6 أوت 2011 عن وجود عناصر من حزب الله المدعوم إيرانيا والحرس الثوري متورطين بقتل جنود سوريين رفضوا قمع المتظاهرين، كما أن موقع ويكيليكس نشر تقرير مركز ستراتفورد للاستخبارات والتحليلات الاستراتيجية أنه يوجد في سوريا 3000 عنصر من الحرس الثوري و2000 مقاتل من حزب الله يقومون بقتل الجنود السوريين.⁽²⁾

لقد خفف الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة (1+5)⁽³⁾ من جهة أخرى من عبء العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران، ولقد وأثبتت الصفقة النووية لعام 2015 أنها حافز لإيران لاستعادة تفوقها المفقود في الشرق الأوسط. حيث ساعدت في إنهاء عزلتها الدولية، وإنعاش اقتصادها، وسمحت لها بلعب دور أكثر سيطرة في المنطقة. أدى صعودها السياسي والاقتصادي والعسكري إلى لعب دور حازم في التأثير على الأحداث الجارية في المنطقة.

يعاني الشرق الأوسط بأكمله حاليا من حالة اضطراب أمني وكون إيران تتمتع بإمكانيات قوية وتدعمها بيئة أمنية إقليمية / عالمية مواتية، فعّلت مبدأها الجيوبوليتيكي القائم على الجانب الديني شكلا والجانب الجيوبوليتيكي ضمنا، وهذا لفرض نفسها كقوة إقليمية شرق أوسطيا.⁽⁴⁾

ما يمكن أن نلاحظه في الحضور الإيراني في الشرق الأوسط هو توظيفها بوضوح للجيوبوليتيك الشيعي منذ احتلال العراق عام 2003، وصمود حزب الله في حرب لبنان عام 2006، وتصاعد الأحداث الداخلية البحرينية عام 2011، وتمرد الحوثيين في اليمن عام 2014، والتدخل العسكري في العراق وسوريا بعد بروز تنظيم الدولة. وقد أثارت هذه الإجراءات الإيرانية مخاوف العديد من القوى العربية وعلى

(1) - فادي سامية، "المشروع الإيراني في ضوء الثورات العربية: ثوابت ومتغيرات حالة تونس-مصر-ليبيا-اليمن-سوريا"، في عبد الله فهد النفيسي، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، (عمان، دار عماد للنشر والتوزيع، 2014) ص 147.

(2) - المرجع نفسه، ص 155.

(3) - الاتفاق النووي: عبارة عن جملة من المفاوضات بين إيران ومجموعة 1+5 المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا بدأت في جنيف سنة 2013 ومررت بعدة جولات كانت آخر جولة في فيينا في 14 جويلية 2015 الذي نص على تقييد برنامج إيران النووي مقابل رفع العقوبات الاقتصادية على إيران وفك العزلة الدبلوماسية المفروضة عليها. للإطلاع أكثر على الإتفاق النووي الإيراني اطلع: عمر سعدي سليم الموسوي، الاتفاق النووي بين إيران ودول 1+5 دراسة تحليلية، ألمانيا، المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2017، ص 170.

(4) - Nazir Hussain and Mansoor Ahmed, Rising Iran: Implications for Middle East and Pakistan *Strategic Studies* 36: 2, Summer 2016, pp. 24-42

رأسها العربية السعودية المنافس الإقليمي لإيران في المنطقة، التي تتهم إيران أنها تتبنى سياسة توسعية في المنطقة من خلال التأثير على الدول ذات التعددية المذهبية، لزعزعة استقرارها وإثارة الصراعات الطائفية، أضف إلى ذلك امتلاك إيران لخيط اللعبة السياسية في العراق وسوريا ولبنان واليمن، ومحاولة توظيفها سياسياً واستراتيجياً خدمة لمشروعها المذهبي.⁽¹⁾

إذا كانت إيران قد تراجعت عن هدف تصدير الثورة بالأساليب الصلبة، فإن دبلوماسيتها الناعمة ما زالت تعمل على تحقيق الغاية ذاتها عن طريق تسخير الطائفة والمذهب؛ إذ ترمي من وراء ذلك إلى إقرار نموذج سياسي إسلامي إيراني في السياسة والحكم، للسيطرة على الخليج العربي، باعتباره السبيل الوحيد لقيام الحكومة الإسلامية العالمية.⁽²⁾

ووفق الإستراتيجية الوطنية الإيرانية العشرينية 2005-2025 فإن المنطقة العربية بدءاً من دول الخليج العربي التي تمثل نقطة الاهتمام الأولى لدى صانع السياسة الخارجية الإيراني، تليها مناطق آسيا الوسطى والقوقاز، وهذا يساعدنا في فهم الاندفاع الإيراني الكبير نحو التدخل في هذه المناطق، خاصة بعد اندلاع ثورات الربيع العربي وتحولها إلى صراعات مسلحة داخل بعضها، كما في الحالة السورية، واستغلال إيران لعلاقتها بالنظام السوري؛ لإدخال الميليشيات الشيعية الموالية لها إلى الأراضي السورية، وانغماسها في الصراع المسلح بصورة مباشرة وذلك لوقوع سوريا لوقوعها ضمن منطقة الهلال الشيعي الذي تسعى إيران لتجسيده ومد نفوذها فيه.⁽³⁾

إن المتتبع للشأن الإيراني وتفاعلاتها في جوارها الجغرافي الإقليمي يستشف أن البعد الجيوبوليتيكي المتمثل في الجيوبوليتيك الشيعي هو محرك إيران في المنطقة، عن طريق بناء الهلال الشيعي الذي يشمل سوريا والعراق ولبنان للتوسع ومد النفوذ في المنطقة الشرق أوسطية في ظل انهيار النظام العربي وحالة الهشاشة الأمنية والسياسية لأغلب دول المنطقة وليس البعد الديني كما توضحه الخطابات السياسية ويحاول التسويق له إعلامياً، وهذا ما سنوضحه في الفصل الموالي عند الحديث عن التفاعل الإيراني في

(1) - فراس إلياس، الجيوبوليتيك الشيعي والمخيلة الجيوستراتيجية الإيرانية: مجالات التأثير وبناء النفوذ، مجلة لباب، مركز الجزيرة للدراسات، العدد الرابع، نوفمبر 2019، ص 26.

(2) - المرجع نفسه، ص 26.

(3) - بكر البدور، مرجع سابق، ص 108.

النزاع السوري والتنافس الإقليمي الإيراني التركي الإيراني السعودي في سوريا ومنطقة الشرق الأوسط ككل.

المطلب الثاني: الحضور التركي في الشرق الأوسط: محاولة إحياء العثمانية الجديدة

ركزت تركيا اهتمامها في فترة نهاية الحرب العالمية الثانية، على تحسين العلاقات مع الغرب، باستثناء فترة وجيزة في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، وفي فترة الحرب الباردة أيضا لأن التهديد الأساسي لتركيا آنذاك كان قادما من الشمال متمثلا في الإتحاد السوفييتي، أما علاقاتها مع الشرق الأوسط فلم تكن في قائمة أولوياتها، لأنها لم تكن تشكل تهديدا أمنيا، كما أن بريقها الجيوبوليتيكي لم يكن ساطعا مثلما حدث في فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة وفترة العولمة التي تلتها.

شكلت نهاية الحرب الباردة وزوال القطبية الثنائية ظهور تحديات وتهديدات أمنية جديدة لتركيا قادمة من الشرق الأوسط -الخاصة الجيوبوليتيكية الرخوة لتركيا وعمقها الاستراتيجي -وهي زيادة العنف والطائفية في سوريا، تصاعد القومية الكردية والانفصالية، العنف الطائفي في العراق، الذي من شأنه جذب قوى خارجية، الملف النووي الإيراني؛ ولبنان ضعيفا مجزأ تهيمن عليها مجموعات لها علاقات وثيقة مع إيران وسوريا، ولهذا ركزت تركيا على الشرق الأوسط لأن هذا هو المكان الذي توجد فيه التهديدات الرئيسية لأمنها.⁽¹⁾ ومع وصول حزب العدالة والتنمية -ذو التوجه الإسلامي- للحكم أعادت تركيا اكتشاف الشرق الأوسط وظهرت كلاعب مهم بشكل متزايد في تفاعلات المنطقة. وتمثل سياسة الانفتاح على الشرق الأوسط محاولة لتكييف السياسة التركية مع التغييرات الاستراتيجية في بيئتها الإقليمية.⁽²⁾

ولأن تركيا في عهد حزب العدالة والتنمية ركزت كثيرا على البعد الجيوبوليتيكي في سياساتها الخارجية تجاه الجوار الجغرافي الذي تعتبره عمق استراتيجي، فقد نالت منطقة الشرق الأوسط الاهتمام الكبير من طرف مخططي السياسة الخارجية التركية، فقد عمل أردوغان منذ توليه الحكم بصفته رئيسا للوزراء سنة 2003² عمل على توظيف القوة الجيوبوليتيكية لتركيا (القوة المادية وغير المادية) في بناء صرح سياسي إقليمي جديد قائم على التعاون مع دول الجوار الجغرافي. وقد اتبعت تركيا استراتيجية التوجه شرقا

⁽¹⁾ - Stephen Larrabee and Alireza Nader, Turkish-Iranian Relations in a Changing Middle East, RAND Corporation. 2013, p5. On: <https://www.jstor.org/stable/10.7249/j.ctt4cgdbg.8>

⁽²⁾ - Ibid, p5.

بعد فشلها في الانضمام إلى الإتحاد الأوروبي بحجج مختلفة.⁽¹⁾ وقد أثارت السياسة الخارجية التركية تجاه الشرق الأوسط الكثير من الاهتمام من طرف المتابعين للشؤون السياسية الدولية، فقد تجاوزت حكومة أردوغان الحكومات السابقة المتعاقبة على تركيا خلال عقد التسعينات التي فضلت النأي بنفسها عن تعقيدات الشرق الأوسط خاصة تطورات عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية التي انطلقت في مدريد 1991، وحرب الخليج الثانية سنة 1991. لكن التغيير في طبيعة السياسة التركية وأنماطها على الساحة الإقليمية برزت بعد أن اعتلت منطقة الشرق الأوسط الأولويات في السياسة الخارجية التركية، وذلك بتطبيق مبدأ جيوبوليتيكي قائم على إعادة تعريف الدوائر الحيوية لتركيا بعد وصول حزب العدالة والتنمية للحكم في بداية الألفية الثالثة، وذلك ما اصطلح عليه بالعثمانية الجديدة؛ وهو عودة تركيا لمناطق النفوذ العثماني واعتبارها عمق استراتيجي تركي، وفي هذا الإطار يعتبر كتاب العمق الاستراتيجي لداوود أوغلو البوصلة الجيوبوليتيكية التركية تجاه المجالات الحيوية مثل منطقة الشرق الأوسط.

تعبّر الرؤية التركية عن اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط من منطلق الاستجابة للتطورات الديناميكية في البيئة الإقليمية المحيطة سواء كمصدر لتهديد الأمن القومي أو لإقامة علاقات اقتصادية ذات فائدة للمصلحة الوطنية أو ك مجال للحركة والنفوذ الإقليمي والعالمي، وضمن هذا المنظور تصبح تركيا معنية بصورة مباشرة بالبيئة الإقليمية أكثر من ذي قبل لحصول ارتباط بين الحفاظ على مصالحها القومية ومستجدات التطورات الإقليمية⁽²⁾. وانطلاقاً من هذا المنظور، أخذت تركيا تعمق من علاقاتها بدول المنطقة ووجدت نفسها في صدام مع الحلفاء الغربيين والإسرائيليين في العراق سنة 2003، وفي لبنان عام 2006، وعليه مثلت التحديات والتهديدات الحالية التي تواجه تركيا، والتي تعتبر إفرزات لمتغيرات جيوبوليتيكية نقطة تحول في السياسة التركية، فقد جاءت حركات التغيير العربية لتضع تركيا تحت الاختبار في واحدة من أكبر التحولات في تاريخها ولتشكل حداً فاصلاً بين مرحلتين من سياسة تركيا الخارجية في ظل حكم حزب العدالة والتنمية ولم تكن تركيا تتوقع حصول ثورات عربية، لذا كانت مفاجئة

(1) - طایل یوسف عبد الله العدوان، الاستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط (2002-2013)، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على الماجستير، (جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب و العلوم، 2014) ص 73.

(2) - عمار مرعي الحسن، مكانة تركيا الجيوستراتيجية في الصراع الدولي دراسة في متغيرات البيئة الإقليمية والدولية، (بيروت: مكتبة السنهوري، 2016)، ص 314.

لها، واتسم الموقف الدبلوماسي التركي بالارتباك بين المصالح والمبادئ، ولكن مع مرور الوقت تبلورت سياسة تركيا الخارجية تجاه الثورات العربية أكثر وضوحاً.⁽¹⁾

من المؤكد أن التطورات التي عرفتتها منطقة الشرق الأوسط شكلت مفترق طرق في مستوى ومستقبل الحضور والنفوذ الإقليمي لتركيا في المنطقة، إذ عملت على تبني سياسات طموحة تحتاج على توجه تركيا لأن تكون قوة إقليمية مؤثرة في المنطقة، وهذا بتعزيز تحالفاتها مما يساعدها على توسيع نفوذها الجيوبوليتيكي. ما يدل على هذا التوجه حرص حكومة أردوغان على إعادة تأسيس ما أسماه محور الديمقراطية الجديد في الشرق الأوسط بين تركيا ومصر بعدما أخفقت تحالفات تركيا مع سوريا وإسرائيل، وهذا ما علقت عليه صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية بالقول "أن نظاماً جديداً في منطقة تموج بالثورات قد بزغ".⁽²⁾ غير أن تركيا لم تستطع تحقيق هذا المحور بعد التغييرات التي أعقبت الثورة المصرية من الإطاحة بنظام الإخوان والموقف التركي من حكومة عبد الفتاح السيسي. وقد علق كبير مستشاري الرئاسة التركية إرشاد هورموسنلو على ذلك قائلاً "أن تركيا لا تسعى لمواجهة أحد، وليس لها أجندات خفية، فهي لا تسعى للتخندق أو الدخول في محاور، ولا تسعى لمنافسة أي دور في المنطقة، لكنها لن تكون راضية إذا حاول أحدهم تحريك بعض الأحجار على رقعة الشطرنج الإقليمية بما يخل بالمعادل".⁽³⁾

تعددت المواقف التركية في الثورات العربية تبعاً لاختلاف المصالح السياسية وحجم العلاقات الاقتصادية والتحديات الأمنية التي من شأنها تهديد الأمن التركي مما وضع تركيا في مأزق حتمية تبرير المواقف، خصوصاً بعد اختلاف موقف تركيا من ثورتي مصر وتونس عن بقية الثورات العربية.

تميز الحضور التركي في منطقة الشرق الأوسط بالاضطلاع بدور القوة الإقليمية الفاعلة والراعية لعمليات التحول الديمقراطي، الاعتدال وذلك بإظهار تركيا كقوة إقليمية معتدلة لنيل القبول من طرف القوى الإقليمية الأخرى عكس إيران، وكذا التمدد الجيوبوليتيكي الناعم عبر الترويج للنموذج التركي في المنطقة عبر توثيق العلاقات مع حركة الإخوان المسلمين.⁽⁴⁾

(1) - فراس عباس، تركيا وإيران وإسرائيل: قوى إقليمية كبرى، في **مطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى** تأملات في المسرح الجيوسياسي العالمي الجديد، تحرير، علي بشار أغوان، (عمان: دار الرمال للنشر والتوزيع، شركة الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2019)، ص 491.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 491-492.

(3) - المرجع نفسه، ص 492.

(4) - التقرير الاستراتيجي، تفاعلات تركيا مع الحراك الثوري العربي، القاهرة، ط1، 2013، ص ص 238/239.

كما أن الحضور التركي محكوم بالتنافس والتنازع والتوترات الإقليمية وبحجم الطموحات التركية وسرعة إدراكها لحدود قوتها ونفوذها، تسعى تركيا شأنها في ذلك شأن الكثير من القوى الدولية للتمدد وللنفوذ والسيطرة إلا أن هذا السعي ليس بالأمر السهل لعوامل ذاتية تتعلق بالدولة والقيادة التركية ومن ناحية أخرى التنافس مع قوى إقليمية صاعدة هي من جانبها تسعى للتوسع⁽¹⁾.

في سياق متصل استغلت قيادة حزب العدالة والتنمية التركي فرصة التطورات التي حدثت في كل من سوريا والعراق خاصة بعد الانسحاب الأمريكي من العراق، إذ أصبحت كل من العراق وسوريا بوابتي تركيا نحو العالم العربي واعتبرت تركيا الحضور الإيراني المباشر في المنطقة وضعا غير مقبول، وهذا أحد مبررات السياسة التركية تجاه النزاع السوري في الوقت الذي يسعى الغرب لعزل إيران يقوم بإتاحة المجال للدور التركي للتمدد في أي فراغ مستجد ورعاية التحول السياسي في المنطقة.⁽²⁾

رغم ما وفرته الأوضاع الإقليمية في المنطقة العربية من انقسام وتشتت من فرص كبيرة لنجاح الاستراتيجية التركية، وذلك بفقدان العراق لقوتها العسكرية وحاجة دول الخليج لدور لتركيا في المنطقة في مواجهة إيران، وتصعد الأوضاع في اليمن وانشغال مصر بمشاكلها الداخلية ورغم هذه الظروف المساعدة إلا أن التمدد المطلق لم يكن ممكنا لتركيا في منطقة الشرق الأوسط. وتدرك تركيا ضرورة تحقيق التوازن بين مصالحها القومية ودورها كفاعل محوري في القضايا والأزمات التي تشهدها المنطقة.

تختلف مستويات الحضور التركي في قضايا المنطقة حسب أهمية الدولة محل النزاع جيوبوليتيكا لتركيا ومدى حساسية مصالحها، ففي حرب الخليج الأولى اكتفت بالمراقبة، وفي شمال العراق تدخلت عسكريا وتعاملت مع الأكراد في العراق وكأنهم دولة مستقلة، واعتمدت التسوية السلمية في القضية الفلسطينية، كما عملت على سياسة اليد الممدودة للأنظمة القائمة بناء على مقاربتها القائمة على تصفير المشاكل مع الجيران ومد جسور التعاون. وتدخل تركيا في الدول الشرق أوسطية كما قلنا سابقا كل مرة يأخذ صورة وبعد معين لكن في العراق وسوريا كان التدخل المباشر واضحا، فقد أرسلت قوات عسكرية

(1) - بدره سليم، مجناح آمال، الشرق الأوسط: دراسة تحليلية في طبيعة المتغيرات الدولية والإقليمية المساهمة في التحول الاستراتيجي التركي في المنطقة، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات السياسية والقانونية، العدد التاسع، المجلد الثاني، مارس 2018، ص 1044.

(2) - المرجع نفسه، ص 1045.

لمدينة بعشيقة العراقية بحجة تدريب القوى الوطنية لمقاتلة داعش في 6 ديسمبر 2015، وهذا ما دفع القيادة العراقية للرد على السلوك التركي.⁽¹⁾

شكلت الأزمة السورية الداخلية التي عصفت بالبلاد منذ 2011 والتي تحولت لنزاع دولي محموم تتخبط فيه قوى كبرى إقليمية وعالمية تحدياً حقيقياً للاستراتيجية التركية في المنطقة على خلاف كل الدول الأخرى، فقد وجدت تركيا نفسها تتخبط بين مبادئ السياسة الخارجية القائمة على تصفير المشاكل في الجوار الجغرافي وبين مصالحها القومية -المتتمثلة في المد الجيوبوليتيكي لمناطق النفوذ السابقة في إطار العثمانية الجديدة-، خاصة بعد تنامي نشاط حزب العمال الكردستاني في سوريا وظهور الدولة الإسلامية (داعش) في العراق وسوريا، وهذا ما شكل تهديداً مباشراً للأمن التركي وهذا ما شكل تحولا في الاستراتيجية التركية وتفعيل القوى العسكرية والتدخل المباشر في سوريا باعتبارها منطقة نفوذ وعمق استراتيجي تركي.

لقد ميزت تحولات دراماتيكية السياسة الخارجية التركية خلال عام 2017 ارتبط أبرزها بأنماط التحول على مسرح عمليات الشرق الأوسط، حيث تزايدت مؤشرات النزوع إلى استخدام القوة العسكرية التركية على مسرح المنطقة، ويظهر ذلك في التموقع التركي على الحدود مع العراق وسوريا، وتأسيس عدد من القواعد العسكرية في سوريا، ثم تدشين قاعدة عسكرية في الصومال وقطر، والتوجه نحو سواحل البحر الأحمر عبر اتفاق بشأن شبه جزيرة سواكن السودانية، يليه التدخل التركي العسكري في مدينة عفرين شمال سوريا.⁽²⁾ حيث سعت تركيا عام 2017 للحفاظ على نفوذها وحضورها في المنطقة في بيئة صراعية تتصاعد فيها أنماط التدخلات والمواجهات العسكرية، وهذا ما دفعها لاستعمال القوة الصلبة لخدمة المصالح التركية، وذلك في ظل ما عرفته المنطقة من تصعيد عسكري ومواجهات أمنية، سواء في مواجهة الفاعلين غير الدوليين من تنظيمات إرهابية أو بين الدول على نحو غير مباشر في ميادين الصراع المحتملة كسوريا والعراق وليبيا واليمن.⁽³⁾

(1)-بدره سليم، مجناح آمال، المرجع نفسه، ص 1045.

(2)- أحمد يوسف أحمد، نيفين مسعد، حال الأمة العربية 2017- 2018 عام الأمل والخطر، (لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، جويلية 2018)، ص 49.

(3)- المرجع نفسه، ص 51.

حاولت تركيا مد نفوذها في منطقة الشرق الأوسط وذلك باستحضار التاريخ والجغرافيا، فاعتمدت على البعد الحضاري والديني والاقتصادي والثقافي، فقد استعملت السياسة الناعمة في إطار تصفير المشاكل مع دول الجوار، لكن المتغيرات الدولية التي فرضتها عليها ثورات الربيع العربي وما تبعها من حركات إرهابية وموجات اللاجئين، ما شكل تهديدا للأمن القومي التركي، دفعت بها لاستعمال القوة الصلبة واستعمال سياسة التدخلات العسكرية لحماية مصالحها الجيوبوليتيكية التي تمتد للشرق الأوسط حديققتها الخلفية وعمقها الاستراتيجي حسب مُنظّر السياسة الخارجية التركية أحد داوود أوغلو.

المطلب الثالث: إسرائيل وحافز التواجد الإقليمي في المنطقة

تستند معادلة القيادة الإقليمية للشرق الأوسط إلى القوة الملموسة، المتمثلة في الاقتصاد والجيش والسكان والأراضي والموارد، إذ لا يمكن أن تكون قائداً إقليمياً دون هذه المقومات الجيوبوليتيكية، كذلك المقومات غير الملموسة المتمثلة في البعد الحضاري واللغة والدين وهناك على الأقل خمس دول إقليمية طامحة للسيطرة على الشرق الأوسط منها العربية مصر والعربية السعودية وغير العربية (تركيا وإيران) بالإضافة إلى إسرائيل التي تحاول دائماً الإنخراط في شؤون المنطقة بحجة الأهداف الأمنية.⁽¹⁾

بادرت القيادات الإسرائيلية إلى إعلان قيام دولة إسرائيل يوم 14 ماي عام 1948 في قلب الوطن العربي -فلسطين- بعد انسحاب الانتداب البريطاني، ودعت يهود الشتات للعودة إلى "الوطن"، مطالبة إياهم بدعم الدولة الوليدة التي سارعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي إلى الاعتراف بها بعد دقائق من إعلانها. و لقد أعلن دافيد بن غوريون عن تأسيس دولة إسرائيل في اليوم نفسه للانسحاب البريطاني.⁽²⁾

عملت منذ ذلك الوقت على تنفيذ غاياتها وأهدافها القومية من خلال إستراتيجية ذات مستويين، مستوى أعلى تطلق عليه (الخطة الكبرى)، ومستوى أدنى يعالج ما تطلق عليه (مشاكل الأمن الجاري). وترسم الخطة الكبرى إستراتيجية تنفيذ الغايات والأهداف العليا بعيدة المدى، والتي تسعى إسرائيل لتحقيقها طبقاً لمراحل زمنية خماسية وعشرية مخططة، أما إستراتيجية معالجة (مشاكل الأمن الجاري) -والتي

⁽¹⁾- Cüneyt Yenigün, Regional Power of the Middle East, 2016 ©TASAM/0164 - Sects, | 412 Ethnicity and Conflict Resolution January 2016, p416. <https://www.researchgate.net/publication>.

⁽²⁾- إعلان قيام إسرائيل، وثائق وقرارات، 30 مارس 2011 من الموقع:

تم تصفح الموقع يوم 29/07/2021. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2011/3/30/>

تجري على الساحة الفلسطينية- فهي ترسم أسلوب التعامل لتأمين دولة إسرائيل في كيانها الحالي، وما تحتله من أراضي عربية، ومواجهة مشاكلها الأمنية الآنية⁽¹⁾.

في المقابل، فإن إستراتيجية (الردع) تسعى لإجبار خصوم إسرائيل على الكف عن العمل وفق خطة كبرى التي تستهدف القضاء على إسرائيل واستعادة كل فلسطين، وإجبارهم على اتباع سياسات وإستراتيجيات متواضعة وأقل طموحا في تعاملهم مع إسرائيل، وذلك لأن تخلي خصوم إسرائيل عن العمل (بخطتهم الكبرى) لفترة زمنية طويلة سيؤدي تلقائياً إلى إسقاطها من حساباتهم نهائياً، وهو ما نجحت إسرائيل في تحقيقه فعليا من خلال عملية السلام التي بدأت في عام 1993. ولا تتوقف السياسة الإسرائيلية عن استعمال وسائل ضغط وخذاع عديدة لإجبار العرب على ذلك، بدءاً بالتلويح بالردع العسكري والعمل به عند اللزوم، وانتهاءً بالضغط الأميركي السياسية والاقتصادية، مروراً بتصدير الاضطرابات والمتاعب إلى الجبهات الداخلية في الدول العربية، لا سيما من خلال عملائها⁽²⁾.

أولاً- المخطط الإستراتيجي لتنفيذ الخطة الكبرى

وضع هذا المخطط لتنفيذ الغايات والأهداف القومية الإسرائيلية، على المدى الطويل عبر ثلاث مخططات فرعية:

1. مخطط (بلقنة المنطقة): يستهدف تكريس حالة التجزئة الحالية للشرق الأوسط وتعميقها نحو مزيد من تفتت الدول العربية إلى دويلات صغيرة على أسس عرقية وطائفية ومذهبية، وذلك باستغلال مشاكل الأقليات المنتشرة في العالم العربي والتي تدعو إلى الانفصال والاستقلال، أو الالتحاق بدول أخرى غير عربية في الدائرة الإقليمية التي تشكل القومية (الأم) بالنسبة لبعض الأقليات، وعجز بعض الحكومات العربية عن حل هذه المشاكل، هذا بالإضافة إلى استغلال إسرائيل للخلافات العرقية والمذهبية والطائفية وتغذيتها بإثارة النزعات الانفصالية التي تؤدي إلى حروب أهلية، وأبرز الأمثلة على الدور الذي تلعبه إسرائيل في هذا الخصوص: الحرب الأهلية في لبنان، والحرب الانفصالية في جنوب السودان، وثورة الأكراد في شمال العراق، ومحاولات الفتنة الطائفية في مصر.. إلى غير ذلك من أحاديث الانفصال التي نجد لها أساسا نظريا في مخططات الزعيم الصهيوني القديم (جابوتنسكي) صاحب الحركة

(1) - حسام سويلم، الأهداف القومية الإسرائيلية واستراتيجية تنفيذها، مقالات الجزيرة، 3 أكتوبر 2004، من الموقع:

<https://www.aljazeera.net/opinions> 2020/06/29. تم زيارة

(2) - حسام سويلم، مرجع سابق.

التصحيحية في الثلاثينات من القرن الماضي، والتي دعا فيها إلى إقامة (كومونولث عبري) تكون فيه إسرائيل القوة الإقليمية العظمى، والتي تدور في فلكها دويلات عربية ضعيفة مقسمة على أسس عرقية وطائفية ومذهبية. وهو نفس المخطط الذي دعا إليه أيضا (عوريد بنيون) مستشار مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق في دراسته المعروفة (إستراتيجية إسرائيل في الثمانينات). كما نجد لهذا المخطط أساسا أيضا في كتاب (بين جيلين) لبريچينسكي مستشار الأمن القومي في إدارة كارتر، تحت عنوان "تفتيت قوس الأزمات"، ومخططات (برنارد لويس) أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة برنستون في كتابة "رهينة الخوميني"، ومشروع بن غوريون لتقسيم لبنان سنة 1954.

• مخطط تكثيف الاستيطان: ويستهدف هذا المخطط تكريس الاحتلال الإسرائيلي الحالي في الضفة وجنوب غزة والجولان، واستكمال تهويد الأراضي في هذه المناطق، وبما يخلق أمراً واقعاً يصعب تغييره في المستقبل، أو حتى التفاوض بشأنه. وبحيث تشكل هذه المستوطنات أرضاً رحبة لاستيعاب مزيداً من المهاجرين اليهود، وبما يخفف وطأة المشكلة الديموغرافية التي تعاني منها إسرائيل، ويخلق حافزاً للتدخل العسكري الإسرائيلي مستقبلاً ضد المناطق العربية، حتى في حالة انسحاب القوات الإسرائيلية منها في إطار التفاوض حول مستقبل الأراضي المحتلة، كما هو الأمر في مدينة الخليل. ويرتبط بمخطط الاستيطان المكثف مخطط آخر هو (الترانسفير) والذي يسعى إلى تفرغ المناطق المحتلة التي تقرر ضمها لإسرائيل من سكانها العرب بأساليب الترغيب والترهيب، وبما يسهل ضمها لإسرائيل.⁽¹⁾

2. خطة معالجة مشكلات الأمن الجاري

تعالج إسرائيل مشكلات أمنها الجاري من خلال إستراتيجية تطلق عليها (اللاءات العشر) تتقيد بتنفيذها كل من السياسة الخارجية والسياسة الدفاعية للدولة، وتعكس الثوابت الأمنية لإسرائيل وتتمثل في الآتي:

1. لا للانسحاب الكامل إلى حدود 1967.
2. لا لتقسيم القدس.
3. لا لسيادة عربية كاملة على جبل الهيكل (المسجد الأقصى)
4. لا لدولة فلسطينية ذات استقلال كامل.

(1) - حسام سويلم، مرجع سابق.

5. لا لإيقاف عمليات الاستيطان أو تفكيك المستوطنات.

6. لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين.

7. لا لتحالف إستراتيجي عربي يضم بعض أو كل دول المواجهة والعمق العربي.

8. لا لامتلاك أي دولة عربية برنامج نووي.

9. لا لأي خلل في الميزان العسكري القائم حالياً بين العرب وإسرائيل.

10. لا لحرمان إسرائيل من مطالبها المائية في الأنهار العربية.

لهذا تسعى إسرائيل لاختراق هذه المنطقة وترسيخ التطبيع مع أغلب دولها، وتعتمد في إدارتها للصراعات إلى فرض حقائق على الأرض تحسن من وضعيتها في التفاوض من خلال اتباع إدارة الصراع وليس حله.

يعتبر التعقيد والتناقض متأصلان في علاقة إسرائيل ببيئتها الشرق أوسطية، حيث تتشكل أجندة الأمن القومي الإسرائيلي من خلال عداء جزء كبير من العالمين العربي والإسلامي. وقد تمكنت إسرائيل لأكثر من ستين عاماً من كسر جدار العداء العربي، وتحقيق السلام مع جارتين عربيتين، وإقامة علاقات شبه طبيعية مع عدة دول عربية، لكن الصراع العربي الإسرائيلي، وجوهره الفلسطيني على وجه الخصوص، يحتدم وقد انضمت إيران إلى المعركة كخصم قوي وحازم.⁽¹⁾

في كل الأحوال، فإن إسرائيل كقوة إقليمية وُجِدت قسراً وبالقوة في النطاق الشرق أوسطى بصفة عامة والنطاق العربي بصفة خاصة، تسعى لرفض جميع الحلول السياسية، ولا تؤمن بمبادرات السلام ما دام الوضع الإقليمي والعالمي في صالحها، لا سيما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، كما أنها تملك وسائل القوة والدعم الدولي، نتيجة للعلاقات التاريخية والثقافية التشابكية مع الولايات المتحدة الأمريكية، التي تمنحها الكثير من الصفقات العسكرية والاقتصادية التي تمكنها من التفوق الإقليمي، لذلك تسعى إسرائيل الآن إلى تعزيز مكانتها الدولية، وإضفاء قدر أكبر من المشروعية على وجودها الإقليمي، وليس أدل على ذلك من ترشحها للعضوية غير الدائمة لمجلس الأمن للفترة من 2019 - 2020.⁽²⁾

(1) - Itamar Rabinovich, Israel And The Changing Middle East, Middle East Memo, Number34, January2015, P1.

(2) - محمد رمضان أبو شعيشع، ملفات معقدة، مستقبل الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 12 مارس 2018، من الموقع: <http://www.acrseg.org/40684> تمت زيارة الموقع يوم 2020/08/21 على الساعة 23:45.

شككت ثورات الربيع العربي -على عكس ما روج لها إعلاميا- صدمة لإسرائيل وكان ينظر لها في إسرائيل بعين الريبة والتشاؤم، رغم بعض التصريحات المتفائلة من طرف أكبر الشخصيات السياسية في إسرائيل، خاصة من الشخصيتين العظيمتين اللتين طورتا فكرة "السلام الديمقراطي" في التسعينيات الرئيس السابق "شيمون بيريز" ورئيس الوكالة اليهودية "ناتان شيرانسكي"، وقد كانت التصورات الإسرائيلية سلبية من الربيع العربي تخوفا من وصول الحركات المتطرفة للحكم في الدول العربية التي من شأنها أن تشكل تهديد وجودي لإسرائيل أكثر من الأنظمة الديكتاتورية القديمة، وتستدل إسرائيل بالثورة الإسلامية في إيران 1979 وما حملته من عدائية لها.⁽¹⁾ كذلك فإن هذه الثورات تحمل بالإضافة للتغيرات في الحكم إعادة لتشكل الوضع الجيوبوليتيكي في المنطقة واهتزاز الاستقرار الإقليمي الذي تعمل إسرائيل على استمراره بما يخدم مصالحها، وقد ينجم عليه فواعل جديدة أكثر تهديدا للمصالح الإسرائيلية في الشرق الأوسط.

لكن وصول الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب للحكم زاد من قوة ونفوذ إسرائيل في المنطقة وذلك بالوصول إلى اتفاقيات التطبيع مع أربع دول عربية وهي الإمارات والبحرين السودان والمغرب في فترة وجيزة امتدت من سبتمبر 2020 إلى ديسمبر من نفس السنة. وأكثر من ذلك ففي ضوء التحركات الإسرائيلية الأخيرة، ذهبت بعض التحليلات إلى أن إسرائيل تتجه إلى إنشاء تحالف دفاعي في المنطقة مع بعض الدول العربية على غرار حلف شمال الأطلسي وخاصة مع دولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين، ما بين إسرائيل ودول عربية، ومما عزز هذه التكهانات هو نشر رون لودر، رئيس الكونغرس اليهودي العالمي، مقالة في أول مارس 2021 بشكل متزامن في صحيفة عرب نيوز السعودية وجيروزاليم بوست الإسرائيلية يروج فيها لانتهاج حقبة النزاعات والحروب العربية-الإسرائيلية وبدء مرحلة جديدة من التحالف الاستراتيجي ما بين العرب وإسرائيل، وخاصة بعد توقيع اتفاقيات السلام في النصف الثاني من عام 2020 ما بين إسرائيل وأربع دول عربية (الإمارات، والبحرين، والسودان، والمغرب).

مع تنامي المخاوف من نفوذ إيران في المنطقة وزيادة الشكوك تجاه قدرة الغرب على كبح جماح طموحات إيران، يرى لاودر أن الوقت حاليًا موات لتشكل حلف استراتيجي دفاعي على غرار حلف الناتو الذي يضم دول أمريكا الشمالية والدول الأوروبية. ويقترح لاودر أن يطلق عليه "منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط MEDO ويضم التحالف الجديد، (دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) التي لديها بالفعل معاهدات

(1) - Roland Lombardi, Israël et la nouvelle donne géopolitique au Moyen-Orient Quelles nouvelles menaces et quelles perspectives ?, *Études internationales*, Volume 47, numéro 2-3, juin-septembre 2016, p108.

سلام مع إسرائيل أو تربطها معها علاقة مفتوحة، مثل: مصر والأردن والإمارات والبحرين والسودان والمغرب، مع إبقاء باب الانضمام مفتوحاً لدول عربية أخرى وذلك لمواجهة النفوذ التركي في المنطقة ويوسع مجال التحالف في المنطقة المتوسطة ليشمل اليونان وقبرص.⁽¹⁾ لأن إسرائيل وخلال العقود الخمسة الأولى من وجودها، كان الشاغل الأمني القومي لها هو الحرب التقليدية وذلك من خلال كيفية ردع الحروب التقليدية وتقليلها وكسبها.

في الوقت الحاضر، وفي المستقبل المنظور، لا تواجه إسرائيل تهديداً عسكرياً تقليدياً. إنها في سلام مع مصر والأردن، ونجحت في تدمير الجيش العراقي سنة 2003 بعد الغزو الأمريكي للعراق، تدمير مفاعل نووي سوري ناشئ سنة 2007 بالإضافة إلى مساعدتها في تطوير فيروس ستوكسنت الذي تسبب في ضرر مؤقت لبعض أجهزة الطرد المركزي الإيرانية⁽²⁾. لكن التهديد التقليدي تم استبداله بتحديات جديدة على المستويين فوق التقليدي ودون التقليدي. التهديد فوق التقليدي ذو شقين. أحد التهديدات يتمثل في بناء إيران لترسانة نووية. وقد كانت الجهود الدبلوماسية والسرية والتهديد بالجوء إلى العمل العسكري لوقف المشروع النووي الإيراني من القضايا المهيمنة على الأمن القومي لرئيس الوزراء نتنياهو وسياساته الخارجية منذ عام 2009. وتعتبر إسرائيل أن إيران وسياستها التوسعية في المنطقة هي أكبر تهديد وجودي لها خاصة بعد معاهدات السلام والتطبيع المتتالي للعديد من الدول العربية.

كان تهديد إسرائيل بالعمل عسكرياً يلوح في الأفق بشكل كبير عامي 2012-2013، ولكن منذ ذلك الحين طغى عليه الاتفاق المؤقت الذي توصلت إليه إيران ومجموعة 1+5⁽³⁾. وكانت إسرائيل وبعض الدول الخليجية تنتقد الاتفاق وترى فيه فرصة لإيران لتهديد الأمن الإقليمي في المنطقة.⁽¹⁾

(1) - محمود جرابعة، منظور إسرائيل الأمني للشرق الأوسط: تحالفات دفاعية أم تنسيق أمني، ورقات تحليلية، مركز الجزيرة للدراسات، 4 افريل 2021، ص ص 2.3.

(2) - ستيفن والت، حان الوقت لإنهاء "العلاقة الخاصة" مع إسرائيل فوائدهم للولايات المتحدة لم تعد تفوق التكاليف، ترجمة جلال خشيب، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، ص 2.

(3) مجموعة 1+5 تضم الأعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا والصين وروسيا بالإضافة إلى ألمانيا توصلت إلى اتفاق مع إيران في 14 جويلية 2015 في فيينا ينظم رفع العقوبات المفروضة على طهران منذ عقود، ويسمح لها بتصدير واستيراد أسلحة، مقابل منعها من تطوير صواريخ نووية، وقبلها زيارة مواقعها النووية، ويأتي استكمالاً لاتفاق لوزان للمزيد حول بنود الاتفاق الإيراني مع مجموعة 1+5 اطلع:

Kelsey Davenport, Iran, P5+1 Formally Adopt Nuclear Deal, arms control association, November 2015 at: <https://www.armscontrol.org/act/2015-11/news/iran-p51-formally-adopt-nuclear-deal>

حسب التقرير الاستراتيجي السنوي لمجلة المستقبل العربي فإن عام 2021 يشهد مزيداً من الحضور الإسرائيلي في التفاعلات الإقليمية عقب التقدم في علاقاتها بالدول العربية، ومساعي المشاركة في ترتيبات الأمن الإقليمي وصياغة تدابير مشتركة لمواجهة تهديدات إيران وتساعد الاهتمام بالتعاون الاقتصادي وتحجيم ضغوط إدارة بايدن، وفي المقابل فإن الوضع الداخلي مضطرب نتيجة عدم استقرار الائتلافات الوزارية ومحاكمة بنيامين نتنياهو، وهو ما يرتبط بتوسع خريطة التهديدات للأمن الإسرائيلي.⁽²⁾

من خلال ما سبق عرضه نستنتج أن إسرائيل دخلت للمنطقة كفاعل دخيل وغير مرحب به في البيئة العربية والشرق أوسطية، ومهما كانت سياساتها العدائية في لبنان وفلسطين، والدعم الأمريكي المتواصل لها إلا أن دورها كقوة إقليمية بقي محدوداً جداً وذلك لاعتبارات تاريخية ودينية، ولم تعمل إسرائيل على القيادة الإقليمية أو المنافسة عليها بل العمل على الانخراط في إطار إقليمي واسع، لكن التغييرات الدولية المتسارعة بداية من أحداث الربيع العربي ووصول دونالد ترامب للحكم في الولايات المتحدة والإنبطاحات العربية الخليجية المتتالية في حملة التطبيع التي شهدتها المنطقة في النصف الثاني من سنة 2020 زاد من الطموح الإسرائيلي في التوغل أكثر في المنطقة وممارسة الجيوبوليتيكا الإسرائيلية في المجال الشرق أوسطي.

المطلب الرابع: التفاعل الجيوبوليتيكي للعربية السعودية في منطقة الشرق الأوسط

منذ بداية ما عرف بالربيع العربي⁽³⁾ نهاية 2010، بدأت المملكة العربية السعودية في استعادة نشاط أكثر في منطقة الشرق الأوسط كلاعب إقليمي في المنطقة؛ في تناقض نسبي مع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين عندما أعرب العديد من المراقبين عن أسفهم حول الركود إلى حد كبير في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية في الرياض مشيرة إلى هيكل شيخوخة كبار أعضاء أسرة آل سعود الحاكمة.

⁽¹⁾- Itamar Rabinovich, Israel And The Changing Middle East, Middle East Memo, Number34, January2015, P3.

⁽²⁾- شادي عبد الوهاب، أحمد عثمان، التقرير الاستراتيجي حالة الإقليم، التفاعلات الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط 2020/2021، مجلة المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2021 ص30.

⁽³⁾- يعد استخدام مصطلح "الربيع العربي" لوصف الأحداث الجارية في العالم العربي منذ نهاية 2010 أمراً مثيراً للجدل، لأن المصطلح يحمل دلالة إيولوجية؛ كما أنها تتبع من سياقات وخبرات ثقافية وسياسية مختلفة وبالتالي، يبدو أن استخدامه يحدد مطالب وديناميكيات ونتائج الاضطرابات العربية الحالية بطريقة غير صحيحة. ومع ذلك، نستعمل هذا المصطلح في بحثنا لأنه التعبير الشائع والمتداول أكاديمياً وإعلامياً وللمزيد حول التسمية انظر: عبد الخالق عبد الله، "الربيع العربي: وجهات نظر من الخليج العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد391، مارس2011، ص117.

ويلاحظ أن توقيت ونطاق قرارات السياسة الخارجية الأساسية للمملكة عقب ثورات الربيع العربي دليل قوي على أن المملكة تريد أن يُنظر إليها على أنها الفاعل الإقليمي الذي يصوغ ساحات القوة في الشرق الأوسط حسب مصالحها الإقليمية؛ فقد وعدت القيادة السعودية بدعم البحرين وعمان بمبلغ يصل إلى 20 مليار دولار كمساعدات طارئة.

كان الهدف من ضخ النقد السعودي هو الحفاظ على النظام الملكي التقليدي قاعدة القوة داخل هذين العضوين في مجلس التعاون الخليجي، ومحاولة فرض نفسها كأخ أكبر ووصي على دول الخليج في الشأن الخارجي.⁽¹⁾ ولإثبات دورها وحضورها شرقاً وأسطياً قدمت العربية السعودية مساعدات مالية وعسكرية هامة لبعض الدول التي تعتبر أنظمتها حليفة وصديقة وقدمت السعودية مساعدة مالية طارئة قدرت بحوالي 5مليار دولار للمجلس العسكري في القاهرة، وفي 29ديسمبر من نفس العام أعلنت الرياض عن تقديم أسلحة فرنسية حديثة الصنع تقدر ب3مليار دولار لتجهيز الجيش اللبناني، وفي مارس 2014 قدمت الرياض لباكستان منحة تبلغ قيمتها 1.5مليار دولار.⁽²⁾ وعند قراءة هذه الأرقام والمساعدات المالية والعسكرية نفهم مستوى الحضور السعودي في تفاعلات الشرق الأوسط، بعد الربيع العربي، وأن ما يحكم هذه المساعدات هي شراء التحالفات من الدول التي من شأنها مساعدة المملكة في الوصول إلى المكانة الريادية إقليمياً، كما تعمل في إطار سياسة التنافس الجيوبوليتيكي الإقليمي على الشرق الأوسط باعتباره رقعة شطرنج جيوبوليتيكية لمحاور كبرى عالمية وأخرى إقليمية قيد التشكل على أضعاف المنافسين المحتملين خاصة إيران.

تتخرب المملكة العربية السعودية في أكثر من جبهة نزاع في ظل الربيع العربي، بعدما أصبحت في موقع أهم دولة عربية على المستوى الإقليمي محيطها، سواء في الدائرة الخليجية أو من خلال دعمها للنظام المصري، كما تنامي دورها ليصل إلى التأثير في كل من الداخل العراقي والسوري واللبناني واليميني، وأصبحت دولة مركزية في دائرة إقليمية ممتدة من تركيا شمالاً وحتى اليمن جنوباً، وذلك وضع

(1)- Thomas Richter, "Saudi Arabia: A Conservative P(1)ayer on the Retreat?", in Henner Furling, **regional powers in the middle east new constellations after the arab revolts**, (Palgrave macmillan@in the United States—adivision of St. Martin's Press LLC, 175 Fifth Avenue, New York, First published, 2014, NY 10010), p177.

(2)- Ibid, p178.

عليها أعباءً متزايدة، في ظل تحديات داخلية وإقليمية ودولية، وفي ظل تحديات اقتصادية ومجتمعية، وتحولات في الخريطة الإقليمية.⁽¹⁾

في أعقاب الإتفاق النووي الإيراني الأمريكي سنة 2015 خاضت المملكة العربية السعودية عملية واسعة من إعادة النظر في سياساتها الخارجية وأولويات أمنها القومي في أعقاب التحول الذي طرأ على المنطقة وهناك أربعة أسباب رئيسية تجعل السعودية تحدث نقلة كبيرة في رؤيتها الاستراتيجية وسياساتها الخارجية، وهي:

1. التحول الداخلي في الأسرة الحاكمة مع استعداد الجيل الثالث لتولي الحكم ومخاوف اندلاع اضطرابات داخلية بسبب التحولات الإقليمية والعالمية وزوال النفط كمصدر قوة استراتيجية للمملكة؛ حيث تشير تقارير إلى أن السعودية ستصبح مستوردة للنفط بحلول 2030

2. التحولات الإقليمية بعد الربيع العربي والتي قوضت الأنظمة الاستبدادية التي نشأت في حقبة ما بعد التحرر من الاستعمار والمخاوف من انتقال تأثيراتها إلى الداخل السعودي.

3. محاولة مواكبة التغير في الدور الإيراني في المنطقة؛ حيث تستعد طهران لتحصن مكاسب تحولات العقد الماضي بعد سقوط نظامي طالبان وصدام حسن، بعد صفقتها مع الغرب حول برنامجها النووي.

1. التحول في استراتيجية الولايات المتحدة التي ظلت الحامية لنظام الحكم في السعودية منذ سبعين عامًا، وذلك بزيادة اهتمامها بشرق آسيا على حساب الشرق الأوسط بعد العثور على احتياطات نفطية هائلة ستجعلها مصدرة للنفط والغاز في المستقبل، لذلك فإن المملكة العربية السعودية ترصد تلك التحولات الإقليمية والتحولات في استراتيجيات القوى الكبرى تجاه إيران.⁽²⁾

فمنذ التعديل الوزاري في المملكة العربية السعودية في أوائل عام 2015، اتبعت المملكة العربية السعودية سياسة تدخلية أكثر علانية، تجلى في موقف عدائي للغاية تجاه إيران، من خلال تدخل عسكري

(1) - محمد سليمان الزواوي، مثلث النفوذ الشرق أوسطي السعودية تركيا إيران تفاعلات علاقات الإقليمية بعد الربيع العربي، دراسات مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، 29 مارس 2015، ص 9.

(2) - المرجع نفسه، ص 5.

غير قانوني من وجهة نظر القانون الدولي في اليمن، والمشاركة الواضحة بشكل متزايد في الحرب بالوكالة التي دارت في سوريا.

تعتبر المملكة نفسها محاطة بتهديدات أمنية لا يقل بعضها أهمية عن الآخر سواء فيما يتعلق بحدودها مع اليمن والعراق من جهة أو صعود إيران من جهة أخرى، خاصة بعد التهدة التي شهدتها العلاقات الإيرانية الأمريكية بعد توقيع الاتفاق النووي الإيراني مع مجموعة (1+5)، معلنا العودة الكبيرة لطهران على الساحة الإقليمية والعالمية، بعد أن وضعت حداً لسنوات النبذ التي طالت الجمهورية الإسلامية.

كما تنتهج المملكة -بدعم من حليفها التركي والأمريكي- سياسة إقليمية عدوانية في لبنان، حيث يسعى النظام السعودي إلى إضعاف القدرة العسكرية لحزب الله اللبناني من خلال اتباع سياسة زعزعة استقرار هذا البلد الواقع ضحية صراعات دينية وطائفية بين إيران والمملكة العربية السعودية.⁽¹⁾ وعلى رغم من علانية التنافس والصراع الديني بين إيران والسعودية إلا أن الطابع الجيوبوليتيكي التوسعي هو المحرك للعلاقات الثنائية للبلدين في المنطقة خاصة في مناطق الاحتكاك الجيوبوليتيكي.

كما تعتمد السعودية أيضاً إلى التدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة، كما هو الحال في العراق، إذ تحاول المملكة الانخراط في الصراع قدر الإمكان ضد النفوذ الإيراني في هذا البلد منذ التدخل الأمريكي، وهذا ما كان سبب في تدهور علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية الحليفة الاستراتيجية منذ وصول الإدارة السعودية الجديدة بقيادة الملك سلمان إذ يتضح أن الخارجية السعودية تتبع سياسة استباقية، مما دفع تركيا للانضمام إلى التحالف السني بتشابك أهداف مختلفة لكل من المملكة السعودية، تركيا ومصر مما يوحي بأننا نتجه نحو تقارب من النوع التركي السعودي. ربما يكون السعوديون قد فهموا أو افترضوا ببساطة أنهم لم يعودوا قادرين على حل مشاكل المنطقة العديدة التي تؤثر عليهم بشكل مباشر من خلال الوسائل التقليدية، ولكن من خلال التحالفات الإقليمية.⁽²⁾

تعتبر الأزمة السورية المدولة أهم أزمات المنطقة التي وضعت مصالح وقدرات القوى الإقليمية التنافسية في اختبار صعب، ولهذا ومن باب المنافسة الجيوبوليتيكية السعودية الإيرانية في الشرق الأوسط، ترى السعودية نفسها فاعلاً أساسياً في سوريا، فهي تمارس تأثيراً قوياً على المعارضة السياسية،

(1)- Mohamed Troudi, La politique de l'Arabie Saoudite au Moyen-Orient, 19 avril 2016, at:

<https://www.huffingtonpost.fr/html>, visite le 13 /09/2021

(2)- ibid.

في وقتٍ تأمل فيه مغادرة إيران للأراضي السورية التي تعتبرها عمقها الاستراتيجي ووسادتها الديموغرافية باتجاه الشمال. وعلى مدار نحو عشر سنوات عاشت السعودية والنظام السوري أزمة كبيرة وانقطاعاً في التواصل فيما بينهما، مع دعمٍ واضحٍ من الرياض للمعارضة السورية، لكن مؤخراً بدأت السعودية بالعمل على إعادة دمشق إلى المحيط العربي بعد الانقطاع الطويل. ولعل دعوة المملكة إلى عودة سوريا للجامعة العربية، في 10 مارس 2021، بالتزامن مع زيارة وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف للرياض، كانت بمثابة مفاجأة من العيار الثقيل، ومؤشراً واضحاً إلى أن المنطقة قد تكون مقبلة على تغييرات كبيرة، لتتبعها تصريحات من الرياض تؤكد توجهاً جديداً لها نحو الدفع بحلٍ سياسي في سوريا يكون الأسد جزءاً منه.⁽¹⁾

يمثل التنافس الجيوبوليتيكي السعودي الإيراني والمصلحة الاستراتيجية السبب الرئيسي خلف تدخل الرياض في سورية، وذلك لأن النظام السوري أقام منذ فترة طويلة علاقات وثيقة مع إيران الشيعية، وهو ما شكّل إهانة لادّعاء المملكة العربية السعودية السنّية بالزعامة العربية فيما يتعلّق بقضية بلاد الشام والقضية الفلسطينية. وقد استعملت السعودية قبل عام 2011 العديد من الآليات وكانت مزيجاً من الضغوط الدبلوماسية والإقناع في محاولة لانتزاع سوريا من الفلك الإيراني لكن دون جدوى،⁽²⁾ فجاءت ثورات الربيع العربي لتشكل فرصة للسعودية للتدخل في سوريا ومن خلالها إضعاف الدور الإيراني وإحباط مشروعه الجيوبوليتيكي في المنطقة المتمثل في الهلال الشيعي الذي تشكل فيه سوريا زاوية ارتكازية.

حسب فريدريك ويرى إن الانتفاضة المناهضة للأسد وفرت للمملكة العربية السعودية فرصة جديدة لدرح النفوذ الإيراني في العالم العربي. وكانت الانتفاضة فرصة للتعافي من "خسارة" العراق المُذلة بعد أن أصبح نوري المالكي رئيساً للوزراء. كما شكلت الانتفاضة السورية ضد نظام بشار الأسد فرصة للسعودية للتعويض عن خسارة لبنان، حيث هيمن حزب الله، حليف إيران، على منافسيه السنّة الذين تدعمهم السعودية.³

(1) - يوسف حمود، ما موقف السعودية من عودة سوريا إلى الجامعة العربية؟ الخليج أونلاين، من الموقع:

تم تصفح الموقع يوم 2021/09/17 <http://khaleej.online/KaJBok>

(2) - Frederic Wehrey, gulf calculations in the syrian conflict, carnegie endowment for international peace, june9 ?, 2014. On: <https://carnegieendowment.org/2014/06/09>

(3) Ibid

تتمحور الحسابات السعودية في الصراع السوري حول ميزان القوى بالدرجة الأولى، كما أنها تتطوي على بُعد معياري أيضاً، فقد تم "تطيف" النزاع، وتندرج كل أسباب انخراط المملكة العربية السعودية في النزاع السوري في رهانات كبرى لمكانة الرياض الإقليمية وأمنها الداخلي، إذ تسعى السعودية إلى الحد من صعود الجهات الفاعلة العابرة للحدود الوطنية والتابعة لتنظيم القاعدة، التي تمتلك القدرة والرغبة لتهديد المملكة. في الوقت نفسه، تحرص الرياض على ضمان تهميش فصائل الإخوان المسلمين داخل المعارضة السورية في أي تسوية يتم التوصل إليها في مرحلة ما بعد الأسد، أما مصالح الإمارات العربية المتحدة والبحرين في سورية تماماً فتتفق مع مصالح السعودية. إذ تحرص الدولتان على مواجهة نفوذ إيران والإخوان المسلمين في سورية، كما اهتمت دولة الإمارات على وجه الخصوص، بمحاولة عزل لبنان والأردن عن امتداد النزاع السوري إليهما.⁽¹⁾

لقد مكنت ثورات الربيع العربي المملكة العربية السعودية من لعب دور محوري في الشرق الأوسط، وتعزيز مكانته على رأس النظام الإقليمي الهش، ومع ذلك فإن الدور المحوري والمكانة يتطلب من السعودية اختيار الفرص المناسبة لمواجهة التحديات الإقليمية من خلال ممارسة نفوذها، فقد قبلت السعودية الربيع العربي وتماشت معه ووقفت ضده على حساب مصالحها الاستراتيجية وديناميكيات المصالح الإقليمية والعالمية.⁽²⁾

لهذا عملت في بعض الأحيان كقوة ثورية مساندة لحق الشعوب في التغيير، بينما لعبت في أحيان أخرى دور معاد للثورة، على سبيل المثال، كانت المملكة العربية السعودية متورطة بشدة في الأزمة اليمنية وقامت بتدبير الصفقة التي أدت بالرئيس علي عبد الله صالح إلى التنحي، كما لعبت دور مهما لبناء دعم سياسي إقليمي للتدخل الخارجي ضد معمر القذافي من ناحية أخرى، كانت الجهود السعودية بمثابة ثورة مضادة، للقضاء على الاحتجاجات في البحرين الأمر، أما في مصر فقد دعمت الرئيس المصري السابق حسني مبارك وخصصت السعودية مساعدات مالية للنظام العسكري المصري، هذا الدعم الثابت للقوى المضادة للثورة في البحرين ومصر يمكن مقارنته بالنشاط السعودي في محاولة القضاء على نظام الأسد

(1) - Frederic Wehrey, op, cit.

(2) - Saud Mousaed Al Tamamy, **Saudi Arabia and the Arab Spring: Opportunities and Challenges of Security**, *Journal of Arabian Studies* 2.2 (December 2012), p144.

وتقديم الدعم للمعارضة السورية، حيث تولت البلاد بشكل لافت للنظر معاداة الوضع الراهن وركزت على دعم الجيش والسياسة المعارضة للرئيس بشار الأسد ونظامه⁽¹⁾

تعتبر المملكة العربية السعودية قوة إقليمية لها حضور بارز في مجالها الجغرافي ألا وهو منطقة الشرق الأوسط أو رقعة الشطرنج الإقليمية التي تمارس القوى الإقليمية دورها فيها كفواعل جيوسراتيجية أو على الأقل كمحاور جيوبوليتيكية في إطار الصراع الجيوبوليتيكي العالمي بين قوى البر والبحر (الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا)، ولكن لا يمكن للحضور السعودي أن يكون متفردا في ظل تنافس جيوبوليتيكي إقليمي اتضحت معالمه أكثر في النزاع السوري وهذا ما سنحاول دراسته في الفصل الموالي.

⁽¹⁾- Benedetta Berti and Yoel Guzansky, **Saudi Arabia's Foreign Policy on Iran and the Proxy War in Syria: Toward a New Chapter?**, *Israel Journal of foreign Affairs* VIII: 3 (2014), p26.

الفصل الثالث:
الجيوبوليتيكا السورية:
مركز اهتمام القوى الكبرى

عرفت المنطقة العربية منذ سنة 2011 اهتزازات عميقة مست العديد من دولها، فيما عرف بأحداث الربيع العربي، فكانت البداية من تونس ثم مصر واليمن والبحرين وسوريا، هذه الأخيرة التي أخذت فيها الأحداث منحى آخر، فقد بدأت المظاهرات السورية في درعا الجنوبية متأخرة عن بقية الدول العربية التي عرفت هذه الانتفاضات، وقد أدى التفاعل التراكمي للعديد من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وطريقة التعامل مع المظاهرات إلى انزلاق الأوضاع السياسية والأمنية وتطورها بسرعة إلى نزاع مسلح متعدد الأطراف الداخلية منها والخارجية؛ حيث شكلت الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في الزاوية الشرق أوسطية والتنافس الجيوبوليتيكي المحموم بين القوى الإقليمية والعالمية في المنطقة، بالإضافة إلى غياب الرؤية الداخلية للمطالب وطرق التسوية السلمية وقود لنزاع دولي مسلح متعدد الأطراف خلف ولا يزال خسائر مادية وبشرية كبيرة ومأساة إنسانية عميقة، شارفت عامها العاشر ولا تزال تعصف بسوريا الأرض والإنسان ونتناول في هذا الفصل الأهمية الجيوبوليتيكية لموقع سوريا في الخريطة العالمية وموقعها في رقعة الصراع الشرق أوسطية بالنسبة للقوى الكبرى، وكذا تتبع مسارات النزاع السوري المدول والتنافس الإقليمي خاصة الإيراني التركي في سوريا.

المبحث الأول:

الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في منطقة الشرق الأوسط

« Syria is as a mirror of rival interests on an international scale that she deserves special attention. Indeed, her internal affairs are almost meaning less unless related to the wider context, first of her Arab neighbours and then other interested powers »⁽¹⁾.

"تعتبر سوريا مرآة لتنافس المصالح على الصعيد العالمي، لهذا تستحق اهتماما أكثر، فشؤونها الداخلية تكون بلا معنى إن لم توضع في سياقها الواسع مع إقليمها العربي ومصالح القوى الكبرى." هذا ما قاله باتريك سيل سنة 1965 على سوريا، ولا تزال هذه المقولة قائمة خاصة بعد موجات الربيع العربي التي مست العديد من الدول العربية وكان لها الوقع الفعال في سوريا التي دخلت في فوضى داخلية تحولت بسرعة لنزاع دولي متعدد الأطراف المحلية الإقليمية والعالمية، وهذا لاعتبارات جيوبوليتيكية تتعلق بجغرافيا سوريا وأهميتها في الاستراتيجيات الدولية المتنافسة على المناطق المفتاحية للسيطرة الإقليمية والعالمية، لهذا تعد سوريا ضحية انتقام الجغرافيا وتصادم المصالح الاستراتيجية للقوى الكبرى، وفي هذا المبحث نسلط الضوء على موقع سوريا الجيوبوليتيكي سواء في منطقة الشرق الأوسط، أو في الرؤية الجيوبوليتيكية للقوى الفاعلة في المنطقة منذ نهاية 2010 وبداية سنة 2011.

المطلب الأول: الموقع الجيوبوليتيكي لسوريا في منطقة الشرق الأوسط

لطالما كانت جغرافيا البلد البوصلة الجيوبوليتيكية المحددة لسياستها الخارجية، ومكانتها في النسق الدولي، لكن في بعض الأحيان تكون الجغرافيا نقمة ولعنة لما يتعلق الأمر بالدول الواقعة في مناطق التماس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى، أو ضمن مناطق النفوذ الجيوبوليتيكي حسب نظريات الجيوبوليتيكا الكلاسيكية والمعاصرة، وسوريا من بين الدول التي اتفقت النظريات القديمة والمعاصرة على أهميتها في الخريطة العالمية بالمعنى الاستراتيجي للموقع باعتباره موقعا متوسطا وذلك بالنقاء التاريخ والجغرافيا في صورة حضارية متناسقة، أو بالمعنى التنافسي لاصطدام وتضارب مصالح القوى الدولية في الفضاءات الحيوية.

⁽¹⁾ - Patrick Seale, the struggle for syria, on christopher phillips, **the battle for syria, international rivalry in the new middle east**, (yale university press, new Havan and London, 1st published in paperbaback2018), p1.

الموقع الفلكي: يقصد بالموقع الفلكي موقع الدولة ضمن شبكة الإحداثيات المتمثلة في خطوط الطول ودوائر العرض، وأن الاتساع المكاني لدوائر العرض يخلق الفرص لظهور القوى الكبرى، ؛ وتمتد مساحة سوريا بين دائرة عرض 32.19 في الجنوب عند تل رماح في محافظة السويداء وحتى درجة العرض 37.20 في موقع عين ديوار في أقصى شمال شرق سوريا في محافظة الحسكة، وتمتد بين خطي طول 35.37 في الغرب بالقرب من مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية و42.25 على نهر دجلة في أقصى الشرق، وبذلك تمتد الأراضي السورية نحو خمس درجات عرض من الجنوب إلى الشمال في نصف الكرة الشمالي، ونحو سبعة خطوط طول شرقي غرينتش.⁽¹⁾ وعند قراءتنا لخريطة العالم وتوزع الدول عبر هذه الإحداثيات الفلكية تؤكد أهمية موقع سوريا عالمياً، وذلك لأنها تحتل موقعا فلكيا مهما في منتصف الخريطة العالمية، بين دائرة خط الاستواء والدائرة القطبية أي في موقع الاعتدال الحراري والمناخ الملائم للزراعة، كما أنه موقع متوسط للحضارات بين الشمال والجنوب.

في هذا الصدد يقول سبيكمان أن التاريخ يصنع في خطوط العرض المعتدلة، حيث يسود مناخ معتدل ولأن نسبة قليلة من مساحة اليابسة في نصف الكرة الأرضي الجنوبي يقع في هذه المنطقة فإن صناعة التاريخ تجري في خطوط العرض المعتدلة من نصف الكرة الأرضية الشمالي.⁽²⁾ وللتأكيد على أهمية موقع سوريا دائما يقول شتراوس هوبي⁽³⁾ أن التاريخ يصنع بين دائرتي العرض عشرين وستين شمالا وتشمل هذه المنطقة أمريكا الشمالية وأوروبا والشرق الأوسط الكبير وشمال إفريقيا ومعظم روسيا والصين والجزء الأكبر من الهند.⁽⁴⁾

الموقع الجغرافي: تقع سوريا في أقصى السواحل الشرقية للبحر المتوسط عند الجزء الغربي لقارة آسيا، وهي بذلك قريبة من القارة الإفريقية ومواجهة للقارة الأوروبية، ومشرفة على الشواطئ الشرقية للبحر

(1) - إبراهيم أحمد سعيد، الجيوبوليتيك السوري وقوة الجغرافيا السياسية السورية، (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب 2016)، ص 28

(2) - روبرت كابلن، مرجع سابق، ص 115.

(*) - شتراوس هوبي (2002/1903) جيوبوليتيكي أمريكي من أصول أوروبية ويعد من الجيوبوليتيكيين الأمريكيين الذين حذروا أمريكا من الجيوبوليتيكا النازية، كما يعتبر من المهاجرين الأوربيين الذين جلبوا الواقعية إلى أمريكا. كان سفيراً سابقاً للولايات المتحدة في تركيا وحلف شمال الأطلسي وبلجيكا والسويد وسريلانكا، وأستاذاً للعلوم السياسية في جامعة بنسلفانيا ومؤسس معهد أبحاث السياسة الخارجية وصحيفة أوربيس. للمزيد اطلع: robert strausz -hupe,foreign policy research institute, <https://www.fpri.org/contributor/robert-strausz-hupe>.

(4) - المرجع نفسه، ص 116.115.

المتوسط، متوسطة بذلك ثلاث قارات، وتعتبر همزة وصل بين العديد من الدول، وبوابة تركيا للوطن العربي، والظهير الجغرافي للعراق غربا، كما أنها تقع في محور حيوي في منطقة الشرق الأوسط، إذ تمثل قلب بلاد الشام التي تعد التتمة الطبيعية والاستمرار المجالي لشبه الجزيرة العربية⁽¹⁾.

تبلغ مساحتها 185180 كم²، عدا مساحة الإسكندرون البالغة 4849 كم²، وتشرف سوريا على منفذ بحري واحد على البحر المتوسط يبلغ طوله 183 كم والذي يمثل منفذها الرئيسي للبحر المتوسط، وهذا ما جعل سوريا همزة وصل ومنطقة عبور بحرية تربط بين موانئ البحر والقارات الثلاث، وقد أثر موقع سوريا على البحر في محاور الحركة وطرق النقل والمواصلات، كما أنعكس أيضا على حياة السكان، إذ ارتبطت حياتهم بالبحر لكن في نفس الوقت، ورغم أهمية الموقع الجغرافي لسوريا وساحلها الحيوي لطرق التجارة البحرية فإن قربه من إسرائيل أصبح مصدر تهديد أمني لسوريا.⁽²⁾

وتتوزع مساحة سوريا على أراضي زراعية وبدوادي وجبال حيث تبلغ مساحة الأراضي الزراعية 6 ملايين هكتار، تحتل إسرائيل منذ العام 1967 ما مساحته 1260 كم² من أراضي الجولان السوري، تم تحرير جزء منها بعد حرب أكتوبر 1973⁽³⁾. أما حدود سوريا فتبلغ 2413 كم وتتوزع كما سنوضحه في الجدول التالي:

(1) - إبراهيم أحمد سعيد، مرجع سابق، ص 29.

(2) - رفل حسين نجم، عباس طراد ساجت، "خصائص القوة الجيوبوليتيكية للجمهورية العربية السورية"، جامعة بابل: مجلة

كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والأساسية، العدد 42، فيفري 2019، ص 783.

(3) - المرجع نفسه، ص 783.

جدول رقم 1: جدول يوضح طول الحدود مع سوريا

الدول الحدودية لسوريا	طول الحدود
تركيا	845 كم شمالا
العراق	596 كم من الشرق والجنوب الشرقي
فلسطين	74 كم من الجنوب
الأردن	356 كم من الجنوب الشرقي
لبنان	359 كم غربا
البحر الأبيض متوسط	183 كم

المصدر: من إعداد الباحثة بالإعتماد على معلومات من رفل حسين نجم، عباس طراد ساجت، خصائص القوة الجيوبوليتيكية للجمهورية العربية السورية، جامعة بابل: مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والأساسية، العدد 42، فيفري 2019، ص 783.

بهذه المساحة تعتبر سوريا من الدول الصغيرة على الصعيد العالمي حسب تقسيم نورمان بوندس ودولة متوسطة بالنسبة للدول العربية.⁽¹⁾ وتضم سوريا أربع عشرة محافظة، وهذه المحافظات مقسمة بدورها إلى وحدات، والتي يبلغ عددها حوالي ستين منطقة والمحافظات هي، محافظة دمشق، طرطوس، وريف دمشق، الرقة، حلب، إدلب، درعا، والقنيطرة، ودير الزور، والسويداء، وحماة، وحمص، واللاذقية⁽²⁾

مكنها هذا الموقع من احتلال مكانة هامة باعتبارها نقطة وصل وعبور تجارية بين أوروبا برا عن طريق تركيا وشبه الجزيرة العربية، واكتساب أهمية بالنسبة للفضاءات المجاورة والتي تسمح لها بحرية الأعمال اللوجستية، وتدعم ذلك بما تحتويه هذه المساحة من موارد طبيعية سطحية من أراض زراعية وتضاريس وتنوع حيوي ومن موارد باطنية كالنفط والغاز والفوسفات وأملاح ومياه جوفية⁽³⁾.

(1) - رفل حسين نجم، عباس طراد ساجت، مرجع سابق ص 32.

(2) - المرجع نفسه، ص 782.

(3) - المرجع نفسه، ص 29.

خريطة رقم 7: الموقع الجغرافي لسوريا



Source: <https://www.rhalaa.com/2016/08/syria-map.html>

خريطة رقم 8: التقسيمات الإدارية لسوريا



المصدر: رفل حسين نجم، عباس طراد ساجت، مرجع سابق، ص 782.

وبحسب نظريات الجيوبوليتيكا تمثل سوريا الجسر الواقع بين القلب الكبير في وسط آسيا وشرق أوروبا، وبين القلب الصغير في وسط إفريقيا والممتد من مصر مروراً ببلاد الشام، وفي نفس الوقت وسط المنطقة المحورية (الهلال الداخلي الممتد من سهول الباطيق في الشمال الغربي إلى كوريا في الشمال

الشرقي)⁽¹⁾، فهي المنطقة الوسطى العالمية (pivot area) في نظرية " هالفورد جون ماكندر " Halford "Jhon Mackinder".

أما بالنسبة لـ "نيكولا سبيكمان (Nicolas Spykman) فسوريا تحتل أهمية كبيرة في نظرية "الريملاند" (Rimland) الجيوبوليتيكية، حيث اعتبر "سبيكمان" أن "الريملاند" هي منطقة التصادم بين القوى البرية والتي تمثلها منطقة قلب الأرض عند "ماكندر" وبين القوى البحرية التي تمثل الهلال الخارجي عند "ماكندر"، وسوريا أيضا المنطقة الوسطى في "الريملاند" والممتدة من أوربا الغربية إلى الشرق الأوسط والهند وجنوب شرق آسيا⁽²⁾، ومن يسيطر على هذه المنطقة يتحكم بمصير العالم، وهذا ما أعطى سوريا أهمية كبيرة في الجيوبوليتيكا العالمية.

تعتبر سوريا من أهم المحاور الجيوبوليتيكية بالنسبة للقوى الكبرى في صراعها الأزلي القائم بين قوى البر وقوى البحر، فموقعها الجغرافي على ضفة البحر المتوسط الشرقية جعلها بوابة ساحلية للقارة الآسيوية فالمحور الأطلسي الممثل لقوى البحر التجارية يحتاج إلى موقع سوريا لمحاصرة المحور الأوراسي القاري المقابل له وذلك حسب مبدأ "الأناكوندا" الذي نقله الجيوبوليتيكي الأطلسي ألفريد ماهان الذي اعتمد على أفكاره الكثير من الأطلسيين ويتجسد هذا المبدأ في حصار الأراضي المعادية من البحر وعبر الخطوط الساحلية وهو ما يؤدي تدريجيا إلى الاستنزاف التدريجي للخصم، وهنا تكمن مهمة المحور الأوراسي بالحفاظ على الآماد الشاطئية المحيطة بأوراسيا القارية، وهو ما يفسر مآلات الأزمة السورية ودخول كل الأطراف الدولية على خط التنافس الجيوبوليتيكي في سوريا منذ 2011 وتحول الأزمة الداخلية إلى نزاع دولي، كما إن موقع سوريا في شمال فلسطين، يجعل منها هدفا أساسيا للحركة الصهيونية العالمية، يجب السيطرة عليه من أجل تنفيذ مخططاتها في المنطقة، هذا العامل يعطي سوريا أهمية جيوبوليتيكية كبيرة جدا في المعادلة الدولية للقوى الكبرى.⁽³⁾

إن موقع سوريا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط عزز من قيمة وأهمية موقعها الجغرافي على المستويين الإقليمي والعالمي، وهذا للأهمية المتزايدة للبحر المتوسط في حركة التجارة البحرية، لأنه يتوسط قارات العالم القديم. ومما زاد من حساسية الموقع الجيوبوليتيكي للبحر المتوسط هو إمتداد شبكة

(1) - إبراهيم أحمد سعيد، مرجع سابق، ص 31.

(2) - المرجع نفسه، ص 31.

(3) - رفل حسين نجم، عباس طراد ساجت، مرجع سابق، ص 780.

واسعة وكثيفة - في جزئه الجنوبي والشرقي - من خطوط نقل أنابيب النفط الخام والغاز الطبيعي القادمة من الجزء الآسيوي من الوطن العربي وشمال إفريقيا متجه إلى السوق الأوروبية، إن هذه الأهمية الاستثنائية لهذا المسطح المائي جعلته محط أنظار القوى الكبرى الإقليمية والعالمية ومحل تنافس وصراع وتحقيق التوازنات بين القوى الكبرى والسعي للحصول على مناطق نفوذ في الدول المطلة عليه منذ قرون طويلة.⁽¹⁾

كما تظهر أهمية الساحل السوري المطل على البحر المتوسط في أنه يرتبط بالمحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق، وعليه فقد شكل موقعها الجغرافي أحد المحاور بالغة الأهمية لعملية التوازن الإستراتيجي بين القوى الكبرى المتنافسة على النفوذ في المنطقة. ومما زاد من أهمية الموقع الجغرافي بعد العام 2011 هو احتياطات الغاز الطبيعي في سواحل البحر المتوسط المواجهة للساحل السوري، فقد قدر تقرير لـ "الأسكوا" الاحتياطي الجيولوجي للغاز الطبيعي بحوالي 705 مليار م³ في حين أن الاحتياطي القابل للإنتاج يبلغ 405 مليار م³، وما يزيد من أهمية هذه المقدرات من الغاز الطبيعي هو وجودها بالقرب من موانئ التصدير عن طريق البحر المتوسط، فضلاً عن قرب سوريا من الأسواق في دول أوروبا.²

الأهمية الاقتصادية لموقع سوريا: تعتبر سوريا حلقة الوصل الاقتصادية في الجغرافيا الشرق

أوسطية فهي تربط بين مجموعة من الدول منها:

- العراق في الشرق
- البحر المتوسط في الغرب
- تركيا في الشمال

إن هذا الموقع المتوسط يمتلك أهمية اقتصادية في تجارة العبور (transit) بين أوروبا برا عن طريق تركيا وشبه الجزيرة العربية، وتشكل سوريا أهمية جيوبوليتيكية بالنسبة لبقية الدول الشرق أوسطية أيضاً فهي تشكل موقعا اقتصاديا نموذجيا للعراق وذلك لأن سوريا تمكن العراق من الوصول للبحر المتوسط وبالتالي إلى أوروبا، إن وقوع سوريا في منطقة متوسطة بين المناطق الاقتصادية المحيطة بها يجعلها

(1) - ظاهر عبد الزهرة الربيعي، ثناء إبراهيم فاضل، "الموقع الجيواقتصادي لسوريا وأثره على سياسة روسيا الاتحادية"، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد 6، المجلد 42، 2017، ص ص 290-291.

(2) Yezid Sayigh, SYRIA IN CRISIS the war over syria's gas fields, Malcolm H. Keer Carnegie Middle East Center, June 08, 2015, at <https://carnegie-mec.org/diwan/60316visited26/01/2022>.

مجالاً حيويًا للاستثمارات والمشاريع الإنتاجية وفقاً لنظرية الموقع.⁽¹⁾ وبالإضافة للموقع الجغرافي المتميز لسوريا وسط الخريطة العالمية همزة وصل بين الشرق والغرب من جهة والشمال والجنوب من جهة أخرى، تتوفر في باطنها على موارد طاقة من نפט وغاز وفوسفات كانت تلبى لسوريا احتياجاتها المحلية وتصدر جزء منها إلى غاية تدحرج كرة ثلج الاضطرابات التي شهدتها العديد من الدول العربية نهاية 2010 فيما عرف بالربيع العربي واستقرت في سوريا منذ سنة 2011 ولا تزال الأوضاع من تشطي داخلي ونزاعات خارجية تهدد الأرض والإنسان في هذه الرقعة الجغرافية التي وقعت ضحية التاريخ والجغرافيا.

الموارد الطاقوية في سوريا:

تعد سوريا دولة غنية بالمصادر الهيدروكربونية وإن لم تكن بمستوى الدول الأخرى في المنطقة من حيث الطاقة مثل العراق وإيران فقد كانت سوريا محققة للاكتفاء الذاتي من حيث الطاقة قبل 2011 وتصدر جزءاً منها، غير أن الأزمة السورية منذ 2011، وانخراط أطراف داخلية خارجية عملت على توسيعها إلى نزاع مسلح، وسيطرة أطراف مسلحة خارج سلطة الدولة على الأرض دفع بالنظام السوري إلى شراء النفط من الخارج، فقد تعرض إلى خسارة كبيرة في هذه المناطق بعد أن كانت لديه القدرة على توفير الطاقة والأمن الغذائي، ففي عام 2010 بلغ إجمالي إنتاج سوريا من الطاقة 27, 67 مليون طن وبلغ إجمالي إمدادات الطاقة الأولية 21.66 مليون طن وبلغ استهلاك الطاقة للفرد 1.050 طن، وقد احتلت سوريا عام 2010 المرتبة الثالثة والعشرون عالمياً بما لديها من احتياطي نفط خام بلغ 2.5 مليار برميل وتم توفير 99% من إجمالي استهلاك الطاقة من الوقود الأحفوري⁽²⁾.

في عام 2010، بلغت الطاقة الإنتاجية لتوليد الطاقة الكهربائية 2.8 مليون كلواط، وبلغ الناتج المحلي للطاقة الكهربائية 44 مليار كلواط ساعي، وكان الاستهلاك 36 كلواط ساعي، وبلغ إجمالي استهلاك الكهرباء للفرد الواحد 1.883 كلواط ساعي، يجري إنتاج 39, 4% من الطاقة الكهربائية من مصادر البترول ومشتقاته، و54.9% منها من مصادر الغاز الطبيعي، والباقي البالغ 5.5% من المولدات الكهربائية وقد تم الاعتماد على مصادر الوقود الأحفوري للحصول على 41 إلى 42 مليار كلواط ساعي 94.5% من إجمالي الطاقة الكهربائية البالغ 44 مليار كلواط ساعي. وهكذا يجري الاعتماد

(1) - إبراهيم أحمد سعيد، مرجع سابق، ص 29.

(2) - جان أجون، محمد جغطاي غولر، "حروب المصادر الطبيعية في سوريا"، رؤية تركية، أبحاث ودراسات خريف 2019، ص 164.

على الوقود الأحفوري من أجل إنتاج الكهرباء، أي على المحطات الحرارية التي تعمل على الوقود الأحفوري. وفي هذا الإطار تستعمل نوعين من المحطات؛ المحطات الحرارية العاملة على الغاز الطبيعي، والمحطات الحرارية العاملة على النفط. وفي عام 2010 بلغ إنتاج الغاز الطبيعي الجاف 88 مليار م³، وبلغ إجمالي كمية الغاز الطبيعي الجاف المستهلك في العام نفسه 95 مليار م³، وهذا يعني أن كمية الغاز الطبيعي المستخدمة في توليد الكهرباء قبل الحرب كانت لا تغطي إجمالي الطلب حيث بلغ إجمالي احتياط الغاز الطبيعي في سوريا 240 مليار م³.⁽¹⁾

سيطر تنظيم داعش، ما بين عامي 2014 2015، على أغلبية مصادر الطاقة المذكورة أعلاه، التي كانت بيد نظام الأسد قبل الثورة، فتغيرت بذلك كل الموارد التي كانت بيد النظام وكميات الإنتاج والاستهلاك، وفقاً لبيانات وكالة الطاقة الدولية عام 2015 بلغ إجمالي الإنتاج السوري من الطاقة 4.68 مليون طن وهذا يعني أن انخفاضاً كبيراً طرأ على الإنتاج بنحو 83% من 27.67 مليون طن إلى 4.68 مليون طن وبلغ إجمالي إمدادات الطاقة 9.98 مليون طن، وبلغ نصيب الفرد من الاستهلاك 0.54 مليون طن، وبلغت الطاقة الإنتاجية الإجمالية لتوليد الكهرباء 9.1 مليون كلواط ساعي وبلغ الإنتاج الفعلي حوالي 17 مليار كلواط ساعي، وبلغ الاستهلاك حوالي 14 مليار كلواط ساعي.⁽²⁾

بالنسبة للفوسفات تحتل سوريا المرتبة الخامسة عالمياً على قائمة الدول المصدرة للفوسفات حتى العام 2011، ويُمثل خام الفوسفات في سوريا المرتبة الثانية من حيث الأهمية الجيو اقتصادية بعد خامات النفط والغاز الطبيعي بالنسبة إلى الموارد الباطنية المعدنية وشبه المعدنية، وعلى الرغم من التطور الذي حصل في عمليات الاستكشاف والإنتاج؛ إلا أنه ما زال دون المستوى المطلوب من حيث الدراسات والإنتاج والتصنيع والتصدير، فالاحتياطي الموثوق به يقدر بملياري طن، إلا أن كميات الإنتاج ما زالت أقل من 3.5 مليون طن.⁽³⁾

من خلال ما سبق عرضه بالأرقام حول الموارد الطاقوية والثروات المعدنية في سوريا يتبين لنا إحتواء سوريا على نسبة معتبرة من المواد الأولية زادت من درجة استقطابها للتنافس الدولي إضافة إلى

(1)- جان أجون، محمد جغطاي غولر، مرجع سابق، ص 166.

(2)-، المرجع نفسه، ص 167.

(3)- سقراط العلو، الصراع على الثروة السورية بين إيران وروسيا: الفوسفات نموذجاً، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات،

جويلية 2018، ص 3

مقومات الموقع الجغرافي، وأن السنوات العشر للنزاع المتعدد الأطراف، وسيطرة تنظيم داعش على مناطق تواجد الموارد الأولية في سوريا قللت من حجم إنتاج وتصدير واستهلاك المواد الطاقوية، كما أن الأهمية الحضارية لسوريا التي سنأتي عليها في الجزئية التالية ليست أقل أهمية بالنسبة لزيادة التنافس الجيوبوليتيكي لمختلف القوى الكبرى حول سوريا.

2- الأهمية الثقافية والحضارية: اجتمع في سوريا التاريخ والجغرافيا، فبالإضافة للموقع الجيوبوليتيكي لسوريا وأهميته الاقتصادية والتجارية، تحتوي سوريا على مقومات جيوبوليتيكية غير مادية دينية وحضارية ثرية، وقد كانت منبعاً للتنوع والتناغم بين الأديان من المسيحية إلى اليهودية والإسلام والتعايش بين العرقيات والإثنيات، ومن سوريا نشأت حضارة الكتابة أي الأبجديات التي لا يماثلها أي عملية إبداعية في تاريخ البشرية، ومنها أيضاً كانت البدايات لاستخدام الأرقام والترميز والصفقات التجارية، ومن سوريا كانت ثقافة الانطلاق نحو العوالم الأخرى ومنها انتشرت الديانات السماوية⁽¹⁾. وهذا ما يعبر عنه بالجيوبوليتيكا الحضارية حسب "جون كاترلند رايت john kirtland wright" الذي يعد من الأوائل الذين سعوا إلى استكشاف دور الدين والقيم الثقافية الحضارية وانصهارها في المفاهيم الجغرافية والدينية، ففي كتاباته العلمية التي عنونها بـ"جيوسوفيا" أدخل مصطلح الجيوبوليتيكا التي وحسب أي فيو تيان أن الجيوبوليتيكا تقتضي القيام بأفعال وسلوكيات تتجاوز الصلاة والطقوس التعبدية والتضحية بالنفس إلى مجالات حماية البيئة أو التشييد والإنجاز في أماكن معينة⁽²⁾ وهذا ما تجلّى في سوريا الحضارة منذ فجر التاريخ، وفي كل الإمبراطوريات التي مرت واستقرت في سوريا وهذا ما أورث للشعب السوري نوع من الهدوء والقدرة على تقبل الآخر المختلف والتعايش معه، بل أكثر من ذلك استغلال الاختلاف في تعزيز المكون الاجتماعي والحضاري.

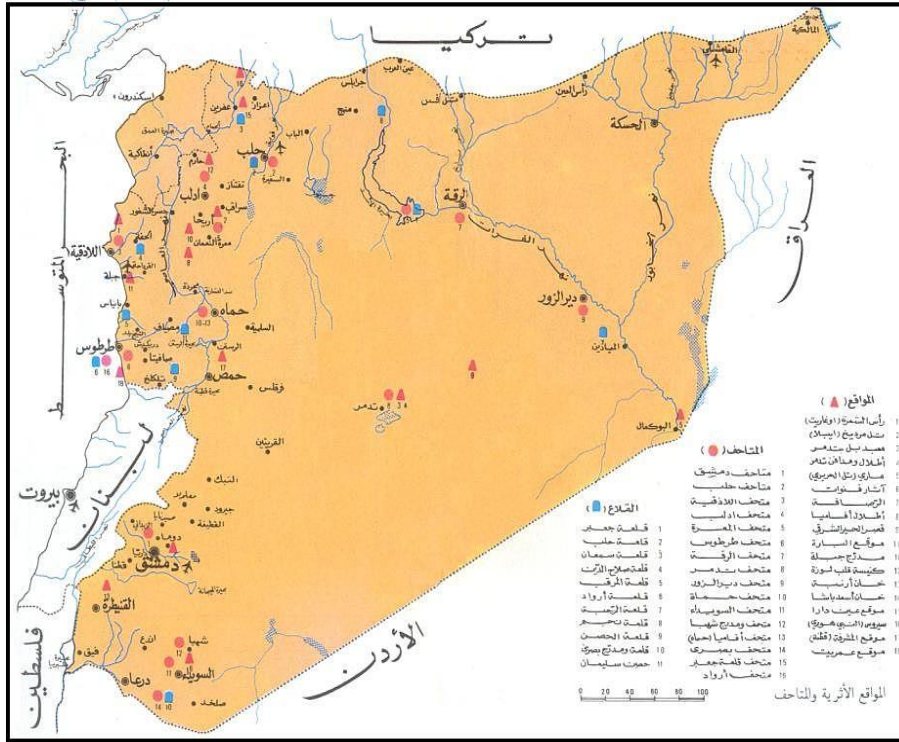
إلى جانب تأثير العوامل المادية، كالجغرافيا والاقتصاد والديموغرافيا، برزت العوامل اللامادية (القيم والأفكار) ذات الصلة بالبعد الحضاري في فترة ما بعد الحرب الباردة كمحركات للسياسة الداخلية والخارجية؛ مما يدفع إلى إقحام المتغيرات الثقافية والدينية والإثنية ضمن أجندة البحث ضمن ما نصطلح

(1) - جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2012)، ص 33.

(2) - عبد الله راقي، "الجيوبوليتيكا الحضارية في حوض المتوسط في ظل الإرهاب واليمين المتطرف"، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 27، مارس 2017، ص 1-15

عليه بالجيوبوليتيكا الحضارية.⁽¹⁾ وهذا ما يحتاج على استهداف المراكز الحضارية القديمة في النزاع السوري من طرف تنظيم داعش الإرهابي بتدميره معبد بعل شمين بتدمر وقتله عالم الآثار خالد الأسعد بعد عمله لمدة أربعين عاما مديرا لآثار تدمر وأميناً لمتحفها الوطني، وقد قام قبل ذلك بتحطيم تمثال أسد اللات الذي يعد أحد أكبر وأهم التماثيل الأثرية السورية.⁽²⁾

خريطة رقم 9: خريطة المواقع الأثرية والمتاحف في سوريا



المصدر: https://www.merefa2000.com/2019/10/blog-post_40.htm

من خلال قراءة الخريطة المبينة للمواقع الأثرية والمنتشرة عبر كامل التراب السوري نفهم الاستهداف العسكري لمناطق الرقة ودير الزور حلب وغيرها من المناطق الأثرية لما تحويه من مقومات قوة غير مادية تختصر من خلالها التاريخ الحضاري للإنساني لسوريا.

(1) عبد الله راقي، "الجيوبوليتيكا الحضارية في حوض المتوسط في ظل الإرهاب واليمين المتطرف، مرجع سابق، ص 15-1.

(2) اعتداءات داعش الهمجية ضد إرث سوريا الحضاري استهداف للهوية الوطنية، الجمهورية العربية السورية وزارة الخارجية والمغتربين، 2015/08/26، من الموقع: <http://www.mofaex.gov.sy/ar/pages613> تم تصفح الموقع يوم 2021/10/23.

اختزلت سوريا التآلف الإنساني على جغرافيتها ومر عليها تاريخ إنساني طويل بقيت شواهد لآلاف السنين تدل عن قدم التاريخ الحضاري لسوريا، ولقد كان لموقع سوريا ولا يزال أهمية كبيرة بالنسبة للسوريين، والشعوب المجاورة لهم، فلقد كانت الحضارة السورية وسطا بين الحضارة المصرية وحضارة ما بين النهرين ولا زالت وسطا بين الشرق والغرب فمن سوريا مرت حضارة الإغريق والرومان والفرس وغزوات التتار والمغول والعثمانيين ثم الأوربيين والصهاينة ووعده بلفور واتفاقية سايكس بيكو.⁽¹⁾ وإن ما شهدته سوريا منذ سنة 2011 من مظاهرات مطالبة بإصلاحات سياسية داخلية وتحولها لنزاع عسكري متعدد الأطراف والمصالح يبين عمق وأهمية التاريخ والجغرافيا السورية للقوى الكبرى المتنافسة في الرقعة الشرق أوسطية.

المطلب الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في الاستراتيجيات الدولية

أفرزت بيئة ما بعد الحرب الباردة هيكلًا لنظام عالمي جديد في توزيع القوة يختلف عن ذلك الذي ساد في الفترة 1945/1991، فقد برزت أقاليم جغرافية ذات قيمة محورية، وأصبحت ميادين جيوبوليتيكية للتنافس بين القوى الكبرى، ومن خصائص هذه المحاور؛ الموقع والموارد والقضايا والقوى الإقليمية الفاعلة والتهديد والتوازن والاستقرار وحضور المصالح الاستراتيجية للقوى الكبرى وتتباين هذه المحاور من حيث الخصائص المذكورة.⁽²⁾

ويعتبر الفضاء الجيوبوليتيكي (العربي - الإسلامي) اليابسة ما بين المحيط الأطلسي وآسيا - المحيط الهادي (من أهم المجالات الحيوية التي حدثت فيه أكثر التغيرات من حيث عملية إعادة الهيكلة، في نوعها وتفاعلات ديناميتها، وانعكاساتها على التنافس والصراعات بين القوى الكبرى في النظام الدولي، وكذلك على إدامة الهيمنة الأمريكية، أو إرجاء انحسارها الحتمي، أو إبطائه وتلطيف عواقب الانحسار، وتقليل تكلفته، ولا سيما أن الذي يسيطر على محور اليابسة يتحكم في المحاور الأخرى، والذي يتحكم في المحاور الأخرى يسيطر على العالم⁽³⁾) وفي هذا السياق تعتبر سوريا من أهم المحاور الجيوبوليتيكية في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها الرقعة الأوسع المتنازع عليها، كما تضع الدول الكبرى سياساتها وفقاً

(1) - إبراهيم أحمد سعيد، مرجع سابق، ص 30..

(2) - كاظم هاشم نعمة، المحور الجيوبوليتيكي العربي - الإسلامي وعملية هيكلة النظام الدولي: نحو مقاربة جديدة، مرجع سابق، ص 16.

(3) - المرجع نفسه، ص 8.

لمصالحها الوطنية وأمنها القومي، وهي تبعاً لذلك تتدخل بالدول الأقل قوة تبعاً للموارد الطبيعية والمقومات الجغرافية والاقتصادية والاستراتيجية لتلك الدول.

ولأن البعد الجيوپوليتيكي هو المحرك الأساسي للتدخل الدولي في سوريا، فإن جغرافيتها تشهد الكثير من التفاعلات تبعاً لمصالح الأطراف الدولية، كل بما يتناسب مع أهدافها. كما يعتبر موقع سوريا على الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط -الذي يعد منفذاً بحرياً مهماً إلى دول العالم وخاصة الأوروبية-؛ على قدر كبير من الأهمية في الخارطة الجغرافية الدولية، ما جعلها مطمع للقوى الكبرى عبر العصور.

خريطة رقم 10: موقع سوريا بالنسبة للبحار الخمسة



المصدر: خالد أحمد الأسمر، جيوستراتيجية المضائق البحرية وأثرها على الصراع في منطقة المشرق العربي، (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط1، 2019). ص217.

نقرأ من خلال الخريطة الأهمية الجيوپوليتيكية لموقع سوريا بالنسبة للبحار الخمسة (بحر قزوين في آسيا الوسطى والبحر الأسود في الشمال والبحر المتوسط والبحر الأحمر في الغرب والخليج العربي من الشرق)، وهي بذلك تعتبر نقطة ربط بحرية وبرية بين الشرق والغرب من جهة والشمال والجنوب من جهة أخرى.

جاءت أحداث الربيع العربي التي عرفت العديد من الدول العربية نهاية سنة 2010، والتي كان لها منحا تصاعديا في سوريا، فتحوّلت الأحداث الداخلية المطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية إلى أزمة داخلية حادة بين الأطراف الداخلية والتي بدورها دخلت مرحلة التدويل بسبب تدخل أطراف خارجية نتيجة دوافع جيوپوليتيكية ونيوجيوپوليتيكية مركبة، حيث لكل طرف من الأطراف المتصارعة

رؤيته ومصالحه الحيوية التي يسعى لتحقيقها من خلال محاولة تحقيق انتصار على الأرض، والسيطرة على مساحات من الجغرافيا السورية، أو تحقيق الهيمنة على القرار السياسي الذي يتحكم بهذه المساحة.⁽¹⁾ ومن القوى الكبرى التي كان لها موطئ قدم في الأزمة السورية بدافع الجغرافيا والجيوپوليتيكا روسيا البوتينية العائدة بقوة للساحة الدولية عن طريق البوابة السورية.

1 روسيا الاتحادية

تقع روسيا في شمال الكرة الأرضية بالقرب من المحيط المتجمد الشمالي، ويحيط بها 13 بحراً من بينها 12 بحر من ثلاث محيطات، ومع ذلك تعد دولة شبه حبسية، ليس لها منافذ بحرية مفتوحة، فعلى الرغم من أن المحيط القطبي الشمالي والمحيط الهادئ يشكلان الحدود الشمالية والشمالية الشرقية لروسيا، على طول 808, 38 كم، إلا أن مياههما تتجمد طوال العام لقربهما من المدار القطبي، كما أن مدينة فلاديفوستك التي تعد الميناء الأهم لروسيا الاتحادية في الشرق، تقع في بحر اليابان (بحر الشرق)، ومن جهة الغرب تطل مدينتا سانت بطرسبرج كالينغراد على بحر البلطيق الذي يفصله عن بحر الشمال مضيق أوريسند، ويمثل هذا المسار عائناً لروسيا نظراً لأن معظم الدول التي تطل عليه أعضاء في حلف شمال الأطلسي ومن ثم، فمن البديهي إدراك مدى تمسك روسيا بأي منطقة تسمح لها بالوصول إلى المياه الدافئة سواء في جوارها المباشر مثل ميناء سيفاستوبول في شبه جزيرة القرم أو ميناء طرطوس في سوريا.⁽²⁾ وهذا ما يفسر وقوف روسيا مع النظام السوري منذ بداية الأزمة سنة 2011 واستعمال حق الفيتو ضد الدول الغربية التي ترى بضرورة تحي الأسد عن الحكم في سوريا على اعتبار أن النظام السوري يشكل حلقة مهمة في المحور الروسي العربي في إطار الأوراسية الجديدة.

مما زاد من حساسية موقع سوريا جيوسراتيجياً لروسيا على ضفة البحر المتوسط الشرقية هو إمتداد شبكة واسعة وكثيفة في جزئه الجنوبي والشرقي من خطوط نقل أنابيب النفط الخام والغاز الطبيعي القادمة من الجزء الآسيوي من الوطن العربي وشمال أفريقيا متجه إلى السوق الأوروبية، إن هذه الأهمية الاستثنائية للبحر المتوسط جعلته محط أنظار القوى الكبرى والإقليمية ومحل تنافس وصراع وتحقيق

(1) - حسن الشاغل، خارطة المصالح الدولية في سوريا، مركز الأناضول لدراسات الشرق الأدنى، جوان 2020، من

الموقع: <https://ayam.com.tr/ar/> تم تصفح الموقع يوم 2021/10/12

(2) - فيرونیکا حليم فرانسيس، جيوپوليتيكا السياسة الخارجية الروسية دراسة في أثر الجيوپوليتيك في علاقة روسيا بدول الجوار، 2019، ص 150 من الموقع:

https://esalexu.journals.ekb.eg/article_110734_2d29bb66fb69514775bb7234989333e3.pdf

التوازنات بين القوى الكبرى والسعي للحصول على مناطق نفوذ في الدول المطلة عليه.⁽¹⁾ ويعتبر الدافع الاقتصادي الأكثر أهمية للسياسة الروسية في الشرق الأوسط وخاصة في سوريا هو التنقيب عن موارد النفط والغاز البحرية والشاطئية، والتي بينت عمليات التنقيب وفرتها ولقد حصلت روسيا على اتفاقيات امتياز من سوريا في هذا المجال. علاوة على ذلك، فإن سوريا جزء من منطقة يمكن لروسيا من خلالها بناء خطوط أنابيب لنقل مواردها من النفط والغاز إلى أوروبا الغربية كما تتوفر سوريا على السليكون الذي يلعب دور كبير في المنتجات التقنية ومن المعادن الأخرى وجود الفوسفات بكميات كبيرة في سوريا ما يشكل فائدة للاقتصاد الروسي.⁽²⁾

تعد الاستراتيجية الروسية - المتواضعة في الوقت الحالي - مهمة نظراً إلى الطموحات الروسية الرامية إلى لعب دور جيو استراتيجي أكبر في شرق البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط وبما أن السياسة الروسية الحالية باتت تمتلك بعداً إيديولوجياً و جيوبوليتيكياً، حيث أصبحت الكنيسة الأرثوذكسية حليفاً وشريكاً سياسياً رئيساً للكرملين، فإن فكرة حماية الأقلية المسيحية في سوريا وفي الشرق الأوسط عموماً بدأت تبرز باعتبارها مصلحة جيوبوليتيكية روسية جديدة.⁽³⁾

كما تعتبر سوريا مدخل روسيا الاستراتيجي إلى البحر المتوسط، وبما أن روسيا قوة برية كبرى فإنها تحتاج للمداخل والممرات البحرية التي تساعدها في الوصول إلى المسطحات المائية الحيوية في حركة الملاحة البحرية، ونظراً لأهمية وصول روسيا إلى البحر المتوسط، فإنها ترى في سوريا نقطة محورية في الجيوبوليتيكا الروسية في الشرق الأوسط، فميناء طرطوس يعطي لروسيا حرية التنقل نحو خليج عدن، كما أن سوريا نقطة عبور بالنسبة لأنابيب الطاقة.⁽⁴⁾ بالإضافة إلى موقع سوريا بالنسبة لروسيا التي تعمل على تحويل سوريا إلى موطئ قدم جيوبوليتيكي في المنطقة لأن سوريا تقع بين حلفاء موسكو الآخرين: إيران والعراق والأكراد في الشمال والشرق، ومصر في الجنوب الغربي وستشكل هذه البلدان، الممتدة من

(1) - ظاهر عبد الزهرة الربيعي، ثناء إبراهيم فاضل، مرجع سابق، ص 297.

(2) - Hani Abou Fadel, putin's world in the middle east, (louazise, notre dame university(4/5/2019), p22.

(3) - ديمتري ترينين، المصالح الروسية في سوريا، مالكوم كير كارينغي للشرق الأوسط، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/2014/06/11/ar-pub-55899> تم زيارته يوم 2021/10/12.

(4) - Saman Zulfqar, Competing Interests of Major Powers in the Middle East: The Case Study of Syria and Its Implications for Regional Stability, (PERCEPTIONS, Spring 2018, Volume XXIII, Number 1), pp. 121-148.

بحر قزوين والخليج الفارسي إلى البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، محورًا جديدًا لأصدقاء روسيا في المنطقة.⁽¹⁾

هذا ما يفسر السرعة التي غادرت بها القوات العسكرية الروسية باتجاه سوريا فمجرد موافقة الغرفة العليا للبرلمان الروسي على إمكانية استعمال القوات العسكرية خارج روسيا في سبتمبر 2015 بدأ التحليق للطائرات الروسية فوق حماه وحمص.

(2) الولايات المتحدة الأمريكية:

تعد سوريا منطقة مهمة للولايات المتحدة وفقا لسياق المنظور الجيوبوليتيكي، المتضمن في الطرح الواقعي المسيطر على الرؤية الأمريكية للعالم، حيث تسمح لها بتحقيق أهدافها الجيوبوليتيكية؛ ففي نظرية سبيكمان تعتبر سوريا جزء من الحافة الأرضية التي تحيط بمنطقة القلب الأوراسي (روسيا)، ولعزل روسيا جيوبوليتيكية وجب التدخل في سوريا للحيلولة دون وصولها للمياه الدافئة، كما أن سوريا تعتبر دولة ارتكازية pivot state في الصراع الأزلي بين قوى البر وقوى البحر في المنظور الجيوبوليتيكي، لهذا اعتبرت الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط سوريا جزء من استراتيجية الاحتواء لحصر القلب الأرضي heart land الأوراسي حسب تعبير ماكندر.

لهذا لم تختلف الاستراتيجية الأمريكية في سوريا بين الرؤساء الثلاثة أوباما، ترامب، والرئيس الحالي جو بايدن -منذ جانفي 2021- حيث بقيت الثوابت الأمريكية والرؤية الاستراتيجية لسوريا هي ذاتها، فقط بعض التغييرات في الخطاب، ويؤكد دونالد ترامب على تجديد صداقته مع القادة الإقليميين في منطقة الشرق الأوسط من أجل محاربة الإرهاب وقطع الإمدادات عليهم سواء في العراق أو في سوريا، واستمرار الولايات المتحدة في توجهاتها في المنطقة، إلى أن تنظف سوريا والشرق الأوسط من الجماعات الإرهابية المتطرفة.⁽²⁾

جعل الموقع الجيوبوليتيكي لسوريا والذي ينبع من الموقع الجغرافي في منطقة حساسة في الحسابات الجيوستراتيجية للقوى الكبرى، الأزمة السورية الداخلية التي اندلعت شرارتها في درعا الجنوبية سنة 2011 تأخذ منحاً تصاعدياً بعد أن تعددت الفواعل من المستويات الثلاثة (الداخلي، الإقليمي

⁽¹⁾- Hani Abou Fadel, putin's world in the middle east, (louazise, notre dame university) (4 /5 /2019), p22.

⁽²⁾- شادي عبد الوهاب، أحمد عثمان، مرجع سابق، ص5.

والعالمي)، وهذا ما جعل الولايات المتحدة باعتبارها القوة الكبرى الأولى تعتمد على استراتيجية مختلفة عما جرى في ليبيا، حيث تعمل الولايات المتحدة في معالجتها للملف السوري تبعا للأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا بالنسبة لأمريكا وأهدافها المتمثلة في تكريس ثنائية الهوية المدنية قبالة الإسلامية والسنية قبالة الشيعية، والعمل على استنزاف إيران عسكريا وسياسيا واقتصاديا. فالولايات المتحدة تريد أن تصبح سوريا كيانات مجزأة على أساس طائفي تنفيذًا لسياسة مشروع الشرق الأوسط الكبير⁽¹⁾.

كما أن الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية لا تختلف عن تلك التي تخص الشرق الأوسط بصفة عامة، ففي كلمة ألقاها باراك أوباما الرئيس الأمريكي في الفترة (2009/2017) بعد مراجعة السياسة الخارجية للبيت الأبيض، وإعادة تعريف الأمن القومي الأمريكي، فقد حدد جوهر المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ومن ضمنها سوريا، مواجهة العدوان الخارجي على الحلفاء وحماية أمن إسرائيل، ضمان تدفق الطاقة، تفكيك الشبكات الإرهابية في سوريا والتي تهدد أمريكا، وأهم نقطة تركز عليها السياسة الأمريكية في سوريا هي تفكيك الشبكات الإرهابية.⁽²⁾ التي من شأنها تهديد الأمن الإسرائيلي والأمن القومي الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط.

إن الهدف الأساسي للتواجد الأمريكي في سوريا هو تقليص الوجود الروسي والحد من طموحاتها بالسيطرة على الجغرافيا السورية، في سياق التنافس الجيوبوليتيكي بين القوتين البحرية والبرية في صراعهما الأزلي من أجل السيطرة على المجالات الحيوية، وكذلك منح الولايات المتحدة الأمريكية القدرة على السيطرة على مجريات الأحداث بين الأطراف الدولية الأخرى في سوريا.

(3) إيران:

تعتبر سوريا دولة محورية لإيران في إطار تشكيل الهلال الشيعي المتضمن في المشروع الجيوبوليتيكي الإيراني في منطقة الشرق الأوسط فمن نقاط الأهمية السورية لإيران؛ تأمين الممرات البرية من طهران إلى بيروت مروراً بالعراق وسوريا، والعمل على نشر التشييع وتركيزه في هذه الممرات لإحداث

(1) - رامي عبد الله عبد المحسن عبد القادر، توازن القوى الدولية وأثره على الأزمة السورية، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدبلوماسية والعلاقات الدولية، (أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا، 2014)، ص 121.

(2) - Saman Zulfqar, op, cit, pp. 121-148.

تغيير ديموغرافي مذهبي سريع، وهذا ما يساعد مع الوقت بتحقيق تغيير ديموغرافي جزئي في سوريا يكون لها آثار إيجابية وفعالة سياسياً لإيران.⁽¹⁾

كما ترى إيران نظام الحكم في سوريا حليفاً استراتيجياً لها، وتولي أهمية لهذا التحالف، كما أنها تخطط لتمير خط استراتيجي لنقل الطاقة يمر بالأراضي السورية، حيث أعلنت بدء تنفيذ مشروع لربط الخليج العربي بميناء اللاذقية السوري عبر شبكة سلك حديدية تمر من الأراضي العراقية، وتولي طهران أهمية كبيرة للمشروع في سياق تعزيز دورها ونفوذها الإقليمي للوصول إلى مياه البحر الأبيض المتوسط. حلم الجسر البري الإيراني إلى المتوسط⁽²⁾. وأهمية الممر البري لإيران إلى البحر الأبيض المتوسط تتبع من عدم امتلاكها لأسطول طائرات، حيث أن طهران لا تملك أسطول طائرات يمكن أن تستند إليه في إنشاء جسر جوي مع دمشق وبيروت، ولا سيما بعد فرض عقوبات عليها ومنعها من إبرام عقود شراء طائرات، ويمكن توظيف الجسر الجوي في نقل الأسلحة الثقيلة فقط، أما نقل الأفراد والأسلحة الخفيفة والمتوسطة برياً يكون أسرع وأقل تكلفة من الطيران، بالإضافة إلى ذلك فإن طهران تواجه أيضاً خطر حظر النقل البحري، إذ يمكن توقيف أي سفينة تتبع لها في البحار والمحيطات وحجزها.⁽³⁾ كما أن رؤية إيران لعلاقتها مع سوريا تنطلق من أمرين، أولهما؛ قناعة إيران بأن الرؤية الأمريكية للمنطقة لا يمكن أن تجد طريقها إلى الواقع مادام هناك محور مناوئ هو المحور الإيراني السوري من ناحية أخرى، تدرك إيران أن تحالفها مع سوريا – بالإضافة إلى الجماعات الفلسطينية وحزب الله- يشكل جبهة موحدة ضد السياسات الإسرائيلية في المنطقة التي تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية.⁽⁴⁾

من خلال تتبع سلوك طهران في المنطقة نلاحظ تصميمها على بناء ممر بري من حدودها إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، عبر العراق وسوريا ولبنان، فمثل هذا الخط الجغرافي الثمين يعزز قدرتها للسيطرة على المنطقة، ودعم حلفائها، ويعزز طموحها لتأسيس نفسها كقوة إقليمية مهيمنة في الشرق الأوسط، وتأمين منفذ بحري إلى السوق الأوروبية، وهذا ما يعزز الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في الرؤية الاستراتيجية الإيرانية.

(1) - عبد الرحمن الحاج، "أثر التدخل الإيراني في سوريا على الخريطة المذهبية"، مجلة الدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد السادس، مارس 2018، ص 78.

(2) - حسن الشاغل، مرجع سابق.

(3) - المرجع نفسه.

(4) - Elena Marsoni, "The Syrian Conflict: an Overview of Domestic, Regional and International Strategies in the Levant", (Trabajo Final de Máster, Centro de Estudios Internacionales Barcelona, Año académico 2015-2016), p18.

مع تطوير إيران المستمر لقدراتها لاستخراج احتياطاتها من الغاز باعتبارها تمتلك ثاني احتياطي من الغاز الطبيعي بعد روسيا المتواجد في حقل جنوب فارس (14 تريليون متر مكعب) الذي تشترك فيه مع قطر تسعى إيران إلى توسيع دائرة زبائنها لكسر الحصار الغربي المتزايد عليها وزيادة مواردها الاقتصادية، ولهذا تمثل سوريا أهمية اقتصادية واستراتيجية لإيران لإنجاز مشروع خط الغاز الإسلامي الذي تعتبره المشاريع الاستراتيجية لتصدير الغاز إلى العراق، سوريا ولبنان ومن ثم ليمتد في المستقبل إلى أوروبا كما تخطط طهران. ففي 2010 عقدت إيران مفاوضات أولية مع كل من العراق وسوريا لمناقشة المشروع وفي جويلية 2011 توصلت الثلاث دول لإتفاق لتنفيذ للمشروع بتكلفة 10 مليار دولار، وقد توصلت الأطراف الثلاث لاحقاً في مارس 2013 لاتفاق نهائي. من المتوقع أن يبلغ طول خط الغاز الإسلامي الممتد حتى سوريا والجنوب اللبناني تقريباً 2000 كم.

إذا فمشروع الخط الإسلامي يجعل من بقاء النظام السوري حتمية جيوپوليتيكية بالنسبة لإيران لتأمين مشروعها الاستراتيجي، ليس فقط من أجل استمرار المشروع في سوريا بل لضمان استمرار الدور السياسي والأمني لحزب الله في لبنان على المدى البعيد لمد الخط إلى أوروبا مستقبلاً وهذا ما يجعل أمن الطاقة في سوريا بالنسبة لصناع القرار الإيرانيين مسألة أمن قومي إيراني.⁽¹⁾

4. تركيا: يقول المؤرخ الفرنسي فرنان بروديل إن "الخرائط هي التي تروي القصة الحقيقية"⁽²⁾.

تختصر هذه المقولة جوهر علم الجيوپوليتيك، وهو تأثير المعطى الجغرافي على السياسة خاصة السياسة الخارجية، وقد أثبتت الجغرافيا، ومن ثمة الجيوپوليتيكا القدرة التحليلية للعلاقات الدولية رغم موجات العولمة وثورة الاتصالات والانترنت والأقمار الصناعية. وهذا ما زاد من أهمية جدلية التأثير والتأثر بين الدول خاصة المتجاورة جغرافياً، وانطلاقاً من هذه الزاوية تظهر الأهمية الجيوپوليتيكية لسوريا بالنسبة لتركيا وذلك للعوامل التالية:

✓ تعتبر الحدود البرية التركية السورية الأطول بالنسبة لتركيا، بحوالي 900 كلم، وهذا بما يعنيه ذلك من مصالح وتهديدات مشتركة، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً.

(1) - تامر بدوي، ماذا تعني إيران لسوريا جيوسراتيجية، نشر بتاريخ 2013/09/06، من الموقع:

، تم تصفح الموقع يوم 2021/11/22 <https://www.noonpost.com/content/435>

في سعيد الحاج، محددات، New York: Penguin 1993, p. 55. Fernand Braudel, A History of Civilizations, (2)-

السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، مارس 2016، ص4

- ✓ تمثل سوريا بوابة العالم العربي بالنسبة لتركيا، سيما فيما يتعلق بالتجارة البرية، وهذا ما يفسر التوجه التركي لإعادة العلاقة مع سوريا بخطوات متسارعة في عهد حزب العدالة والتنمية.
- ✓ تقع سوريا في قلب "المناطق البرية القريبة"، -البلقان والقوقاز والشرق الأوسط-، التي صنفها أحمد داوود أوغلو في كتابه الجيوپوليتيكي الشهير "العمق الاستراتيجي" أهم المناطق التي يجب على تركيا التواصل معها في إطار تفعيل دور تركيا إقليمياً وعالمياً⁽¹⁾.
- ✓ التقارب بين الشعبين التركي والسوري عرقياً وإثنيا ومذهبياً على طرفي الحدود، بوجود علاقات نسب ومصاهرة بين البلديات الواقعة على حدود البلدين وهذا ما عمق العلاقات التاريخية والاجتماعية بين الشعبين.
- ✓ تعتبر تركيا الراعية التاريخية والسياسية والثقافية لتركمان سوريا، المتمركزين في الشمال السوري قرب حدودها.
- ✓ كان لحلب أهمية استثنائية في تاريخ الدولة العثمانية، وخسرتها تركيا في معاهدة لوزان بعد الحرب العالمية الأولى، وتعتبرها تركيا اليوم - إلى جانب الموصل في العراق - خط الدفاع الأول عن حدودها.⁽²⁾
- ✓ تتشارك الدولتان في تعقيدات الملف الكردي في المنطقة، إضافة لكل من العراق وإيران، وإن كان لكل منهما وجهة نظر من زوايا مختلفة تتلاقى أحياناً وتتعارض في أحيان كثيرة.
- ✓ تميزت العلاقات بين البلدين تاريخياً بالتوتر الدائم خاصة في فترة الحرب الباردة التي انضمت تركيا خلالها لحلف شمال الأطلسي (الناتو) بينما كانت سوريا في معظم الوقت حليفة للاتحاد السوفييتي السابق ثم روسيا.⁽³⁾
- كل هذه الأسباب والتداخلات الجغرافية والعرقية والدينية والجيوپوليتيكية جعلت من سوريا مجالاً حيويًا وعمقاً استراتيجياً تركي في المنطقة العربية التي تعتبرها تركيا حديقته الخلفية بحكم التاريخ والجغرافيا. وهذا ما جعل الحضور التركي في النزاع السوري بمستويات عالية كطرف إقليمي يحاول فرض رؤيته وفق ما تقتضيه المصالح الجيوپوليتيكية التركية.⁽⁴⁾

(1) - سعيد الحاج، محددات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا، (مركز إدراك للدراسات والاستشارات، مارس 2016)، ص 4.

(2) - المرجع نفسه، ص 4.

(3) - المرجع نفسه، ص 5.

(4) - لمعلومات أكثر حول الحضور التركي في سوريا ارجع للمبحث الثالث من الفصل الثالث ص 267.

المبحث الثاني: النزاع السوري: الأسباب، الفواعل والمسارات

يعتبر النزاع السوري الذي اندلعت شرارته في بداية سنة 2011 على شكل مظاهرات سلمية ضمن سلسلة الانتفاضات التي شهدتها الدول العربية ضد الأنظمة الدكتاتورية التي عانت منها لعدة عقود، ضمن ما عرف بالربيع العربي، شهدت سوريا في مارس 2011 انطلاق احتجاجات تقودها الأحزاب السياسية اليسارية والنشطاء، ولكن تداخل الأسباب بين الداخلية والخارجية، وكذا تعدد الفواعل جعل من الاحتجاجات السلمية المطالبة بالإصلاح أزمة حقيقية تعصف بالنظام والشعب السوريين، ولكن تداخل القوى الخارجية من إقليمية وعالمية طور مسارها إلى نزاع متعدد الفواعل والمسارات.

المطلب الأول: أسباب النزاع السوري: الربيع العربي وعدوى الانتشار والمصالح الأجنبية.

عرفت عديد الدول العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا نهاية 2010 وبداية 2011 اهتزازات عنيفة بدأت بحراك شعبي سلمي مطالباً بإصلاحات سياسية واقتصادية وتوسيع دائرة حرية التعبير، فكانت البداية من تونس ثم مصر واليمن والبحرين وسوريا، هذه الأخيرة التي أخذ فيها الحراك الشعبي منحى آخر.

كان لعدوى انتشار الانتفاضات العربية وفق نظرية الدومينو⁽¹⁾ "domino Theory" وقعا متسارعا، إذ تلاحقت العديد من الدول العربية تباعا في دخول حالة من الفوضى التي بدأت بحراك شعبي مطالب بالتغيير. حقيقة الانتفاضات الشعبية العربية ضد الأنظمة الاستبدادية بدأت في تونس في ديسمبر 2010 باحتجاجات شعبية سلمية وبعدها تبعها المغرب وليبيا ومصر والبحرين لكن الوضع طال وتعمد في

(1) - ظهرت نظرية الدومينو **Domino Theory** - خلال الحرب الباردة وتحديداً في الحرب الفيتنامية، وقد سيطرت على فهم العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية الأميركية بعد الحرب العالمية الثانية بغية إحتواء الوضع في شرق وجنوب شرق آسيا. وقد كانت الخلفية المباشرة التي أثرت في نشوء هذه النظرية هي مصير انتصار القوى الثورية بقيادة **ماوتسي تونغ Mao Zedong** - في الحرب الأهلية الصينية وتخوف بعض السياسيين الأميركيين عام 1947 من أن يكون من سقوط الصين في يد **ستالين Joseph Stalin** - بداية لسقوط آسيا بأكملها بما في ذلك اليابان، وعندها فإن استقلال الولايات المتحدة لن يعيش جلياً. ونشوء الحرب الباردة بين المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي في ضوء صعوبة حسم الخلافات والتناقضات بين المعسكرين بقوة السلاح، وفي ضوء المعارضة العارمة لحرب جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، وإدراك طبيعة الدمار المتبادل الذي ستولده الحرب بعد تطوير الاتحاد السوفييتي للسلاح النووي 1949 لمعلومات أكثر اطلع:

Domino Theorhttps://www.history.com/topics/cold-war/domino-theory

في سوريا. فقد رفع المحتجون في البداية (مارس 2011) شعارات مطالبة بإصلاحات سياسة واقتصادية واجتماعية تطورت فيما بعد في أبريل إلى المطالبة باستقالة الرئيس السوري بشار الأسد بالاستقالة بعد استعمال الجيش القوة لقمع الانتفاضة.⁽¹⁾

حيث بدأت المظاهرات السورية في درعا الجنوبية متأخرة عن بقية الدول العربية التي عرفت هذه الانتفاضات، وبسبب التفاعل التراكمي للعديد من العوامل الداخلية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، والخارجية المتمثلة في التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى انزلت الأوضاع بسرعة إلى أزمة سياسية وأمنية حادة للتحوّل بدورها لنزاع دولي متعدد الأطراف والتوجهات والمصالح الجيوبوليتيكية وهذا ما سنعرضه في هذه الجزئية.

الفرع الأول: الأسباب الداخلية للنزاع السوري

أولاً: طبيعة نظام الحكم:

إن الحديث عن طبيعة الحكم السوري يسوقنا للبحث عن نشأة الدولة السورية، والتي بدورها لا تختلف عن بقية الدول العربية القطرية بصفة عامة لأنها تقريبا مرت في مراحل نشأتها بنفس المراحل التي وقعت خلال القرنين التاسع عشر والنصف الثاني من القرن العشرين؛ وهذه التطورات هي زوال دولة الخلافة العثمانية وانفراط عقد الأمم والشعوب والأقاليم التي كانت تدخل تحت لوائها، ثم خضوع الأقاليم العربية للاستعمار الغربي بعد تجزئتها بين الدول الاستعمارية المختلفة على النحو الذي قرره معاهدة سايكس بيكو بين إنجلترا وفرنسا عام 1916 وبمقتضى هذه المعاهدة توزعت معظم أجزاء الوطن العربي بين الدولتين.⁽²⁾

بظهور حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار في كل قطر عربي على حدة وعدم نشوء حركة تحرر وطني واحدة في كل الوطن العربي تستهدف تحرير جميع أجزائه، وقد ترتب على ذلك أن كل قطر عربي قد حصل على استقلاله بشكل منفرد وفي عام يختلف عن الأعوام التي حصلت فيها بقية الأقطار على استقلالها تباعاً وقد أدى هذا إلى نشوء الدول العربية بشكلها وحدودها الحالية. حيث بعد انهيار الدولة العثمانية وتقسيم تركتها بعد الحرب العالمية الأولى وتوقيع اتفاقية سايكس بيكو وقعت سوريا تحت

⁽¹⁾- Muharrem Eksi, the syrian crisis as a proxy war and the return of the realist great power politics, *Hybrid Warfare Special Issue*, 1 (2), October 2017, pp 106-129.

⁽²⁾- جمال واكيم، مرجع سابق، ص 94.

الاحتلال الفرنسي من 1920 حتى سنة 1946. أين استقلت سوريا وتم انتخاب شكري القوتلي أول رئيس للجمهورية السورية بعد الاستقلال.⁽¹⁾ لقد مرّت سورية الحديثة بعد الاستقلال في العام 1946 بمراحل عدة: جمهورية أولى نشأت بعد الاستقلال وصولاً إلى الوحدة ثم جمهورية ثانية بدأت مع الوحدة ثم انقطعت مدة بسيطة بين 28 سبتمبر 1961 و 8 مارس 1963 لتعاود التأسيس لنط الحكم الشمولي الشعبي، أتت أحداث الربيع العربي فيما اصطلح عليه بالثورة في محاولة لتأسيس جمهورية ثالثة.⁽²⁾

عرفت سوريا منذ استقلالها تدخلات عديدة للجيش في سياسات الحكومة فيما يعرف بالانقلابات العسكرية.*⁽³⁾ جاء انقلاب 8 مارس 1963 تعبيراً عن ردّة فعل القوى القومية على نظام حكم الانفصال حيث اشتركت فيه أطراف عسكرية بعثية وناصرية وقومية مستقلة، وبعد الانقلاب العسكري الذي جاء بحزب البعث إلى السلطة تحولت سلطة الدولة إلى مالك عام لوسائل الإنتاج أي إلى القوة الأساسية القادرة على إعادة النظر في بنية المجتمع السوري.

بعد استيلاء البعث على السلطة سنة 1963 استمر الصراع السياسي بين النخب السياسية المتنافسة ذات الخلفيات الاجتماعية المتقاربة، وفي 16 نوفمبر 1970 جاء انقلاب حافظ الأسد وأسس الجمهورية الثانية وأحكم سلطته على كل القطاعات الاقتصادية والعسكرية.⁽⁴⁾ واستمر في حكم الدولة السورية إلى أن توفي وخلفه ابنه بشار الأسد في جوان 2000 حيث اجتمع مجلس الشعب السوري عقب وفاة حافظ الأسد في 10 جوان 2000، لتعديل المادة رقم (83) من الدستور التي تنص على أن سنّ الرئيس يجب أن يكون 40 سنة، وفي تصويت سريع تم تعديل المادة 83 من الدستور والإقرار بأن سن

(1) - جمال واكيم، مرجع سابق، ص 94.

(2) - عبد الله تركماني، نشأة الدولة السورية الحديثة وتحولاتها، (قطر: مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2016). ص 11.

(3) - المرجع نفسه، ص 17

(*) - وقع أول انقلاب بعد الاستقلال بحوالي ثلاث سنوات وذلك بتاريخ 30 مارس 1949 بقيادة حسني الزعيم واستمر حوالي خمسة أشهر ثم تلتها الانقلابات التالية: 14 أوت 1949 بقيادة سامي الحناوي و 19 ديسمبر 1949 بقيادة أديب الشيشكلي و 21 نوفمبر 1954 أديب الشيشكلي و 25 فيفري بقيادة مجموعة ضباط انفصاليين و 8 مارس 1963 بقيادة حزب البعث و 2 فيفري 1966 بقيادة حزب البعث (صلاح جديد) و 16 نوفمبر 1970 بقيادة حزب البعث (حافظ الأسد) وقد تعاقبت على الحكم في سوريا بين 1941 و 1970 عشرة عهود و 52 وزارة. للمزيد حول الانقلابات العسكرية في سوريا اطلع: الانقلابات العسكرية العربية.. البداية بين العراق وسوريا والمنتهى في السودان، أخبار العالم العربي،

RT online on https://arabic.rt.com/middle_east/1286987

(4) - عبد الله التركماني، مرجع سابق، ص 35.

الرئيس هو 34 سنة وهو نفس سن بشار الأسد، وهذا الإعداد السريع جعله غير ملم بالكثير من التفاصيل، وقد أبدى بشار الأسد نية لتحديث النظام السياسي عبر التخفيف من قبضة أجهزة الأمن على الحياة العامة وإفراح المجال أمام القطاع الخاص، فبدأت التجمعات والمنتديات السياسية بالانتشار فيما عرف بربيع دمشق ما بين عامي 2000 و2002 إلا أن هذه المنتديات أوقفت من طرف الأجهزة الأمنية منذ 2002.⁽¹⁾

ثانياً: غياب التوازن بين السلطات وهيمنة السلطة التنفيذية

إن أحد أبرز العوامل التي أسهمت في خلق وتعميق الأزمة البنوية التي يعاني منها النظام السياسي السوري تتمثل في غياب التوازن بين السلطات، حيث تهيمن السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية، كما تقوم بدور واضح في تقليص استقلال السلطة القضائية، بالإضافة النفر والاسْتبداد بالسلطة أحد الملامح الرئيسة للنظام السياسي؛ وذلك بسبب السلطات الدستورية الواسعة التي يتمتع بها رئيس الجمهورية سواء في ظل الظروف العادية أو الاستثنائية بحكم رئاسته لحزب البعث الذي يحتكر الحياة السياسية في سوريا، فإن الرئيس يسيطر على السلطتين التنفيذية والتشريعية ناهيك عن صلاحياته القضائية التي يخولها الدستور والقانون.⁽²⁾

ثالثاً: تدهور الأوضاع الاقتصادية: تعتبر سورية بلداً غنياً بموارده الطبيعية، فهي تحتوي سهولاً خصبة ومياهاً وافرة، وتحتوي أيادي عاملة ماهرة، كما تحتوي تنوعاً طبيعياً بين جبال ووديان وسهول، وقد عمل النظام على مصادرة الأراضي والادعاء بأنها لأغراض ومنافع عامة، مما اضطر أهلها للهجرة من مناطقهم التاريخية، وقد هاجر السوريون الذين صودرت أراضيهم ومزارعهم إلى مدن صفيح في ضواحي المدن، وهي مناطق محرومة من معظم الخدمات الحياتية، وهي سكنات عشوائية، يعيش فيها 42% من السوريين.⁽³⁾

كما أدى اعتماد سياسة اقتصاد السوق أدى إلى التقليل من موارد أعداد كبيرة من سكان الريف

(1) - جمال واكيم، مرجع سابق، ص 203.

(2) - سهام فتحي سليمان أبو مصطفى، الأزمة السورية في ظل تحول التوازنات الإقليمية والدولية 2011-2013، (رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الشرق الأوسط، جامعة الأزهر، غزة، 2015)، ص 38.

(3) - عيسى أحمد الشلبي، نواف كايد جراد أبو تايه، سياسة جامعة الدول العربية تجاه الأزمة السورية وأبعاد التدخل العربي والإقليمي والدولي، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 27، ص ص 341-365.

والمدن الصغيرة والمتوسطة المعتمدة على الريف فقد خرب النهج الاقتصادي الجديد علاقاته مع القاعدة الشعبية والسياسية الرئيسية.⁽¹⁾

أظهرت النتائج الإحصائية التي قدمها مركز السياسات الدولية من أجل النمو الشامل المدعوم بشكل مشترك من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن النسبة المئوية للأشخاص الذين يعيشون تحت خط الفقر الأدنى زادت من 3.12 في المائة في عام 2007 إلى 85.14 في المائة في عام 2009، بينما انخفضت النسبة المئوية للأشخاص الذين يعيشون تحت خط الفقر الأعلى من 6.33 في المائة في عام 2007 من المناطق إلى 4.29 في المائة في عام 2009. نجد أيضا أن المناطق الريفية هي أكثر فقرا الحضرية ونجد أن الفجوة في نسب الفقر قد زادت بين المناطق الريفية والحضرية. ونجد أن أفقر المناطق الريفية في عام 2009 كانت في محافظات حماة ودير الزور ودرعا، في حين أن أفقر المناطق الحضرية كانت منطقة الحسكة.⁽²⁾

وفقا لتقديرات عام 2010 فإن حوالي 7 مليون نسمة أي ما نسبته 34,4 % من إجمالي السكان أصبحوا تحت خط الفقر، كما انخفضت القدرة الشرائية بحوالي 28 % خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين وتدنّت نسبة استهلاك القوى العاملة إلى 24 % من الدخل الوطني، ويتبين ذلك أن سوريا أصبحت مقسمة إلى فئتين الأقلية التي تسيطر على المقدرات الاقتصادية وتعيش حياة الرفاه، وأغلبية الشعب الذي يعاني مشاكل اقتصادية ومعيشية متعددة.⁽³⁾

رابعا: سيطرة الأقلية على الأغلبية:

يجب ألا تنتمي سوريا إلى عائلة واحدة أو زمرة واحدة أو حزب واحد. إنها ملك لكل شعب سوريا بالتساوي، بكل تنوعهم الديني والعرقي ". ويليام هيغ، وزير الخارجية البريطاني⁽⁴⁾

(1) - جمال واكيم، مرجع سابق، ص 203.

(2) - سامر حماتي، حساب أرقام الفقر ومعرفة معالمه في سوريا ما قبل الصراع، (البرازيل: مركز السياسات الدولية من أجل النمو الشامل، سبتمبر 2019).

(3) - محمد جمال باروت، العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2012)، ص 107.

(4) - Yaghia tashjian, *The Syrian crisis; from local uprising to regional-international struggle*, academia.21/12/2012, p2.

يعتبر المجتمع السوري متعدد الأعراق والأديان والثقافات، إذ يتكون سكانها من السنة والعلويين والمسيحيين والدروز والأكراد والآرمن وغيرهم، ويمثل العرب السنة الأغلبية، أما الشيعة فهم من الطائفة العلوية ويمثلون الأقلية، لكنهم يتمتعون بنفوذ سياسي كبير، وينظر على نظام الأسد على أنه تحالف مجموعة الأقليات، ولهذا لطالما سعت الأغلبية السنية إلى تحقيق نسبة أكثر في الهيكل السياسي والإداري للنظام، والنزاع السوري هو ثورة الأغلبية ضد الأقلية المسيطرة.⁽¹⁾

أثرت هذه العوامل والتراكمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في تفجير الوضع العام في ربيع 2011 في سوريا، في شكل تظاهرات مطالبة بإصلاحات واسعة في كل المجالات الحياتية، لكن الحسابات والمصالح الضيقة وغياب الرؤية الاستراتيجية لصانع القرار السوري فتح المجال أمام التدخلات الخارجية في سياق التنافس الإقليمي والعالمي.

الفرع الثاني: العوامل الخارجية

لكي نفهم دور العوامل الخارجية في تأزيم الوضع السوري وتدويله لا بد من قراءته في سياقه الجيوبوليتيكي العالمي، فسوريا تتمتع جغرافيا بموقع ربط بين القارات، ومنطقة تماس جيوبوليتيكي بين الشرق والغرب. كما تعتبر دولة ارتكازية pivotstate في الصراع الأزلّي بين قوى البر وقوى البحر في المنظور الجيوبوليتيكي، لهذا اعتبرت الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط سوريا جزء من استراتيجية الاحتواء لحصر القلب الأرضي heart land الأوراسي حسب تعبير ماكندر فلقد كانت أحداث الربيع العربي منذ أواخر 2010 فرصة سانحة لتبرير التدخل الأجنبي في المنطقة العربية وسوريا تحديدا بحجة حماية مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية فالولايات المتحدة تتدخل لحماية أمن الطاقة الشرق أوسطية، وأمن إسرائيل وروسيا ومن ورائها الصين تحاول إثبات قوتها وعودتها إلى الساحة الدولية في إطار تنافس جيوبوليتيكي عالمي على مراكز العبور والنفوذ الحيوية والإطلاقات البحرية الدافئة.

ولأن أمن إسرائيل أحد الثوابت الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، فإن ما يجري في سوريا من تفاعلات هو إعادة تقسيم المنطقة، وفقا للمنظور الأمريكي الجديد، سواء على أساس الهوية أو العرقية أو

⁽¹⁾- Muhammad Nadeem Mirza, Hussain Abbas, Irfan Qaisrani, Anatomising **Syrian crisis: Enumerating actors, motivations, and their strategies (2011-2019)**,) *Liberal Arts & Social Sciences International Journal (LASSIJ)* Vol. 5, No. 1, January-June 2021), pp 41-54.

الدينية والطائفية إلى إمارات ودويلات متناحرة فيما بينها مما يزيد من هشاشتها وبالتالي ضمان أمن إسرائيل.⁽¹⁾

كما أن العوامل الداخلية التي سلف ذكرها لا تقتصر على سوريا فقط، وإنما في أغلب الدول الشرق أوسطية وشمال إفريقيا باستثناء إسرائيل، فلماذا اقتصر الوضع على سوريا دون غيرها من الدول الأخرى. وهو ما يبرر للبحث في إمكانية أن يكون للعامل الخارجي دور مباشر فيما يحصل في سوريا منذ 2011 وتداعياته. في هذا الإطار ينظر للنزاع السوري كنتيجة حتمية لرغبة الولايات المتحدة في فرض هيمنتها وقيمها العالمية وإعادة ضبط دول المنطقة وفق الرؤية والمصالح الأمريكية. وهنا تصطدم الرؤية الواقعية البراغماتية للولايات المتحدة مع عودة الجيوبوليتيكا الروسية والرغبة في إحياء الأوراسية الجديدة في صيغتها الدوغينية البوتينية في منطقة التماس الجيوبوليتيكي للقوتين وهنا تقع سوريا ضحية الجغرافيا.

كما أن موقف سوريا المؤيد للفلسطينيين ودورها في لبنان والسياسات الاشتراكية. القرب من روسيا وإيران ودعم حزب الله وما إلى ذلك، جعلها في صراع مباشر مع الدول الغربية والخليجية. واعتبرت سياساتها تهديداً لأمن إسرائيل. فقد نجحت الولايات المتحدة في إقناع الدول الخليجية أنها محاطة بقوس شيعي ممتد من إيران إلى جنوب لبنان وأنه في الوقت المناسب ستكون محاولات جدية من قبل الشيعة لزعة استقرار الخليج.⁽²⁾

من الأسباب الخارجية للنزاع السوري التنافس من أجل السيطرة على إمدادات الطاقة السورية وسيتمدد الوصول إلى نتيجة نهائية للنزاع أيضاً بشكل كبير على إبرام ترتيبات دولية لتوزيع إمدادات الطاقة السورية، في البر والبحر. وكذلك ضمان إمدادات كافية من المياه في مناخ يتسم بالجفاف المستمر. وقد واجهت سوريا العديد من الفرص والتحديات عبر تاريخها، جاء معظمها من موقعها كدولة عربية ذات وصول واسع إلى البحر الأبيض المتوسط. إذ يمكن للعراق وإيران والأردن الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط عبر سوريا.⁽³⁾

(1) - نهرين جواد شرقي، "التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط سوريا نموذجاً"، العراق، جامعة بغداد،

مركز الدراسات الدولية، العدد 74، سبتمبر 2018، ص. ص. 179.217

(2) - V.P. Haran, **Roots of the Syrian Crisis**, institute of peace and conflict studies, IPCS Special Report #181 March 2016, p8.

(3) - Dr Gary K.Busch, Oil and Water – The Immiscible Solution To The War in Syria, reaserch Gate: May 201, p1

يعد موقع سوريا مهما لتسليم النفط الخام من الحقول الكردية الغنية في العراق وذلك عبر أنابيب النفط إلى البحر عبر سوريا. هذا الاستخدام لسوريا من قبل شركات الطاقة العالمية كان بتوجيه من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية⁽¹⁾. وكذا أنابيب الغاز التي كان يفترض أن تمر عبر سوريا من قطر إلى أوروبا. إذ تحتل سوريا الموقع الأكثر أهمية على خارطة "الشرق الأوسط"، والتي تتوسط أقصر الطرق بين منابع النفط والغاز العربي حتى أوروبا. وهذا ما جعل الدول الغربية تتكفل من أجل تدويل الأزمة الداخلية والعمل على الإطاحة بنظام بشار الأسد-المعروف بتحالفاته مع إيران وروسيا- لإقامة نظام موال لها مما يساعدها على تحقيق مصالحها الاقتصادية والأمنية في المنطقة

كما أن السبب الآخر الخارجي هو قطع حلقة المقاومة من إيران إلى فلسطين مروراً بسوريا. في هذا الإطار جاء النزاع السوري كأداة للضغط على إيران من أجل إيقاف برنامجها النووي ووقف دعم حركات المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل.⁽²⁾

مما لا شكّ فيه أنّ المواقف الدولية تجاه النزاع السوري وخاصة الولايات المتحدة وروسيا قد جعله أكثر تعقيداً في ظلّ تباين وجهتي نظر الجانبين حول حلّ النزاع من ناحية، كما مثل النزاع وفرصة سانحة لروسيا من ناحية ثانية؛ لتعزيز تواجدتها في منطقة الشرق الأوسط مجدداً ضمن صراعها مع الغرب عموماً، والولايات المتحدة على نحو خاص من ناحية ثانية.⁽³⁾

أما الصين فقد أعلنت تبريرها لاستخدام حق الفيتو من خلال معارضة استخدام القوة، ولمنع تدخل عسكري غربي في سوريا، بدعوى أنّ ذلك التدخل قد أخفق في كل من أفغانستان والعراق، وبوجه عام لدى الصين حساسية إزاء التدخل والعقوبات؛ لمعاتها من التدخل الأجنبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ويعدّ تحالفها مع روسيا أولى المحاولات لتفعيل دبلوماسيتها في العالم، ولاسيما بعد ظهور فكرة تأسيس منظمة شنغهاي سنة 2001 وفي 2002 اجتمع رؤساء تلك الدول المنظمة، وهي كل من روسيا والصين وكازاخستان وقرغيزستان وطاجكستان وأوزبكستان، ووقعوا على نظام المنظمة وإعلانها المتضمن العمل على تطوير الأفكار؛ للوصول إلى نظام سياسي واقتصادي عالمي ديمقراطي، أمّا بالنسبة لمصالح

⁽¹⁾- Dr Gary K. Busch, op.cit, p1.

⁽²⁾- أنابيب النفط عبر سوريا وأسباب الحرب عليها، بالعربي، 2018/16.07، من الموقع:

<https://www.belarabinews.net/ar/news/235411.htm>. 2021/12/14 تمت زيارة الموقع يوم

⁽³⁾- موفق مصطفى الخزرجي، الأزمة السورية ومواقف الدول الكبرى، البحرين: مجلة دراسات، مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، (مجلد 3) (العدد 1)، ص ص 145-161.

الصين في سوريا فهي تجارية في المقام الأول؛ حيث تعدّ سوريا سوقاً كبيراً للبضائع الصينية؛ إذ يبلغ ما تستورده سوريا من البضائع الصينية قرابة المليار دولار سنوياً، وفق مكتب الإحصاءات السوري. وبالتالي رأت الصين أنّ الولايات المتحدة تسعى لحرمانها من الوصول إلى مصادر الطاقة في الشرق الأوسط، إضافة إلى إعلان الرئيس الأمريكي باراك أوباما عن مراجعة دفاعية تحوّل تركيز القوات الأمريكية إلى منطقة آسيا والمحيط الهادئ؛ ليعمّق الاعتقاد بقيام سياسة مناهضة للصين، وهو ما يفسر استخدام الصين لحق الفيتو تجاه القرارات الأممية بشأن الأزمة السورية. وكانت النتيجة هي إخفاق المساعي الغربية والأمريكية في استصدار قرار أممي يدين النظام السوري؛ بسبب فيتو، روسيا والصين اللتين تريان فيه مقدّمة لغطاء تدخّل في سوريا وتكراراً للتجربة الليبية عام 2011 وفي الواقع فإنّ دعم روسيا والصين لسوريا ليس سوى لمصالحهم؛ إذ تدركان أنّ مصالحهم ستتضرّر في حال انهيار نظام الأسد.⁽¹⁾ وعملت هذه الأسباب مجتمعة على تعقيد الوضع السوري الذي بدأ في شكل مظاهرات وتطور بسرعة لأزمة سياسية وأمنية تطورت بدورها بفعل سوء الإدارة الداخلية والمصالح الأجنبيات الدولية المتضاربة في سياق النظام العالمي الجديد قيد التشكل، حيث تسعى كل من القوى الكبرى الإقليمية والعالمية أن تجد لها مدخلا وموطئ قدم في سوريا.

المطلب الثاني: تأثير التجاذبات الداخلية على تدويل النزاع السوري:

إن الانتفاضة الشعبية التي شهدتها سوريا في ربيع 2011 لم تكن في بدايتها تختلف عن بقية المظاهرات والأحداث التي عرفتتها العديد من الدول العربية مع بداية العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، ولكن استمرار وانتشار الاحتجاجات من جهة وتعنت النظام السوري من جهة أخرى فتح المجال للقوى الفاعلة في المنطقة بالتدخل ومحاولة خلق أطراف أخرى مثل المعارضة السورية واحتضانها وتمويلها لتطوير مستوى الأزمة مما يسمح بالاختراقات الخارجية تحت مسميات مختلفة، ونحاول في هذه الجزئية عرض مختلف الأطراف السياسية والعسكرية الداخلية في سوريا ودورها في تدويل الأزمة الداخلية.

الفرع الأول: النظام السوري: يعتبر النظام السياسي هو أحد الدعائم الأساسية للدولة وهو الجهة المسؤولة عن حفظ الأمن والسلم لشعبه، غير أنّ النظام السوري كانت لديه قناعة بأن الاحتجاجات الشعبية التي تشهدها سوريا والمطالبة بإسقاطه، هي مؤامرة خارجية للدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة؛ عبر تقديم الدعم المالي لمنظمات حقوق الإنسان في سوريا في السنوات التي سبقت حراك

(1) - موفق مصطفى الخزرجي، مرجع سابق، ص ص 145-161.

الشارع السوري، سعياً منها للقضاء على النظام المعادي لإسرائيل والداعم للمقاومة الفلسطينية والحليف المقرب لإيران.

ونظراً للضغوط الخارجية التي مارستها الدول على النظام السوري لعدم استعمال القوة الصلبة ضد شعبه ورغبة منه في إحتواء الوضع، سارع الرئيس السوري إلى اتخاذ جملة من القرارات لاستيعاب حركة الاحتجاج الداخلية، حيث أعلن النظام السوري في 19 مارس عن عزمه القيام بإصلاحات سياسية تتضمن إنهاء حالة الطوارئ القائمة في سورية منذ عام 1963 ومحاربة الفساد وإصدار قانون جديد للأحزاب يسمح بالتعددية الحزبية. وتشريع قانون للإعلام يسمح بحريات إعلامية أكبر إضافة إلى زيادة رواتب موظفي القطاع العام واستيعاب العاطلين عن العمل تلا ذلك إطلاق السلطات السورية عدد كبير من المعتقلين السياسيين بينهم أعضاء في الإخوان المسلمين. وتلا ذلك إصدار قرار حل مشكلة الأكراد المطالبين بالجنسية منذ عام 1961 وتشكيل حكومة جديدة برئاسة عادل سفر ما عكس نية لتغيير نهج الليبرالية الاقتصادية وإصدار محكمة أمن الدولة العليا وآخر بالسماح بالتظاهر السلمي، وتوسيع دائرة الحريات الإعلامية⁽¹⁾. ولكن استمرار الاحتجاجات وتوسيع دائرتها لتشمل عديد المحافظات والمدن السورية وظهور مصالح وأدوار القوى الخارجية نقل هذه الاحتجاجات الداخلية المطالبة بالإصلاح من المستوى المحلي إلى المستوى الإقليمي والعالمي.

مارس الجيش السوري أعمال القمع ضد المتظاهرين؛ فتحوّلت انتفاضتها السلمية إلى مواجهة عسكرية بينهم، خلفت خسائر بالمدنيين وقد بلغت المواجهات مداها في 21 أوت 2013 عندما تمّ استخدام السلاح الكيماوي في منطقة الغوطة شرق دمشق، راح ضحيته المئات من سگان المنطقة؛ بسبب استنشاقهم لغازات سامة ناتجة عن هجومٍ بغاز الأعصاب، وقد تبادل كل من النظام والمعارضة المسلحة الاتهامات بالمسؤولية عن تلك المجزرة، وأجرت الأمم المتحدة تحقيقاً بواسطة لجنة أرسلتها إلى سوريا، وأصدرت تقريرها السادس عشر من سبتمبر، تضمّن أنّ الهجوم حدث في ساعة محدّدة بدقّة؛ لضمان إصابة أو مقتل أكبر عدد ممكن من الأشخاص.⁽²⁾

النظام السوري هو اللاعب الأهم والأكثر تنظيماً والأقوى في النزاع السوري. ويتمثل هدفه الرئيسي في هزيمة التمرد والمعارضة وكذا لتأسيس واستعادة النفوذ على كامل الأراضي السورية من خلال

(1) - جمال واكيم، مرجع سابق، ص ص 211-212.

(2) - موفق مصطفى الخزرجي، مرجع سابق، ص ص 145-161.

استعمال أي وسيلة دبلوماسية وسياسية وعسكرية ممكنة. انتشار الجيش العربي السوري والقوات شبه العسكرية التابعة له لقمع المتظاهرين، حيث تسببت التحركات المضادة والمقاومة من المعارضة في عسكرة الصراع. ولمواجهة التحديات الأمنية المتوقعة، حصل نظام الأسد على الدعم الدبلوماسي والاستراتيجي والعسكري الضروري من حلفائه سواء في منطقة الشرق الأوسط أو خارجها.

لهذا نجح نظام الأسد في تفكيك وإضعاف فصائل المعارضة. فبحلول عام 2018، نجحت القوات السورية في السيطرة على معظم الأراضي في جنوب سوريا. ولغاية نهاية 2021 يسيطر النظام السوري بمساعدة القوات الروسية على نسبة (63.38%) من الجغرافيا السورية، وهي سيطرة شبه تامة على محافظات الساحل والوسط وجنوب سورية، وسيطرة على أجزاء من المحافظات الشرقية ومحافظه حلب. وتحولت سيطرته على محافظة درعا إلى سيطرة شاملة بعد عملية تصعيد بدأها النظام على درعا في جويلية 2021 وانتهت باتفاق السيطرة الشاملة على المحافظة في 1 سبتمبر 2021، بينما بقيت سيطرة النظام على محافظة السويداء سيطرة هشة مقتصرة على الفروع الأمنية ومؤسسات الدولة دون دخول "الجيش" إليها.⁽¹⁾

قدم دعم إيران التكتيكي والاستراتيجي وبيع روسيا السلاح الخفيف والثقيل من المعدات العسكرية والأسلحة ساعد في توسيع نطاق سيطرة النظام. شكّل الجيش العربي السوري مدعوم من قبل قوات الدفاع الوطني - منظمة شبه عسكرية- إلى جانب الميليشيات والمقاتلين المحليين والأجانب الموالين للنظام العمود الفقري لاستراتيجية هزيمة المعارضة المسلحة والتنظيمات الإرهابية. فرغم بعض الانتكاسات الأولية، فإن النظام استعاد القوة اللازمة و هذا ما تبين من النسب الجغرافية التي يسيطر عليها الجيش السوري منذ سنة 2018.⁽²⁾

الفرع الثاني: المعارضة السياسية:

في مقابل الدور الذي يلعبه النظام السوري والجيش النظامي في سوريا، نجد قوى المعارضة على اختلاف توجهاتها وأطيافها، التي اعتبرت نفسها الممثل الشرعي والوحيد للشعب السوري وسعت إلى إسقاط

⁽¹⁾ - بشير نصر الله، عباس شريفة، عبادة العبد الله، خريطة السيطرة العسكرية في سوريا نهاية 2021 وبداية 2022، جسور

للدراسات، 24.12.2021 من الموقع: <https://jusoor.co/details> تم تصفح الموقع يوم 21.12.2021.

⁽²⁾ - Muhammad Nadeem Mirza, Hussain Abbas, Irfan Qaisrani, Anatomising **Syrian crisis: Enumerating actors, motivations, and their strategies (2011-2019)**, Liberal Arts & Social Sciences International Journal (LASSIJ) Vol. 5, No. 1, January-June 2021, pp 41-54

النظام عن طريق التحرك السياسي وتحقيق الدعم الدولي لها، إضافة إلى التنظيمات المسلحة التي كانت تسعى لفرض سيطرتها على سوريا والقضاء على رموز النظام بالدخول في معارك مع الجيش النظامي السوري ونستطيع أن نصفها بأنها الجناح العسكري للمعارضة.⁽¹⁾ ولقد أشار "وليد سافور" **Walid Saffour** الممثل البريطاني للمجلس الوطني السوري سنة 2013 إلى افتقار المعارضة إلى التماسك الداخلي والوحدة، وفي تقديره أن 43 عاما من الدكتاتورية حالت دون تشكيل معارضة متماسكة قادرة على الحوار البناء، وانعدام الثقة بين مختلف أطراف المعارضة التي من المفترض أن تتشارك وجهات النظر السياسية والإيديولوجية والدينية، ولكن سرعان ما نصّمت المعارضة السورية نفسها ضمن المجلس الوطني السوري الذي تم تشكيله في سبتمبر 2011؛ وهو منظمة جامعة تدعي أنها تمثل مختلف مجموعات المعارضة السورية، ولكن يهيمن عليه أكثر السياسيين السوريين المقيمين في المنفى ولم يعودوا لسوريا منذ سنوات أو عقود.⁽²⁾ ولكن الشعور بالتهميش من طرف المجلس الوطني السوري سواء من الجماعات المحلية أو المعارضة غير الإسلامية جعل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تضغط على المجموعة لإعادة تسمية نفسها بالإئتلاف الوطني السوري في نوفمبر 2012. ورغم أن المجلس يحمل اسم واحد شامل لكنه يشمل 6 مجموعات من المعارضة:

✓ مجلس التنسيق الوطني: وهو منظمة سارية كان ينظر إليها على أنها تتكيف بشكل كبير مع النظام.

✓ الإخوان المسلمون: تُعتبر جماعة الإخوان المسلمين في سورية إجمالاً الحركة الأقوى والأكثر تنظيماً من بين قوى المعارضة السورية، على الرغم من نفي قاداتها من البلاد في عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد. بعد حوالي ثمانية عشر شهراً على اندلاع الثورة، ساهمت الجماعة في تأسيس المجلس الوطني السوري، وهي تُعتبر المكون الرئيس في المجلس. تمثل جماعة الإخوان المسلمين حوالي ربع أعضاء المجلس الوطني السوري البالغ عددهم 310 عضواً. وهي حظيت بهذا الموقع الذي يتجاوز، بحسب المعارضين السوريين، حجمها الفعلي على الأرض وفي الثورة، بفضل تعدد الهيئات التي أقامتها في المنافي، وخبرتها في العمل السياسي. وقد أعلن المراقب العام للجماعة في سوريا محمد رياض الشقفة

(1) - نجات لمدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط دراسة حالة سوريا 2010-2014، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2018)، ص 158.

(2) - Jasmine K. Gani, **Contentious Politics and the Syrian Crisis: Internationalization and Militarization of the Conflict**, (January 2015, at: <https://www.researchgate.net/publication/304983613>). p10

أن الجماعة تؤيد الاحتجاجات والتظاهرات المطالبة بإسقاط النظام السوري مؤكداً مشاركة الإخوان فيها بفاعلية ومشدداً على استمرار الاحتجاجات حتى إسقاط النظام⁽¹⁾.

✓ حزب الإتحاد الديمقراطي؛ وهو حزب سياسي كردي تأسس عام 2003 على صلة بحزب العمال الكردستاني (ينتقد النظام لكن البعض يتهمه أنه متعاون مع النظام)

✓ اللجنة الكردية العليا المسؤولة عن إدارة المناطق التي يسيطر عليها الأكراد

✓ المجلس الوطني الكردي ذو العلاقات الوثيقة مع المحافظة الكردية العراقية.

✓ مجموعات من منظمات المجتمع المدني بما في ذلك ممثلين من مجالس التنسيق المحلية التي تشكلت على الأرض في وقت مبكر خلال الانتفاضات.⁽²⁾

ما نلاحظه على المعارضة السورية هو التباين السياسي والعنقي الديني داخل المعارضة-وقد لا يشكل بالضرورة مشكلة وتكون عنصر قوة- بالإضافة إلى غياب التوازن بين أطراف المعارضة التي تتخذ من الخارج مقراً لها. إذ شكك الناشطون داخل سوريا على نحو متزايد في تمثيل المجلس الوطني السوري. حتى مع تشكيل ائتلاف تحت رعاية الدول الغربية، ووجود مبعوثين إلى بريطانيا وفرنسا وقطر ومقعد دائم في الجامعة العربية، على الرغم أنه تأسس لزيادة تمثيل المعارضة على أرض الواقع، وقد منح للتحالف الوطني السلطة على المعارضة العسكرية داخل سوريا، من خلال المجلس العسكري الأعلى، لكن الاختلافات كانت كبيرة داخل المجلس الوطني السوري، وطغت عليها الانقسامات بين الجناحين السياسي والعسكري للمعارضة، وقد شكل الجناح العسكري نفسه من أكثر من ألف كتيبة تعمل في مناطق مختلفة من سوريا، وهذا ما انعكس في 24 سبتمبر 2013 من خلال بيان مشترك مكون من 12 جماعة عسكرية إسلامية تدين المجلس الوطني العسكري وتراه لا يمثلها لأنه مدعوم عربياً.⁽³⁾ وقد ساهمت العديد من العوامل طيلة مسار النزاع السوري في الحد من قدرة المعارضة المدنية- الوطنية على لعب دور فعال كقوة سياسية يُعتد بها. ومن بين هذه العوامل قضايا تتعلق بالمعارضة نفسها وخياراتها ومناحي قصورها،

(1)- جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، مركز مالكوم كير- كارينغي للشرق الأوسط، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48396>، تم الاطلاع في 2022/12/13.

(2)- Jasmine K. Gani, **Contentious Politics and the Syrian Crisis: Internationalization and Militarization of the Conflict, Chapter** · January 2015, p11, at: <https://www.researchgate.net/publication/304983613>.

(3)- Ibid.

إضافة إلى مسائل تتصل بالبيئة السياسية التي تنشط في سياقها والتي تفتقر للزعامة الموحدة. على سبيل المثال، لم تُبلور المعارضة أهدافاً استراتيجية واضحة، كذلك كان يتوجب على المعارضة أن تكون لها القدرة التنافسية مع العديد من اللاعبين السياسيين المُنخرطين في الصراع ضد نظام الأسد، بما في ذلك الجماعات الإسلامية، كما كانت المعارضة تعاني في الوقت نفسه من الأجنحة المتباينة للداعمين لداعميها الخارجيين.⁽¹⁾

الفرع الثالث: القوى العسكرية المشاركة في النزاع السوري:

بالإضافة للقوى السياسية التي تتجاذب النزاع في سوريا وهي النظام والمعارضة بتفرعاتها وتوجهاتها العرقية والدينية والإيديولوجية، يوجد في سوريا عدد من القوى والتنظيمات المسلحة تشارك في القتال بصورة واضحة، وهي أيضا ليست ذات توجه واحد، وإنما متعددة التوجهات والإيديولوجيات.

أولا: القوى العسكرية المؤيدة للنظام: Pro-Asad Forces

1. **الجيش السوري**: يضم الجيش السوري قوات الأسد وقوات الدفاع الوطني والحرس الجمهوري (فرقة عسكرية تعمل في العاصمة دمشق). وتعمل هذه الهيئات تحت سيطرة الحكومة على الرغم من بعض الانشقاقات -الأشخاص الذين انشقوا في بداية الانتفاضة لتشكيل الجيش السوري الحر- كما سنتطرق إليه لاحقا فإن الجيش السوري يشهد مستوى عالٍ من الولاء للنظام.⁽²⁾

2. **فيلق القدس: Corps-Quds Force** وهو الفرع الخارجي لقوات الحرس الثوري الإيراني، تشكل خلال الحرب الإيرانية العراقية (1980/1988) وتطورت نشاطاته تدريجيا خاصة بعد الحرب على أفغانستان والعراق، ويعتبر فيلق القدس من أهم القوى الداعمة لنظام بشار الأسد. ففي ذروة النزاع السوري نشر فيلق القدس ما يقرب من 80.000 من رجال الميليشيات الشيعية في سوريا لمحاربة المعارضة.⁽³⁾ وبعد الانتصار الذي حققه النظام بمساعدة فيلق القدس في معركة حلب (2012/2016)، ركز قادة الفيلق على استراتيجية ما بعد الصراع وتقوم هذه الاستراتيجية على مكونين:

(1)- Amr Alsarraj, Philip Hoffman, The Syrian Political Opposition's Path to Irrelevance, MALCOLM.H.KERR.CARNEGIE Middle East Center, published May2020, at <https://carnegiemeec.org/2020/05/15/syrian-political-opposition-s-path-to-irrelevance-pub-81799>

(2)- Massimiliano Pillon, **The Syrian Conflict**, conflict analysis of a multi-layered civil war, 2014. <https://www.academia.edu/11304521.pp9-10>.

(3)- Nader Uskowi, **The Evolving Iranian Strategy In Syria: A Looming Conflict With Israel**, (Atlantic Council, Issue Brief, september 2018), P2.

✓ إقامة قاعدة دائمة في سوريا تشمل عناصر فيلق القدس والمليشيات الشيعية الأجنبية الخاضعة لقيادته. وتشمل تلك القواعد المقر العام والإقليمي لمراكز القيادة والسيطرة وخلايا المخابرات والطائرات بدون طيار الكتائب والمدارج ومستودعات الأسلحة والمعدات الثقيلة وغيرها من المرافق اللوجستية.

✓ بناء محطات لتحديث ترسانات الصواريخ لمجموعات الميليشيات الشيعية المتمركزة في سوريا.⁽¹⁾

3. حزب الله اللبناني:

حزب الله كيان سياسي واجتماعي يتمتع بقاعدة جماهيرية ونفوذ في أوساط الطائفة الشيعية في لبنان ويعود تأسيسه إلى مطلع الثمانينات، وقد تطور الحزب الذي كان يتألف من مجموعة لبنانية جنوبية تركز جهودها لمحاربة العدوان الإسرائيلي على لبنان من عام 1982 إلى عام 2000 لتصبح قوة شبه عسكرية تتمتع بالنفوذ ويمتد نشاطها عبر المنطقة، وقد كانت إيران سببا في ظهوره منذ سنة 1982 لمحاربة إسرائيل وعملت قوات الحرس الثوري التي أرسلتها إيران لوقف تمدد الجيش الإسرائيلي في لبنان بتقديمها الدعم العسكري واللوجستي وكذا التدريبات لعناصر حزب الله، وبعد ذلك تم تشكيل القيادة السياسية للحزب الذي يدعو للجهاد ضد إسرائيل وأن الإسلام هو عقيدته والالتزام بولاية الفقيه الإيرانية وتعززت قوة حزب الله بدخوله الساحة السياسية في لبنان عام 1992 بانتخاب بعض أعضائه في البرلمان اللبناني.⁽²⁾

مع انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان سنة 2000 رفض حزب الله الرضوخ للمطالب الدولية لنزع السلاح، بل عمل على تقوية جيشه وسُمي الجناح العسكري للحزب بالمقاومة الإسلامية، ومنذ ذلك الوقت أصبح حزب الله فاعلا أساسيا في لبنان وعمل على توسيع نفوذه في المنطقة. وعند اندلاع ثورات الربيع العربي ووصولها إلى سوريا وتحولها السريع إلى نزاع دولي متعدد الفواعل، تدخل حزب الله عسكريا بجانب نظام بشار الأسد لأن النظام السوري يعتبر الحليف والضمانة الأساسية لحزب الله في لبنان سياسيا وعسكريا، كما أن سوريا تعتبر خط الإمداد الرئيسي للمساعدات العسكرية واللوجستية الإيرانية إلى حزب الله⁽³⁾. فمنذ بداية عام 2013 عمل مقاتلو حزب الله بشكل علني وبأعداد كبيرة عبر

(1) - Nader Uskowi, op, cit.

(2) - منى علمي، التورط العسكري لحزب الله في سوريا ودوره الإقليمي الأوسع، دراسات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مارس 2017، ص ص 9.10.

(3) - المرجع نفسه، ص 11.

الحدود جنباً إلى جنب نظرائهم السوريين. لقد مكنوا النظام من استعادة المناطق التي تسيطر عليها المعارضة في وسط سوريا. كما يعد تورط حزب الله في سوريا أحد أسباب تعميق النزاع في عامي 2013 و2014.⁽¹⁾ فقد ساعد التدخل العسكري لحزب الله النظام على تحسين فعاليته على الأرض، وعزز حضوره كطرف أساسي في مجريات النزاع.

يعتبر حزب الله بقاء نظام الأسد أمراً مهماً، بل وجودياً، وأن انهيار النظام السوري يعني فقدان حلقة مهمة في التحالف الاستراتيجي بين حزب الله وسوريا وإيران، كما تعد سوريا القناة الرئيسية للدعم الإيراني لحزب الله.⁽²⁾ فالمصلحة الجيوبوليتيكية المتبادلة بين الطرفين السوري واللبناني جعلت من حضور القوة العسكرية لحزب الله في النزاع السوري معطى واقعي، فالمساعدة العسكرية لقوات حزب الله للنظام السوري ساعدته في استعادة مناطق كان قد فقدتها، ولكن عمق النزاع أكثر ووسع مداه الزمكاني.

ثانياً: القوى العسكرية المناوئة للنظام السوري: Forces against the Syrian regime

1. الجيش السوري الحر: بدأت الانشقاقات داخل الجيش النظامي مع إعلان المقدم حسين هرموش⁽³⁾ انشقاقه مع عدد من الضباط التابعين للجيش السوري بعد الحملة العسكرية التي قامت بها القوات النظامية على مدينة جسر الشغور بريف إدلب في 4 جوان 2011 وأدت إلى مجزرة بحق الأهالي. وقد توجهوا للمناطق الوعرة في جبل الزاوية، وعندما تمت ملاحقتهم من طرف النظام لجؤوا إلى تركيا وانضموا إلى مخيمات اللاجئين التي أقامتها تركيا في أنطاكيا، لكن تركيا فرضت عليهم قيود ولم تسمح بتوسع حركة المقدم هرموش أو التواصل مع قيادات الجيش خوفاً من مد حركة الضباط الأحرار، ولأنه لم يكن يريد أن يتبع أي طرف داخلي أو خارجي هذا ما أثار المخاوف التركية وجعله ضحية

(1)- Marisa Sullivan, **Hezbollah in syria**, Middle East Security Report 19, Institute for the Study of War, april 2014, p4.

(2)- Marisa Sullivan, op,cit,p9.

(3)- حسين هرموش: ولد حسين مصطفى هرموش في قرية إبليين بجبل الزاوية في ريف إدلب الشمالي، العام 1972. وبعد التحاقه بالجيش السوري، درس الهندسة الحربية في روسيا بين العامين 1990 و1996، حيث نال أيضاً دبلوماً في الترجمة من اللغة الروسية إلى العربية، والدبلوم الأحمر التقني. وليمعمل بعد ذلك في سوريا في عدة مشاريع بمدينة دمشق وحلب لمع اسم هرموش الذي كان وصل مع اندلاع الثورة السورية رتبة مقدم في الفرقة 11-مشاة بالجيش السوري، بإعلانه انشقاقه عن الجيش في 9 جوان 2011، وليكون أول ضابط وقائد عسكري يعلن هذا الموقف. لمعلومات أكثر حول حسين هرموش اطلع: آلاء نصار، المقدم حسين هرموش: إجماع على مكانة أول الضباط المنتصرين لحرية السوريين وخلاف على المصير: من الموقع <https://syriadirect.org>

صفقات تبادل استراتيجية لكل من النظام السوري والمخابرات التركية؛ حيث أقتت القوات السورية القبض عليه بتواطؤ المخابرات التركية.⁽¹⁾ وقبل ذلك كانت قد حدثت انشقاقات بينه وبين رياض الأسعد⁽²⁾ الذي أسس الجيش السوري الحر وهو جيش الثوار الرئيسي حسب قيادته، في جويلية 2011 ويقوده عناصر منشقون عن الجيش السوري النظامي علويون وجنود سنة. ويعتبر الجيش السوري الحر مجموعة شاملة بما في ذلك قوات المعارضة المسلحة بشكل عام التي تجمع المنشقين عن الجيش والمدنيين الذين يقاتلون ضد النظام والمليشيات الإسلامية. وتحاول قيادة الجيش السوري الحر تقديمه على أنه "الجناح المسلح الشرعي الوحيد" من المجلس الوطني السوري للإبقاء على مسافة مع المليشيات الإسلامية داخله، على الرغم من أن عملياته لا تخضع رسمياً ولا عملياً لسيطرة المجلس الوطني السوري، حيث يتم تنسيق العمليات من خارج الأراضي السورية (يقع المقر الرئيسي لقيادة الجيش السوري الحر في اسطنبول)، وهذا ما خلق مشاكل في الاتصال والشرعية بين المتمردين في الميدان علاوة على ذلك، أعطت المنافسات الداخلية فكرة وجود قيادة مجزأة ومنقسمة لهذا السبب، أعلن قادة المتمردين في 7 سبتمبر 2012 عن تشكيل القيادة العسكرية العليا. وتعتمد شرعيته على أفعالهم على الأرض.⁽³⁾

إن الفجوة بين قيادات الجيش السوري الحر المتواجدة في المنفى والقوات الميدانية والتنافس بين القيادات، ضف إلى ذلك الدعم الخارجي والتنافس الإقليمي التركي القطري السعودي حول الملف السوري؛ حيث تعمل كل دولة على تمويل طرف مفضل داخل الجيش السوري، كل هذه العوامل ساعدت على الانشقاق بين قيادات وإضعاف عمل الجيش السوري الحر.

2. **جبهة النصر:** لقد مثل الانتقال السريع من الانتفاضة السلمية إلى النزاع المسلح نقطة تحول مهمة بالنسبة إلى الحركات الجهادية من فاعل غير مرغوب إلى فاعل مرحب به في مواجهة عنف

(1) - المعارضة المسلحة في سورية: لمحة موجزة، مركز مالكوم كير كارينغي للشرق الأوسط، من الموقع:

<https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=50941> تمت زيارة الموقع يوم 19.12.2021.

(2) - رياض الأسعد قائد عسكري سوري، كان من أوائل العسكريين المنشقين عن النظام السوري في بداية الثورة السورية 2011 أسس الجيش السوري الحر الذي يمثل الجناح العسكري الرسمي للثوار المعارضين للنظام، وتعرض لمحاولة اغتيال فاشلة. ولد رياض موسى الأسعد عام 1961 في جبل الزاوية ريف محافظة إدلب بسوريا. أسس الأسعد وترأس "الجيش السوري الحر" في الفترة ما بين 29 جوان 2011 و 8 ديسمبر 2012. للمزيد اطلع:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/>.

(3) - Massimiliano Pillon, **The Syrian Conflict**, conflict analysis of a multi-layered civil war, 2014. <https://www.academia.edu/11304521.pp11-12>.

النظام، وتأسيسا على ذلك بدأت هذه الحركات في مرحلة البناء والتعشيش من خلال استطلاع البيئات الحاضنة للفكر الجهادي سواء عن طريق زرع خلايا جديدة أو إعادة بعث خلايا سابقة.⁽¹⁾ ومع بداية سنة 2012 عرفت الانتفاضة السورية تغيرا جوهريا في مسارها، وذلك بالتوجه للكفاح المسلح ضد النظام السوري، وهذا ما أعطى فرصة للجماعات الجهادية للمشاركة وشرعنة تدخلاتها وذلك للأسباب التالية:

- اقتناع الكثير من المحتجين بعدم جدوى النضال السلمي.
- الإحباط من المجتمع الدولي لعدم تدخله عسكريا لإيقاف مجازر النظام ضد المدنيين السوريين.
- المجازر الطائفية التي قام بها النظام ساهم في تنامي الخطاب المذهبي بين الجماعات الجهادية.
- دعوات الجهاد: شهدت سوريا منذ بداية سنة 2012 دعوات للجهاد ضد النظام عبر وسائل التواصل الاجتماعية، وهذا ما استغلته الجماعات الجهادية لشرعنة وجودها.⁽²⁾

ساهمت كل هذه العوامل في ظهور جبهة النصرة للعلن في سوريا منذ جانفي 2012 بزعامة أبو محمد الجولاني⁽³⁾ وما يميز جبهة النصرة أنها لم ترتبط بتنظيمات جهادية معروفة ولم تعلن بتبعيتها وولائها إليها، بل كانت عبارة عن سرايا جهادية هدفها مقاومة النظام السوري، واستمرت على هذا المسار حتى أفريل 2013 عندما أعلن أبو بكر البغدادي عن حل الجبهة وإدماجها في تنظيم سماه الدولة الإسلامية في العراق والشام ورفضه الجولاني.

تعتمد جبهة النصرة في تمويلها على الغنائم والتبرعات، وكان انتشارها في المنطقة الشمالية كما شاركت مع الجيش السوري الحر في مواجهاته مع النظام في النقاط الساخنة مثل ريف حلب وإدلب، ومع زيادة عدد المنتسبين لجبهة النصرة من السوريين والأجانب عملت على توسيع نشاطها في كامل ريف حلب، كما ساعد التغلغل في ريف حلب الشرقي مقاتلي الجبهة التمدد شرقا باتجاه مدينة الرقة والاشتراك

(1) - حمزة مصطفى المصطفى، جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس إلى الإنقسام، سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 5: نوفمبر 2013، ص 75.63

(2) - المرجع نفسه، ص ص 75.63.

(3) - أبو محمد الجولاني من مواليد 1981 مقاتل سوري ينتمي للسلفية الجهادية خاصة تنظيم القاعدة انتقل من بلده للقتال مع تنظيم القاعدة بعد غزو العراق عام 2003، ولما بدأت الانتفاضة السورية عاد إلى سوريا مطلع 2012، فأسس "جبهة النصرة" لتكون فرعا للقاعدة يساهم في إسقاط النظام السوري، قبل أن يعلن عام 2016 فك الارتباط مع القاعدة وتغيير اسم تنظيمه إلى "جبهة فتح الشام". للمزيد اطلع على: أبو محمد الجولاني.. زعيم جبهة فتح الشام:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons>

منذ فيفري 2013 في عمليات عسكرية مع الجبهة الإسلامية السورية خاصة حركة أحرار الشام وعرفت جبهة النصره توسعا وتغلغلا وتميزت عن باقي الكتائب بعلاقتها مع المجتمعات المحلية وتلبية بعض حاجاتهم الغذائية والأمنية.⁽¹⁾

3. **الجبهة الإسلامية:** تعتبر من بين أكثر الميليشيات الإسلامية المتطرفة إيديولوجيا، تأسست في نوفمبر 2013، وتضم الجبهة الإسلامية سبعة فصائل مسلحة، وهي أحد أكبر التحالفات داخل المعارضة. هدفها السياسي هو الإطاحة بالأسد لإقامة دولة إسلامية يحكمها مجلس الشورى.⁽²⁾ وضمت الجبهة الإسلامية عند تأسيسها لواء التوحيد، حركة أحرار الشام، جيش الإسلام، ألوية صقور الشام، لواء الحق، كتائب أنصار الشام، والجبهة الإسلامية الكردية، وما يلاحظ على هذه الجماعات أن الولايات المتحدة لم تصنف أي منها كمنظمة إرهابية، ويمثل تأسيسها تنويفا لجهود عربية من أجل توحيد المعارضة كما أنها الأقرب للولايات المتحدة الأمريكية والعربية السعودية⁽³⁾.

4. **الدولة الإسلامية في العراق والشام داعش:** قبل تحليل أصول وتطور التنظيم الإرهابي المسمى الدولة الإسلامية في العراق والشام وطريقة توسعه في سوريا ننقل هذا التصريح لأبي بكر البغدادي عند إلقاء خطاب في الجامع الكبير بالموصل في 29 جويلية 2014: "دع العالم يعرف أننا نعيش اليوم في عصر جديد. كل من كان غافلا يجب أن يكون الآن في حالة تأهب. كل من كان نائما يجب أن يستيقظ الآن. كل من صدم واندعش يجب أن يفهم. لدى المسلمين اليوم بيان مدوي عالٍ وثقيل. لديهم بيان من شأنه أن يجعل العالم يسمع ويفهم معنى الإرهاب، والأقدام التي ستدوس صنم القومية، تدمر صنم الديمقراطية وكشف طبيعتها المنحرفة. [...] أيها المسلمون في كل مكان، بشرى لكم وتوقعوا الخير. ارفع رأسك عالياً اليوم - بحمد الله - لك دولة وخلافة تعيد لك كرامتك، والقوة والحقوق والقيادة."

[...] لذلك أسرعوا أيها المسلمون إلى دولتكم. نعم، إنها دولتك. لأن سوريا ليست فقط للسوريين والعراق ليس للعراقيين. الأرض لله.⁽⁴⁾ يشير هذا الخطاب إلى ضرورة تبني فكر جهادي لبناء دولة

(1) - حمزة مصطفى المصطفى، مرجع سابق، ص ص 63-75.

(2) - Massimiliano Pillon, op, cit, p 12.

(3) - سهام فتحي سليمان أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 95.

(4) - Elena Marsoni, "The Syrian Conflict: an Overview of Domestic, Regional and International Strategies in the Levant", (Final work of master, CEI - Center for International Studies Barcelona, 2015L2016), p9.

إسلامية في العراق وسوريا وتتوسع على كامل منطقة الشرق الأوسط، ولكن جذور داعش تعود للتسعينيات لكنها غيرت اسمها وجغرافية عملياتها كما نورد في الجدول التالي:

جدول رقم 2: يبين التطور الزمني للدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"

اسم المنظمة	الفترة الزمنية
جماعة التوحيد والجهاد	2004/1999
القاعدة في العراق	2006/2004
مجلس شوري المجاهدين	2006
الدولة الإسلامية في العراق	2013/2006
الدولة الإسلامية في العراق والشام	منذ سنة 2013 حتى اليوم

المصدر من إعداد الباحثة بالإعتماد على معلومات من:

Elena Marsoni, "The Syrian Conflict: an Overview of Domestic, Regional and International Strategies in the Levant, p9

اقتحم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) الوعي العام في صيف 2014، حين اكتسح الموصل وغيرها من المدن العراقية، وانتقاله من العراق إلى سوريا مستغلا حالة غياب الأمن والفوضى التي عرفتتها الدولة منذ 2011، وقد توسعت حملته لتشمل العديد من المناطق السورية مثل دير الزور والرقعة الحسكة وعين العرب أو كوباني وسط وشرق سوريا.⁽¹⁾

إن متابعة ورصد وتحليل تأسيس ومسار مختلف الأطراف الداخلية سواء السياسية أو السياسية العسكرية في سوريا منذ بدايات الأزمة سنة 2011 لغاية تدويلها وعسكرتها يعطينا القدرة على فهم وتحليل سيرورة النزاع السوري وكيف ساهمت التجاذبات الداخلية لمختلف الأطراف في تعبيد الطريق نحو التدخل الدولي سواء المباشر أو غير المباشر العسكري أو السياسي في ظل وضع عالمي يشهد صراعات جيوبوليتيكية كبرى وتغيير لموازن القوى في ظل وجود رغبة دولية لخلق عالم متعدد الأقطاب.

(1) - براين ماكيل جينكيز، كيفية تشكيل الصراعات الحالية لمستقبل سوريا والعراق، منظور تحليلي، تقارير مؤسسة راند،

2015، ص4، من الموقع: <https://www.rand.org/ar/publications/syria.html>

المطلب الثالث: مسارات التسوية للنزاع السوري

تعتبر سوريا دولة محورية في الشرق الأوسط ولهذا وضع النزاع السوري الشرق الأوسط كله على سطح صفيح ساخن، سواء في علاقات دوله البينية، أو في دور القوى الكبرى في قضاياها التي تزداد تعقيداً. ولأن سوريا تحولت إلى محدد رئيسي لمستقبل الشرق الأوسط وقواه، فقد انعكست مجمل هذه التطورات على المسار البطيء والمتعرج للأزمة السورية التي تحولت بفعل القوى الداخلية والتدخلات الخارجية إلى نزاع دولي متعدد الأطراف ولأن النزاع الدائر في سوريا وحولها منذ 2011، أول نزاع إقليمي - عالمي متعدد القطب في القرن الحادي والعشرين، فإن المناورات الدبلوماسية حوله تخطت حدود الإقليم وطافت المؤتمرات الكثير من العواصم والمدن حول العالم كانت بدايتها من الجامعة العربية إلى جنيف وسوتشي. ونعرض في هذه الجزئية من البحث التطرق للسيارات العامة للتسوية السلمية للنزاع السوري في ظل التوازنات الدولية ومواقف الدول المنخرطة في النزاع عبر المسار الزمني منذ بداية الحراك الشعبي في سوريا سنة 2011، وذلك بالدعم لمختلف الأطراف حسب ما تقتضيه المصلحة الجيوبوليتيكية لكل قوة.

أولاً: مبادرة جامعة الدول العربية: جاءت المبادرة الأولى لجامعة الدول العربية في أوت 2011 عندما اشتدت أعمال العنف من النظام السوري على المدنيين، ففي ختام اجتماع جامعة الدول العربية قررت إيفاد أمينها العام السيد "نبيل العربي" إلى دمشق لحل الأزمة ونقل المبادرة إلى الرئيس الأسد لحل الأزمة داخل البيت العربي ودون تدخلات خارجية، وتتكون هذه المبادرة من ثلاثة عشر بنداً تركز على وقف العنف وتوسيع الحريات وإطلاق سراح المعتقلين، كما حددت جدول زمني لتنفيذ هذه المبادرة، وشكلت لجنة وزارية مهمتها الاتصال بالقيادة السورية لوقف العنف ورفع كل المظاهر المسلحة، لكن تعنت الأسد واعتبار ما يحدث في سوريا شأن داخلي ولا يجوز التدخل فيه دفع الجامعة العربية لتجميد عضوية سوريا في الجامعة وفرض عقوبات اقتصادية عليها، وبعدها تم التوافق بين الجامعة العربية والحكومة السورية على إرسال بعثة المراقبين العرب إلى سوريا تم تطوير خطة عمل وقامت على تصور لعملية السلام عن طريق تفويض السلطة من بشار الأسد إلى نائب الرئيس السابق "فاروق الشرع"، ووفقاً للخطة تم اقتراح تشكيل حكومة وحدة وطنية بقيادة شخصية مقبولة من طرف جميع الأطراف في غضون شهرين، ويتم تنظيم انتخابات رئاسية في سوريا في مدة ستة أشهر بحضور مراقبين عرب وأجانب ولكن

الجامعة جمدت المقترح بعد أسبوعين من إرسال البعثة بعد تعرض هذه الأخيرة للهجوم وتدهور الأوضاع.⁽¹⁾

ثانيا: خطة كوفي عنان للمسلم في سوريا: بعد فشل جهود الجامعة العربية، وللخروج من حالة الانسداد، وكننتيجة للجهود الخليجية داخل الأمم المتحدة أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم 66/253 في 16 فيفري 2012 بتعيين الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان مبعوثا خاصا مشتركا للأمم المتحدة والجامعة العربية لحل الأزمة السورية، وبناء على تفاهم أمريكي روسي لتفادي الجمود بعد الفيتو الروسي الصيني في مجلس الأمن 4 فيفري 2012، لكن هذا التفاهم لم يوفر أي ضمان لكوفي عنان فمن جهة يتعامل مع بشار الأسد الذي لا يرد تقديم أي تنازلات لوسيط دولي، ومن جهة أخرى المبعوث مفوض من مجلس الأمن لكن دون ضمانات وهذا ما حال دون تحقيق خطة كوفي عنان للسلام لأي تطورات ملموسة على مستوى الحل السياسي في سوريا.⁽²⁾ وبعد فشل المبادرات العربية والأممية للحل السلمي في سوريا، في ظل زيادة العنف المسلح تدخلت القوى الكبرى في صولات وجولات دبلوماسية للحل السياسي في سوريا كانت بدايتها من جنيف

ثالثا: مؤتمر جنيف 1:

بعد مرور أكثر من عام على بداية النزاع السوري تحرك المجتمع الدولي من أجل حل دبلوماسي يجمع النظام السوري والمعارضة فكانت البداية في جوان 2012 بمحادثات جنيف، حيث شارك وفدا النظام والمعارضة برعاية أممية، وضمت مجموعة العمل كل من واشنطن وروسيا والصين والاتحاد الأوروبي وتركيا وجامعة الدول العربية، واعتبرت واشنطن أن الاتفاق يفسح المجال أمام مرحلة ما بعد الأسد، في حين أكدت موسكو وبكين أنه يعود إلى السوريين تقرير مصير رئيسهم، وكان من الأهداف المسطرة، إنشاء حكم غير طائفي يضم الجميع، ووضع جدول زمني لمسودة دستور جديد، وإجراء انتخابات حرة ونزيهة تحت إشراف أممي، ومكافحة الإرهاب⁽³⁾.

(1)- Adilkhan Gadelshiyev, The Inter-Syrian Astana Talks: Significant Contribution To The Geneva Process, p3, https://www.academia.edu/search?q=Astana:file:///C:/Users/DELL/Downloads/the_inter_syrian_astana_talks_significan.pdf.

(2)- Adilkhan Gadelshiyev, op, cit, pp3.4.

(3)- الأزمة السورية مسارات التسوية، من الموقع:

<https://www.aljazeera.net/multimedia/infograph/2018/1/31/> تم تصفح الموقع يوم 30.10.2019.

بالرغم أن جنيف¹ هي الوثيقة السياسية الوحيدة التي تحظى بإجماع وتوافق عربي وإقليمي، إضافة إلى مجلس الأمن الدولي فإن هناك تباين واضح في الموقف الروسي والأمريكي والأمريكي لنتائج مؤتمر جنيف¹ ما انعكس على الفشل في تطبيق بنود "جنيف 1" ففي الوقت الذي أكد فيه وزير الخارجية الروسي "لافروف" أن البيان الختامي للمؤتمر لا يتضمن شرط تخلي الرئيس السوري عن السلطة، رأت وزيرة الخارجية الأمريكية "هيلاري كلينتون" أن المؤتمر يمهد لمرحلة ما بعد الأسد.⁽¹⁾ وكذلك التباين العميق والتشنج بين وفدي التفاوض السوري النظام والمعارضة أدى إلى فشل مفاوضات جنيف¹ والسير نحو جنيف².

رابعا: مؤتمر جنيف 2: بدأت محادثات جنيف 2 في 22 جانفي 2014 بمدينة "مونترال" السويسرية بحضور طرفي النزاع السوري "النظام والمعارضة" بالإضافة إلى الفواعل الدولية المعنية بالنزاع، وقد انتهت الجولة الأولى في 2 فيفري 2014 بعد اتفاق على أجندة مفاوضات دبلوماسية تعيد الأطراف المتنازعة إلى طاولة المباحثات في العاشر من الشهر نفسه.⁽²⁾

شكلت الاختلافات داخل المعارضة نفسها حول الأحزاب المشاركة والممثلة للمعارضة بين كل من الائتلاف السوري وهيئة التنسيق وحزب الإتحاد الديمقراطي الكردي على اعتبار أنهما يريدان المشاركة مع الائتلاف السوري وليس ضمنه، والخلاف بين أعضاء المعارضة حول الجلوس مع النظام على طاولة واحدة والاختلاف الآخر هو تشكيل حكومة انتقالية لا يكون الأسد فيها، وهذا ما رفضه النظام لأنه كان يرى أن المشهد السياسي السوري في صالحه، وأن المعارضة في حالة ضعف وتشرذم. وفي إطار هذه التفاعلات تخوفت المعارضة من قبول الولايات المتحدة الأمريكية لبقاء الأسد والنظام مقابل محاربتة للتنظيمات الإرهابية في سوريا، كما مثل غياب إيران عن هذا المؤتمر أحد الإشكالات الرئيسية لأنها لم تتلقى دعوة الحضور رغم أنه ترى نفسها الفاعل المحوري في هذه المفاوضات بصفتها حليف للنظام السوري.³

(1) - علاء عبد الحميد عبد الكريم، دور الأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية، (أبو ظبي، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ط1، 2018)، ص102

(2) - محمد الطيب حمدان، تسوية الأزمة السورية في ظل التوازنات الإقليمية والدولية قراءة في مؤتمر جنيف² و3 جامعة عباس الغرور خنشلة: مجلة الحقوق والعلوم السياسية، العدد9، جانفي 2018، ص ص373-485.

(3) المرجع نفسه، ص375.

علقت إيران أن مؤتمر جنيف 2 "مات قبل أن يولد" في إشارة إلى أنه كان فاشلا وبلا جدوى. و على الجانب الآخر هناك توافق روسي أمريكي على طرح حل سياسي في جنيف 2 دون أن يكون هناك ضمانات للمعارضة سواء ليكون الحل السياسي في صالحها أو حتى للضغط على النظام لتطبيق مقررات جنيف 1 المصادق عليها أمميا، ولهذا يعتبر المؤتمر مجرد جولة دبلوماسية لا جدوى منها، وكذلك غياب الثقة بين النظام والمعارضة رغم جهود الأخضر الإبراهيمي لبناء الثقة بين الطرفين بوقف إطلاق النار وإرسال المساعدات لمدينة حمص المحاصرة.⁽¹⁾

يبدو أن الجولتين من المفاوضات لم تحمل أي بادرة أمل للتعاون أو تقديم تنازلات من الطرفين السوريين المعنيين بالمسار التفاوضي بالإضافة إلى علاقات الجذب بين القوى الكبرى، فلم تكون أية نتيجة ملموسة لتسوية النزاع أو تحقيق أمل الشعب السوري في تحقيق السلم. واستمرت الجولات الدبلوماسية وصولا إلى مؤتمر جنيف 3

خامسا: مؤتمر جنيف 3: بعد أن تم الاتفاق على موعد الأول من جانفي 2016 لبدء الجولة الثالثة من مفاوضات جنيف، أعلنت الأمم المتحدة تأجيل الموعد إلى 29 جانفي 2016، لتعلن انطلاقها رسميا في الأول من فيفري 2016 في مدينة جنيف. ويوم 3 فيفري 2016 أعلن مبعوث الأمم المتحدة ستغان دي ميستورا تأجيل المفاوضات إلى 25 فيفري 2016، حيث أبدت الهيئة العليا للمفاوضات الناتجة عن مؤتمر الرياض استعدادها للمشاركة في مؤتمر جنيف 3، وأكدت المعارضة أنها تشارك على أساس مفاوضات وليس محادثات ولن تبدأ المفاوضات قبل تنفيذ الالتزامات الإنسانية الواردة في الفقرة 12 و 13 من قرار مجلس الأمن 2254 بتاريخ 18 ديسمبر 2015 التي تنص على رفع الحصار على المناطق المحاصرة وتقديم المساعدات الإنسانية للمدنيين، وقد حضر النظام السوري إلى جنيف بفعل الضغط الروسي، وتزامنت استعدادات النظام للمشاركة في مفاوضات جنيف مع تصعيد ميداني كبير وتكثيف للقصف الجوي، حيث حاول النظام السوري الوصول إلى مفاوضات جنيف من مركز قوة حتى تنحصر المفاوضات على موضوع وقف القتال والإغاثات الإنسانية.⁽²⁾

(1) - محمد الطيب حمدان، تسوية الأزمة السورية في ظل التوازنات الإقليمية والدولية قراءة في مؤتمر جنيف 2 و 3، مرجع سابق، ص ص 373-385.

(2) - المرجع نفسه ص ص 373-385.

لكنها فشلت في النهاية بسبب خلافات بين النظام والمعارضة، أبرزها الخلافات في تنفيذ الفقرتين 12 و13 من القرار الأممي 2254، والخلاف على تشكيل المعارضة السورية وفدها المفاوض. كما أن المعارضة السورية رفضت أن يكون للأسد أي مستقبل في سوريا الجديدة.⁽¹⁾ أما المجتمع الدولي فينظر للنزاع السوري على أنه عبارة عن ثلاث أزمات منفصلة:

1. الإرهاب: تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أن القضاء على داعش أولوية قصوى في سوريا.
2. اللاجئين: فرار عدد كبير من السوريين إلى أوروبا وما شكله ذلك من تهديد للأمن القومي الأوروبي لهذا يركز الإتحاد الأوروبي على ملف اللاجئين السوريين وكيفية التعامل مع هذا الملف الحساس بالنسبة لأوروبا.
3. الانتقال السياسي: تولى المعارضة السورية أهمية تغيير النظام السوري وتحقيق انتقال سياسي يختار فيه الشعب السوري رئيسه. في حين لا يولي المجتمع الدولي هذه النقطة أهمية خاصة في ظل المصالح الاستراتيجية للقوى الكبرى مع النظام خاصة روسيا. والواقع أن المفاوضات التي جرت في جنيف لم تبرز أي تقدم سياسي بسبب هذه الاختلافات بين الأطراف الداخلية ورغبة القوى الخارجية في تسيير الأزمة وليس حلها.⁽²⁾ ساهمت كل هذه المعطيات في تعطيل المسار التفاوضي في جنيف لحل سلمي في سوريا والأهم أنها وضعت سورية الدولة والمجتمع والإنسان أمام أزمة عجزت السياسة الدولية عن إيجاد حل لها لما تشهده من علاقات متداخلة متشابكة تجعلها تبدو بمظهر المعقدة. فكل أطراف النزاع في سورية، لديها دعم دولي.⁽³⁾ وفي سنة 2016 تعقدت الأوضاع على الأرض، فالنظام السوري المدعوم روسيا حقق انتصارات على الأرض باستعادة مناطق كانت تابعة للمعارضة، هذه الأخيرة التي بدت في حالة تشطي وفي هذه الظروف توجه المجتمع الدولي إلى محاولة جديدة للمسار التفاوضي. وجاءت جولات أخرى لمؤتمر جنيف ولكن لم تخرج بنتائج ملموسة في الحل السلمي للنزاع السوري بسبب التعنت الداخلي والأجندات والمصالح الخارجية في تسيير النزاع وليس حله نهائياً.

(1) - محمد الطيب حمدان، تسوية الأزمة السورية في ظل التوازنات الإقليمية والدولية قراءة في مؤتمر جنيف 2013، مرجع سابق، ص 373-385.

(1) - Radwan Ziadeh, Syria Peace Talks In Geneva: A Road To Nowhere, Arab Center Washington DC, March 27, 2017, at: <https://arabcenterdc.org/resource/syria-peace-talks-in-geneva-a-road-to-nowhere>. visited on 23/12/2021.

(2) - شاهر إسماعيل الشاهر، المبادرات الدولية لحل الأزمة السورية، المركز العربي الديمقراطي، 21 ديسمبر 2017

(3) - المرجع نفسه.

ظروف انعقاد مؤتمر أستانة

لما اشتدت العمليات العسكرية للأسد وحلفائه على حلب في النصف الثاني من العام 2016 وكانت الإدارة الأمريكية في حالة تراجع من المشهد السوري، كانت فرصة لروسيا بعد الحضور الميداني في سوريا بالعمل على المستوى السياسي والدبلوماسي، فتقدمت تركيا بمبادرة في أواخر 2016 لبناء اتفاق لوقف إطلاق النار يحمي ما تبقى من مدنيين ومن معارضة مسلحة بصفتها وكيل تركيا في سوريا، كما يتيح لها البقاء في رقعة الشطرنج السورية ومنها الشرق أوسطية كلاعب أساسي. توجهت تركيا نحو موسكو فوافقت هذه الأخيرة التي كانت تبحث عن ترجمة لانتصاراتها العسكرية ووقف آلتها العسكرية، ولكن تهميش الطرفين لإيران جعل العملية التفاوضية تتعرض لعدة عراقيل، وتعمدت الميليشيات الإيرانية إظهار ذلك وإيصال رسالة مفادها أنه لا يمكن استبعاد إيران كفاعل عسكري وسياسي من النزاع السوري.⁽¹⁾ على إثر ذلك، أدخلت تركيا وروسيا الجانب الإيراني في المعادلة، وحينها تقرر إنشاء مسار أستانة، لتتطلق الجولة الأولى في جانفي من العام 2017 بأستانا.⁽²⁾ ولأن اختيار مكان المباحثات له أهمية في الدبلوماسية ففي هذا السياق تم اختيار أستانة كمنصة للمفاوضات قصداً، وقد لعبت مسألة التوازن بين المصالح السياسية والاقتصادية بين مختلف الشركاء دوراً رئيسياً.⁽³⁾

تعتبر محادثات الأستانة أقل طموحاً نسبياً تركزت على تحقيق وقف العنف العسكري، بدلاً من صياغة حل سياسي، تحت قيادة روسيا وإيران وتركيا. عقدت هذه المحادثات في أستانا، بكاراخستان وهذه الأخيرة ليس لديها مصالح مباشرة في النزاع كما أنها تتمتع بثقة نظام الأسد وقوات المعارضة، بالإضافة إلى قربها من روسيا. وفي وقت سابق من عام 2015، استضافت جولتين من المحادثات بين جماعات المعارضة السورية.⁽⁴⁾

بدأت محادثات أستانا عندما أثبتت محادثات جنيف أنها غير قادرة على تحقيق الحل السياسي المنشود وظلت متوقفة لمدة عام بسبب مطالبة المعارضة السورية بوقف إطلاق النار ووقف القوات الحكومية والروسية تجاه حلب كشرط مسبق من أجل المشاركة مجدداً في العملية التفاوضية. في حين

(1) - علي حسن باكير، مسار أستانة: الدول الضامنة ومسارات التسوية، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، أوت 2019، ص3.

(2) - أستانا: عاصمة كازاخستان أكبر دولة اقتصادياً في دول آسيا الوسطى التي انفصلت عن الإتحاد السوفييتي

سنة 1991

(3) - Adilkhan Gadelshiyev, op, cit, p6.

(4) - Astana Talks: A Prelude to Peace in Syria, institute for defence studies & analyses, November 2017, p1

استؤنفت محادثات جنيف مجدداً في فيفري 2017 وعرفت عدة جولات.⁽¹⁾

بالرغم من أن الأهداف الأساسية من تأسيس مسار أستانة تتعلق بتثبيت وقف إطلاق النار وتحقيق تقدم باتجاه العمل السياسي بين المعارضة ونظام بشار الأسد السوري إلا أن الدوافع الخاصة بكل دولة من الدول الثلاثة (تركيا وروسيا وإيران) لم تكن واحدة أو موحدة. عندما اتفقت تركيا وروسيا على تأسيس المسار، كانت أنقرة تسعى من خلاله الحد من خسائرها، والحيلولة دون انهيار ما تبقى من المعارضة السورية، والتموضع لمواجهة التهديدات والمخاطر الجديدة وعلى رأسها مشروع ميليشيات حزب الاتحاد الديمقراطي الكردية الذي يهدف إلى الشمال السوري أما روسيا، فكانت تسعى إلى تعزيز سيطرة الأسد وبسط نفوذها في سوريا من خلال تعزيز التقدم العسكري الذي حققته وتحويله لإنجاز سياسي وهو ما كان يتطلب بالضرورة التواصل مع تركيا بصفتها اللاعب الأساسي القادر أن يؤثر على المعارضة. أما إيران كانت لها حسابات أخرى؛ إذ كانت تخشى أن يتم تهميشها وإبعادها عن الاتفاقات السياسية بين الطرفين. بالإضافة على ذلك كانت ترغب في المحافظة على نفوذها في سوريا والعمل على الاستعداد لأي اشتباك مع الولايات المتحدة وإسرائيل في مرحلة ما بعد القضاء على الدولة الإسلامية في العراق والشام.⁽²⁾

بشكل عام دفع مسار أستانة تركيا وروسيا وإيران إلى تبني توافقات عامة لجسر الهوة بين الأجنحة المختلفة لكل منها قدر الإمكان، لكنها لم تلغ الاختلافات القائمة بينهم. غياب الرؤية الواضحة لدى كل هذه الأطراف حول الآلية التي يجب اتباعها والكيفية التي يمكن من خلالها إنجاز الحل السياسي فأخذ كل طرف من هذه الأطراف يعمل على تعزيز موقعه في المعادلة مع البقاء تحت السياق العام لمسار أستانة وقد وظف مسار أستانة لتحقيق أهداف جيوبوليتيكية تخص الأطراف الفاعلة فيه فالأتراك. ولتعزيز دورهم في الملف السوري ولتحقيق توازن بين الدور الأميركي والدور الروسي، والإيرانيون وظفوه لتعزيز الجبهة المناوئة لأمريكا في مواجهة الضغط الأميركي المتزايد على إيران. أما روسيا، فقد وظفته لتعزيز نفوذها في المنطقة إذ إنه زاد من أهميتها في نظر كل من الولايات المتحدة وإسرائيل وبعض الدول العربية -لأسيما الخليجية منها- بوصفها الطرف الوحيد القادر على التواصل مع كل الأطراف في سوريا، وأكسبها ذلك أهمية سياسية أكبر، كما فتح لها فرصاً جديدة لتقوية علاقاتها الاقتصادية والأمنية مع تركيا والدول الخليجية وإسرائيل. أما إيران فهي أقل الدول الثلاث المشاركة والراعية لأستانة استفادة إذ فتحت هذه المسارات فرص لعلاقات روسيا مع تركيا وإسرائيل والولايات المتحدة مما يقلل من الاعتماد الروسي على

⁽¹⁾-Lakshmi Priya, op, cit, p1.

⁽²⁾- علي حسن باكير، مرجع سابق، ص3.

إيران كحليف دائم في سوريا ومنطقة الشرق الأوسط.⁽¹⁾

وعرفت محادثات الأستانة منذ بدايتها في جانفي 2017 سبع جولات ركزت الجولة الأولى من المحادثات على وقف إطلاق النار، وبناء الثقة بين الأطراف مواجهة داعش وجبهة النصرة، وقد حضر هذه الجولة النظام السوري والمعارضة والدول الثلاث الراعية للمحادثات تركيا وروسيا وإيران والمبعوث الخاص للأمم المتحدة ستافان دي مستورا Staffan De Mistura وسفير الولايات المتحدة لدى كازاخستان وأشار البيان الختامي أن الجهود يجب أن يقودها السوريون لتحقيق الأهداف المسطرة.⁽²⁾

وتميزت الجولة الثانية التي عقدت في فيفري 2017 بعدم الثقة بين المعارضة والنظام السوري الذي اتهم تركيا بتقديمها الدعم العسكري للجماعات الإرهابية في الرقة وقاطعت المعارضة الجولة الثالثة في مارس 2017 بعدما اتهمت النظام بخرق وقف إطلاق النار المتفق عليه في ديسمبر 2016. أما الجولة الرابعة التي عقدت في ماي 2017 فكانت تهدف إلى رسم حدود مناطق خفض التصعيد في سوريا وهذا ما رحب به الأسد واعتبرته المعارضة محاولة لتقسيم الشعب السوري داخليا إلى أسس عرقية وطائفية ودينية، وقد وقعت الدول الراعية لمحادثات الأستانة على مذكرة أنشاء مناطق خفض التصعيد في إدلب، اللاذقية، حلب، حماه، حمص، درعا، القنيطرة والغوطة وفشلت المحادثات بسبب انسحاب المعارضة وقصف النظام للمناطق التي تسيطر عليهم المعارضة، ورغم عدم الاتفاق بين الطرفين دخلت المناطق الآمنة حيز التنفيذ رسميا في السادس من ماي 2017 وهذا ما أعطى أهمية لعملية الأستانة.⁽³⁾

استمرت الجولة الخامسة في جويلية 2017 انعقدت خلالها اجتماعات مغلقة لمناقشة مناطق خفض التصعيد، والتنسيق من أجل بناء الثقة والسادسة في منتصف سبتمبر 2017 حيث تم التوقيع على خمس وثائق متعلقة بالقضايا العملية على الأرض بحضور طرفي النزاع الداخليين النظام والمعارضة والدول الراعية. وحضر الجولة السابعة من المحادثات التي عقدت في أكتوبر ممثلين عن تركيا وروسيا وإيران ومسؤول في الأمم المتحدة ولم يشارك المبعوث الخاص للأمم المتحدة "ستافان دي مستورا" في هذه الجولة والتي نصت على تعزيز تدابير بناء الثقة مثل إطلاق الرهائن وتسهيل وصول المساعدات الإنسانية، وتقرر عقد مؤتمر الحوار الوطني الذي يسعى لتوسيع نطاق مشاركة المجتمع المدني في سوتشي في نوفمبر وشاركت الحكومة في المؤتمر ولكن طلب توسيع المشاركة للمجموعات العرقية

(1)-علي حسن باكير، مرجع سابق، ص ص 4.5.

(2)- Lakshmi Priya, op, cit, p3.

(3)-I, Lakshmi Priya, op, cit pp6.7.

المختلفة أدى إلى انقسام المعارضة.⁽¹⁾

ساعدت محادثات أستانا على إحياء عملية جنيف التي ظلت متوقفة أكثر من عام، كما نالت هذه المحادثات التي تقودها روسيا دعماً أمريكياً، والنتائج الملموسة لمحادثات أستانا هي وقف إطلاق النار ومناطق خفض التصعيد.

مؤتمر الحوار الوطني السوري:

انعقد مؤتمر الحوار الوطني السوري في الثامن والعشرين من جانفي 2018 في سوتشي الروسية، ولكن بمقاطعة قوى المعارضة السورية والتي اشترطت وقف قصف إدلب لحضور المؤتمر، والقضايا المسطرة الحل السياسي والعسكري في سوريا ومحاربة الجماعات الإرهاب.

جاء في البيان الختامي للمؤتمر الذي تضمن اثنا عشر بندا تمثل نفس المبادئ التي قدمها المبعوث الأممي ستافان دي مستورا في الجولة الثامنة من مؤتمر جنيف التي انعقدت في 28 نوفمبر 2017، واعتبرها دي مستورا فرصة ذهبية ضائعة للحل السياسي في سوريا حيث رفض الطرفان عقد اجتماعات مباشرة. ولقد أعلنت أغلب الفصائل السورية المسلحة في نهاية ديسمبر 2018 رفضها لمؤتمر سوتشي متهمة روسيا بالسعي للإلتفاف على مسار جنيف، ونفس الشيء بالنسبة للقيادة الكردية التي رفضت المؤتمر بسبب هجومات النظام السوري على المناطق الكردية.⁽²⁾

إن قراءة متمعنة لمسارات المبادرات والمحادثات الدولية من أجل التوصل لتسوية سلمية للنزاع السوري منذ سنة 2011 بداية بمؤتمر جنيف وجولاته الثمانية ومؤتمر أستانا وسوتشي تبين أن مفاوضات جنيف كانت برعاية أمريكية أوربية أممية وكان الضغط على نظام الأسد من أجل التتحي والحديث عن مرحلة انتقالية دون الأسد، ولكن تغير الموازين على الأرض ودخول روسيا على خط الصراع العسكري منذ سنة 2015 جعل النظام السوري يفاوض من موقع قوة ودخل أستانا وسوتشي وهو الطرف الأقوى والمعارضة في حالة انقسام وتشردم، واستمرت حركات المد والجزر بين الأطراف الداخلية بسبب تجاذبات الأطراف الخارجية ومحاولة منها لتسيير الوضع والمفاوضات وفقا تقتضيه مصلحتها الجيوبوليتيكية، وهذا ما انعكس على تأزيم النزاع وزيادة حدته دون الوصول لحل يحفظ وحدة الأرض والشعب السوري.

⁽¹⁾-Lakshmi Priya, op cit, pp8.9.

⁽²⁾- مؤتمر سوتشي ينطلق اليوم وقوى الثورة السورية تقاطعه، 28.01.2018، من الموقع:

تمت زيارة الموقع يوم 29/12/2021 <https://www.aljazeera.net/news/arabic>

المبحث الثالث: التنافس الإقليمي في سوريا

"التحالف السوري لسوريين وعندما تكون هناك أيادي إقليمية تتدخل في اتخاذ القرارات داخل الوطن يعني أن الشعب في الداخل فقد قدرته على تقرير مصيره بنفسه". معاذ الخطيب الرئيس الأسبق للائتلاف الوطني السوري لقوى الثورة والمعارضة في حديث للجزيرة الدولية 11 ماي 2013.⁽¹⁾

إن الانتفاضة السورية المطالبة بإصلاحات عميقة للنظام السوري، وتحقيق العدالة الاجتماعية كغيرها من الثورات العربية التي عرفت عدداً من الدول بداية العقد الثاني من الألفية الثالثة فيما عرف بالربيع العربي كتعبير شعبي عن الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المتدهور، أخذت أبعاداً متعددة وتحولت من انتفاضة شعبية داخلية إلى نزاع دولي متعدد الأطراف، وذلك في سياق التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى بحثاً عن السيطرة على المناطق المفتاحية والمحورية للسيطرة العالمية في حديث عن عودة جيوبوليتيكا الحرب الباردة، ولكن في ظروف دولية مختلفة، ولأن سوريا تقع بالقرب من تركيا وإيران وتربط الدول الخليجية بمنطقة الهلال الخصيب فإنها كانت محل تنافس إقليمي محموم أزم الوضع وتجاوز عامه العاشر دون رؤية واضحة لمستقبل سوريا الأرض والإنسان. والسياس الإقليمي للنزاع السوري معقد ولا يقل أهمية على الوضع الداخلي، لأنه يعكس تنافساً جيوبوليتيكا ثلاثياً للهيمنة بين القوى الإقليمية الفاعلة في المنطقة - المملكة العربية السعودية وإيران وتركيا - ولكل دولة توجهات إيديولوجية وجيوبوليتيكية متعارضة مع الأخرى.

المطلب الأول: التنافس الإيراني التركي في سوريا

تميز تاريخ إيران وتركيا - وهما من القوتين الإقليميتين الأبرز في منطقة الشرق الأوسط - بسنوات من التنافس الذي لا يزال قائماً لغاية اليوم حيث تسعى الدولتين إلى تشكيل المنطقة وفقاً لرؤيتهما الاستراتيجية، ولكن هذا لا يلغي العلاقات التعاونية خلال العقد الماضي، حيث حفزت عدد من العوامل الدولتين على تعزيز علاقاتهما الاقتصادية الثنائية، لا سيما رغبة طهران في الحصول على شريك تجاري موثوق به، وصراع إيران للتغلب على العقوبات الاقتصادية التي تفرضها الدول الغربية، وحاجة أنقرة

⁽¹⁾- Christopher Phillips , **THE BATTLE FOR SYRIA** International Rivalry In The New Middle East, (New Haven And London: Yale University Press,2016),p105.

للوصول إلى موارد الطاقة الإيرانية. وقد تزايدت نسبة التجارة الثنائية خلال الفترة من 2000 إلى 2011 من 1 مليار دولار إلى 16 مليار دولار وزيادة عدد الشركات الإيرانية التي تتخذ من تركيا مقراً لها⁽¹⁾.

لكن الأوضاع تغيرت بعد موجات الربيع العربي التي عصفت بالعديد من الدول العربية واستقرت في سوريا وطال أمدها إلى أن تحولت إلى نزاع مسلح متعدد الأطراف وهذا بسبب الاختلاف الإيديولوجي والصدام الجيوپوليتيكي في المجال الحيوي المشترك وهو منطقة الشرق الأوسط.

فالنسبة لإيران لقد سبق التدخّل الإيراني في سوريا عملٌ دؤوب على تشكيل نفوذ لإيران فيها، وعلى الرغم من أن الاستراتيجية التي اتبعت آنذاك لتشكيل مثل هذا النفوذ طرأ عليها تعديلات عديدة بعد اندلاع ثورات الربيع العربي في سوريا، فإنّ الهدف النهائي لها يبقى هو ذاته، وهو تأمين نفوذ إيراني راسخ ممتد إلى البحر المتوسط يقطع المحور السني التركي السعودي ويحول إيران إلى قوة إقليمية متحكمة بالمنطقة.⁽²⁾

كان تنفيذ الاستراتيجية الإيرانية في سوريا قبل 2011 يقوم أولاً على تأمين الممرات البرية من طهران إلى بيروت مروراً بالعراق وسوريا من خلال تركيز التشييع في هذه الممرات لإحداث تغيير ديموغرافي مذهبي سريع، مع بقاء عملية التشييع في المناطق الأخرى مستمرة باهتمام وتركيز أقل، فهذا الاستمرار سيتحقق بصرف النظر عن المسعى الإيراني في التركيز على الممرات، وسيساعد مع الزمن على تحقيق تغيير ديموغرافي جزئي في سوريا يمكن أن يكون له تأثير سياسي فعال لاحقاً.⁽³⁾

كما يعتمد تنفيذ الاستراتيجية الإيرانية على أساس الاعتماد على الأقلية الشيعية الصغيرة الموالية لولاية الفقيه في إيران بالإضافة إلى العلويين المنتشيعين من تيار الموالين لإيران من تيار "عودة الفرع لأصله" للوصول إلى عمق مؤسسات الدولة ومواقع صنع القرار، وبشكل خاص في المؤسسات الحكومية السيادية، كالجيش وأجهزة الأمن والاقتصاد والتعليم إلى أن إحداث تغيير ديموغرافي كبير في سوريا لخلق وجود شيعي جديد في وقت قصير ليس بالأمر السهل، ويمكن أن يكلف جهداً هائلاً ويحتاج إلى وقت طويل للغاية وذلك أن الديموغرافيا السكانية السورية تختلف كلياً عن لبنان والعراق واليمن والبحرين، فالأكثرية سنّية وتكاد تكون الأقلية الشيعية معدومة، إلى درجة أن معظم الدراسات عن سوريا قبل الألفية

⁽¹⁾- Farhad Rezaei, Iran-Turkey: From Economic Partnership to Regional Rivalry, *The Journal for Interdisciplinary Middle Eastern Studies* Vol. 1, Fall 2017, pp59/78

⁽²⁾- عبد الرحمن الحاج، مرجع سابق، ص 78.

⁽³⁾- المرجع نفسه، ص ص 78.

الثانية لا تذكرهم في التّسبب السكانية والثاني -وهو محصلة الأول- أنه لا يوجد في مواقع القرار في أجهزة الدولة شيعة سوريون بحيث يمكن أن يكونوا المنفذين المحليين للمشروع.⁽¹⁾

لكن ما شهدته سوريا من انزلاق أمني رهيب وهشاشة أمنية منذ الانتفاضة السورية ساعد إيران على توسيع تدخلها، وحرقت مراحل في تنفيذ استراتيجيتهم لبقاء قوي ومؤثر وطويل الأمد، فقد انتقلت من الإعتماد على الجيوپوليتيك الشيعي إلى الإعتماد على القوة العسكرية والأمنية، عبر بناء شبكة قواعد عسكرية وتوطين المقاتلين الأجانب، وعبر بناء وجود محليّ كأمر واقع من خلال الجيوب الشيعية الناشئة والمليشيات المحلية المتشعبة، وتتكفل عمليات القصف والتجهيز والاتفاقيات المحلية بتسهيل التغيير الديموغرافي وإعادة رسم الخارطة الاجتماعية والمذهبية للمجتمع السوري حسب الرؤية الإيرانية. وهذا بالاستناد إلى السيطرة الفعلية والمباشرة على مواقع القرار في مؤسسات الدولة السيادية الجيش والأمن ومن خلالهما إلى باقي المؤسسات وإلى المديونية السياسية والمالية لإيران التي أنقذت نظام الأسد من السقوط عام 2013. فقلدت تدخلت إيران فعليا في مارس 2013 للوقوف إلى جانب الأسد وتبنت استراتيجية عسكرية وسياسية لحماية النظام السوري من الانهيار، وذلك عبر تشكيل مليشيات محلية غير نظامية باستشارة خبراء من الحرس الثوري ومليشيات شيعية متعددة الجنسيات مكونة من مرتزقة وعناصر من حزب الله، كما أن أغلب المتجنسين كانوا أفغانيين وعراقيين وإيرانيين.⁽²⁾ وفي هذا الصدد قال بشار الأسد في كلمة ألقاها في 26 جويلية 2015 "إن الوطن ليس لمن يسكن فيه أو يجمل جنسيته وجواز سفره بل يدافع عنه ويحميه"⁽³⁾

لم تُخفِ إيران دعمها ووقوفها المباشر مع النظام السوري منذ بداية الانتفاضة في سوريا، مما وفر له الدعم الاقتصادي والعسكري والسياسي على الرغم من التكاليف المترتبة في الداخل والخارج أثناء النزاع وقد ساعد التدخل العسكري الروسي في سوريا ابتداء من سبتمبر 2015 في تحقيق انتصار على الأرض لصالح النظام السوري بدعم إيران وحزب الله، وقد أثبتت إيران أنها حليف موثوق بالنسبة لبشار الأسد وشريك عسكري فعال للأسد والجيش الروسي. ومنح التواجد البري المتزايد لإيران في على مدى العقد الماضي في العراق وسوريا ولبنان نفوذاً كبيراً على توازن القوى في الشرق الأوسط. وهذا النفوذ المتنامي

(1) - عبد الرحمن الحاج، مرجع سابق، ص 78.

(2) - المرجع نفسه، ص 79.

(3) - كلمة الرئيس بشار الأسد، الجمهورية العربية السورية وزارة الخارجية والمغتربين، 26.07.2015، من الموقع: <http://mofaex.gov.sy/ar> تم تصفح الموقع يوم 06.01.2022.

يتعارض مع منافسيها الإقليميين في المنطقة، وقد أصبح مصدر قلق للحكومات الأوروبية التي تعد شريكة طويلة الأمد لخصوم إيران الإقليميين (المملكة العربية السعودية وإسرائيل).⁽¹⁾

تركيا: دفع "الربيع العربي" تركيا إلى إعادة النظر في نهجها الإقليمي، ولكن هذا لا يعني مراجعة شاملة لعقيدة العمق الاستراتيجي، التي صاغها مهندس السياسة الخارجية التركية أحمد داوود أوغلو،⁽²⁾ مع ذلك تم التخلي عن بعض المبادئ، وخاصة سياسة "تصغير المشاكل مع الجيران" من أجل تحقيق استراتيجية أكثر طموحًا. وقد ادعت تركيا أنها تريد أن تقود عملية الديمقراطية في منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط. واعتبرت المؤسسة السياسية في البلاد أن "النموذج التركي" للديمقراطية والتحديث سوف ينتشر في جميع أنحاء المنطقة ويجعل الشرق الأوسط أكثر استقرارًا وأمنًا وسلمًا.⁽³⁾

كانت تركيا ترى في علاقاتها مع سوريا قبل 2011 نجاحا كبيرا للسياسة الخارجية التركية، لكن عندما بدأت الانتفاضة الشعبية في مارس 2011، وجدت تركيا نفسها في موقف حرج. فمن ناحية أرادت الحفاظ على المكاسب الاقتصادية والسياسية التي تم الحصول عليها في السنوات السابقة مع "صفر مشاكل مع الجيران" ومن ناحية أخرى، فإن وقوف تركيا مع نظام دكتاتوري في وجه التظاهرات الشعبية المطالبة بالإصلاحات السياسية والاجتماعية من شأنه أن يؤثر على هيبة الدولة في مواجهة الرأي العام العربي. فكان رد فعل تركيا المبكر على الانتفاضة هو محاولة إقناع دمشق بتلبية مطالب الشعب، وتقديم النصح للنظام السوري، ولكن لما تطورت الأحداث بسرعة وتحولت الانتفاضة إلى نزاع مسلح غيرت تركيا نهجها وكانت من الدول الداعمة للمعارضة السورية، وبدأت حكومتها في استضافة وتسليح أعضاء المعارضة المسلحة، وعلى وجه الخصوص جماعة الإخوان المسلمين كان هذا التحول الاستراتيجي اعترافًا ضمنيًا، بأن افتراض تركيا أن لها أي تأثير على الأسد كان في غير محله⁽⁴⁾.

⁽¹⁾-Ellie Geranmayeh, Regional Geopolitical Rivalries in the Middle East: Implications for Europe, IAI PAPERS 18, istituto affari internazionali,30 octobre2018,pp4.5.

⁽²⁾- أحمد داوود أوغلو: سياسي تركي وخبير في العلاقات الدولية وسفير ورئيس وزراء تركيا والرئيس الثاني لحزب العدالة والتنمية في الفترة ما بين 2014-2016 ومهندس السياسة الخارجية التركية للاطلاع أكثر حول العمق الاستراتيجي لتركيا اطلع: أحمد داوود أوغلو، العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم، 2010.

⁽³⁾- Francesco D'Alema, The Evolution of Turkey's Syria Policy, IAI working papers 17 , istituto affari internazionali, 28 - october 2017,p6.

⁽⁴⁾- Ibid,p7.

ولأن تركيا تنتهج كأي قوة إقليمية كبرى طامحة للسيطرة في المجال الجغرافي الإقليمي فإنها رأت الوقوف بجانب المعارضة السورية لحماية لمصالحها ولأمنها القومي بحكم القرب الجغرافي. وقد خرجت تركيا من فكرة أنها صديقة الجميع، وحسنت أمرها بالوقوف إلى جانب المعارضة والمضي قدما لتقديم الدعم اللامشروط لها خاصة عسكريا، وهذا ما سرّع في عسكرة النزاع السوري ودخوله المستوى الثاني وهو المستوى الإقليمي.⁽¹⁾

و من أسباب دعم تركيا للمعارضة السورية ما يلي:

✓ السلوك السوري تجاه مشكلة الأكراد وهذا ما جعل صانع القرار التركي يبني صورة نمطية حول سلوك القيادة السورية من خلال التطورات التاريخية للعلاقات الثنائية السورية، واعتبرت تركيا سوريا من الدول التي تسعى لتقويض استقرارها من خلال الدعم العسكري واللوجستي لحزب العمال الكردستاني، والذي كان يستخدم الأراضي السورية كقاعدة خلفية لضرب العمق التركي منه قررت تركيا الرد على النظام السوري عن طريق دعم المعارضة المسلحة.

✓ اختلاف الطرفين في العلاقة مع إسرائيل، فتركيا تعتبر علاقتها مع إسرائيل سيادية ولا تمس أمن أي دولة عربية وسوريا تحديدا في حين سوريا تعتبر علاقة تركيا مع إسرائيل تهديدا لأنها القومي.

✓ طبيعة الحكومة والسلطة التركية ذات الانتماء الإسلامي المحسوب على الإخوان المسلمين، حيث كان هذا الانتماء المذهبي هو الدافع للتضامن مع إخوان سوريا وتقديم الدعم العسكري لهم.⁽²⁾

وقد تدخلت تركيا في سوريا منذ 2011 سياسيا ودبلوماسيا وحتى عسكريا، وقد اختلف التدخل التركي في سوريا عبر سنوات النزاع، ولم يكن إسقاط بشار الأسد هو الهدف الأساسي لتركيا بل أيضا إنشاء حزام أمني على طول الحدود الشمالية، وكانت حلب من أهم المدن التي ركزت عليها تركيا وذلك لأنها تشكل الثقل السني، وقامت تركيا بإرسال حلفائها من المعارضة المسلحة من الأرياف الجنوبية لحب للمشاركة في الهجوم الكبير في جوان 2012 الذي كان بداية لمعركة حلب بين النظام والمعارضة. كما قامت تركيا بفتح الحدود للمعارضة المعتدلة والمتطرفة، وقد ارتبط التفاعل التركي في النزاع السوري بثلاث متغيرات

- الواقع الميداني السوري وتطوراته

(1) - محمد الطيب حمدان، تسوية الأزمة السورية في ظل التوازنات الإقليمية والدولية قراءة في مؤتمر جنيف 2 و3، ص 357.

(2) - المرجع نفسه، ص 357.358.

- المشهد السياسي الداخلي في تركيا

- مواقف القوى الكبرى من النزاع.

تبرر تركيا تدخلها في سوريا أنه جاء متأخرا مقارنة بحلفاء دمشق، وأنها استنفذت كل ما لديها من محاولات سياسية، لكن تتبع كرونولوجيا تحول الموقف التركي يبين أن مدة النصح من طرف القيادة التركية للقيادة السورية لم تدم إلا شهرا، فقد بدأت الانتفاضة الشعبية في 15 مارس 2011 وأن أول اجتماع للمعارضة السورية الذي رعته تركيا في اسطنبول انعقد في 26 أبريل 2011، كما أن تصريح داوود أوغلو في 15 أوت 2011 بأن الحديث مع النظام السوري انتهى كان خاتمة التواصل السياسي التركي مع دمشق.⁽¹⁾

تجلى التفاعل التركي في النزاع السوري من خلال:

- اتباع سياسة الباب المفتوح تجاه اللاجئين السوريين بما فيهم المعارضين السياسيين والمسلحين

- السماح للمعارضة بتأسيس مكتبها السياسي مثل مكتب المجلس الوطني السوري والذي أصبح

اسمه فيما بعد الائتلاف الوطني لقوى المعارضة السورية.

- شن حروب إعلامية على النظام السوري ووصفه بالعديد من الأوصاف مثل (الشبيحة، مجرم

الحرب..)

- عمل تركيا على تكثيف الجهود الدولية لعزل الأسد

- دعم المقاتلين وتدريبهم وتسليحهم ولمحاربة الجيش السوري.

- لعب تركيا دور دولة ممر لوصول المساعدات الغذائية والطبية من الدول المانحة للجماعات

المسلحة

- دعم الجماعات المسلحة والجيش الحر الذي كانت انطلاقة من تركيا كما وضعنا سابقا.⁽²⁾

(1) - جلال سلمي، السياسة التركية حيال الأزمة السورية "2011 . 2017، المركز الديمقراطي العربي، 23 جويلية 2017،

من الموقع: <https://democraticac.de/?p=47298>

(2) - محمد الطيب حمدان، ، تسوية الأزمة السورية في ظل التوازنات الإقليمية والدولية قراءة في مؤتمر جنيف 2 و3، مرجع سابق، ص361.

إن ما عرفته سوريا ابتداءً من مارس 2011 وإلى غاية كتابة هذا البحث هو المجال الجغرافي المناسب لإظهار التنافس الجيوبوليتيكي الإقليمي المحموم بين إيران وتركيا في أوج تجلياته الدبلوماسية والعسكرية والسياسية، وإن كان الغطاء الديني والمذهبي هو الواجهة الشكلية إلا أن صراع المصالح وتضارب الحسابات الجيوبوليتيكية في الرقعة الشطرنية الأوسطية هو الدافع وراء التحركات الإيرانية والتركية.

تصاعدت التوترات الدبلوماسية بين تركيا وإيران حيث بدأ البلدان تبادل الاتهامات بشأن دور كل منهما في النزاع السوري. استدعت إيران السفير التركي في طهران في 20 فيفري 2017 بسبب تصريحات أدلى بها وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو والرئيس رجب طيب أردوغان يتهمان الجمهورية الإسلامية الإيرانية بزعزعة استقرار المنطقة.

تعتبر تركيا الدولة ذات الأغلبية السنية، وإيران الشيعة على طرفي نقيض من النزاع في سوريا، حيث تسعى أنقرة للإطاحة بالرئيس بشار الأسد، بينما تعد طهران إلى جانب روسيا، الداعم الرئيسي له. ولقد انتقد وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو إيران في خطاب ألقاه أمام مؤتمر ميونيخ للأمن في 19 فيفري 2017، قائلاً إن بعض أفعالها قوضت الأمن في المنطقة وحث طهران على تعزيز الاستقرار. وفي زيارة للبحرين في 14 فيفري 2017، كان أردوغان قد اتهم إيران سابقاً بالترويج لـ "القومية الفارسية" التي كانت تلحق الضرر بالشرق الأوسط بقوله: "هناك قومية فارسية هنا علينا منع ذلك لا يمكننا مشاهدة هذا الظلم فقط".⁽¹⁾

كانت الحكومة التركية من أشد المنتقدين للأسد منذ بدء الانتفاضة في سوريا حيث قال الرئيس أردوغان إنه من المستحيل على السوريين قبول ديكتاتور تسبب في مقتل ما يصل إلى 350 ألف شخص، كما أن تركيا هي أيضاً داعم رئيسي للمعارضة السورية، وكان عليها أن تقبل عبء استضافة ما يقرب من مليوني لاجئ. بالإضافة إلى ذلك وافقت تركيا على السماح للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد داعش باستخدام قواعدها الجوية لشن ضربات في سوريا، بعد الهجوم الذي قامت به داعش في جويلية 2015.

أما إيران فقد كانت لها علاقات وثيقة مع نظام النظام السوري قبل الانتفاضة، ولما لحقت شرارة الربيع العربي إلى سوريا في شكل انتفاضة شعبية وتحولت بسرعة لنزاع متعدد الأطراف، هذا النزاع الذي

(1) - Farhad Rezaei, op,cit,pp59.78.

رفع العلاقات الثنائية إلى مستوى أعلى، وكانت فكرة أن إيران بحاجة إلى عمق استراتيجي فكرة شائعة لدى الحرس الثوري وذرعه الدولي فيلق القدس الذي ينخرط في تصدير الثورة. في هذا الصدد كتب حسن عباسي، رئيس مركز التحليل العقائدي بلا حدود، وهو مركز أبحاث تابع للحرس الثوري، كتب عن استراتيجية تصدير الثورة وجادل بأن الجمهورية الإسلامية لا يمكن أن تكون آمنة ما لم تقنع الدول الإسلامية الأخرى أخذ طريق الثورة الإسلامية.⁽¹⁾ "إذا بقينا وحدنا سنكون دائماً في خطر. سيكون نظامنا أيضاً في خطر إذا سلكت معظم الدول الإسلامية طريق الديمقراطية على النمط الغربي"⁽²⁾

بحسب عقيدة الحرس الثوري، فإن مهمة إيران تسمح لها بالتغلب على القواعد الغربية للحدود وسيادة الدولة التي وصفها عباسي بأنها اختراع استعماري نتيجة لذلك، بعد وقت قصير من تأسيسه عام 1979، أنشأ الحرس الثوري فيلق القدس، فرع العمليات الدولية.

جعل نظام الأسد سوريا متاحة كجسر بري وجوي لنقل الأسلحة والذخائر إلى "البؤرة الثورية" الإيرانية في لبنان. كما أن إيران تتخوف من تأسيس نظام جديد في سوريا يهيمن عليه السنة بدعم من المملكة العربية السعودية الذي لن يؤدي فقط إلى إنهاء امتيازات العبور، وبالتالي تقويض قدرة حزب الله على البقاء، بل كان من الممكن أن يجلب أعداء النظام إلى حدود إيران، ولهذا قرر الحرس الثوري للتدخل بالقوة في النزاع السوري. على الرغم من أن حكومة حسن روحاني كانت مترددة في الموافقة على ما اعتبرته مغامرة محفوفة بالمخاطر سياسياً ومكلفة اقتصادياً، فإن المرشد الأعلى وقف إلى جانب الحرس الثوري.⁽³⁾

شاركت إيران بحوالي 8000 إلى 10000 مقاتل من الحرس الثوري في الحرب النزاع السوري التي فقدت فيها إيران أكثر من 1000 مقاتل، بما في ذلك 18 من كبار القيادات في الحرس الثوري بالإضافة إلى الخسائر البشرية في صفوف حزب الله الذراع الأيمن لإيران في المنطقة، كما أن إيران تدفع أيضاً تكلفة مالية عالية لتدخلها في سوريا، وكشف معهد الدفاع عن الديمقراطية الأميركي عن تكبد ميليشيات

⁽¹⁾- Farhad Rezaei, **Iran-Turkey: From Economic Partner ship to Regional Rivalry**, *The Journal for Interdisciplinary Middle Eastern Studies* Vol. 1, Fall 2017), pp59/78.

⁽²⁾- Amir Taheri, "Iran's deadly exports," *New York Post*, April 6, 2011, www.nypost.com/2011/04/06/irans-deadly-exports/ (accessed: january 08, 2022).

⁽³⁾- Farhad Rezaei, op,cit,pp59.78.

إيران وحزب الله خسائر فادحة في عناصرها جراء المواجهات المسلحة مع الفصائل السورية المعارضة كما أنفقت إيران ما بين 15 إلى 20 مليار دولار على المشروع منذ 2011.⁽¹⁾

تجلت أهمية سوريا بالنسبة لإيران عندما نشر الحرس الثوري لواء صابرين⁽²⁾؛ وهي قوة خاصة على غرار نخبة القوات الجوية البريطانية الخاصة تحت قيادة العميد أمان الله قشتسبي.

ومع سقوط حلب وتقلص المناطق الأخرى التي تسيطر عليها المعارضة، وهذا ما أعطى لإيران فرصة للاستثمار السياسي والعسكري في سوريا. يبدو أن الاستثمار الإيراني قد أتى بنتائج بشكل جيد لدرجة أن النظام الإيراني يحول سوريا إلى محمية جديدة. ووفقاً للقانون الدولي يمكن لدولة قوية بحماية دولة ضعيفة مقابل الحصول على امتيازات سياسية واقتصادية واستراتيجية معينة، إذ تتمكن سوريا من الحماية على وحدة أراضيها وحدودها في حين تخضع سياستها الخارجية وأجهزتها الأمنية لسيطرة إيرانية كبيرة. وقد تحصلت إيران على بعض عناصر ما يسمى "المحمية الجديدة"⁽³⁾ في سوريا من خلال المنشآت البحرية لأسطولها في اللاذقية - بقيادة قائد سليمانى وبعد مقتله من طرف القوات الأمريكية خلفه إسماعيل قاني - لتطوير خطط لاستخدام القواعد السورية لتدريب جيش التحرير الشيعي المعلن عنه في أوت 2016 والمتكون من متطوعين شيعية من جميع أنحاء العالم، وكذلك تبنى سليمانى إنشاء حزب الله السوري للمركز في مرتفعات الجولان.⁽⁴⁾

ويأتي التحالف الإيراني - السوري على رأس أولويات مشروع إيران الإقليمي، فعن طريقه تمكنت طهران في العقد الأخير من ربط سلسلة جغرافية متصلة من النفوذ الإقليمي تبدأ من غرب إيران مروراً بالعراق وصولاً إلى سوريا، التي تنظم سلسلة هذا النفوذ وصولاً إلى منتهاه الجغرافي في جنوب لبنان.

(1)- Farhad Rezaei, Iran Seeks Neo-Protectorate in Syria,atlantic council,iran council,july11,2017 , <https://www.atlanticcouncil.org/blogs/iransource/iran-seeks-neo-protectorate-in-syria>, (accessed: january 08, 2022).

(2)- لواء الصابرين: تعد كتيبة لواء الصابرين، من القوات الخاصة عالية التسليح، التي تتبع الحرس الثوري، ولكن تتخذ أوامرهما من خامنئي، وتمتع بأنظمة حماية وتدريب محترف؛ من أجل حماية أهم شخصية في إيران. وكذلك يدين عناصر «لواء الصابرين» بالولاء التام والطاعة الكاملة لـ«خامنئي»، ويتم اختيارهم عقب اختبارات أمنية دقيقة؛ لتنفيذ مهمة وحيدة وهي حماية المرشد الأعلى لمعلومات أكثر اطلع: علي رجب، لواء الصابرين.. دلائل الخروج الأول لـ«خامنئي» من إيران،

المرجع، دراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، من الموقع <https://www.almarjie-paris.com/3310>

(3)- المحمية الجديدة: وهي حماية دولة قوية لدولة ضعيفة من أجل المحافظة على سيادتها لكن يصبح قرارها الخارجي مرهون للدوة القوية، وحاولت إيران التأسيس لنظام محمية جديفة في سوريا لمعلومات أكثر اطلع:

Farhad Rezaei, Iran Seeks Neo-Protectorate in Syria atlantic council,iran council,op,cit.

(4)- Farhad Rezaei, Iran Seeks Neo-Protectorate in Syria,op,cit

وهذه الإطالة الأخيرة هي إحدى الأوراق المهمة لإيران لفرض حضورها الإقليمي سواء بحدود تماس مباشر مع إسرائيل، أو بضغط معنوي كبير على الدول العربية الرئيسية، خصوصاً في ظل تعثر عملية التسوية السياسية للصراع العربي - الإسرائيلي. ويستمد هذا التحالف خصوصيته أيضاً من كونه الرافعة الأساسية لتنفيذ إيران الإقليمي. لكل هذه الأسباب لا تبدو إيران في وارد التسليم بخسارة النظام السوري، نظراً للعوامل السابقة.⁽¹⁾

ونفس الشيء بالنسبة لتركيا التي تملك على الناحية المقابلة مدخلاً جغرافياً إلى المنطقة العربية يتمثل في العراق وسورية، ولهذا ونظراً للتنافس الجيوبوليتيكي الإقليمي مع إيران على المجال الشرق أوسطي لا تزال سياسة تركيا الخارجية والأمنية في التعاطي مع النزاع السوري تخضع لتغييرات جوهرية منذ اندلاع الانتفاضة السورية الشعبية في العام 2011، فمع البداية كانت الاستراتيجية التركية تهدف إلى احتواء الوضع في سوريا، عن طريق إقناع الأسد بالإصلاحات، ولكن سرعة تطور الأحداث وعدم الوصول إلى نتائج ملموسة تدخلت تركيا على النزاع عن طريق اتباع استراتيجية القيادة من الخلف؛ وذلك بدعم المعارضة السورية سياسياً وعسكرياً، وقد حققت تركيا خلال هذه المرحلة تقدماً لصالح المعارضة سواء على المستوى السياسي أو العسكري إلا أنها أخفقت في تحقيق هدفها الاستراتيجي المتمثل في الإطاحة بنظام الأسد، ومن ثمة انخرطت تركيا عسكرياً على الأرض في سوريا وأطلقت أنقرة عملية "درع الفرات" في 24 أوت 2016.²

تدخلت تركيا عسكرياً في النزاع السوري، وكان قد أعلن حينذاك الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان" أن العملية تهدف؛ لوضع حد للهجمات المتكررة على المناطق الحدودية مع سوريا، موضحاً أنها تستهدف تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" وحزب الإتحاد الديمقراطي الكردي في شمال سوريا ويتمثل التدخل التركي في غطاء جوي وقصف بالمدركات وقوات خاصة، هذا بالإضافة لغطاء جوي أيضاً من التحالف الدولي، بينما الفاعل الرئيسي للقوات على الأرض، تتمثل في المعارضة المسلحة المعتدلة "الجيش السوري الحر"⁽³⁾، ثم أتبعها بعملية "غصن الزيتون" لإجهاض تهديد حزب العمال الكردستاني لتركيا، وأدى هذا التوجه الجديد في سياسة أنقرة الخارجية والأمنية إلى تغيير في علاقاتها مع كل من

(1) - مصطفى اللباد، الصراع التركي الإيراني على سوريا والفرغ العربي، بدايات، العددان 3 و4، خريف 2012، شتاء 2013، <https://bidayatmag.com/node/213> .

(2) - طارق دياب، عملية درع الفرات في مرحلتها الثالثة، تقارير سياسية، المعهد المصري للدراسات، 2016/12/5، ص 1

(3) - المرجع نفسه، ص 1.

روسيا والولايات المتحدة الأمريكية. وحاولت تركيا في هذه المرحلة صياغة أسلوب جديد في التعامل مع كل من موسكو وواشنطن بما يحقق مصالحها الجيوبوليتيكية في سوريا على المديين القريب والبعيد.⁽¹⁾

للتنافس الجيوبوليتيكي بين تركيا وإيران - منذ خمسة قرون وحتى الآن - سيرورة تاريخية، يغذيها ويستدعيها ذاك الفراغ العربي الضارب أطنايه في المنطقة، إذ يبين النظر في هذه المعطيات ومقايستها على الواقع الراهن إلى أن أسباب النزاع بين كل من تركيا وإيران على المنطقة متحققة بشدة في المرحلة الراهنة. وبدورها تلعب مركزية الجغرافيا السورية في الشرق الأوسط دورها الكبير في إشعال الصراع الإقليمي، لأن السيطرة على سورية - كما تدلنا نظريات الجيوبوليتيكا هي بوابة التحكم في منطقة الشرق الأوسط التي تعتبر رقعة شطرنجية جيوبوليتيكية على المستوى الإقليمي، وجزء من الأرض الهامشية المحيطة بمنطقة القلب الأرضي heart land محور السيطرة العالمية.

يشير الوضع الراهن إلى صراع مصالح جيوبوليتيكية إيراني - تركي على سورية وعلى القيادة الإقليمية، إذ يملك كلا البلدين نظرياً أفضل الفرص للانخراط في النظام الإقليمي قيد التشكل. تتجه جيوبوليتيكا إيران تاريخياً إلى التمدد نحو الغرب، أي العراق وبلاد الشام نزولاً إلى مصر في أقصى تمددها. فضلاً عن نفوذها في الخليج العربي، الذي كان منذ خمسة قرون على الأقل ساحة لتمدد نفوذها الإقليمي. وفي المقابل تميل جيوبوليتيكا تركيا وتاريخ نفوذها إلى التوسع في اتجاهين، الأول نحو الغرب، أي البلقان وأوروبا، والثاني نحو الجنوب أي سورية ومصر.⁽²⁾ ونلاحظ هنا أن هذه الطموحات الإقليمية لكليهما تتأتى من دراسات جيوبوليتيكية تقوم على التوسع لتحقيق رغبات الدولة عندما تصبح الدولة غير قادرة على تلبية حاجاتها الأساسية في إطار حدودها الجغرافية، فتصبح الحدود هلامية والتمدد حق مشروع للقوى الكبرى حسب نظرية المجال الحيوي لراتزل ومن هذه المسوغات الجيوبوليتيكية للدولتين في نزاعهما في سوريا:

- شح الموارد في إيران وتركيا تاريخياً.

- التحكم بطرق التجارة والمواصلات.

- الدفاع عن الحدود من خارجها وليس من داخلها.

(1) - مراد يشلطاش، عمر أوزكيزلجيك، "السياسات التركية في سوريا آفاقها من منظور تركي"، تقارير مركز الجزيرة

للدراست، مارس 2019، ص 2.

(2) - مصطفى اللباد، مرجع سابق.

- التوسع خارج الحدود يحقق هدفاً أساسياً لكليهما وهو إخفاء الطبيعة الفسيفسائية للكتلة البشرية في هذين البلدين المتنافسين.⁽¹⁾

المطلب الثاني: أبعاد الموقف الخليجي من النزاع السوري (السعودية وقطر..)

لا تبدو منطقة الخليج قوة متجانسة بصفة عامة، كما أن السياسات الخليجية تجاه سوريا معقدة، وتحددها عوامل عدة بدءاً من الانقسامات الطائفية وانتهاءً بسياسة القوة. ومع ذلك، هناك بعض القواسم المشتركة والاختلافات الواضحة عندما يتعلّق الأمر بمصالح دول الخليج وأنشطتها وفرصها في سوريا. وإن كانت العربية السعودية هي الأخ الأكبر للدول الخليجية والفاعل الرئيسي في المنطقة لاعتبارات القوة المادية والمعنوية المتمثلة في المقدسات الدينية.

فمنذ التدخل العسكري الأمريكي في العراق في مارس 2003، ظهر التنافس الإقليمي بين جمهورية إيران الإسلامية والمملكة العربية السعودية وأصبحت المملكة العربية السعودية تدريجياً عاملاً هيكلياً في جيوبوليتيكا الشرق الأوسط. لقد اختتم السلام البارد بين إيران والسعودية خلال التسعينيات من القرن الماضي متحولاً إلى حرب باردة إقليمية مع مواجهة غير مباشرة للسيطرة على التطورات السياسية الإقليمية والتنافس في مجال الطاقة الذي هو جزء من المدى الطويل للتنافس. منذ مارس 2011 بلور النزاع السوري هذا التنافس وذلك بدعم إيران لحكومة بشار الأسد، ومن جانب آخر دعم سعودي في المعارضة السورية.⁽²⁾

حيث منح النزاع السوري فرصة للتنافس الإقليمي الواسع على عدة خلفيات أولها خلفية الصراع الطائفي: السنة مقابل الشيعة (الحرب بالوكالة السعودية الإيرانية)، وكذلك التنافس داخل الطائفة السنية معاداة الإخوان المسلمين (المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة) مقابل الإخوان المسلمين (قطر وتركيا). وهكذا يُقاس عمل دول مجلس التعاون الخليجي في النزاع السوري بإحدى هاتين الديناميكتين اللتين يتم التعبير عنهما من خلال التنافس الإقليمي بالإضافة إلى المعارضة السعودية القطرية التي تفاقمت بسبب الوضع السوري.⁽³⁾ وتعتبر المواقف الخليجية من النزاع السوري منذ بدايته في

(1) - مصطفى اللباد، مرجع سابق.

(2) - Clément Therme, *la nouvelle « guerre froide » entre l'iran et l'arabie saoudite au moyen-orient, l'harmattan confluences méditerranée*, numéro 88 hiver 2013-2014, p114

(3) - Fatiha Dazy- Heni, *Les Diplomaties Des Monarchies Du Conseil De Coopération Du Golfe Dans La Crise Syrienne, L'Harmattan « Confluences Méditerranée »* 2014/2 N° 89 | pages 81 - 93.

شكل انتفاضة شعبية مرتبطة بالسياسة الأمريكية في المنطقة، ولا يمكن فهمه إلا من خلال سياقه ضمن الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة للمظلة الأمريكية.

وقد، دعمت دول الخليج علنا الانتفاضة السورية اعتبارا من شهر أوت 2011 بعد أربعة أشهر من اندلاعها، فكانت البداية بصوت المملكة العربية السعودية، ثم عبرت قطر عن نفس الشيء حيث هيمت مواقف هاتين الدولتين على المشهد الدبلوماسي العربي والخليجي بشأن النزاع السوري وأيدت بقوة إسقاط نظام بشار الأسد. لكن على الرغم من الأهداف المشتركة للدولتين في سوريا، إلا أن تنافسهما على السيطرة على المتمردين العسكريين داخل سوريا والمعارضة في المنفى ساهمت بقوة بغرس الاختلاف بقوة في تثبيت التنافر داخل معسكر المتمردين. أما الإمارات العربية المتحدة والكويت وعمان لم تشارك في هذا الموقف، وتبنت لاحقا موقفا إنسانيا حصريا يتمثل في تقديم المساعدات الإنسانية (تمويل المستشفيات والمساعدات الإنسانية للاجئين السوريين، لا سيما في المخيم الأردني الإماراتي الواقع على بعد 25 كيلومترا من الزرقاء في الأردن) بينما يطالب الجميع برحيل بشار الأسد، تخشى الإمارات من انهيار النظام الذي من شأنه تسهيل وصول الجماعات المتطرفة الإسلامية إلى السلطة.⁽¹⁾

شكلت قطر مصدر انزعاج البيت الخليجي للاشتباه في تفضيلهم لحركة الإخوان المسلمين وإمداد الحركات الجهادية السورية بالسلاح، ولا سيما جماعة أحرار الشام. أما الإمارات تفضل خيار احتواء النظام السوري طالما أن ما يسمى بالمعارضة المعتدلة لن تكون قادرة على ضمان الانتقال السلمي للسلطة. واتسم الموقف الكويتي الرسمي بتأييد تقديم المساعدات الإنسانية وجمع الأموال لمساعدة الشعب السوري، ولكن في مواجهة الضغط الإعلامي والشعبي، اتخذت الكويت موقفاً جدياً خاصة مع تأزم الوضع السوري بعد الهجوم الكيميائي في 21 أوت 2013، ونسبته الكويت للنظام السوري، ومع هذا ظل الموقف الكويتي يتسم بالحذر بالنظر إلى الانقسامات التي يفرضها النزاع السوري على أراضيها. من ناحية أخرى، فإن غالبية المجتمع الشيعي (المقدر بنحو 25% من إجمالي السكان) يفضلون دعم النظام السوري بدافع التضامن مع المجتمع العلوي، حتى لو لم يتم الاعتراف بهذا السبب علناً.⁽²⁾ من ناحية أخرى، فإن الجمعيات الإسلامية السنية القوية والمؤثرة والمقربة من التيار الإخواني (جمعية الإصلاح الاجتماعي) أو التيار السلفي (جمعية إعادة إحياء التراث الإسلامي) قد اتخذت موقفاً واضحاً لصالح

(1)-Fatiha Dezy-Hani, op,cit, pp81-93.

(2)- Ibid,pp81-93.

المتمردين السوريين. في الواقع، تخشى الكويت التوترات الطائفية، التي نشأت بالفعل خلال الانتفاضة الشعبية في البحرين، ستزيد من انقسام المناخ السياسي المتوتر بالفعل.⁽¹⁾

ومن جهتها تمسكت سلطنة عمان بانسحاب نظام بشار، كما أنها معادية للفكر الوهابي وحذرة من التيارات السلفية والإخوانية على حد سواء لكنها تحاول مواءمة مواقفها مع الموقف السعودي. ولأن الموقف السعودي والقطري هما الأبرز خلال كل مراحل النزاع السوري نحاول التركيز عليهما بصفة أدق باعتبارهما الدولتين الأكثر انخراطاً في سوريا.

1. الموقف السعودي:

يمثل التنافس الجيوبوليتيكي السعودي الإيراني الهدف الأساسي خلف تدخل الرياض في سوريا. فقد أقام نظام الرئيس السوري بشار الأسد منذ فترة طويلة علاقات وثيقة مع إيران "الشيعية"، وهو ما شكّل إهانة لادعاء المملكة العربية السعودية "السنية" بالزعامة العربية فيما يتعلّق بقضية بلاد الشام والقضية الفلسطينية. استخدمت الرياض، قبل عام 2011 من دون جدوى، مزيجاً من الضغوط الدبلوماسية والإقناع في محاولة لانتزاع سوريا من الفلك الإيراني. لكن بوصول شرارة الربيع العربي إلى سوريا وتحولها شتاءً دامياً طويلاً وجدت العربية السعودية فرصة للانخراط في هذا النزاع لإظهار مكانتها الإقليمية كقوة سنية قائدة للبيت الخليجي والدول العربية في منطقة الخليج و الشرق الأوسط. كما شكلت الانتفاضة السورية فرصة للسعودية للتعويض عن خسارتها المذلة في العراق، وكذا سيطرة حزب الله في لبنان.⁽²⁾

ينطوي انخراط السعودية في سوريا على رهانات كبرى لمكانة الرياض الإقليمية وأمنها الداخلي. إذ تسعى المملكة إلى الحد من صعود الجهات الفاعلة العابرة للحدود الوطنية والتابعة لتنظيم القاعدة، التي تمتلك القدرة والنية لتهديد المملكة. في الوقت نفسه، تحرص الرياض على ضمان تهميش فصائل الإخوان المسلمين داخل المعارضة السورية في أي تسوية يتم التوصل إليها كما استخدمت المملكة العربية السعودية النزاع السوري لتأكيد تفوقها في مجلس التعاون الخليجي، وتحجيم جراً قطر المتزايدة بصورة خاصة.⁽³⁾

(1) - Fatiha Dezy-Hani, op,cit, pp81-93.

(2) - فريديريك ويرى، الحسابات الخليجية في الصراع السوري، مركز مالكوم كير كارينغي للشرق الأوسط، 12 جوان 2014، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/2014/06/12/ar-pub-55905> تم الاطلاع في 10.01.2022.

(3) - فريديريك ويرى، مرجع سابق.

لقد أظهرت المملكة العربية السعودية منذ أوت 2011 موقفاً ضد النظام السوري. وذلك في الخطاب الرسمي والإعلامي حيث وصف النظام السوري بالفاجر الذي يقتل إخوانه السنة في سوريا، وبعدها تبنت الموقف الداعم للمعارضة السورية. بعد القرار السعودي باستدعاء سفيرها في سوريا في 7 أوت 2011، وتركيز جهودها على المستوى الإقليمي، والسعي بشكل خاص لترسيخ التماسك داخل دول مجلس التعاون الخليجي لتظهر جبهة موحدة ضد إيران⁽¹⁾

تعتبر المملكة العربية السعودية إحدى القوى الأكثر حضوراً في المنطقة. كدولة متماسكة بشكل جيد نسبياً وتسيطر على أراضيها وسكانها، لأن الدولة ممولة جيداً ولديها تحالف وثيق مع الولايات المتحدة. والموقف السعودي في هذا النزاع تحكمه الحسابات الجيوبوليتيكية التالية؛ أولاً تشعر المملكة العربية السعودية أن وضعها في الخليج العربي مهدد، وأهم تهديد وجودي لها هو قدرة إيران على استغلال الأقلية الشيعية في المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين ضد مصالح السعودية ومجلس التعاون الخليجي كدعم لإستراتيجيتها الأمنية. ثانياً للسعودية مصلحة في عزل إيران من أجل منع أي تحدٍ إيراني لهيمنتها في الخليج، الأمر الذي يعتمد على مكانتها كمنتج رئيسي للنفط العالمي وتحالفها الوثيق مع الولايات المتحدة التي يتمركز أسطولها في البحرين. ثالثاً الأمن السعودي لذلك فإن النية للحد من نفوذ إيران الإقليمي هي السبب وراء دعم الدولة السعودية للمقاتلين في سوريا، لكن يبدو أن للسعودية أيضاً مصلحة أيديولوجية في تقوية الأطراف السنية الطائفية في سوريا⁽²⁾.

منذ بداية الشرارات الأولى للنزاع السوري في سوريا، دعمت السعودية نشاط المعارضة السورية والقوات السلفية في سوريا بالأسلحة والمال وسمحت بتدفق الجهاديين. حتى إذا كان من الواضح أن الجهات السعودية لا تدعم بشكل مباشر تنظيم القاعدة في سوريا أو الدولة الإسلامية، فلا شك في أن الدعم الذي يأتي من السعودية للسلفية سمح لهذه الجماعات بأن تصبح مهمة، وفي ربيع 2014 راجعت العربية السعودية سياستها تجاه سوريا، وذلك خوفاً من رد الفعل المحتمل للجماعات المتطرفة على النظام الملكي السعودي نفسه، حيث أن الدولة الإسلامية لديها منظور عابر للحدود، ويمكن أن يشمل تهديدها العربية السعودية.⁽³⁾

(1) - Fatiha Dazy- Heni, op, cit, pp81-93

(2) - حسين العريض، "أدوار الفواعل الإقليمية والدولية تجاه النزاع السوري"، مجلة الناقد للدراسات السياسية، المجلد 5، العدد (1) 2021، ص 167. 188.

(3) - حسين لعريض، مرجع سابق، ص 179.

في أبريل 2014، تم إقالة رئيس المخابرات السعودية وكبير مهندسي السياسة السعودية الناشطة في سوريا، الأمير عبد العزيز بن بندر، واستبداله بالأمير خالد بن بندر. في الوقت نفسه، أعلنت المملكة العربية السعودية أن أولويتها الرئيسية الآن هي محاربة نفوذ تنظيم القاعدة المتنامي بأشكاله المختلفة في المنطقة، على الرغم من أن هذه الإستراتيجية لم يتم تنفيذها بأي طريقة عملية.⁽¹⁾ ومع وصول الملك سلمان بن عبد العزيز إلى الحكم في المملكة تغير الخطاب واللهجة السعودية بشأن الرئيس السوري بشار الأسد ومصيره، وقد بدا ذلك جليا بداية من شهر أوت 2017، حيث دار الجدل حول ما إذا كانت المملكة مارست ضغطا على المعارضة أثناء اجتماعها مع وزير الخارجية عادل الجبير الذي طلب -حسب تسريبات المعارضة- التنازل عن الثوابت الأساسية المتعلقة بضرورة رحيل الأسد قبل أي عملية انتقالية. وهذا ما بدا عكس النبرة الحادة التي تحدثت بها الرياض سابقا بأنه لا مكان للأسد في أي تسوية ومستقبل لسوريا.⁽²⁾

2. الموقف القطري وخلافاتها مع السعودية:

بعد فشل جهود قطر لمحاولة إقناع بشار الأسد بإدخال إصلاحات سياسية وإنهاء قمع المتظاهرين السلميين، انتهى الأمر بالدوحة إلى كسر تقليدها في الوساطة وأصبحت داعما قويا للمعارضة. مدفوعين بإدانة قمع الحكومة السورية من قبل الرياض في أوت 2011. وقد تمثل الانخراط الاستباقي للدوحة في سوريا منذ ذلك الحين، على المستوى العسكري، في إيصال الأسلحة إلى العديد من الكتائب المسلحة والمشاركة مع الرياض في تشكيل شبكات الجيش السوري الحر، وكذلك سياسيًا، عملت الدوحة جنبا إلى جنب مع أنقرة لتقديم الدعم للمعارضة السياسية في المنفى.⁽³⁾

ساهم فشل مركز إدارة الطوارئ في تنسيق أعمال التمرد في زيادة الاختلافات في الدعم والاستراتيجية بين الرياض والدوحة في خريف عام 2013، دعمت الدوحة بشكل كبير الجبهة الإسلامية المكونة من سبعة ألوية والتي نشطت على الجبهة الشمالية. وتزايدت الخلافات بين الرياض والدوحة بعد ذلك من حيث الدعم المقدم لفصائل معينة من الأطراف الإسلامية مثل أحرار الشام وفصائل في القاعدة،

(1)- حسين لعريض، مرجع سابق، ص 180.

(2)- منتصر أبو نبوت، مواقف أبرز الدول المعنية بالملف السوري منذ انطلاق الثورة، 14.03.2020، من الموقع:

<https://www.aljazeera.net/news/politics>

(3)- Fatiha Dazy- Heni, op, cit, pp81-93

وهذا ما يبين أن قطر تدعم الجماعات العسكرية المتطرفة عسكرياً والتيار الإخواني سياسياً وهذا ما لا تتوافق فيه مع العربية السعودية المعادية للتيار الإخواني.¹

من الواضح أن انعدام الثقة المتبادل بين قطر والسعودية يعود لوصول الأمير حمد إلى السلطة (27 جوان 1995-25 جوان 2013) الذي تميزت عهده بعلاقة مضطربة مع الجار السعودي، فإن العلاقات الثنائية السعودية القطرية تدهورت أكثر في النزاع السوري لاختلاف وجهات النظر والسياسات المتبعة، منذ أن انتقلت الدوحة من دبلوماسية الوساطة الشاملة إلى الدبلوماسية الهجومية مع اندلاع الربيع العربي. وحاولت دولة قطر الصغيرة جغرافياً والغنية مادياً تقديم العون الإنساني للشعب السوري منذ بداية الانتفاضة حيث قدرت المساعدات القطرية لسوريا بملياري دولار لمدة 10 سنوات متواصلاً، تدخل قطر على خط النزاع السوري من الجانب الدبلوماسي، بوصفها طرفاً عربياً موثقاً لدى كل الأطراف الفاعلة في الشأن السوري وتؤكد قطر على دعمها للملف السوري دبلوماسياً، مشددة على ضرورة إعطاء الأولوية للجانب الإنساني لما يتعرض له الشعب السوري من أوضاع صعبة. وعقب إتمام المصالحة الخليجية في جانفي 2020، ظهر جلياً تحرك قطر في الملف السوري، حيث استضافت قطر في 11 مارس 2020 جلسة مباحثات شارك فيها وزراء خارجية قطر وتركيا وروسيا في محاولة لإيجاد حل سلمي للنزاع السوري والأوضاع الإنسانية، وزيادة المساعدات لجميع السوريين. كما تناول تأثير جائحة "كورونا" على النظام الصحي والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، والعودة الطوعية للاجئين والنازحين، ومكافحة الإرهاب، وأوضاع المعتقلين في سجون النظام السوري.⁽²⁾

إن النزاع السوري كشف النقاب عن التنافس الجيوبوليتيكي الإقليمي المحموم بين القوى الفاعلة في المنطقة سواء في صيغة تقديم مساعدات إنسانية أو دعم عسكري ولوجستي لفصائل معينة تخدم تحقيق أجندات القوى الإقليمية في المنطقة، وقد تجاذبت الأطراف الإقليمية الوضع السوري عشر سنوات وما يزيد واستعملته كغطاء شرعي لتوسيع نفوذها أو للبحث عن مكانة إقليمية في منطقة تتميز بصراع المصالح والإرادات والإيديولوجيات لتحقيق مكاسب للدول الإقليمية أو لولائها للقوى الكبرى كما سنورده في الفصل الموالي.

⁽¹⁾ Fatiha Dazy- Heni, op, cit, pp81-93

⁽²⁾ - أحمد يوسف، بعد الدعم الإنساني. الأزمة السورية أولوية الدبلوماسية القطرية (تقرير)، 24.03.2021، من الموقع: <https://www.aa.com.tr/ar>

الفصل الرابع:
تفاعلات علاقات القوة للقوى الكبرى
في سوريا منذ سنة 2011

"سوريا هي بمثابة مرآة للتنافس الدولي للمصالح على المستوى العالمي ويستحق اهتماما خاصا. في الواقع فإن شؤونها الداخلية لا معنى لها تقريباً ما لم تكن ذات صلة بالسياق الأوسع، سواء بالجوار العربي القريب أو القوى الأخرى المهمة " باتريك سيل، الصراع في سوريا 1965.⁽¹⁾

"في الحرب الأهلية السورية، يكون الاختيار غالباً بين السيئ والأسوأ".⁽²⁾ Ioannis Galariotis and Kostas Ifantis

تمثل استراتيجيات القوى الكبرى في المناطق الحيوية وفق المنظور الجيوبوليتيكي المرآة الحقيقية لتوجهات الدول الخارجية، فرغم تبني الدول الكبرى المواثيق الدولية لحقوق الإنسان والعمل على تسوية النزاعات بطرق سلمية تحفظ حق الإنسان في الحياة، وإحترام إرادات الدول الأقل قوة وشعوبها، وتحقيق السلم والأمن الدوليين، إلا أن ما عرفته سوريا منذ مارس 2011 من أحداث داخلية شعبية مطالبة بإصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية، وتطورها بسرعة لأزمة زعزعت أركان النظام السوري، ودخول كل الأطراف الدولية سواء الإقليمية أو العالمية كما تطرقنا سابقاً. لتحويل مسار الأزمة إلى نزاع مسلح متعدد الأطراف والأجندات ولأن الحالة السورية أعادت للسطح التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى البرية والبحرية سواء بطريقة تدخل مباشر أو عن طريق الوكلاء الإقليميين على المناطق المفتاحية للسيطرة العالمية. تمثل سوريا ومن خلفها منطقة الشرق الأوسط من المناطق التي أخذت مساحة واسعة من الاهتمام الدولي نظرياً وميدانياً، وهذا لأهميتها الجيوبوليتيكية كما وضعناه سابقاً. وسنحاول في هذا الفصل التركيز على التفاعل الاستراتيجي للقوى الكبرى العالمية في سوريا منذ سنة 2011؛ والمتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بصفتهما لاعبين محوريين في التنافس الجيوبوليتيكي، بالإضافة للصين والإتحاد الأوروبي.

⁽¹⁾- CHRISTOPHER PHILIPS, *The Battle For Syria* international rivalry in the new middle east, (New haven and London Yale University press , ,1st edition ,2018) ,p1.

⁽²⁾- **Ioannis Galariotis and Kostas Ifantis, The syrian imbroglio: international and regional strategies,**(European University Institute 2017),p4.

المبحث الأول:

الاستراتيجية الأمريكية في سوريا منذ سنة 2011: "حسابات المصلحة والتكلفة في منطقة صدام جيوبوليتيكي".

كانت ولا تزال الولايات المتحدة الأمريكية الفاعل الجيوسراتيجي الأكثر حضوراً في المناطق الساخنة عالمياً سواء من ناحية الاستقرار أو توفر هذه المناطق على مصالح أمريكا التي تتعدى الحدود الجغرافيا الأمريكية غالباً بصفتها القوة الأولى عالمياً وحامية السلم العالمي، ولقد شكلت أحداث الربيع العربي التي مست عديد الدول في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فرصة للولايات المتحدة لإعادة حساباتها الجيوبوليتيكية في المنطقة بعد الخطأ الجيوسراتيجي في العراق حسب المحللين وصناع القرار الأمريكي، ونحاول تتبع التفاعل الاستراتيجي للولايات المتحدة في سوريا منذ بداية الانتفاضة المطالبة بالاصلاحات لغاية تدويل النزاع وعسكرته

المطلب الأول: التفاعل الأمريكي في سوريا في بداية الانتفاضة

منذ انهيار نهاية الحرب الباردة وانهيار الإتحاد السوفييتي، مرت العلاقات الأمريكية السورية بمراحل مختلفة وخضعت لتغييرات حادة، تتراوح بين العلاقات الباردة ولكن المستقرة والعلاقات المتدهورة بسرعة بين واشنطن - دمشق ففي بعض الأحيان تداخلت السياسة الخارجية الأمريكية واستراتيجيات سوريا وفي أوقات أخرى تباعدت خاصة منذ 11 سبتمبر، حيث صنفت الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب أنه من ليس معنا فهو ضدنا، ورغم جهود سوريا لمكافحة الإرهاب إلى أنها لم تشفع لها عند الإدارة الأمريكية بل وصفتها بأنها من الدول الداعمة للإرهاب والمهددة للأمن والسلم الدولي في الشرق الأوسط وذلك لدعمها لحركة حماس وحزب الله. ومنذ التصويت على قرار مجلس الأمن 1559 في سبتمبر 2004 برعاية الولايات المتحدة وفرنسا الذي يدعو إلى انسحاب سوريا من لبنان ونزع سلاح حلفائها المحليين لبنان، توترت العلاقات مجدداً بين الطرفين؛ حيث تم تشديد الضغوط على حزب البعث، بينما تلعب دمشق أوراقها القوية في جميع ساحات القتال المتاحة، من العراق إلى لبنان.⁽¹⁾

(1)- Robert G. Rabil, Syria, The United States, And The War On Terror In Themiddle East, Foreword by Walid Phares,(Westport, Connecticut • London Praeger Security International, First published in 2006),p12.

لما شهدت منطقة الشرق الأوسط نهاية 2010 العديد من التغيرات والتحولات السياسية لدولها شكلت تحدياً للولايات المتحدة الأمريكية، وأربكت حساباتها ومصالحها باعتبار أن سقوط تلك الأنظمة الموالية لها يشكل تهديداً لسيطرتها وهيمنتها؛ لذلك اتسم سلوك الولايات المتحدة تجاه هذه التحولات بالتفاوت وفقاً لتحقيق مصالحها ورهاناتها الاستراتيجية في المنطقة المتعلقة بأمن إسرائيل وتدفق الدائم للنفط العربي، وهذان العاملان يتطلبان ضمان الاستقرار في البلدان المصدرة للنفط والقريبة منها لضمان الوصول إلى أسواقها.⁽¹⁾

لذلك اتسم الموقف الأمريكي تجاه التحولات التونسية بالترقب والحياد في بداية الأمر، ولكن مع استمرار الأحداث بدأت الولايات المتحدة اتخاذ موقف أكثر وضوحاً من خلال إدانة الاستخدام المفرط للقوة من طرف قوات الأمن ومطالبتها بحفظ الأمن وحماية المدنيين، وفي مصر بينما اتسم الموقف الأمريكي تجاه التحولات السياسية في مصر بالغموض والحياد الحذر في بداية الأمر، كما دعمت المبادرة الخليجية في اليمن، بينما تطور الموقف الأمريكي تجاه التحولات السياسية الليبية من خلال دعم المعارضة واستتكار استخدام الرئيس القذافي للعنف ضد المدنيين وأيد تشكيل تحالف دولي في ليبيا لإسقاط نظام القذافي. أما في سوريا فكانت الإدارة الأمريكية أكثر حذراً ففي البداية راهنت الإدارة الأمريكية على قيام نظام الأسد بإصلاحات وتلبية مطالب المحتجين والتهديد بعقوبات صارمة ضد النظام السوري ما لم يشرع النظام في إصلاحات سياسية، وبعد ذلك تحولت إدارة أوباما إلى ممارسة الضغوط على النظام السوري تمثلت في حزمة من العقوبات المالية والاقتصادية مست الرئيس السوري بشار الأسد وعدد من مسؤوليه في الثامن عشر من ماي 2011 بعد عمليات قام بها الجيش في القرى والمدن التي خرجت في انتفاضة شعبية.⁽²⁾

وقد اعتمدت الولايات المتحدة في هذا الشأن على تركيا التي تمتلك أدوات من شأنها التأثير في النظام والمعارضة في آن واحد وعلى الرغم من أن الرئيس الأمريكي صرح في 12 جويلية 2011 بأن

(1) - مروان بشارة وآخرون، "أهداف الولايات المتحدة واستراتيجيتها في العالم العربي" في *التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية*، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، فيفري 2014)، ص 109.

(2) -Abubaker Alamailes, Serdar Yurtsever, "Syrian Crisis In Scope Of The Us-Russia Competition In Middle East", *International Journal Entrepreneurship and Management Inquiries Dergisi* ISSN: 2602 – 3970 / Dönem / Cilt: 2 / Sayı: 3), pp33-48.

بشار الأسد فقد شرعيته لعجزه عن إنجاز التحول الديمقراطي، فإنه لم يدعو إلى التحي عن الحكم.⁽¹⁾ وظل الموقف الأمريكي من النزاع السوري حتى نهاية عام 2012 يتلخص في إمكانية الحل السياسي والتهديدات للنظام السوري في حالة ما يلم بشرح بتقديم إصلاحات سياسية حقيقية.

ولقد أكدت إدارة أوباما منذ البداية أن الولايات المتحدة يمكنها حماية مصالحها على أفضل وجه من خلال البقاء بعيداً عن الصراع قدر الإمكان وحسب أوباما، فإن الخطر الذي يشكله نظام الأسد على الولايات المتحدة لا يستدعي التدخل العسكري المباشر. وقد تعرض هذا الموقف لانتقادات شديدة، حتى من داخل إدارته. حيث يرى كينيث بولاك **Kenneth Pollack** أن انسحاب الولايات المتحدة من العراق هو العامل الأكثر أهمية الذي أدى إلى عودة الفوضى هناك وفي المنطقة ككل. حيث أجبرت الجهات الإقليمية على التفاعل دون سياق التوقعات الأمنية المستقرة التي كان الوجود الأمريكي يوفرها لسنوات، وهذا ما أدى إلى إيقاظ الصراعات القديمة الطائفية بين إيران والعربية السعودية.⁽²⁾

أرادت الولايات المتحدة في عهدة أوباما أن تضع حداً للمأساة الإنسانية في سوريا والعراق، وأن يخرج الأسد من منصبه. وفي نفس الوقت لا تريد سيطرة القاعدة وبقية الجماعات المتطرفة على الوضع في سوريا كبديل لنظام الأسد، كما عملت الولايات المتحدة على عدم توسع الصراع ليشمل حلفائها في المنطقة مثل تركيا وإسرائيل والأردن. وتخوفت من تعود إيران بصفتها اللاعب الوحيد المهيمن في المنطقة. فهي لا تريد مواجهة مع روسيا وتحتاج في الواقع إلى تعاون روسي لتجنب حرب أوسع.⁽³⁾ بحلول نهاية عام 2011، نما العنصر المسلح للمعارضة السورية بشكل سريع، وتم توسيع دعوات الحماية الدولية للشعب السوري، ومناطق حظر الطيران، والممرات الإنسانية. كان موقف الولايات المتحدة في ذلك الوقت متحفظاً تجاه التدخل العسكري. اختارت عدم إرسال أسلحة فتاكة إلى سوريا وكانت المساعدة في أشكال إنسانية بما في ذلك الإمدادات الغذائية والطبية.

منذ انتشار التقارير حول استخدام النظام السوري للأسلحة الكيماوية، كانت الولايات المتحدة تهدد باتخاذ إجراءات رادعة وقاسية ضد النظام السوري في حالة ثبت استخدامه للأسلحة الكيماوية. قال الرئيس أوباما في بيانه الشهير إن استخدام الأسلحة الكيماوية خط أحمر وأن النظام السوري ستكون له عواقب

⁽¹⁾- Reuters Staff, Turkey issues "final word" to Syria, reuters, August 15, 2011, at <https://www.reuters.com/article/us-turkey-syria-davutoglu-idUSTR77E43G20110815> visited 11.01.202

⁽²⁾- Ioannis Galariotis and Kostas Ifantis, op, cit, pp7.8.

⁽³⁾- Ibid, p8.

وخيمة إذا استخدم الأسلحة الكيماوية ضد الشعب والمعارضة السورية. وبعد إثبات التقارير استخدام القوات السورية لغاز السارين في الغوطة الشرقية، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة إلى تحريك قواتها البحرية المتمركزة في البحر الأبيض المتوسط ، وإعدادها استعدادًا لضربة عسكرية على سوريا. ومع ذلك، فشلت جميع الجهود الدبلوماسية، من قبل أوباما ووزير الخارجية جون كيري، لبناء تحالف دولي للمساعدة في تنفيذ ضربة عسكرية على سوريا بتهمة استخدام أسلحة كيماوية. تسبب القرار الاندفاعي الفردي الذي اتخذته إدارة أوباما بشن هجوم عسكري على سوريا في إرباك المواقف الدولية المتمثلة في المواقف المختلفة بين أمريكا وروسيا، وانقسامًا حادًا في الاتحاد الأوروبي وفي مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وارتباكًا داخل المجتمع الأمريكي. في خضم هذه المواقف المعقدة، اقترحت روسيا على الولايات المتحدة أن تقوم سوريا بتسليم ترسانتها الكيميائية إلى المجتمع الدولي، مقابل تجنب أي ضربة عسكرية. ووافقت الولايات المتحدة على هذه المبادرة من قبل الولايات المتحدة وسوريا وبدأ النظام السوري بتسليم شحناته الكيماوية على مراحل.⁽¹⁾

لما تزايدت حدة العنف في سوريا بين النظام من جهة والمعارضة المدعومة خارجيًا من جهة أخرى وظهور تنظيم داعش كتهديد واقع في صيف 2014 وجدت إدارة باراك أوباما نفسها مجبرة لمواجهة مثل هذه المعضلات الإستراتيجية، قاوم أوباما الدعوات إلى تصعيد الاشتباك العسكري الأمريكي في سوريا ورفض تصعيد التدخل الأمريكي ضد داعش برفضه نشر القوات البرية. لكن استيلاء داعش على الأراضي في العراق وسوريا في صيف 2014 دفع الولايات المتحدة لإعادة مناقشات السياسة الخارجية والأمنية إلى مركز الصدارة مرة أخرى. وبدأت الأصوات القوية في واشنطن تدعو إلى اتباع نهج أكثر قوة وتصعيد المشاركة العسكرية الأمريكية، مشيرة إلى أن السبب الرئيسي لمشاكل المنطقة هو السياسات الانعزالية لأمريكا واعتدال أوباما ووصف الخطر الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية بأنه خطر وجودي.⁽²⁾ لأن الولايات المتحدة ومنذ بداية النزاع السوري عززت وفق الدول الأوروبية الجهود الدبلوماسية الرامية للتوصل لتحقيق اتفاق تفاوضي بين الأطراف المتنازعة بشرط أن يستقيل الأسد على الفور. بالإضافة إلى ذلك، فإن وقد استُكملت الإجراءات الدبلوماسية بدعم أمريكي "غير مميت" لجماعات معارضة معينة والتدريب السري إلى حد ما وتوفير الأسلحة لقوات متمردة محددة. تم تعديل هذا النهج بمرور الوقت، وفي ضوء الواقع المتزايد التعقيد، تضاءلت حدة الدعوات الموجهة للأسد للتحني.

(1)- Abubaker Alamailes, Serdar Yurtsever, op.cit, p38.

(2)- Ioannis Galariotis and Kostas Ifantis, op, cit, p9.

كما أدى الخطر الشديد المتمثل في توسع داعش إلى تغيير وجهة النظر الأمريكية في الشرق الأوسط. وأصبحت الأولوية القصوى هي تدمير الجهاديين لأن الإرهاب في المنطقة يعتبر تهديد مباشر للمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وهذا ما لا تتردد أمريكا في التدخل لإيقافه أما تحي الأسد فلم يعد ينظر إليه كأولوية قصوى في سوريا بعد ظهور التهديد الإرهابي المتمثل في داعش وتنظيم القاعدة، لأن سقوطه قد يأتي بنتائج عكسية على المصالح الغربية.⁽¹⁾

إن التقدم السريع لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام **Islamic State in Iraq and Sham** والتي تعرف اختصاراً بـ"داعش" خلال صيف عام 2014 وأهدافها التوسعية المعلنة أعطى الشرعية الدولية للولايات المتحدة -التي كانت إدارة أوباما تبحث عنها- لتشكيل وقيادة تحالف دولي للتدخل في سوريا بهدف محاربة التهديدات، وحماية مصالحها في المنطقة.

ففي أوت 2014، بدأت الولايات المتحدة في شن سلسلة من الضربات الجوية العسكرية في العراق ضد قوات داعش على هامش قمة الناتو في ويلز (4-5 سبتمبر 2014)، دفعت الولايات المتحدة لتشكيل تحالف من "الراغبين والقادرين" للتعامل مع داعش. انضم تسعة حلفاء آخرين في الناتو (فرنسا والمملكة المتحدة والدنمارك وألمانيا وكندا وتركيا وإيطاليا وبولندا) كشركاء و(أستراليا) إلى دعوة الولايات المتحدة للتحرك. في العاشر من سبتمبر أعلن الرئيس الأمريكي باراك أوباما عن استراتيجية الولايات المتحدة لمواجهة داعش أثناء اجتماع باريس لممثلي أكثر من عشرين دولة. وفي الجمعية العامة للأمم المتحدة في الرابع والعشرين سبتمبر كرر أوباما دعوته لأعضاء الأمم المتحدة للانضمام إلى التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد داعش. يضم التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة أكثر من ستين دولة، تساهم بطرق مختلفة في القتال ضد داعش، بما في ذلك الضربات العسكرية في سوريا والعراق ضد مواقع الجماعة الإرهابية.⁽²⁾

وهذا للتهديد الأمني الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في المنطقة والتقدم السريع في السيطرة على مناطق في العراق ثم سوريا والأعمال الإرهابية التي تمارسها على المدنيين، وأهدافها التوسعية وقوتها المالية قد أغرقت الشرق الأوسط في المزيد من الفوضى والعنف، وهذا ما عملت الولايات المتحدة

⁽¹⁾- Mario Laborie Iglesias, **Syria: where everyone is at war with each other, at Geopolitical overview of conflicts 2016** (Spanish Institute for Strategic Studies,2017),p 153.

⁽²⁾- Carmen-Cristina Cîrlig, **The international coalition to counter ISIL/Da'esh (the 'Islamic State')**, European Parliamentary Research Service, Briefing 17 March 2015, p2.

والتحالف الغربي لإيقافه حسب تصريحات المسؤولين الأمريكيين، لأن سيطرة داعش على المدن الكبرى أثرت على طرق الإمداد والبنية التحتية الحيوية والمعابر الحدودية. فبحلول سبتمبر 2014، تمكنت المجموعة من السيطرة على العديد من حقول النفط في سوريا والعراق حيث أنتجت عائدات تتراوح بين مليون دولار ومليون دولار يوميًا. وشهدت صفوفها تدفقات كبيرة للمقاتلين من جنسيات مختلفة.⁽¹⁾

فدعت الولايات المتحدة على هامش قمة الناتو في سبتمبر 2014، إلى تشكيل تحالف دولي لمحاربة التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). دعم هذا التحالف تسعة دول من حلفاء وشركاء الناتو (فرنسا والمملكة المتحدة والدنمارك وألمانيا وكندا وتركيا وإيطاليا وبولندا وأستراليا) دعوة الولايات المتحدة للعمل. والعاشر من سبتمبر 2014، أعلن الرئيس الأمريكي أوباما عن استراتيجية "شاملة" لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) بالتنسيق مع بقية الدول الأعضاء في حلف الناتو.⁽²⁾ وبدأ التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الغارات في سوريا دون انتظار موافقة الكونغرس، وأمر بتكثيف الغارات في العراق. وفي يوم 19 سبتمبر، دخلت فرنسا على خط المواجهة كثاني دولة تشارك في الحملة بتنفيذها عدة ضربات جوية ضد تنظيم الدولة، وكذلك أرسلت قوات خاصة إلى كردستان العراق لتدريب القوات الكردستانية على استعمال السلاح الذي أرسلته.

شنت كل من الولايات المتحدة والبحرين والأردن وقطر والسعودية والإمارات، يوم 23 سبتمبر، أولى غاراتها ضد تنظيم الدولة في سوريا. وبعدها، زاد عدد دول التحالف حتى بلغ أكثر من عشرين دولة، منها من تدخل في العراق وسوريا، وأخرى اكتفت بسوريا فقط. مثل: قطر، الأردن، البحرين، السعودية، الإمارات.⁽³⁾

إن الاستراتيجية الأمريكية في سوريا تقوم على أسس براغماتية وجيوبوليتيكية تحاول تطبيقها سواء بالتدخل المباشر أو القيادة من الخلف كما اعتمدت إدارة أوباما، لكن مصالحها تبقى حاضرة. ويهدف الموقف الأمريكي تجاه النزاع السوري إلى تطبيق نظرية الفوضى الخلاقة بهدف إعادة رسم الخريطة الجيوبوليتيكية والسياسية ليس فقط في سوريا ولكن أيضًا في منطقة الشرق الأوسط ككل. إن نظرية الفوضى الخلاقة، حسب المنظور الأمريكي، هي تفكيك الوضع في دولة معينة، حتى لو أدى ذلك إلى

(1)- Carmen-Cristina Cîrlig, op.cit,p6.

(2)-ibid

(3)- ماهو التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية؟، تقارير وحوارات، 6.1.201، من الموقع:

<https://www.aljazeera.net/news> تم تصفح الموقع يوم 14.01.2022. على الساعة 16:25.

فوضى مؤقته، من أجل إعادة بناء الدولة على أسس جديدة أكثر ملاءمة لمصالح الولايات المتحدة ودولها.

إن نقل الموقف من حالة الجمود إلى مرحلة المرونة، يسمح للولايات المتحدة بالتدخل وتطبيق سيناريوهات جاهزة، مثل تحفيز القوى الداخلية لإجراء تغييرات من الداخل في الأنظمة السياسية يتجلى ذلك في الحالة السورية حيث تدعم الولايات المتحدة المعارضة السورية وتمكنها من قلب النظام السوري وتعمل في الوقت نفسه على حشد الدعم الدولي للتدخل وإسقاط النظام السوري ودعم وصول نظام حليف آخر.⁽¹⁾ ويكمن الهدف الثاني الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه في سوريا هو منع وصول الأسلحة إلى حزب الله وحماس. الأسلحة التي يتم جلبها من إيران عبر دمشق إلى لبنان لدعم حزب الله، والأسلحة المهربة عبر الأراضي السورية إلى العراق ستتدخل عندما ينشغل النظام السوري بحالة الفوضى التي تعيشها البلاد.⁽²⁾ ومع هذا تجري حالياً جولة معاكسة حيث يتم تهريب الأسلحة إلى سوريا بدلاً من تهريب الأسلحة عبر سوريا إلى العراق ولبنان لدعم الأطراف السورية المقاتلة عبر الحدود من اتجاهات مختلفة. أما الهدف الثالث الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه في سوريا هو هدف جيوبوليتيكي يندرج في سياق الاتجاه الواقعي الذي يهيمن على السياسة الخارجية الأمريكية في إطار تفاعلها مع القوى الكبرى المتنافسة على الساحة السورية. وبحسب الاستراتيجية الأمريكية، فإن سوريا جزء حساس من حافة الأرض والسيطرة عليها تمنع روسيا من الجنوب الغربي ومن الوصول إلى المياه الدافئة. إن إنشاء أنظمة حليفة في مثل هذه المناطق الحساسة هو مطلب أمريكي ملح لأن سوريا تعتبر دولة مركزية في سياق التنافس الجيوبوليتيكي بين النفوق البحري الذي تقوده الولايات المتحدة والهيمنة البرية بقيادة روسيا. الهدف الرابع الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه من خلال موقفها من النزاع السوري يتعلق بموضوع الصراع على الطاقة، وخاصة الغاز الطبيعي. تعمل الولايات المتحدة جاهدة لكسر الاحتكار الروسي لسوق الغاز الأوروبية وإخراج أوروبا من النفوذ الروسي المتزايد من خلال إيجاد بدائل لمصادر الغاز التي تلبى احتياجات الأوروبيين. ضمن هذا الهدف، تبذل الولايات المتحدة ما في وسعها لصد أي قوة تسعى إلى تغيير أساس معادلة الطاقة في العالم التي تستند إلى النفوق الأمريكي.⁽³⁾

(1)- Abubaker Alamailes, Serdar Yurtsever, op, cit, 39.

(2)- Ibid.

(3)- Imad Fawzi Shueibi, War over gas. struggle over the Middle East: Gas ranks first. Voltaire Network Damascus (Syria) 17 April 2012, Retrieved 14.01.2022, from <http://www.voltairenet.org/article173718.html>.

إن الاستراتيجية الأمريكية في سوريا في البداية في عهدة أوباما اعتمدت على المسار الدبلوماسي من خلال مسارات جنيف للتسوية السلمية وفق الأجندات الأمريكية، وحاولت عدم التسرع في عملية التدخل العسكري إلا بعد حصولها على الدعم الدولي والشرعية الأممية. وذلك للتخوف الأمريكي من إعادة السيناريو العراقي الذي يعتبره المفكرين الاستراتيجيين الأمريكيين خطأً استراتيجي ناجم عن سوء تقدير صانع القرار الأمريكي دفعت الولايات المتحدة تكلفته باهضة. كما أن تنحي الأسد عن الحكم لم يكن مطلب أمريكي ملح إلا في سياقات معينة. وكانت الاهتمامات السياسية الرئيسية للولايات المتحدة هو استخدام أو فقدان السيطرة على مخزون الأسلحة الكيميائية في سوريا خلال النزاع المستمر، والتوسع الكبير للتنظيمات الإرهابية على الأرض مما شكل فعلاً تهديداً للمصلحة القومية الأمريكية في سوريا والشرق الأوسط المتمثل في توفير مصادر الطاقة وأمن إسرائيل على المدى القريب والمتوسط.¹ بالإضافة إلى عدم ترك روسيا تنفرد بالملف السوري في إطار عودة جيوبوليتيكا الحرب الباردة والتنافس بين القوى الكبرى على مناطق النفوذ ومناطق التصادم والإلتقاء.

المطلب الثاني: الاستراتيجية الأمريكية بعد التدخل الروسي في سوريا

الجدير بالذكر أن الرئيس الأسبق باراك أوباما ظل يردد أنه لا ينوي إرسال جنود أمريكيين إلى سوريا ومحاربة داعش، و المقصود من تصريحات أوباما أن التدخل الأمريكي في سوريا لا يكون بالضرورة بالجيش الأمريكي في إشارة لفصائل المعارضة وحلفاء أمريكا في المنطقة، لكن بحلول أكتوبر 2015 وبعد التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا في سبتمبر 2015 نشرت الولايات المتحدة الأمريكية أول دفعة من جنود القوات الخاصة الأمريكية مكونة من 500 مائة جندي في سوريا لدور استشاري وليس قتالي، وهذا مثل أول وجود عسكري أمريكي على الأرض منذ بدء النزاع السوري وتشكيل التحالف الدولي في أوت 2014.⁽²⁾ واستمرت الولايات المتحدة في نشر قواتها البرية وتعزيز وجودها العسكري على الأراضي السورية بشكل متواصل لقتال تنظيم الدولة إلى جانب قوات سوريا الديمقراطية حيث بلغ عددهم

(1) Carla E. Humud Christopher M. Blanchard, **Armed Conflict in Syria: Overview and U.S. Response**, Congressional Research Service, Updated July 27, 2020, p23.

(2) - ماهر سعدون خوشي صبار الساعدي، التنافس الأمريكي الروسي على دول الجذب الجيوستراتيجي بعد العام 2000 (أوكرانيا وسوريا أنموذجاً)، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس معهد العلمين للدراسات العليا وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه (فلسفة) في العلوم السياسية- العلاقات الدولية، (جمهورية العراق، معهد العلمين للدراسات العليا، 2021)، 258.

500 جندي في نهاية 2016 لمهمات متعددة بعد إضافة 200 جندي كقوات إضافية من بينهم مدربون من القوات الخاصة ومستشارين وفرق تفكيك المتفجرات ومقاتلين في القوات الخاصة. وجاءت الجهود الأمريكية في سوريا تحديدا للقضاء على داعش في، وكاحتياط وضعت الولايات المتحدة الأمريكية ألف جندي أمريكي في الكويت، لتعزيز قواتها بعد أن تصاعدت وتيرة الحرب على الإرهاب مع بداية المرحلة الأخيرة من معركة استعادة الرقة في 6 جوان 2017.⁽¹⁾ ومع استلام الرئيس السابق الجمهوري دونالد ترامب⁽²⁾ Donald trump مقاليد السلطة في البيت الأبيض في 27 ديسمبر 2016 بعد سنة تقريبا من التدخل العسكري الروسي في سوريا، أوعز للبانغتون بإعداد خطة هجومية بقدر أكبر لمحاربة داعش في سوريا وتقديمها خلال شهر واحد، وكلفهم أيضا بإعداد خطة للمناطق الآمنة في غضون ثلاثة أشهر، وهو فعلا ما وعد أثناء حملته الانتخابية عندما قال أن له خطة سرية لمكافحة تنظيم داعش الإرهابي ليس في سوريا والعراق فحسب بل في العالم بأسره في عودة لمقولة جون كيفر "بأن بعد الحرب الباردة المجال الحيوي الأمريكي يشمل العالم بأسره"⁽³⁾.

وقدمت وزارة الدفاع خطتها للرئيس والتي تضمنت تدمير تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" على نطاق واسع، وتكثيف محاربة داعش في العالم بأسره تشمل حزمة من الإجراءات العسكرية والدبلوماسية والمالية مع منح القادة العسكريين صلاحيات أوسع لتسريع عملية اتخاذ القرارات. وقد دخلت الولايات المتحدة بشكل مباشر في ساحة الصراع عندما نشرت جنودا في منطقة منبج إلى جانب قوات سوريا الديمقراطية التي

(1) - ماهر سعدون خوشي صبار الساعدي ، ص 259.258.

(2) - دونالد جون ترامب هو الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة، شغل منصبه منذ 20 جانفي 2017. وبالإضافة إلى كونه سياسي، فهو رجل أعمال ناجح ولد ترامب 14 جوان 1946 بنيويورك، وهو ابن ملاك عقارات ثري، ارتاد كلية وارتون بجامعة بنسلفانيا قبل أن يتولى مسؤولية أعمال عائلته بصفته رجل أعمال نكي ومدير ذو كاريزما خاصة، قام ببناء وتجديد العديد من الفنادق وأبراج المكاتب خلال مسيرته المهنية، فتراكمت قيمتها الصافية لتصل إلى المليارات. وبغية توسيع آفاق طموحاته، دخل مجال السياسة في أوائل العقد الأول من القرن الماضي، ووضع عينيه على المكتب الرئاسي. تميز بشخصيته المثيرة للجدل وتعليقاته بسبب المهاجرين من الدول الإسلامية للمزيد اطلع: من هو دونالد ترامب -

https://www.arageek.com/bio/donald-trump ؟:Donald Trump

(3) - محمد أحمد عقلة المؤمني، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا في القرن الواحد والعشرين، (الأردن: دار الكتاب الثقافي، 2009)، ص 25.

تسيطر على المدينة لردع تحركات القوات الروسية أو قوات النظام أو القوات التركية والفصائل المتحالفة معها.⁽¹⁾

ثمة متغيرات في السياسة الأمريكية تجاه سوريا مع وصول "دونالد ترامب" للبيت الأبيض وهي:

- تبني "ترامب" سياسة تصعيدية عدائية ضد إيران في المنطقة.
- إلحاق الهزيمة بتنظيم "داعش"، وبدء السباق والتنافس من أجل تقسيم مناطق النفوذ في سوريا.

- إيقاف تقديم الدعم للمعارضة السورية في ظل استمرار الدعم للقوات الكردية.

- تراجع دور المعارضة السورية المسلحة لصالح النظام وحلفائه.

- فشل مسارات التسوية الأممية وبدء مسار الأستانا الذي ترعاه روسيا وتركيا وإيران وبرغم كل هذه المتغيرات يبقى المتغير الثابت هو التغاضي عن فكرة رحيل الأسد وعدم القيام بأي أعمال على الأرض من أجل رحيله رغم التصريحات المنادية بضرورة رحيله عن الحكم في سوريا.⁽²⁾

وقد أعن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن استراتيجية أمريكا الجديدة في سوريا على لسان وزير خارجيته "ريكس تيليرسن"³ Rex Tillerson في كلمة ألقاها في جامعة ستانفورد في جانفي وهي خطوة تؤسس لبدء تعامل الولايات المتحدة مع النزاع السوري من منظور استراتيجي محكم بأدوات وأهداف واضحة، بدلا من الاقتصار على التكتيك والفوضى والتخبط.

تتمثل أهداف الاستراتيجية الأمريكية المعلنة للرئيس دونالد ترامب في تدمير ما تبقى من عناصر داعش والحيلولة دون عودتها من جديد، وألا تكون سوريا قاعدة للجماعات "الإرهابية المتشددة" التي يمكن أن تهدد الولايات المتحدة أو حلفائها في المنطقة.

(1) - ماهر سعدون خوشي صبار الساعدي، مرجع سابق، ص 259.

(2) - طارق دياب، استراتيجية ترامب في سوريا ماذا بعد؟ تقارير سياسية المعهد المصري للدراسات، 10 فيفبر 2018، ص 1

(3) - ريكس تيليرسن، من مواليد 23 مارس 1952، ويتشيتا فولز، تكساس، الولايات المتحدة، مدير أعمال أمريكي شغل منصب وزير الخارجية (2017-2018) في إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترمب. شغل سابقاً منصب رئيس مجلس الإدارة والرئيس التنفيذي (2006-2016) لشركة Exxon أيكسون موبيل للمزيد اطلع: sarah forbes and statesman, businessman orwing.rex.w.tillerson,american
<https://www.britannica.com/biography/Rex-Tillerson>.

يجب ألا تكون سوريا قاعدة لإيران تهدد من خلالها إسرائيل أو توسع نفوذها بشكل أكبر في الشرق الأوسط.

العمل ألا يؤدي الصراع السوري إلى تآكل الإجماع الدولي الهش ضد استخدام الأسلحة الكيميائية.⁽¹⁾

الحيلولة دون سيطرة قوات النظام وحلفائها على كامل الأراضي السورية، كذلك العمل على انتقال سوريا لمرحلة جديدة لا يكون الأسد جزءاً منها وعودة اللاجئين السوريين، والعمل على إعادة الإعمار ولكن لا تشارك الولايات المتحدة في إعمار المناطق التي مازالت تحت سيطرة الأسد لغاية رحيله.⁽²⁾ وتقوم الاستراتيجية الأمريكية في عهد ترامب على مسارين:

- المسار الدبلوماسي وذلك من خلال دعم مفاوضات جنيف في مواجهة الجهود الدبلوماسية الروسي في الأستانا وسوتشي.

- المسار العسكري اللوجستي: تقوم على تشكيل قوة حدودية من 30 ألف مقاتل، تعتمد بالدرجة الأولى على الميليشيات الكردية، حيث تتركز في الشمال والشرق السوري، والإعلان عن تواجد عسكري أمريكي طويل الأمد يرتبط بقاءه ببقاء الأسد وتنظيم داعش ويربط رحيله برحيل الأسد والقضاء على التنظيمات الإرهابية. كما يتواجد في سوريا 2000 جندي أمريكي على ومعدات حربية وطائرات وقواعد عسكرية⁽³⁾.

من خلال قراءة استراتيجية ترامب في سوريا تبدو أكثر وضوحاً عن سابقتها سواء من ناحية الأهداف المسطرة أو الآليات المتبعة، وهي اعتماد المسارين الدبلوماسي والعسكري في نفس الوقت، وهذا ما يبين التنافس الجيوبوليتيكي الأمريكي الروسي في إدارة الملف السوري على المستوى الدبلوماسي والعسكري، وعدم ترك الولايات المتحدة لروسيا التفرد بالحل السياسي والعسكري في سوريا على أساس أنها امتداد جغرافي روسي.

(1)- Robert Ford, **What is Trump's Real Policy in Syria?**, Reports, [aljazeera centre for studies](http://aljazeera.com), 21 May 2018, p3.

(2)- طارق دياب، مرجع سابق، ص2.

(3)- المرجع نفسه، ص2.

ولنفهم الاستراتيجية الأمريكية في عهدة ترامب يجب قراءتها في سياقها الزمني وفق التطورات التالية:

1. فشل إحتواء إيران: كما ذكرنا سابقا أن ترامب أعلن فور وصوله للبيت الأبيض عن استراتيجية تصعيدية في مواجهة إيران، وقد سعى منذ البداية على احتواء النفوذ الإيراني في سوريا، وذلك لمحاولة تقريب وجهات النظر مع الروس لعزل إيران وفق معادلة التخلي عن فكرة تنحي الأسد مقابل تخلي روسيا عن إيران، لكن الوضع ليس بهذه السهولة لأنه واستنادا للسيطرة الجوية لروسيا والبرية لإيران ومليشياتها فإن حاجة الطرفين لبعضها البعض مستمرة في سوريا حتى بعد تحرير سوريا من داعش بشكل نهائي.⁽¹⁾

كما أن اتفاق خفض التصعيد في الجنوب السوري الذي توصلت إليه روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بمشاركة عمان في ماي 2017 استطاعت إيران التحايل عليه، وذلك بتشكيل مليشيات محلية تتبع مباشرة للحرس الثوري وهي اللواء 313 الذي ينتشر في مدينة درعا والحواجز المحيطة بها ومقرها مدينة إزرع الخاضعة لسيطرة النظام، ومن ثم حتى وإن تم استبعاد المليشيات الإيرانية على الحدود، ستظل لإيران مليشيات محلية في الداخل السوري. التوتر الروسي الأمريكي على إثر اتهامات لترامب بالتواصل مع روسيا أثناء حملته الانتخابية. التوجه المشترك لكل من إيران وروسيا في عدائها التاريخي لأمريكا.⁽²⁾ ونظرا لكل هذه التداخلات بين إيران وروسيا صعب على الولايات المتحدة اختراق العلاقة الثنائية بينهما خاصة في ظل المصالح الثنائية في سوريا.

2. القضاء على داعش عسكريا لا أمنيا: ركزت الاستراتيجية الأمريكية على هزيمة داعش عسكريا في مناطقه الرئيسية مثل الرقة ودير الزور، دون القضاء عليه أمنيا وهذا ما ساعد تنظيم داعش على الانتقال من مرحلة التنظيم غير التقليدي بسيطرته على مناطق جغرافية معينة إلى تنظيم تقليدي يعتمد على حرب العصابات كما كان الحال لتنظيم القاعدة قبل 2014.

3. التنافس الأمريكي الروسي: أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن تواجد طويل المدى في سوريا وربطه برحيل الأسد مستنبة انعقاد مؤتمر سوتشي وهذا في إطار إظهار الوجه التنافسي لأمريكا ضد

⁽¹⁾ - Robert Ford, op, cit, p3.

⁽²⁾ - طارق دياب، مرجع سابق، ص4.

روسيا وتذكير موسكو بأنها ليست الفاعل الوحيد الذي يقرر ماهية وتوقيت الحل السياسي للنزاع السوري.⁽¹⁾

4. التسارع حول تقاسم النفوذ: مع تطورات الأوضاع في سوريا منذ التدخل العسكري الروسي في سبتمبر 2015 تزايد التنافس والتسارع الدولي لاقتسام الجغرافيا السورية سواء من القوى الإقليمية أو القوى العالمية، عبر تفاهات ومقايضات روسيا وتركيا من جهة أ وبين إيران وروسيا من جهة أخرى خاصة ما حدث بين روسيا وحلفائها في إدلب والغوطة الشرقية وتركيا في عفرين، ومن ثم أرادت إدارة ترامب إرسال إنذار لموسكو وطهران أنها لن تترك سوريا محل نفوذ مطلق لهم، وخاصة أن مخرجات النزاع السوري يرتبط بملفات دولية تمس النظام الدولي ككل في ظل التنافس المحموم بين القوى المحافظة المتمثلة في الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين لاستمرار النظام الحالي والتفرد الأمريكي العالمي، والقوى التعديلية (روسيا، إيران، الصين) وفي حالة تفرد روسيا بالحل في سوريا فمن الممكن معادلة موازين القوى لصالح القوى التعديلية.⁽²⁾

رغم تحديد ترامب لأهدافه وآليات تطبيقها في سوريا إلا أن السياق الزمني لهذه الاستراتيجية جعلها لا تختلف كثيرا عن سابقتها، رغم الجرأة التي تميزت بها سياسة ترامب إلا أن الوجود الروسي الإيراني والتغير في طرق انتشار داعش جعل هذه الاستراتيجية أقل من المستوى الذي رسمت لأجله.

فقد واجه ترامب منذ توليه الرئاسة في مطلع 2017 انتقادات عديدة نظرا لافتقاره سياسة خارجية متماسكة تجاه سوريا، لكن الانتقادات التي وجهت لترامب تشبه في أحد صورها ما واجهه الرئيس السابق باراك أوباما، الذي تميزت سياسته تجاه سوريا بالارتباط وغياب الرؤية الواضحة، فرغم استقبال أوباما لمطالبات المعارضة السورية بدعم جهودهم بالترحيب إلا أنه رفض التدخل إلى جانبهم على الأرض، وظل اهتمامه مركزا حول مساعي إيران لامتلاك السلاح النووي، وهذا ما هيا الأرضية للنظام السوري وحلفائه، وفي تلك المرحلة تعرض آلاف السوريين للقتل والاعتقال والتشريد داخل سوريا وخارجها،

(1) - ماهر سعدون خوشي صبار الساعدي، مرجع سابق، ص 260.

(2) - طارق دياب، مرجع سابق، ص 6.

وعاش 80% من الشعب السوري تحت خط الفقر ودمرت البنية التحتية الحيوية ولم نر سياسة أمريكية جادة لإنهاء النزاع.⁽¹⁾

وفي قرار مفاجئ سحبت أمريكا قواتها من سوريا في 20 ديسمبر 2018 في مدة أقصاها 100 يوم، ولم يخف الرئيس السابق ترامب رغبته في فك الارتباط السياسي والعسكري مع سوريا، هذا القرار الذي قوبل بالنقد وأدى إلى استقالة وزير دفاعه "ماتيس"، وكانت حجة "ترامب" أنه تم القضاء على (داعش) وهذا ما انتقدته المعارضة السورية التي تلقت الدعم اللوجستي من أمريكا، واعتبرت انسحاب القوات الأمريكية انتصاراً لـ "بوتين" وروسيا في الأرض السورية وتمهيداً للتدخل التركي على الحدود الشمالية لسوريا.⁽²⁾

عبر الكونغرس بمجلسيه وبأغلبيته أعضائه سواء الجمهوريين والديمقراطيين اعتراضهم على القرار وذلك لأنه لا يحمل أدنى درجات المسؤولية نتيجة الفردانية التي ينتهجها ترامب في اتخاذ القرارات المصيرية تجاه السياسة الأمريكية وعلى موقعها بصفقتها أكبر قوة عالمية، إذ أن هذا القرار وحسب أغلبية أعضاء مجلس الشيوخ والنواب لم يأخذ في الاعتبار أولويات الأمن القومي الأمريكي، ولا مسؤولية الحماية التي اتخذتها شكلياً للتدخل باسم التحالف الدولي.⁽³⁾

كما ذهب البعض بالقول إلى أن السبب وراء هذا القرار هي الظرفية التي أراد من خلالها ترامب الخروج من المأزق نتيجة مجموعة من القضايا أبرزها تحقيقات روبرت مولر، وقضية اغتيال الصحفي جمال خاشقجي، وتورط الولايات المتحدة في مساعدة قوات التحالف في الحرب على اليمن، ومشكلة الإغلاق الجزئي للحكومة الأمريكية في ظل الخلاف على الجدار الحدودي مع المكسيك والتي خلقت أزمة كبيرة بين مؤسسات الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية. فلم يكن الكونغرس المعترض الوحيد على قرار الانسحاب المفاجئ، بل امتد الاعتراض إلى أبرز مؤسسات الإدارة الأمريكية ألا وهي مؤسسة البنتاغون، فعلى الرغم من توقيع جيمس ماتيس وزير الدفاع السابق على قرار الانسحاب، إلا أن القرار الفردي لترامب تسبب في موجة من الاحتجاجات داخل المؤسسة مما أدى بوزيرها إلى الاستقالة بعد يوم من

(1) - عبد الرحمن السراج، السياسة الأمريكية تجاه سوريا في عهد إدارة بايدن، تقدير موقف، جسور للدراسات، 20 ديسمبر 2020، من الموقع: <https://jusoor.co/details> تم تصفح الموقع يوم 15.01.2022.

(2) - Endre Szenasi, US Withdrawal from Syria: Trump's Biggest Single Gift to Putin?, p4,

(3) - نورة الحفيان، الانسحاب الأمريكي من سوريا الحيثيات وردود الأفعال، تقارير سياسية، المعهد المصري للدراسات، 25 جانفي 2019، ص2.

صدور القرار. ⁽¹⁾ إن الانسحاب السريع أبان عن عشوائية ترامب في اتخاذ القرارات من أعلى دولة هرم في النظام الدولي، وعدم وجود مسؤولية أمريكية تجاه الحل السلمي في سوريا وكانت التدخلات لأهداف ظرفية مثل القضاء على تنظيم داعش، وإن كان التنظيم لم ينته بعد بل أعاد خلاياه النائمة في المناطق المجاورة واعتمد استراتيجية جديدة تتمثل في حرب العصابات.

أما روسيا بصفقتها اللاعب الأقوى في سوريا والمنافس للاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ككل رحبت بالقرار واعتبرته رجوع إلى القانون الدولي، بحيث أكدت أنه بالرغم من أن التدخل كانت له دوافع أمنية تتمثل في القضاء على تنظيم داعش، إلا أنه لم يكن يحمل أي صبغة قانونية حسب وجهة النظر الروسية، كما أكد الموقف الروسي على أن الانسحاب الأمريكي سوف يفتح آفاقاً للتسوية السياسية التي فتحتها مخرجات محادثات أستانا، وأنه سيؤثر بشكل إيجابي على تشكيل اللجنة الدستورية السورية، على الرغم من تحفظ موسكو على حيثيات القرار الذي لم يكن واضح الملامح حسب ما صرح به صرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. ⁽²⁾

بالإضافة إلى الهدف الرئيسي عن سبب التواجد الأمريكي في سوريا وهي محاربة التنظيمات الإرهابية، إلا أن هناك دوافع أكثر أهمية حيال سبب هذا التواجد، وهو احتواء إيران وعزلها، ومنع روسيا من مواصلة بسط نفوذها في المنطقة. ومن ثم فإن إعلان ترامب قرار الانسحاب خصوصاً في هذه الظرفية والوقتية يعتبر تناقضاً للمواقف الأمريكية السابقة وانتصاراً لروسيا وحلفائها سواء النظام السوري أو إيران، إذ يمكن الانسحاب الحلفاء الثلاث أن يكونوا اللاعبين الأبرز والأكثر قوة في الميدان من خلال سيطرتهم على نسبة كبيرة من الأراضي السورية. ⁽³⁾

لقد أثار التوغل العسكري التركي في أكتوبر 2019 في منطقة شمال سوريا والانسحاب اللاحق و/أو إعادة تموضع الجزء الأكبر من القوات الأمريكية في سوريا أسئلة حول ما إذا كانت سياسة الولايات المتحدة في سوريا قد تغيرت أو من الممكن أن تتغير، وفي هذا السياق صرح السفير الأمريكي في سوريا جيفري أن الأهداف الأمريكية التي تم توضيحها مسبقاً في سوريا ما تزال قائمة بالنسبة للولايات المتحدة وعندما سُئل عما إذا كان من الممكن تحقيق الهزيمة الدائمة للدولة الإسلامية بالقوات البرية صرح جيفري

(1) - طارق ذياب، مرجع سابق، ص 2

(2) - نورة الحفيان، مرجع سابق، ص 3.

(3) - المرجع نفسه، ص 3.

ن"نحن بحاجة إلى قوات برية. لكن ليس بالضرورة أن تكون قوات أمريكية"⁽¹⁾. وهذا ما يبين أن الحضور الأمريكي في سوريا ليس بالضرورة أن يكون بالوجود العسكري على الأرض في كل الأوقات، وإنما بالوكالة التي تمنحها الولايات المتحدة للدول الحليفة في النزاع السوري، وهنا إشارة إلى أن التوغل التركي في شمال سوريا سنة 2019 كان بموافقة وإيعاز أمريكيين.

رغم الانسحاب العسكري استمرت الإدارة الأمريكية في فرض عقوبات مالية واقتصادية على النظام السوري الهدف منها تعطيل النظام وتحييده، ولقد وصف المسؤولون الأمريكيون العقوبات بأنها أداة لتغيير سلوك الحكومة السورية، وإجراء عقابي مصمم لعزل سوريا ردًا على انتهاكات حقوق الإنسان المستمرة من قبل حكومة الأسد. ففي نوفمبر 2018 ومارس 2019، أصدر مكتب مراقبة الأصول الأجنبية التابع لوزارة الخزانة الأمريكية (OFAC) تحذيرات من مخاطر العقوبات الأمريكية على الأطراف المتورطة في شحنات النفط إلى الحكومة السورية. وصرح مكتب مراقبة الأصول الأجنبية أن الولايات المتحدة تهدف إلى "تعطيل الدعم لنظام الأسد من خلال منع تطبيع العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية [...] الولايات المتحدة ملتزمة بعزل نظام الأسد وداعميه عن النظام المالي والتجاري العالمي في الرد على الفظائع المستمرة التي يرتكبها النظام ضد الشعب السوري."⁽²⁾ وقد أشارت وزارة الخارجية إلى أن العقوبات الأمريكية "ستظل سارية حتى يتقيد النظام السوري وروسيا بشكل دائم ويمكن التحقق منه بقرار مجلس الأمن رقم 2254. وفي ماي 2020، جدد الرئيس ترامب قراره. فيما يتعلق بالعقوبات ضد الأفراد التي تحددهم الإدارة الأمريكية والمرتبطين بالنظام السوري."⁽³⁾

لقد تسبب إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب المفاجئ سحب قوات بلاده من سورية في خلط الأوراق واختلال الموازين، ليس في الساحة السورية وحدها بل في منطقة الشرق الأوسط عموماً، حيث بدأت الدول المعنية والقوى العالمية والإقليمية مرحلة إعادة الحسابات والتموضع بناء على المعطيات الأمريكية الجديدة. الإدارة الأمريكية تركت عملية الانسحاب من سورية ضبابية لفترة طويلة نسبياً، لكي تؤدي إلى ارتفاع حدة التجاذبات بين الأطراف الفاعلة في الساحة السورية. لكن بوادر خطة عسكرية أمريكية جديدة بخصوص الانسحاب وإدارة منطقة شرق الفرات بدأت تتبلور مؤخراً. حيث تتضمن الخطة

(1)-Endre Szenasi,op,cit, p30.

(2)- Department of the Treasury, "OFAC Advisory to the Maritime Petroleum Shipping Community," March 25, 2019.

(3)- Carla E. Humud Christopher M. Blanchard, Armed Conflict in Syria: op,cit,p31.

العسكرية الأمريكية مشاركة الحلفاء الأوربيين إدارة شؤون منطقة شرقي الفرات وتمكين ميليشيات "قسد" من إنشاء منطقة حكم ذاتي بعيدة عن الحدود مع تركيا، رغم معارضة أنقرة الشديدة.⁽¹⁾

وتقضي الخطة الأمريكية بنشر 1500 عسكري أوروبي، مقابل نشر 200 مقاتل أمريكي لتقديم الدعم الاستخباراتي وعمليات القيادة والسيطرة، والقيام بمهمة الفصل بين مليشيات قسد والمنطقة الآمنة. بهذه الطريقة تحافظ واشنطن على بعض النفوذ في شمال شرق سورية، وتخفف من تبعات القرار المفاجئ بسحب قواتها من المنطقة. في الوقت ذاته، تستمر إدارة ترامب في سياسة إضعاف إيران في سورية والعراق، سواء من خلال استهداف الطيران الإسرائيلي المتكرر للمواقع الاستراتيجية الحساسة التابعة لإيران وحزب الله اللبناني في سورية، أو من خلال إحكام الحصار الاقتصادي على دمشق.

واشنطن استخدمت الفيتو ضد محاولات إعادة النظام لشغل مقعد سوريا في الجامعة العربية، كما أجهضت جهود بعض الدول العربية الرامية لتعويم نظام الأسد، وتمويل مشاريع إعادة الإعمار، بهدف الضغط على النظام للقبول بإجراء إصلاحات سياسية، وفرض مزيد من العزلة السياسية على إيران.⁽²⁾

وبعد السياسات العشوائية لترامب وفشله في الملف السوري بالإضافة إلى قضايا داخلية وأخرى دولية لم يتمكن من العودة للبيت الأبيض مرة ثانية رغم ترشحه للانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر 2020 والتي أوصلت هذه المرة جو بايدن للحكم في الولايات المتحدة بعد فوزه على منافسه الجمهوري الرئيس السابق دونالد ترامب، وابتداء من تاريخ 20 جانفي 2021 أصبح جو بايدن⁽³⁾ الرئيس

(1) - محمد عثمان، هل تشكل التحركات الأمريكية الأخيرة ملامح استراتيجية جديدة؟ (تحليل)، الأناضول، 12.03.2019، من الموقع: <https://www.aa.com.tr> تم الاطلاع يوم 01.01.2022.

(2) - المرجع نفسه.

(3) - جوزيف روبينيت بايدن **JOSEPH ROBINETTE BIDEN** ولد سنة 1953 في سكرانتون بولاية بنسلفانيا سياسي ومحام أمريكي، وعمل ككاتب للرئيس الأمريكي باراك أوباما، بعد أن أنهى مسيرته الطويلة في مجلس الشيوخ كسيناتور، كما أنه عضو في الحزب الديمقراطي الأمريكي. وبايدن سياسي ومحام أمريكي، وعضو بارز في الحزب الديمقراطي الأمريكي، شغل مناصب بارزة خلال مسيرته أبرزها: نائب الرئيس الأمريكي الرابع والأربعين (باراك أوباما)، وسادس أصغر سيناتور منتخب في تاريخ الولايات المتحدة كما أعيد انتخابه في مجلس الشيوخ (كسيناتور) 6 مرات بعدها، إضافة لرئاسته لجنة العلاقات الخارجية في السابق. رشح بايدن نفسه لرئاسة الولايات المتحدة للمرة الثالثة ضمن الانتخابات نوفمبر لعام 2020، وفاز بها ويعتبر الرئيس السادس والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية للمزيد اطلع:

Joe Biden, The White House, at: <https://www.whitehouse.gov/administration/president-biden>.

السادس والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية، خلفا لمنافسه السابق دونالد ترامب، ويعتبر بايدن من المنتقدين بشدة لسياسة ترامب خاصة في الملف السوري.

يرى بايدن أن الفشل الرئيسي لكل من إدارة ترامب وأوباما لعدم الإقرار بالمصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة في استقرار سوريا، لذلك لم تضع الإدارتان الملف السوري في سلم أولوياتهما، وربطت الملف بمواجهة إيران بالدرجة الأولى ومحاربة الإرهاب. (1) انتقد الرئيس الجديد بشدة سياسة ترامب في سوريا، والتي يقول إنها سمحت لروسيا وإيران بتعزيز مواقفهما هناك. من المرجح أن يستمر الضغط الاقتصادي على سوريا، لكن سيتضح للرئيس بشار الأسد ما يتعين عليه فعله لتخفيف العقوبات ضد نظامه. جاء في مقال لألكسندر أكسنينونوك بعنوان ماذا يقدم بايدن لروسيا في سوريا وليبيا أنه؛ من غير المرجح أن يكون الشرق الأوسط أولوية للإدارة الأمريكية الجديدة بالنظر إلى المهام الملحة المتمثلة في إعادة البلاد إلى دورها كقائد واستعادة الثقة بها في زمن الانقسامات الداخلية والوباء. على الرغم من توقعات موسكو القاتمة من الرئيس المنتخب جو بايدن، فإن مراجعته لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط قد تؤدي إلى فرص جديدة لروسيا، فضلاً عن عقبات جديدة. (2)

لكن أهمية سوريا ومن خلالها منطقة الشرق الأوسط في الحسابات الجيوستراتيجية للقوى الكبرى، تجعل منها قبلة لكل الإدارات الأمريكية على اختلاف توجهاتها وحسابات المصالح الجيوبوليتيكية الخاصة بها. وثمة مؤشرات تبين أن دور بايدن في سوريا سيكون مختلفاً حيث يعمل القادم الجديد على استعادة الدور الأمريكي الذي تراجع كثيراً في الإدارتين السابقتين. وتعكس الأسماء التي اختارها بايدن لتولي المناصب ذات الصبغة السياسية والأمنية تجاه المنطقة العربية والشرق الأوسط دلالات لتوجهات سياسته الخارجية خلال سنوات حكمه الأربعة تجاه القضايا الأساسية في الشرق الأوسط وخاصة الملف السوري.

1. وزير الخارجية: أنتوني بلينكن:

عُرف عنه قرينه الشديد لبأيدن منذ سنوات، فقد كان أحد المستشارين الرئيسيين له حين كان رئيساً للجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ، ومع تولي أوباما الرئاسة في 2009، شغل منصب مستشار الأمن القومي لنائب الرئيس (جو بايدن) ثم نائباً لمستشار الأمن القومي للرئيس، وفي 2014 أصبح نائباً

(1) - عبد الرحمن السراج، مرجع سابق.

(2) - Alexander Aksenyonok, What Will Biden Offer Russia In Syria And Libia, carnegie moscow center, 22.12.2020 on: <https://carnegiemoscow.org/commentary/83516> visited 16/01/2022.

لوزير الخارجية (جون كيري). كان أبرز المناصرين لتدخل عسكري ضد نظام بشار الأسد في سوريا 2013 بعد الاتهامات التي وجهت للنظام السوري باستخدام الأسلحة الكيماوية ضد المعارضة، رغم رفض أوباما التدخل آنذاك، كما أنه من أبرز المؤيدين والمناصرين لإسرائيل ودعمها غير المشروط.

2. وزيرة الدفاع: ميشيل فلورنوي

أول امرأة من المحتمل أن ترأس البنتاغون في سابقة فريدة من نوعها في تاريخ الولايات المتحدة، اختيار حمل الكثير من الدلالات والرسائل، لكنه كان تنويجاً لمسيرة طويلة قضتها المرشحة داخل الكيانات والأنظمة الدفاعية والأمنية، إذ عملت كوكيل وزارة الدفاع للسياسة في إدارة أوباما في الفترة من 2009-2012. معروف عن وزيرة الدفاع الجديدة ميولها للتعاون العسكري في الخارج وتعزيز الاستثمارات الدفاعية لبلادها، كونها من أبرز المناصرين لفكرة تطوير الأسلحة الدفاعية الأمريكية وتصديرها للخارج، إذ دعت إلى إرسال تكنولوجيا مضادة للطائرات دون طيار إلى السعودية قبل ذلك.⁽¹⁾

3. مدير المخابرات الوطنية: أفريل هينز

وقع اختيار بادين على المحامية المخضرمة، أفريل هينز، لتولي منصب مديرة الاستخبارات الوطنية، لتصبح بذلك أول امرأة تشغل هذا المنصب في التاريخ الأمريكي، وهو الاختيار الذي أثار الكثير من الجدل لما له من أهمية كبرى، كون هذا المنصب الأرفع في الوسط الاستخباري الأمريكي، حيث يشرف مدير الاستخبارات الوطنية على 12 وكالة استخبارية وترفع إليه تقاريرها.

تعرض بايدن بسبب هذا الخيار لانتقادات حادة وذلك بسبب دورها في برنامج الهجمات بالطائرات المسيرة الذي اعتمده إدارة أوباما، ويتهمة حقوقيون بأنه تسبب في مقتل المئات من المدنيين، هذا بخلاف دعمها لـ"جينا هاسبيل" مديرة وكالة المخابرات المركزية المتورطة بشكل مباشر في برنامج التعذيب سيئ السمعة الذي تم اعتماده في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001.⁽²⁾

(1) - عماد عنان، السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. قراءة في اختيارات بايدن، نون بوست، 12.01.2021، من

الموقع: <https://www.noonpost.com/content/39487> تمت زيارة الموقع يوم 16.01

(2) - المرجع نفسه.

4. مستشار الأمن القومي: جيك سوليفان

عمل سابقاً مستشاراً للأمن القومي لبايدن خلال ولاية أوباما، كما كان له دور محوري في إبرام الاتفاق النووي الإيراني بعد وساطته لإجراء محادثات عبر القنوات الخفية مع طهران.

وفي 2006 عمل مستشاراً رئيسياً للسياتور عن ولاية مينيسوتا إيمي كلوبوشار التي قدمته بشكل رسمي إلى هيلاري كلينتون، وكان من أبرز الداعمين للتدخل العسكري في ليبيا وسوريا، كما عارض مناقشات السفير ريتشارد هولبروك للتحديث إلى طالبان على الأقل دون شروط مسبقة.

5. بریت ماغفورك.. مستشار الأمن القومي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا

أحد المثيرين للجدل في تشيكة بايدن المختارة لقيادة السياسة الخارجية الأمريكية الجديدة تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الدبلوماسي، العائد من عمله كمبعوث التحالف الدولي لقتال تنظيم الدولة الإسلامية (من 2015-2018)، إلى واجهة السياسة الأمريكية مجدداً.

عمل ماغفورك في المجال الدبلوماسي منذ عهد الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش، مروراً بعهد أوباما وترامب، وها هو يواصل مسيرته السياسية مع بايدن، وقد شغل العديد من المناصب منها نائباً للمبعوث الرئاسي الخاص للتحالف الدولي ضد تنظيم الدولة في وزارة الخارجية الأمريكية في 2015/2014، كذلك نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكي للعراق وإيران في مكتب شؤون الشرق الأوسط.⁽¹⁾

في كتابه "نقاط القرار" أشار إليه الرئيس جورج دبليو بوش على أنه جزء من فرقة المحاربين الشخصية للرئيس التي أدت إلى إحداث إستراتيجية جديدة وإعادة الحرب إلى مسارها في العراق، وكان في 2008 قد عمل كمفاوض رئيسي ومنسق خلال المحادثات الثنائية مع الحكومة العراقية من أجل اتفاقية "الإطار الإستراتيجي طويلة الأجل"، و"الاتفاقية الأمنية لتنظيم الوجود المؤقت للقوات الأمريكية" وتطبيع العلاقات الثنائية بين العراق والولايات المتحدة.

من أشد المعارضين لقرار ترامب الانسحاب من سوريا، كما أنه من أشد المتحمسين لتسليح الميليشيات الكردية الانفصالية المسلحة، مساهماً وبشكل كبير في تقديم كل أشكال الدعم والتخطيط

(1) - عماد عنان، مرجع سابق.

والتوجيه لإبعاد شبهة الإرهاب عنها وإكسابها صفة سياسية تحت مسميات شتى، وهو ما سيكون له تداعياته على العلاقات الأمريكية التركية كما سيرد ذكره.¹

كشفت تلك التعيينات وما تحمله من إرث سياسي وأيديولوجي العديد من الرسائل والدلالات التي تكشف وبصورة نسبية ملامح السياسة الخارجية الأمريكية الجديدة في عهد الرئيس الديمقراطي، التي تأتي في معظمها سلبية إلى حد ما حيال الملفات الحساسة في المنطقة.⁽²⁾ فبايدن من خلال قراءة الشخصيات التي اختارها للملفات والمناطق الساخنة تبين رغبة الرئيس الأمريكي الجديد في سياسة تدخلية أكثر للولايات المتحدة في سوريا، وهذا ما صرح به بايدن سابقاً منتقداً السياسة الانسحابية لترامب والمواقف المرتبكة لأوباما. حمل اختيار بریت ماغوروك، لمنصب مستشار الأمن القومي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، رسالة سلبية عن مستقبل العلاقات التركية الأمريكية، فالسيرة الذاتية للمستشار الجديد تشير إلى كراهيته الواضحة لتركيا وحبه ودعمه لتنظيمات حزب العمال الكردستاني في تركيا. كان ماغوروك على رأس المنتقدين لقرار ترامب سحب قوات بلاده من سوريا.

رحبت قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، من جهة أخرى، بهذا الاختيار الذي تراه في صالحها على المستوى السياسي والعسكري، وهو ما عبر عنه عضو هيئة العلاقات الخارجية في حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، دارا مصطفى بقوله: "نأمل من عودة ماغوروك القوية لموقع مسؤولية أعلى لإدارة كامل ملفات الشرق الأوسط، أن يساهم في حلحلة الأزمة السورية عبر دعم مشروع الإدارة الذاتية".⁽³⁾

الباحث المختص بالشأن الأمريكي عبد الرحمن السراج، يرى أن نجاح بايدن في المقام الأول ثم تشكيلة المستشارين المختارين تشير إلى احتمالية تكرار أسلوب أوباما في إدارة الملف السوري، مضيئاً في تصريحاته "تعيين ماغوروك سيكون سلبياً بكل المقاييس في الملف السوري، حيث من المرجح أن لا تدعم إدارة بايدن صراحة إعلان حكم ذاتي في شمال شرق سوريا، وإنما ستسعى إلى فرض ذلك بخطوات على الأرض لفرض الأمر الواقع" هذا بجانب الموقف المتشدد من أنقرة الداعم الوحيد للمعارضة السورية التي

(1) - عماد عنان، مرجع سابق

(2) - المرجع نفسه

(3) - ما تأثير عودة ماغوروك حليف «قسد» إلى الملف السوري في مجلس الأمن القومي الأمريكي؟، جريدة القدس العربي،

10 جانفي 2021، من الموقع: <https://www.alquds.co.uk> تمت زيارة الموقع يوم 16.01.2022.

أقلقها هذا الاختيار بشدة.⁽¹⁾

تدرك إدارة بايدن أن استمرار سوريا كدولة فاشلة، سوف يترتب عليه تداعيات خطيرة، في مقدمتها استمرار معاناة الشعب السوري، وتدفق موجات جديدة من اللاجئين إلى الدول المجاورة، وهذا ما يوفر أرضية مناسبة للجماعات الإرهابية، ويساعد على عودة الاشتباكات المسلحة بين أطراف النزاع في سوريا وهذا ما يؤثر على أمن دول الجوار خاصة الأمن الإسرائيلي الذي يعد مطلب لا غنى عنه في كل الإدارات الأمريكية المتعاقبة.

إن الطاقم الحكومي والوزاري الحساس الذي أحاط به بايدن نفسه، والقراءات السلبية لتطورات الوضع في سوريا ومنطقة الشرق الأوسط لم تطل حتى باشرت مهامها التدخلية وذلك بشن الولايات المتحدة ضربات جوية ضد منشآت تابعة للمليشيات الشيعية المدعومة من طرف إيران في شرق سوريا بعد الهجمات الصاورخية التي شننتها في وقت سابق القوات المدعومة من إيران ضد القوات الأمريكية المتمركزة في مطار أربيل، وهذا ما أغضب القادة الروس واعتبروه نزعة أحادية من طرف الولايات المتحدة.⁽²⁾ وقال عن هذه الهجمات سكرتير البانتغون "جون إف كيربي" إن الغارة الجوية الأمريكية على شرق سوريا شملت طائرتين من طراز **F-15E Strike Eagles** أسقطتا سبع ذخائر دقيقة التوجيه ودمرت تسعة منشآت بالكامل ودمرت جزئياً اثنين آخرين وصرح كيربي للصحفيين بأنه تم إجراؤه ضد البنية التحتية التي تستخدمها الجماعات المسلحة المدعومة من إيران. وقال إن الضربة تمت رداً على الهجمات الأخيرة ضد أفراد القوات الأمريكية وقوات التحالف في العراق والتهديدات المستمرة لهؤلاء الأفراد كما يؤكد كيربي على أهمية الهجمة باعتبارها الأولى من نوعها في ظل الإدارة الجديدة للرئيس جو بايدن. وأوضح كيربي أن الهياكل كانت في مدينة البوكمال السورية بالقرب من نقطة مراقبة دخول للعناصر الإرهابية قريبة من الحدود السورية العراقية كما أن الموقع حسبه بتسهيل نشاط الجماعات المسلحة المتحالفة مع إيران.⁽³⁾

(1) - عماد عنان، مرجع سابق.

(2) - Anna Borshchevskaya, **How Russia Is Responding To Joe Biden's Syria Air Strike**, The Washington Institute For Near East Policy, Mars 1, 2021, at <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/how-russia-responding-joe-bidens-syria-airstrike>. visited 16/01/2022.

(3) - Terri Moon Cronk, **Defense Official Says F-15s Struck Iranian-Backed Militia Facilities In Syria**, U.S Department Of Defense, Feb. 26. 2021, Dad News. At: <https://www.defense.gov/News/Ne>. visited 16.01.2021.

إن السياسة الأمريكية في عهدة بايدن رغم أنها في بدايتها إلا أنها أثبتت سواء بالتصريحات التي أدلى بيها بايدن بأنه لن يقع في نفس أخطاء الإدارات السابقة، وأن ترامب وأوباما لم تكن لهما أهداف واضحة من التدخل في سوريا، واختيارات الطاقم الحساس الذي يرافقه في العمل وبداية الهجمات بعد شهر واحد من توليه الرئاسة تظهر عن السياسة التدخلية لبaidن في سوريا وأن إيران هي الهدف المحوري لأمريكا في الشرق الأوسط وليس الحل السلمي للنزاع السوري، ومن خلال إيران بعث رسائل لروسيا بأن الولايات المتحدة لم تنسحب من قضايا الشرق الأوسط كما روج له إعلاميا وأن الولايات المتحدة مستمرة في نهجها التنافسي ضد روسيا في المناطق الحيوية.

المبحث الثاني:

الاستراتيجية الروسية: الأوراسية الجديدة والمدخل السوري للشرق الأوسط

تعتبر سوريا في الرؤية الروسية مفتاح منطقة الشرق الأوسط، منذ عهد الأسكندر المقدوني قبل 3242 عام، لأن التغيير الجيوبوليتيكي في منطقة الشرق الأوسط لا يتحقق إلا عبر دمشق حسب روسيا لأن هذه الأخيرة ترى سوريا فرصتها الوحيدة لاستعادة دورها كفاعل أساسي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لأنها حليف استراتيجي لروسيا في المنطقة، ومحور جيوبوليتيكي في السياسة الروسية حسب المفكر الكسندر دوغين، كما تعد سوريا الدولة الوحيدة في المنطقة التي تسمح لروسيا بإقامة قواعد عسكرية على أراضيها للحفاظ على دورها في الشرق الأوسط والقوقاز، وقد صرحت الخارجية الروسية أن النظام العالمي القادم مرهون بتسوية النزاع السوري.⁽¹⁾ لأن سوريا تمثل بؤرة نفوذ مستقبلية في الجيوبوليتيكا الروسية وسط منطقة نفوذ سياسية وعسكرية أمريكية من الجهات الأربع.

فسوريا اليوم محاطة بقواعد عسكرية أمريكية في العراق، وفي تركيا، وفي الأردن وفي إسرائيل، إضافة إلى تمركز الأسطول السادس الأمريكي قبالة الساحل السوري. ومن ثمَّ ترغب روسيا في أن تتجاوز في منطقة نفوذها بسورية مع مناطق نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية. وذلك على الرغم من الوجود المحدود للقوات البرية الأمريكية في الأراضي السورية إذ يقتصر على المناطق التي تسيطر عليها قوات سورية الديمقراطية، ويشكل الكرد أغليبيتها (مدينة عين العرب/ كوباني، مدينة الرميلان)⁽²⁾

المطلب الأول: الدعم الدبلوماسي واللوجستي للنظام السوري:

لقد كانت الحالة السورية خروجاً عن الخط العام للسياسة الروسية تجاه الثورات العربية، إذ كانت موسكو أسرع استجابة وحسماً في مواقفها تجاهها. فعقب اندلاع التظاهرات السلمية ضد الرئيس بشار الأسد ونظامه اتخذت موسكو في البداية موقفاً وسطاً بين النظام السوري والمعارضة منطلقاً من حق الشعب السوري في التغيير، وحذر الرئيس الروسي آنذاك ديمتري مدفيديف القيادة السورية ورأى أنه ينتظر الأسد مصير مخز إذا لم يبدأ حوار مع المعارضة وبيّش الإصلاحات.

(1) - ماهر سعدون خوشي صبار الساعدي، مرجع سابق، ص 231.

(2) - جوان حمو، سوريا في المعابر الجيوسياسية الروسية وموقع كرد سوريا فيها، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 1 أفريل 2017، من الموقع: <https://www.harmon.org/reports>

كان التحول المهم في الموقف الروسي مع تصاعد الانتفاضة السورية واستخدام السلطات العنف ضد المتظاهرين ثم لجوء المعارضة إلى القوة ضد الجيش النظامي الموالي للأسد، حيث حملت موسكو المسؤولية للسلطة والمعارضة معا ورفضت رفضا قاطعا أي تدخل خارجي مباشر أو غير مباشر. وكان موقف موسكو انطلاقا من حتمية الحل السلمي وجلوس جميع الأطراف المعنية إلى طاولة المفاوضات. فروسيا عبرت عن استياءها من الخديعة التي تعرضت لها على يد النатов فيما يتعلق بإصدار قرار دولي بحجة حماية المدنيين من العقيد معمر القذافي ليتحول ذريعة للتدخل العسكري لفرض وصاية غربية على ليبيا، لذا فقد أعلنت عزمها معارضة أي قرار دولي يصدر في حق سوريا.⁽¹⁾

على خلاف باقي ثورات الربيع العربي فإن الدعم الروسي لنظام الحكم أوضح في الحالة السورية، حيث أبدت دعما سياسيا ودبلوماسيا وعسكريا واضحا لنظام بشار الأسد مع دعوتها للقيادة السورية وللمعارضة لوقف العنف، ومباشرة إصلاحات تلبى مطالب غالبية الشعب السوري رافضة دعوات الغرب لتتحي الأسد أو الإطاحة به. هذا الموقف جاء على خلاف الحالة الليبية، لأن روسيا لديها تجربة في الحرب ضد الحركات الإسلامية في شمال القوقاز، التي أصبحت عابرة للدول وتتغذى من أنصار السنة والمذهب الوهابي، فهي متخوفة من سقوط النظام في سوريا ووصول الإسلاميين السلطة، مما يمهد لإمكانية إحياء الحركات المتطرفة في القوقاز. اليوم توجد عدة مجموعات من المقاتلين الشيشان ضمن صفوف المعارضة المسلحة ضد الجيش السوري، وهذا يشكل تهديدا جديا للأمن القومي لروسيا. كذلك تعتبر سوريا المعقل الوحيد لروسيا في منطقة الشرق الأوسط، وسقوطها يعني خروج روسيا من المنطقة ككل، ويسهل تقدم الغرب باتجاهها ومحاصرتها خاصة بعد احتلال أفغانستان والعراق. كما أنها تخشى انتقال ثورات الربيع العربي إلى جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز. وخسارتها لسوق السلاح السوري على غرار ما حدث في ليبيا. إن سقوط سوريا يمهد لتوجيه لضرب إيران ويجر المنطقة إلى عدم الاستقرار بما فيها جنوب القوقاز وإحياء النزاع حول إقليم ناغورني كارباخ بين أذربيجان وأرمينيا مما يقحم روسيا بطريقة أو بأخرى.⁽²⁾

(1) - حدود التدخل العسكري الروسي في سوريا، مرجع سابق، ص 2.

(2) - رماش يوسف، روسيا الإتحادية في البيئة الأمنية الدولية: التحديات والمواقف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص دراسات استراتيجية وعلاقات دولية (جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم الدراسات الدولية، دورة 2016.2012)، ص 221.

لهذا حاولت روسيا كغيرها من القوى المنخرطة في سوريا الأخرى لعب أدوار فاعلة للحفاظ على مصالحها الجيو أمنية والجيو اقتصادية تحديداً، ومنه العودة من جديد إلى المنافسة الدولية على مناطق النفوذ، لاسيما وأنّ روسيا بوتين أصبحت تبحث عن الفاعلية الاستراتيجية أكثر من أي وقت مضى. ولمعرفة الاستراتيجية الروسية في سوريا ومحاولة فهم التفاعل الروسي في النزاع السوري يجب العودة إلى الجذور التاريخية للعلاقات الروسية مع النظام السوري؛ حيث كانت روسيا حليفاً عسكرياً وسياسياً لسوريا منذ عام 1956 في عهد الاتحاد السوفيتي السابق⁽¹⁾ واستمر هذا الدعم التاريخي لأكثر من نصف قرن ليصبح تدخلاً مباشراً ودعمًا عسكرياً للنظام السوري بعد الانتفاضة الداخلية التي تحولت بسرعة لنزاع متعدد الأطراف والمصالح فكانت روسيا اللاعب الأساسي في سوريا، كما كانت واضحة في موقفها من البداية لصالح بقاء النظام السوري وبشار على رأس الحكم.⁽²⁾ وتحاول روسيا في تعاملها مع الملف السوري تحقيق المصالح الاستراتيجية التالية:

- الحفاظ على المصالح الروسية في الشرق الأوسط ومنع النفوذ الأمريكي وتمدد حلف شمال الأطلسي للجنوب.

(1)- إن التقارب الروسي السوري يرجع إلى حقبة الحرب الباردة، حيث أنه في مقابل الدعم الأمريكي المطلق لإسرائيل وجدت موسكو في سوريا غيرها من الدول العربية مجالاً حيويًا لها في منطقة الشرق الأوسط. أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي وسورية في جويلية 1944 وبمساعدة الاتحاد السوفيتي الاقتصادية والفنية بني في سوريا قرابة 80 من المرافق الضخمة، بما فيها سد الفرات ومجموعة المنشآت الهيدروتكنيكية والمحطات الحرارية، ومد حوالي 2000 كم من خطوط السكك الحديدية وخطوط الكهرباء والمياه واكتشاف النفط في شمالي شرق البلاد. ثم أن آلاف السوريين درسوا في المعاهد والجامعات السوفيتية والروسية، وكذلك انجاز القاعدة العسكرية السوفيتية سابقا على ميناء طرطوس ناهيك عن تدريب وتسليح الجيش السوري. وبوصول حافظ الأسد إلى السلطة وجد الكرملين في دمشق بديلا عن القاهرة التي كان رئيسها حين ذلك قد قرر طرد الخبراء السوفيات والانفتاح على الولايات المتحدة عام 1971، فأخذت العلاقة بين البلدين منحنا استراتيجيا توجت عام 1980 بتوقيع معاهدة الصداقة والتعاون. لكن مع انهيار الاتحاد السوفيتي وانكماش روسيا شهدت العلاقات بين البلدين بعض الفترت مما أدى إلى انخفاض حاد في حجم التبادل التجاري بين البلدين وتوقف التعاون في عدد من المجالات، إلى أن بدأت الأمور بالعودة تدريجيا عام 1995، لكنها لم تكن تثير الاهتمام الغربي. وبوصول الرئيس السوري الحالي بشار الأسد إلى السلطة عام 2000، والذي تزامن مع وصول بوتين إلى الكرملين وفي الوقت الذي بدأت روسيا في التعافي من أزماتها المتعددة، انتعشت العلاقات بين البلدين في جميع الميادين. لمزيد من التفاصيل، أنظر: YAKEMTCHOUK (Romain), *La politique étrangère de la Russie*, éd. L'Harmattan, Paris, 2008, p 304.

(2)- Mohammad Salim Al-Rawashdeh, "International and Regional Political Competitions in Syria "Geo-political dimensions"*Journal of Political Studies*, Vol. 25, Issue - 1, 2018, 55 /80.

- إجبار الولايات المتحدة على عدم تهميش روسيا في أي تسوية للنزاع السوري سواء بالطرق الدبلوماسية أو العسكرية.

- التأكيد على مبدأ إحترام السيادة للدول (وهذا لأن بقاء النظام السوري يخدم مصالحها الحيوية).⁽¹⁾

تمثلت الاستراتيجية الروسية في سوريا في الحفاظ على النظام السوري الراعي لمصالحها والحفاظ على الأقلية في وجه الأكثرية، وهذا ما دفعها للإعلان أنها حامية الأقليات في الشرق الأوسط، ما يعطيها الفرصة للوصول إلى مقدرات النفط والغاز في الساحل الشرقي للمتوسط.⁽²⁾ لهذا يعتبر الدافع الاقتصادي الأكثر أهمية للسياسة الروسية في الشرق الأوسط وخاصة في سوريا وذلك من خلال التنقيب عن موارد النفط والغاز البحرية والشاطئية، والتي تبدو وفيرة للغاية.

إن روسيا حصلت على اتفاقيات امتياز من سوريا في هذا المجال. علاوة على ذلك، فإن سوريا جزء من منطقة يمكن لروسيا من خلالها بناء خطوط أنابيب لنقل مواردها من النفط والغاز إلى أوروبا الغربية. كما تمثل الموارد المعدنية في السيليكون دافعا كبيرا لروسيا في سوريا بسبب دورها في المنتجات عالية التقنية. المعادن الأخرى مثل الفوسفات بكميات كبيرة في سوريا وهي ذات فائدة للاقتصاد الروسي⁽³⁾

لقد دعمت روسيا نظام بشار الأسد منذ بداية الانتفاضة بإرسال أسلحة وخبراء عسكريين وتقنيين لتدريب جيش النظام السوري على استخدام الأسلحة الروسية وإصلاح المعدات العسكرية السورية. وأشارت صحيفة الإيكونوميست في تقرير لها إلى أن روسيا تساعد في الحفاظ على النظام السوري. في ديسمبر 2012 ورد أن المستشارين العسكريين الروس قاموا بحماية بعض الدفاعات المضادة للطائرات التي أرسلتها روسيا إلى سوريا. وفي جانفي 2014 زودت روسيا بشار الأسد بمركبات جديدة ومدركات وأنظمة مراقبة ورادارات وأنظمة حربية إلكترونية، إضافة إلى قطع غيار لطائرات عمودية وقنابل وصواريخ⁴

وتميزت العلاقات الروسية السورية عبر تاريخها الطويل بالديمومة رغم كثرة الأحداث وسرعة التطورات اللاحقة، مما يجعلها تتجاوز حدود الصداقة التقليدية، وتؤسس لمستوى استراتيجي من التعاون

(1) - ماهر سعدون خوري صبار الساعدي، مرجع سابق، 231.

(2) - المرجع نفسه، ص 232.

(3) - Hani abou fadel, putin's world in the middle east, notre dame university-louaize-, 4/5/2019, p20.

(4) - Mohammad Salim Al-Rawashdeh, op, cit, p60.

والتنسيق الشامل على كافة الأصعدة. على هذا الأساس اتخذت روسيا موقفاً مثابراً في دعم النظام السوري منذ بداية الأزمة، حيث رفضت بداية إطلاق مصطلح الثورة على الأحداث في سوريا وأبدت معارضتها الشديدة لأي تدخل أو تحرك دولي في سوريا من خلال تعطيل قرارات مجلس الأمن التي أدانت استخدام النظام للقوة المسلحة، ورفضها للعقوبات الدولية المفروضة خاصة الأمريكية منها باستخدام حق الفيتو.⁽¹⁾

ضف إلى ذلك اعتمدت روسيا موقفاً سياسياً واضحاً إزاء قوى المعارضة واعتبرت أن المؤسسات التمثيلية ما هي إلا جماعات موالية للغرب تتكون من إسلاميين متطرفين. واتضح الموقف الروسي من خلال تقديم الدعم السياسي والدبلوماسي داخلياً وخارجياً إلى جانب التزويد غير المنقطع للجيش السوري بالسلاح. الموقف الروسي لم يكن اعتباطاً، وإنما تدفعه مصالح كثيرة سياسية وإستراتيجية وعسكرية واقتصادية في جوهرها، انطلاقاً من الموقع الجيوبوليتيكي المهم لسوريا، فهي تعد موطناً قدم إستراتيجي لروسيا في المنطقة الحيوية الشرق الأوسطية.

وعندما نتحدث عن المصالح الحيوية بين البلدين، فإن أول ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن هو الدوافع الاقتصادية التي ترتبط بالعلاقات التجارية بينهما، خاصة في مجال الاستثمار والتجارة والطاقة والسلاح، أين قدر حجم التبادل سنة 2010 بـ 1.1 مليار دولار إلى جانب توقيع العديد من الاتفاقيات والعقود المبرمة مع الشركات الروسية المتخصصة في صناعة الأسلحة والتي تجددت عقودها بعد عملية شطب الديون السابقة، كما استثمرت الشركات الروسية فيما مجموعه 20 مليار دولار عام 2009 وانخرطت في تنفيذ مشاريع أخرى في مجال الطاقة.⁽²⁾ ويذهب الكثير من المراقبين إلى أن ما تريده روسيا هو الاحتفاظ بقاعدة طرطوس البحرية العسكرية، خاصة وأنها طالما عانت من عدم قدرتها للوصول إلى المياه الدافئة الأمر الذي يضيف أهمية إستراتيجية بالنسبة للمراكب البحرية الروسية الموجودة في البحر المتوسط، إلى جانب مكافحة القرصنة البحرية وشحن الأسلحة والذخائر.⁽³⁾

(1) - عبد الرحمان يونس لعبيدي، "موقف روسيا الاتحادية من الثورات العربية الثورة السورية نموذج"، مجلة دراسات إقليمية العدد 22، العراق، 2013، ص 38.

(2) - Dimitri Trenin, russia's interestes in syria, carnegie moscow center, june 9, 2014, on: <https://carnegiemoscow.org/2014/06/09/russia-s-interests-in-syria-pub-55831>

(3) - العابد نائلة، كريبش نبيل، "النزاع في سوريا قراءة في مواقف ومصالح الأطراف الفاعلة ودورها في توجيه مسارات النزاع"، مجلة المعيار: (المجلد 25، العدد 59)، السنة 2021، ص 632.617.

ولم تتوانى في تقديم الدعم السياسي والعسكري والأمني للنظام السوري، فقد استخدمت روسيا فن النفس الطويل، وجس النبض وتصعيد موقفها التدخل، وذلك لمحاولة إرباك المنافس الأمريكي بالدرجة الأولى ومن ورائه الإتحاد الأوربي نظرا للضغوط السياسية والاقتصادية التي تتعرض لها روسيا من قبلهم، وهو أمر لم تتخذه في مواقفها سابقا مع حلفائها في منطقة الشرق الأوسط، ففي غزو العراق لم يتجاوز ردها التلويح باستخدام حق الفيتو لكنها لم تستخدمه، في حين في سوريا استخدمت روسيا حق النقض مرتين بمعية الصين في أكتوبر 2011 وفي فيري 2012 في تحد صريح للنفوذ الأمريكي لحل النزاع السوري، في محاولة روسية لإثبات دورها في تفاعلات المنطقة وأنه لا يمكن تهميشها في أي تسوية أو مفاوضات تخص سوريا.¹

يأتي على قائمة الأهداف الاستراتيجية للتدخل الروسي تحدي الهيمنة الأمريكية على الشؤون العالمية، فسوريا أصبحت ساحة للصراع بين القوى الكبرى، لذلك جاء النزاع فيها كفرصة مهمة تؤكد فيها روسيا على إثبات وجودها ودورها على المستوى الدولي، وتكون بذلك طرفا فاعلا في إدارة الأزمات من خلال استعراض الحلول والتدخل للضغط والمنافسة. وما عزز هذه الرؤية هو التردد أو التراجع الذي وسم قرارات إدارة "باراك أوباما" تجاه النزاع السوري في بحثه عن سياسة جديدة تمنعه من الخوض في حروب الشرق الأوسط، خاصة مع تجاهل واستخفاف أمريكا وأوروبا لروسيا في العديد من القضايا الدولية فرأته موسكو يشكل حصارا غربيا استراتيجيا ضدها²

على صعيد آخر، ونظرا لطبيعة الأحداث الداخلية في روسيا خاصة في ظل تصاعد الاحتجاجات من حين لآخر داخل المناطق ذات الوجود الإسلامي، نجد أن روسيا جعلت وجودها في سوريا بمثابة خط دفاع لمواجهة تمدد الحركات الإسلامية التي وإن لاقت استقطاب المسلمين الروس سيؤدي ذلك إلى تهديد وجود النظام القائم ويسبب تشجيع الاحتجاجات داخلها.³

(1) - لمى مضر الأمانة، "الموقف الروسي من الأزمة السورية و انعكاساتها الخارجية"، دراسات، مركز الوحدة العربية، تم

تصفح الموقع: يوم 14.02.2022. <https://caus.org/ib/ar/>

(2) - العابد نائلة، كرييش نبيل، مرجع سابق، ص 632.

(3) - أحمد دياب، حلفاء روسيا...، مجلة العرب الدولية، العدد 1588، السعودية، 2013، ص ص 10.11 في نائلة العابد، نبيل كرييش، مرجع سابق، ص 632.

يقول الكسندر دوغين في مقال بعنوان المشاكل الجيوبوليتيكية وقوانين المدى الكبير والعولمة والمفارقة الروسية: "إن العالم مزدوج القطبية والمجاهمة الكونية أجبرت فقط على خنق الدول التابعة بل على رشوتها أيضًا. والمجال الكوني الكبير الوحيد لدرسي المستقبل العولمين سيعني الزوال الكامل حتى لأقل ظل من أي استقلال مهما كان طفيفا، لأن الضغط بالقوة (العسكرية أو الاقتصادية) على "الأماد الصغرى" المفتتة المندرة يغدو الوسيلة الوحيدة للسيطرة (وضرورات الرشوة تنتفي من تلقاء نفسها خلف غياب المنافس الجيوبوليتيكي المعادي للغرب الأطلسي. والوضع العملي يطرح أمام كل دولة وكل شعب وبخاصة أمام الحكومات والشعوب التي كانت قد دخلت في المعسكر الجيوبوليتيكي المعادي للغرب خيارًا ملحًا، إما التكامل ضمن مجال كبير تحت قيادة الأطلسيين، وإما إقامة مجال كبير جديد قادر على مواجهة الدولة فوق العظمى الأخيرة."⁽¹⁾ ومن هذا المنطلق الجيوبوليتيكي المحض وكحاولة روسية لحماية سوريا بصفقتها صديق وحليف موثوق في منطقة الشرق الأوسط في محاولة للاستفراد بالملف السوري بعد غياب وتراجع المنافس الأمريكي، أو بعبارة أدق عند تحديد مناطق التماس الجيوبوليتيكي بين القوتين وعدم الاشتباك في الجغرافيا السورية وفي سياق استكمال روسيا لدور عولمة سورية وإقفال دائرتها الجيوبوليتيكية كنتيجة لدراساتها ونظرياتها، فكان العمل العسكري في سوريا مترافق مع عمل سياسي مباشر وكثيف مفاده:

✓ ربط تركيا بإيران عبر موسكو وهذا ما جرى فيما سمي باتفاقات خفض التصعيد بناء على مخرجات الأستانة بعد معركة حلب الكبرى، التي سربت على إثرها موافقة تركيا على تسليم حلب مقابل تقامهما مع روسيا على تمدها في المناطق الحدودية لها في مناطق الوجود الكردي، وتحول تركيا التدريجي من وجودها في حلف الأطلسي إلى قربها من المحيط الحيوي الروسي وإعادة تشكيل التوازنات الدولية على أساس القواعد الجيوبوليتيكية التي نظر لها دوغين.

✓ تفرغ محتوى القرارات الأممية المرتبطة بسوريا خاصة المتعلقة بتشكيل هيئة الحكم الانتقالي كاملة الصلاحيات الصادرة عن مؤتمر جنيف 1 جنيف عام 2012 وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة، وإعادة صياغتها وفق مرجعية روسية تعيد صوغ الحل السوري بما يضمن استقرار وجودها العسكري فيها، بعد صفقات حميميم وطرطوس طويلة الأمد، وعلى المستوى السياسي عودتها بصفقتها بوصفها راعياً أممياً لعملية السلام في سوريا، ودولة كبرى منتصرة على الإرهاب المزعوم فيها، في عملية مشابهة لما فعلته أمريكا في أفغانستان والعراق سابقاً. فتصبح بذلك لاعباً دولياً أساسياً يفرض قوانينه الجيوبوليتيكية ويثبت

(1) - جمال الشوفي، "جيوبوليتيكا الدوائر المتقاطعة، سورية في عالم متغول"، دراسات سياسية مركز حرمون للدراسات

حضوره الأممي مرة أخرى كمركز في محور مجابهة للمحور الأطلسي، وهذا ما أكده دوغين أيضًا ومن خلفه مركز كاتخيون للدراسات الروسي.⁽¹⁾

✓ أحكام القبضة العسكرية على مواقع وجود القوات الروسية بما يضمن لها موقع القوة وفرض شروطها ويحقق معادلة الحرب التقليدية القائلة: "إن المفاوضات تجري في مدى رماية الهاون، والعمل بذلك على ربط الملف العسكري ببعد سياسي، فحاولت تمرير مؤتمر سوتشي على أرضها بعد معركة البوكمال. "البوكمال هي النقطة الاستراتيجية التي يجب أن يصل الجيش السوري إليها لفتح بولفار موسكو، طهران بغداد، دمشق بيروت. وهو من الممرات القوية التي تحد من العدوانية الأمريكية بأساليب عسكرية واقتصادية وسياسية، لأنّ بوسعه تطوير حركة اقتصادية كونية تجعل سلك حديد موسكو وخطوط المترو فيها تصل إلى بيروت، بعد اجتيازها الخطوط الحليفة"². وأخذ اعتراف أممي لكن فشله جعله يعيد البحث عن نقاط ضغط كبيرة على المعارضة السورية من جانب وعلى الأوربيين وأمريكا من جانب آخر وعادت إلى العمل العسكري المباشر من خلال عمليات الغوطة شرق دمشق.

المطلب الثاني: التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا منذ سبتمبر 2015

بعد أن أعطت روسيا إشارات متعددة توجيهاً باستعدادها دعم جهد التوصل إلى حلٍ سياسي للنزاع السوري عادت إلى تأكيد موقفها الراض لتتحي الرئيس السوري بشار الأسد كجزءٍ من عملية انتقالية نصّ عليها بيان جنيف 1 كما تبين أنّ المرونة التي أبدتها روسيا طوال السنوات السابقة لتدخلها العسكري لم تكن سوى تكتيكات سياسية هدفت من خلالها إلى امتصاص النجاحات العسكرية التي كانت تحققها المعارضة المسلحة السورية على الأرض من جهة، واستخدام اتصالاتها بالمعارضة كغطاءٍ للتمويه على توجهها المضمّر لرفع مستوى دعم النظام السوري، والذي جرت ترجمته مطلع سبتمبر 2015 بتدخلٍ عسكري مباشرٍ يندرج بتداعيات سياسية وعسكرية كبيرة.

تحتفظ روسيا بوجود عسكري قديم في سوريا، يشمل العشرات من جنود البحرية في قاعدة طرطوس، التي يستخدمها الروس بين فترة وأخرى منصةً للتزود بالمؤن والوقود، كما تحتفظ بمستشارين ومدربين تتفاوت التقديرات بشأن أعدادهم، وتتراوح في الغالب بين خمسمائة إلى ألف مدربٍ ومستشارٍ

(1) - جمال الشوفي، مرجع سابق، ص 20.

(2) - المرجع نفسه، ص 21.

عسكري، ويوجدون في مواقع بحثية أو قطع عسكرية أو منشآت تصنيع عسكري. ومع أن موسكو اعتبرت تدخلها الراهن امتداداً لوجودها القديم، فإن صور أقمار صناعية نشرتها وسائل إعلام مختلفة تظهر بدء العمل على إقامة قاعدة عسكرية روسية في مطار حميميم (باسل الأسد) الذي يبعد نحو 22 كم إلى الجنوب من مدينة اللاذقية، ويجري توسيع مدارج المطار وتأهيله لاستقبال طائرات الشحن الكبيرة، وتجهيز مساكن مسبقة الصنع لإقامة الجنود. كما أرسلت موسكو ست دبابات حديثة من طراز T-90، و15 مدفع هاوتزر، و35 ناقلة جند مدرعة، و20 جندي من مشاة البحرية الروسية إلى القاعدة الجديدة لتأمين الحماية لها.⁽¹⁾

في نهاية سبتمبر 2015، بدأت روسيا في شن غارات جوية في سوريا، لمساعدة الأسد في محاربة الجماعات الإرهابية، وتشكل الضربات أكبر تدخل روسي في الشرق الأوسط منذ عقود. وقد تحول تدخلها العسكري في سوريا إلى صراع بالوكالة بينها وبين الولايات المتحدة وزاد من المخاطر في المواجهة المستمرة بين موسكو وواشنطن.

كما نجحت في صرف الانتباه عن زعزعة روسيا لاستقرار أوكرانيا، مما جعل من المستحيل على الغرب الاستمرار في عزل الكرملين. لأن روسيا اللاعب الأساسي في النزاع السوري ويتعين على الولايات المتحدة التعامل معها في أي تسوية للملف السوري. ولم يخف الرئيس الروسي أجندته وقال سابقاً في المؤتمر الدولي للأمن بميونخ فيفري 2007: "توجد دولة واحدة، وبالطبع الولايات المتحدة في المقام الأول، قد تجاوزت حدودها الوطنية بكل الطرق"⁽²⁾

مرة أخرى، تفاجأت واشنطن، تماماً كما كانت في مارس 2014، عندما ضمت روسيا شبه جزيرة القرم وبدأت في دعم الانفصاليين الموالين لروسيا الذين يقاتلون القوات الأوكرانية في شرق أوكرانيا، وكان الرئيس الأمريكي آنذاك باراك أوباما قد أشار إلى روسيا على أنها قوة إقليمية، لكن التدخل العسكري الروسي في سوريا يوضح أن رهانها الأساسي في سوريا هو قبولها كلاعب عالمي وأن تلعب دوراً في كل قرار دولي رئيسي. وهذا ما شكل تحدياً لأوباما والسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط.⁽³⁾

(1)- This Satellite Image Leaves No Doubt That Russia Is Throwing Troops and Aircraft Into Syria," *Foreign policy*, 14/9/2015, at: <http://atfp.co/1Lv02Vc>

(2)- Angela Stent, "Putin's Power Play in Syria How to Respond to Russia's Intervention", *foreign affairs*, vol95.NO.1january/February2016)pp106.113.

(3)- Angela Stent,op.cit,pp106/113.

وعلى الرغم من أنّ روسيا تصرّ على أنّ طبيعة وجودها العسكري في سوريا لم تتغير، وأنّ معظمه يتشكل من خبراء يقدمون المساعدة فيما يتعلق بإمدادات الأسلحة الروسية إلى سوريا التي تهدف إلى محاربة الإرهاب، فإنّ حركة طائرات الشحن الروسية تشير إلى أنّ التدخل العسكري الروسي في سوريا يتعاطم بشكل يومي، ويأخذ أشكالاً مختلفة: قوات خاصة، وتدخل سريع، وخبراء، ومدربون، ومستشارون، بالإضافة إلى مد النظام السوري بمعدات وأسلحة ذات قدرات تدميرية عالية استخدمت في قصف مدينة الرقة.⁽¹⁾

أثبتت روسيا أنها تلعب دوراً رئيسياً في تحقيق تطلعات الأسد، الذي وفرت له الغطاء الدبلوماسي والأسلحة والإمدادات الأساسية لتمكينه من القيام بذلك. في بداية سبتمبر 2015 - في الوقت الذي كان يظهر فيه نظام الأسد علامات ضعف واضحة - جاء التدخل العسكري الروسي في سوريا ليشكل نقلة نوعية لسياستها الخارجية في المنطقة. كان هذا العمل أول عملية انتشار لروسيا خارج منطقة الاتحاد السوفيتي السابق منذ الحرب في أفغانستان.⁽²⁾ يمكن أن تتبع مبادرة فلاديمير بوتين للتدخل عسكرياً في سوريا من أربعة أهداف:

1. تعزيز النفوذ الجيوسياسي لروسيا في الشرق الأوسط.
2. العمل كثقل موازن للولايات المتحدة في تلك المنطقة من العالم.
3. سحق التنظيمات الجهادية قبل أن يتمكن أي من أعضائها من العودة إلى روسيا
4. الحصول على الوضع الدبلوماسي لطموحاته في أوكرانيا.⁽³⁾

عندما بدأت حملة الضربات الجوية على المتمردين، صرحت موسكو أن الهجمات ستكون ضد داعش فقط. ومع ذلك توجهت معظم الضربات ضد قوات المعارضة من أجل دعم هجمات قوات الأسد البرية. وبالفعل، فإن الضربات فعلت ذلك تصاعدت تدريجياً رداً على تقدم المتمردين في مختلف

⁽¹⁾ - دون اسم الكاتب، حدود التدخل العسكري الروسي في سوريا وأفاقه، تقدير موقف وحدة تحليل السياسات بالمركز العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات العربي، ص 1.

⁽²⁾ - Mario Laborie Iglesias, **Syria: where everyone is at war with each other, on Geopolitical overview of conflicts 2016.** (Spanish Institute for Strategic Studies, 2017), p 151.

⁽³⁾ - *ibid*, p151.

المجالات. وقد استهدفت بعض هذه الأعمال الجماعات المتمردة المدعومة بشكل مباشر من قبل الولايات المتحدة أو تركيا.⁽¹⁾

كان من أبرز التغييرات التي حدثت خلال النصف الأول من عام 2016 التحول الجذري في العلاقات الروسية التركية، بعد سبعة أشهر فقط من قيام مقاتلة قاذفة تابعة للقوات الجوية التركية بإسقاط مقاتلة روسية من طراز Su-24. لطائرة مما أسفر عن مقتل الطيار. وفي نهاية جوان 2016 تراجع الرئيس التركي عن موقفه بعدم الاعتذار عن الحادث وأرسل رسالة إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يعرب عن «تعاطفه وتعازيه الحارة لأسرة الطيار الروسي».

كانت روسيا قامت بتدخل عسكري مباشر في سوريا من خلال شن ضربات جوية على مواقع المعارضة السورية وتنظيم الدولة الإسلامية. ورغم إعلان روسيا أن الضربات ستكون موجهة ضد داعش، إلا أن الضربات كانت موجهة إلى القوات المعادية للنظام السوري، وخاصة جبهة النصرة وأحرار الشام. تزامن ذلك مع إعلان الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أن التدخل الروسي في سوريا هو حرب مقدسة ضد الإرهاب.⁽²⁾

ومثل التدخل العسكري الروسي في النزاع السوري منذ سبتمبر 2015، تصاعداً للانخراط الروسي في منطقة الشرق الأوسط، وهذا ما دفع العديد من الخبراء لطرح تساؤل محوري هل تملك روسيا استراتيجية واضحة في سوريا ومنطقة الشرق الأوسط ككل. وقد ركزت الدراسات المعنية بهذا الدور في البداية على الانخراط العسكري الروسي في سوريا، واتسع الاهتمام لاحقاً ليشمل السياسة الروسية تجاه المنطقة وعكست الإجابة على ذلك التساؤل وجود ثلاثة اتجاهات رئيسية، حيث يرى الإتجاه الأول أن روسيا لديها استراتيجية ناجحة تجاه المنطقة، فيما يعتقد الثاني أن لموسكو استراتيجية إقليمية لكنها ليست ناجحة، ويعتقد الثالث بعدم وجود استراتيجية لروسيا في المنطقة. ويعلل أصحاب المدرستين الثانية والثالثة عدم نجاح الاستراتيجية الروسية أو عدم وجودها بالأساس بأن روسيا لا تتحرك في المنطقة ضمن رؤية شاملة، بل وفق متطلبات قصيرة المدى لتحقيق أهداف مدروسة.

تشير تطورات الواقع إلى أن وجهة نظر المدرسة الأولى هي الأقرب للصواب في تقدير السياسة الروسية تجاه الشرق الأوسط، فروسيا لديها استراتيجية واضحة تجاه المنطقة، تعد جزءاً من استراتيجيتها

⁽¹⁾ –Mario Laborie Iglesias, p152.

⁽²⁾ -ibid, p151.

تجاه شرق البحر المتوسط، والتي هي بدورها جزء من استراتيجيتها الجنوبية الأوسع، والتي تشمل البحر الأسود، خاصة أوكرانيا وشبه جزيرة القرم. وتركز على حماية المصالح الروسية من خلال أداء دور القوة المؤثرة في مناطق "المياه الدافئة" "The Role of a Warm-Water Power" وتتم ممارسة هذا الدور من خلال أدوات القوة الصلبة.⁽¹⁾

تبنت موسكو استراتيجية منطقية لكنها تتطوي على مخاطر. أولاً إنقاذ الأسد من خلال مساعدته على هزيمة أعدائه من خارج الدولة الإسلامية، والذين يشار إليهم عادةً في الغرب على أنهم جماعات معارضة معتدلة. ثانياً تخفيف حدة قوى المعارضة بشكل كافٍ والاتفاق على وقف إطلاق النار بينها وبين النظام وإجراء مفاوضات بين الأطراف السورية برئاسة روسيا والولايات المتحدة. ثالثاً التوسط في اتفاق سلام في سوريا بضمنان موسكو وواشنطن. رابعاً تكوين تحالفٍ واسع من روسيا والولايات المتحدة والدول الأوروبية والدول الإقليمية - بما في ذلك إيران والعراق وسوريا - لمحاربة وهزيمة تنظيم الدولة الإسلامية. بين نهاية سبتمبر 2015 ومارس 2016، لقد نجحت موسكو في تحقيق الأهداف المسطرة وهي تسير قدماً للمزيد من الأهداف. كان أداء القوات الجوية والبحرية الروسية أفضل مما كان متوقعاً من قبل الكثيرين ؛ كانت خسائرهم في ساحة المعركة ضئيلة⁽²⁾

"تدخلت روسيا عسكرياً في سوريا، كوسيلة لمواجهة النفوذ الأمريكي، كما أرادت روسيا أن تقاوم القوى الكبرى الأخرى لاستعادة مكانتها كقوة عظمى من خلال الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، والوصول إلى خطوط أنابيب النفط كوسيلة لإنهاء ما لم تستطع الوصول إليه منذ انهيار الاتحاد السوفيتي"⁽³⁾

خدم التدخل العسكري في سوريا روسيا كفرصة تسويقية لهذه الأخيرة، التي أعلنت عن أسلحتها كما تم اختبارها في ساحة المعركة السورية. حيث قدر المحللون الروس في عام 2016 أن التدخل يمكن أن يجلب 6-7 مليار دولار من مبيعات الأسلحة، كلاهما عرضاً للتكنولوجيا العسكرية من خلال وضع روسيا في دور القوة العظمى المنتصرة، لأن "الناس لا يشترون الأسلحة من الخاسرين".⁽⁴⁾

(1)- حدود التدخل العسكري الروسي في سوريا وآفاقه، مرجع سابق، ص3.

(2)- Hani adou fadel, op,cit,pp23.24.

(3)-Ibid,p24.

(4)- Ibid,pp23.24.

والإدعاء الآخر الذي أشارت إليه روسيا هو مكافحة الإرهاب في سوريا وكل منطقة الشرق الأوسط لأنها تتخوف من التهديدات الأمنية التي من شأنها أن تشكلها الجماعات الإرهابية الناشطة في سوريا والعراق، في حالة انتشارها في الجوار الجغرافي القريب لروسيا. تورد التقارير الروسية أنه سافر ما يقارب 3200 مواطن روسي إلى سوريا أو العراق منذ عام 2014، ويخشى القادة في موسكو من عودة المقاتلين الأجانب وكذلك الروس الذين ربما تكون دعاية الدولة الإسلامية قد جعلتهم متطرفة.⁽¹⁾

ولهذا بررت روسيا اقتحامها سوريا كجزء من محاولة للحد من الإرهاب من خلال دعم نظام الأسد، الذي كان بحلول صيف 2015 يواجه نكسات عسكرية. وكما قال بوتين أكتوبر، فإن "انهيار السلطات الرسمية السورية لن يؤدي إلا إلى تعبئة الإرهابيين. في الوقت الحالي، بدلاً من تقويضها، لهذا علينا إحياء مؤسسات الدولة وتقويتها في منطقة الصراع"².

تزعم روسيا أنها بدأت محاربة الإرهاب خلال حربها مع القاعدة في أفغانستان في الثمانينيات وحربها مع الدولة ذات الأغلبية المسلمة الشيشان في التسعينيات، والنقطة لمشاركة بينهما هو إيديولوجية الإسلام الراديكالي إلى جانب التدخل في سوريا لمحاربة الجماعات الإرهابية "داعش" وغيرها، حيث تخوض روسيا حربها المستمرة ضد الإرهاب ففي إحدى خطابات وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، قال أن داعش ليس التنظيم الإرهابي الوحيد في الحرب السورية متهما الولايات المتحدة بـ تجنّب جبهة النصرة (التابعة للقاعدة) على الدوام من أجل الإطاحة بنظام الأسد، وتعتقد روسيا أن الإرهاب في سوريا يتقارب مع ما حدث من إرهاب في أوكرانيا، وتتقارب سياسة مكافحة الإرهاب في سوريا مع موقف روسيا الأيديولوجي ضد "شر" الثورات التي يُزعم أن الغرب الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة هي من روجت لها. لهذا يدين بوتين بشدة فوزى "الربيع العربي"، ويرى أن انتصار نظام الأسد، يعتبر النقطة الحاسمة في الصراع السوري برمته، وقد عرفت روسيا المعارضة بجميع أطرافها بأنها إرهابية لهذا كانت توجه ضرباتها الجوية⁽³⁾

(1) - حدود التدخل العسكري الروسي في سوريا وآفاقه، مرجع سابق، ص 3.

(2) - Eketerina Stepanova, "E Russia and Conflicts in the Middle East: Regionalization and Implications for the West". *The International Spectator: Italian Journal of International Affairs*, vol 53, issue 4, pp 35-57.

(3) - Hani adou fadel, op, cit, p25.

كان التدخل في سوريا يتعلق بأهداف جيوبوليتيكية كثيرة معلنة وغير معلنة، ولكن في جوهره كان يدور حول مقاومة النظام الدولي الليبرالي الذي تقوده الولايات المتحدة. حيث لم يسمح بوتين للولايات المتحدة بإسقاط نظام دكتاتوري وموالي لروسيا في الوقت نفسه لأن مثل هذا الأمر من شأنه أن يندرج بمحاولات مستقبلية لفعل الشيء نفسه معه. كما أن بوتين مقتنع بأن الولايات المتحدة قدمت الدعم السياسي والمادي للاحتجاجات الشعبية في منطقة ما بعد الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط وروسيا نفسها؛ لهذا وصفت الصحافة الروسية الانتفاضة ضد الأسد في سوريا بأنه تم تنظيمها أو دعمها من قبل الولايات المتحدة وروج لرواية مفادها أن "التدخل الأجنبي" أو الإعلان عن دعم الولايات المتحدة للتطلعات الديمقراطية في المنطقة العربية خلق الفوضى والإرهاب. وعندما شن الأسد هجوماً كيميائياً على الغوطة في سبتمبر 2013، كان لدى بوتين كل الأسباب لتوقع تدخلاً من الولايات المتحدة وشركائها لإزالة الأسد. وفي هذا الشأن قال الرئيس أوباما للصحفيين في سنة 2012 إن استخدام الأسد للأسلحة الكيميائية سيتجاوز "الخط الأحمر" وبعد هجوم الغوطة، كانت الحكومة الفرنسية مستعدة أيضاً للتحرك. لكن حذر بوتين من العمل العسكري الأمريكي في سوريا في مقابلة مع وكالة أسوشيتد برس والقناة الأولى التلفزيونية الروسية.

ينظر بوتين الاستقلال السياسي للدول بنظرة قاتمة، وقد تحدث بوضوح وعلانية عن المكان الذي يعتقد أن قوة النظام الدولي تكمن فيه. حيث قال في جويلية 2017 في منتدى سانت بطرسبرغ الاقتصادي الدولي، في سياق مناقشة أشار فيها إلى أن أوروبا تابعة للولايات المتحدة: "في جميع أنحاء العالم، لا يوجد الكثير من الدول التي تتمتع بامتياز السيادة الحقيقية". روسيا، في رأيه، هي واحدة من الدول القليلة التي تمتلك سيادة حقيقية، وتولي أهمية للدفاع عنها - كما تراه مناسباً. يوضح تعليق بوتين عدم التوافق بين وجهة نظر الغرب والكرملين بشأن "النظام القائم على القواعد".⁽¹⁾

واتخذت موسكو في سوريا - مثل أي مكان آخر تحاول فيه فرض سيطرتها على المجالات الحيوية بالنسبة لعودتها مجدداً للساحة الدولية - موقفاً ضد سنوات من الأحادية الأمريكية المتصورة. فتصرفت روسيا أخيراً على أنها القوة الكبرى المنافسة لأمريكا كما يجب عليها. ومن ناحية الحفاظ على نظام الأسد من ذهابه صرح المسؤولون الروس بشكل روتيني لسنوات إنهم ملتزمون بحكومة "شرعية" في

⁽¹⁾ - Anna Borshchevskaya, Russia's Strategic Success in Syria and the Future of Moscow's Middle East Policy, foreign policy essay, Sunday, January 23, 2022. <https://www.lawfareblog.com> visited 16/02/2022.

دمشق، مما يعني أنها قد لا تشمل الأسد بالضرورة، لكن في الممارسة العملية، لم يروا أبدًا أي بديل له على الأقل لحماية الجغرافيا السورية من التقسيم كما جاء في الخطابات الرسمية الروسية والمصالح الروسية في المنطقة.⁽¹⁾

يعتبر التدخل السياسي والعسكري الروسي في سوريا ناجحًا ومفتاح نجاحه أهدافها المحدودة، والتي كانت تركز على تجنب سيناريو الاتحاد السوفيتي الشبيه بأفغانستان المتمثل في التوسع المفرط. قدمت الحملة العسكرية لموسكو دعمًا جويًا في المقام الأول ولكنها تضمنت أيضًا مكونًا بحريًا وعددًا صغيرًا من قوات النخبة البرية؛ هذا النطاق الضيق جعلها ميسورة التكلفة من الناحية المالية. واعتمدت موسكو على الفاعلين الآخرين الموالين لها في سوريا، وعلى رأسها إيران والوكلاء المدعومين من إيران، مثل حزب الله للقيام بالمهمة العسكرية البرية. حيث استلزم هذا النهج العمل مع جميع اللاعبين الرئيسيين في المنطقة، بما في ذلك أولئك الذين كانوا في صراع على المسرح السوري - مما وضع روسيا كوسيط وعزز نفوذ موسكو.⁽²⁾

ولهذا كان التدخل ناجحًا استراتيجيًا منخفض التكلفة. فرضت موسكو سيطرتها على المجال الجوي الغربي والوسطى لسوريا واتفاقية تمنحها وجودًا عسكريًا دائمًا في شرق البحر المتوسط لمدة تسعة وأربعين عامًا على الأقل، محققة طموحًا استراتيجيًا استعصى على القياصرة الروس والقادة السوفييت. حيث احتفظت موسكو بمنشأة طرطوس في سوريا منذ الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967، لكن التدخل السوري منح موسكو الفرصة لتحديث وتوسيع طرطوس وإنشاء قاعدة جوية جديدة في حميميم. لم يكن لروسيا مطلقًا موقف عسكري بهذا العمق في شرق البحر الأبيض المتوسط من قبل، وقد حصلت الآن على ضمانات طويلة الأجل للحفاظ على هذا الوجود.⁽³⁾

تعتبر موسكو موطنًا القدم هذا أمرًا مهمًا لردع الغرب وإبراز القوة في الجناح الجنوبي لحلف الناتو وتضخيم فرص جمع المعلومات الاستخبارية لموسكو ضد الولايات المتحدة وشركائها لصالح المصالح الجيوبوليتيكية لروسيا. كما يعزز موقع روسيا الأمن في سوريا وجودها في البحر الأسود. لقد لعبت القرم بالفعل دورًا مهمًا في خطط موسكو الخاصة بسوريا. لقد دعم الأسطول الروسي المطل على البحر الأسود في سيفاستوبول، وهو مفتاح لضم روسيا لشبه جزيرة القرم التدخل الروسي في سوريا منذ البداية.

(1) - Anna Borshchevskaya, op.cit

(2) - ibid.

(3) - Ibid.

يعزز الموقف العسكري الروسي الأقوى في شرق البحر الأبيض المتوسط خيارات إسقاط القوة العسكرية الروسية في البحر الأسود. كما أنه يخلق فرصًا تجارية؛ ابتداءً من عام 2017 تقريبًا، ازدادت الأنشطة بين شبه جزيرة القرم وسوريا، بما في ذلك زيارة وفد تجاري سوري إلى شبه جزيرة القرم. كما سهّل موقع روسيا في سوريا عملياتها في ليبيا، ويرى الكرملين فرصًا أخرى في الجنوب في إفريقيا والبحر الأحمر بعد أن ضمنت روسيا وصولها إلى ميناء المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط وتتطلع الآن للاستفادة منه.⁽¹⁾

وبصفتها وريثة الاتحاد السوفيتي، كان لروسيا تاريخ طويل من التحالف مع سوريا، ويرجع ذلك منطوق الحرب الباردة " (عدو عدوي صديقي)"، والتقارب الأيديولوجي بين القومية الشعبوية التي التزم بها حافظ الأسد وحزب البعث والشيوعية. تمتلك روسيا أيضًا منشآت بحرية مهمة لأسطولها المتوسطي في مدينة طرطوس الساحلية. على عكس الولايات المتحدة، وكان لروسيا مصالح على المحك في سوريا، وكذلك علاقات صداقة داخل البلاد ولهذا لعبت دورا بارزا في النزاع وتسويته المحتملة. وقدمت روسيا إمدادات عسكرية للنظام السوري، وعملت كحامي للنظام في الأمم المتحدة من خلال استعمال الفيتو في مجلس الأمن، حيث تمكنت من منع تبني قرارات تسمح بالتدخل العسكري الدولي.⁽²⁾

بعد منتصف عام 2015، زادت روسيا بشكل كبير من مساعدتها لنظام الأسد من خلال إنشاء قاعدة جوية بالقرب من اللاذقية وتمركز عدد كبير من القوات الخاصة والمستشارين العسكريين هناك. حصلت على حقوق قاعدة طويلة الأمد لهذه القوة الجوية وكذلك للقاعدة البحرية في طرطوس. في أعقاب حادثة إسقاط الطائرة الروسية من قبل القوات التركية بالقرب من الحدود التركية في نوفمبر 2015 نشرت روسيا نظام صواريخ S-300 المتكامل المضاد للطائرات في سوريا (تديره روسيا وليس سوريا)، مما أدى إلى عدم وجود منطقة طيران للطائرات الأمريكية. ومن العمليات التي قامت بها القوات الروسية لمساعدة الأسد أن الطائرات الروسية قامت في نوفمبر 2015 بمزيد من الغارات على قوات المعارضة في سوريا على أساس يومي أكثر مما قامت به قوات التحالف الأمريكية والأوروبية والخليجية. أكدت روسيا أن النزاع

(1)-Anna Borshchevskaya,op,cit.

(2)- Dimitri Trenin,op,cit.

السوري لا يمكن حله عسكرياً، وبدلاً من ذلك اقترحت إجراء مفاوضات بين الطرفين من أجل التوصل إلى حل وسط لا ينطوي بالضرورة على إزالة الأسد.⁽¹⁾

كان هذا بالفعل هو التأثير الفعلي للتدخل العسكري الروسي المباشر في النزاع جعل تدخلها فكرة إنشاء منطقة حظر جوي غربي في الشمال أمراً مستحيلاً، وجعل استبعاد الأسد كشرط مسبق لمحادثات السلام أمراً غير واقعي بهذه الطريقة، حاولت روسيا إجبار القوى الغربية على قبول استراتيجيتها الخاصة لإنهاء النزاع وأن أي تسوية سياسية بشروط الأسد، بما في ذلك مشاركة إيران، وإرجاء مسألة دور الأسد المستقبلي إلى تاريخ لاحق. وعلى هذا الأساس رعت روسيا مفاوضات السلام مع تركيا وإيران في أستانا، كازاخستان. روسيا وإيران هما الفاعلان القادران على ممارسة الضغط اللازم على النظام السوري للوصول إلى تسوية تفاوضية، وبالتالي سيكونان مستقبلاً فاعلان محورين في إيجاد حل للنزاع السوري.⁽²⁾

يبدو أن الدافع وراء مصالح روسيا هو الحاجة إلى حل النزاع السوري بطريقة تسمح لها بالحفاظ على قواعد الجوية والبحرية وتخفيض تكاليف تدخلها وسيطلب هذا بعض التنازلات لجماعات المعارضة الداخلية، وهو كما انعكست في اقتراحها لدستور جديد يتضمن نقل السلطة من الرئاسة إلى مراكز القوى الوطنية الأخرى، مثل رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب والجيش، يشير المحلل الروسي، مثل ديمتري تريني، إلى أن الدافع النهائي لروسيا للتدخل في النزاع السوري وجعل نفسها لا غنى عنها في أي تسوية هو رغبتها في أن تعامل معها الولايات المتحدة كقوة عظمى في الأمور المتعلقة بمصالحها، أي أوكرانيا، جورجيا وأفغانستان.

ولكن كما يلاحظ تريني Trenin أيضاً، لا يطلب بلد ما أن يعامل كقوة عظمى، بل لأنه قوة عظمى ستم معاملته على هذا النحو. وهذه بالتحديد مشكلة روسيا. في حين أنها بالفعل قوة عظمى من حيث مواردها العسكرية وسيطرتها على الأرض، إلا أنها من الناحية الاقتصادية لم تعرف بعد كيفية تنظيم نظامها الاقتصادي من أجل تطوير البلاد. ومع ذلك، إذا لم تجد روسيا والغرب، ولا سيما الولايات المتحدة، طريقة للتعاون، فلن يبشر ذلك بالخير لتسوية الصراع السوري.⁽³⁾

(1) - ماهر سعدون خوري صبار الساعدي، ص 143.

(2) - المرجع نفسه، ص 143.

(3) - حسين لعريض، مرجع سابق، ص 167-188.

تعتبر روسيا من أكثر الدول انخراطا في النزاع السوري منذ بدايته سواء بالدعم الدبلوماسي والسياسي من أجل عدم الإطاحة بالنظام السوري وتبرر روسيا ذلك بعدم رغبتها في تكرار سيناريو ليبيا القذافي. ومنذ سبتمبر 2015 تدخلت سوريا عسكريا في سوريا من أجل دعم الأسد ودحر التنظيمات الإرهابية المعارضة السورية المدعومة من طرف الولايات المتحدة والدول الخليجية وتركيا، وقد استطاع النظام السوري أن يحافظ على استمراره رغم الخراب والدمار والتفجير الذي لحق بالشعب السوري، وحققت روسيا مصالح جيوبوليتيكية تتعلق بالدرجة الأولى بإثبات عودتها للساحة الدولية كفاعل جيوسراتيجي أساسي وليس كفاعل ثانوي أو إقليمي، كما أنها خطت خطوات مهمة في سوريا للعودة للشرق الأوسط الذي تعتبره المجال الجغرافي الذي لا غنى عنه، كما أنه منطقة تماس مع القوى الغربية ومن الحتمية الجيوبوليتيكية لروسيا الحفاظ عليه باعتباره آمادا شاطئية ضرورية في أي صراع جيوبوليتيكي.

المبحث الثالث:

التفاعل الأوربي والصيني في النزاع السوري

نتناول بالدراسة في هذا المبحث الموقفين الأوربي والصيني وتفاعلهما مع النزاع السوري من خلال دراسة موقف الإتحاد الأوربي في ظل التدخلات الدولية سواء من القوى الكبرى أو الإقليمية وفي ظل المشاكل الداخلية التي يعاني منها البيت الأوربي بعد اتفاقية البريكست، أما الصين فدورها لحد بعيد كان متناغم مع روسيا ولها مصالح وأبعاد اقتصادية تحاول التركيز عليها باستقرار سوريا.

المطلب الأول: أزمة اللاجئين السوريين والتعامل الأوربي مع النزاع السوري

حينما يشار إلى السياسة الأوربية في الشرق الأوسط ومدى تأقلمها مع متطلّبات المنطقة الفعلية، يتضح أن الأوربيين قد أخفقوا في إيجاد الوسائل وآليات القرار التي تمكّنهم من البروز كلاعب فعال ومؤثر في محيطهم الجنوبي إذ أنّ طريقة تعامل الإتحاد الأوربي مع دول جنوب المتوسط أشارت إلى أنّ ميل الأوربيين الرسمي كان دوماً يتجه إلى ترسيخ الانفتاح السياسي والسير قدماً نحو نموذج ديمقراطيّ ظلّ محصوراً في مفهوم نظري لم يجد طريقه للتطبيق، وكانت المحصلة ارتباك الإتحاد الأوربي أمام سقوط الرئيسين زين العابدين بن علي في تونس وحسني مبارك في مصر وتأخّر النسبي في إيجاد سبل التعامل الملائمة مع الواقع الجديد في هذين البلدين. وبعد مصر وتونس فرض نفسه بقوة في الساحة الدولية الملفّ السوري كمؤشّر جديد على ضآلة قدرات الإتحاد الأوربي في الشرق الأوسط.⁽¹⁾

لقد سعى الأوربيون حتّى ماضٍ قريب إلى تطوير علاقات فعلية وبنّاءة مع سوريا، وقد ورد ضمن هذا السعي عرضهم عقد شراكة على دمشق بنيت تفاصيلها على أسس تجارية واقتصادية، إلا أن السوريين رفضوا الانفتاح على عرض الإتحاد الأوربيّ أو الدخول معه في شراكة رسمية، ولعلّ أبرز الأسباب التي حدت بالسوريين إلى هذا الرفض هو خشيتهم من أن يكون التعاون الاقتصادي مع أوروبا مدخلاً للتدخل في شؤونهم الداخلية، وباباً للضغط على دمشق لإجبارها على إعادة النظر في طبيعة بعض تحالفاتها الإقليمية.

تمثل موقف الإتحاد الأوربي من النزاع في إصدار بعض البيانات المُدنية للعنف وبعض القرارات التي تشدد العقوبات الاقتصادية على دمشق فضلاً عن وضع بعض المسؤولين السوريين على قائمة

(1)- Michael Benhamou, Innocence and War Searching for Europe's Strategy in Syria, wil fried centre european studies,2016,p23.

الممنوعين من السفر إلى دول الاتحاد، إلا أن السمة الغالبة على هذه البيانات وتلك الإجراءات هي افتقارها إلى الآليات التي تسمح لها بأن تكون ذات تأثير فعّال على الدولة السورية ونظام الحكم فيها⁽¹⁾.

من وجهة النظر السورية الرسمية فالإتحاد الأوروبي ما هو إلا تعبير عن تجمع إقليمي غير محدد الهوية وتنقصه الرؤية السياسية الواضحة، مما أدى به إلى السير وراء القاطرة الأميركية، وكأن لسان حال سوريا الرسمية يقول لماذا التجاوب مع طلبات أوروبّيّة في حين أنّ سبل القرار الفعليّة تبقى متركّزة في يد واشنطن. أمّا الإتحاد الأوروبي فلطالما اقتنع بأنّ عليه أن يعزّز تواجده على الساحة الشّرق أوسطيّة والتي تعدّ سوريا جزءاً أساسيّاً منها، غير أنّه حضوره كان هامشياً و لم يكن له صوت مستقل عن الولايات المتحدة⁽²⁾.

لقد أدى تصعيد النزاع و عسكريته في سوريا إلى إتخاذ الدول الأوربية موقف من الحكومة السوريّة تمثل في إصدار بعض البيانات المُدينة للعنف وبعض القرارات التي تشدد العقوبات الاقتصادية على دمشق فضلاً عن وضع بعض المسؤولين السوريين على قائمة الممنوعين من السفر إلى دول الاتحاد الأوروبي، إلا أن السمة الغالبة على هذه البيانات وتلك الإجراءات هي افتقارها إلى الآليات التي تسمح لها بأن تكون ذات تأثير على جهاز الدولة السورية وعناصره الأساسيّة. فلاجوء الإتحاد الأوروبّي إلى 13 رزمة من العقوبات منذ بدء النزاع السوري في ربيع عام 2011 خصّت بعد عام من بدء النزاع 126 شخصاً و 41 شركة لم يغيّر من الواقع شيئاً. قد يكون الأوروبّيون قد نجحوا في التّعبير عن غضبهم إزاء التّشدد السوريّ وأفلحوا في تضيق الخناق الاقتصاديّ والعسكريّ على الحكومة السوريّة إثر فرضهم حصاراً يشمل قطاعات سوريا العسكريّة والصّناعيّة والتجاريّة إلا أنّ هذا الحزم لم يؤدّي لا إلى إرباك الحكومة السوريّة ولا إلى التقليل من قدراتها وسياساتها المعتمدة⁽³⁾.

يعرف الإتحاد الأوروبي صعوبة التأثير في الحكومة السوريّة، كما أنّه واع إلى أهميّة الدور الذي يمكن أن تقوم به دول معينة مثل روسيا والصّين وإيران في تطوير قدرات النظام السوري للالتفاف على حزمة العقوبات الاقتصادية المفروضة عليه.

(1) - Michael Benhamou, op,cit,p23

(2) - براء ميكائيل، موقف أوروبا من الأزمة السورية، غياب الفعالية وافتقاد التأثير، مركز الجزيرة للدراسات، 12

أفريل 2012، من الموقع: <https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2012/04/20124514222414151.html>

(3) - المرجع نفسه

إنّ الاتحاد الأوروبي حصر بالمجمل إستراتيجيته تجاه ما يحدث في سوريا في الاعتماد على العقوبات الاقتصادية وإصدار التصريحات التي لا تربك النظام السوري ولا تخيفه، بينما كانت حكومات أخرى أكثر حرصاً على إيجاد قنوات للحوار مع النظام السوري وإرسال بعثات رسمية بهدف محاورته وحثه على الحد من اللجوء إلى العنف. قد تكون مساعي هذه الحكومات قد أخفقت إلى حد معين غير أنّه يبدو في الوقت عينه وكأنّ تطوير سبل للحوار تظل أفضل من مخاصمة النظام السوري في ظرف ثبت فيه أنّ قدرته على التماسك وتجنّب الانهيار فاقت الكثير من التوقعات. ويبقى على الأوروبيين إن أرادوا أن يكون لهم تواجد على الساحتين الشرق أوسطية وعموماً والسورية خصوصاً البحث عن وسائل أخرى لتعزيز هذا الدور تكون أكثر تأثيراً وفعالية من مجرد إصدار البيانات أو التلويح ببعض العقوبات غير الموجعة.⁽¹⁾

أمّا فيما يتعلّق بموقف الأوروبيين من سوريا، فمن الواجب أن نميز ما بين الاتحاد الممثل بالمفوضية الأوروبية ومن يمثلها من سياسيين لعلّ أبرزهم كاترين أشتون ممثلة الشؤون الخارجية، وبين الدول الـ 27 المكوّنة لهذا الاتحاد والتي تتميز بدورها بقدرتها على الاستفراد بقرارات سياسية لا تمثل بالضرورة وجهات نظر باقي الأعضاء.

لقد كثرت الانتقادات الموجهة إلى الاتحاد الأوروبي لاسيّما أنّ الكثيرين من محبّذي إيجاد دور فعال وقوي له يشككون دوماً من سعيه لإصدار القرارات والبيانات التي تكون غالباً غير مجدية على أرض الواقع.⁽²⁾ وقد يكون من المهمّ الإشارة هنا إلى أنّ صوت الاتحاد الأوروبي قلماً تميّز حقاً بفعالية، غير أنّ هذا الوضع تفسّره عدّة اعتبارات أبرزها صعوبة الإقرار بمواقف رسمية وقوية تمثل حقاً وجهات نظر كلّ من أعضاء الاتحاد. لكن هذا لم يمنع المفوضية الأوروبية من اتّخاذ قرارات سعت عبرها إلى التأثير في الوضع القائم على أرض الواقع كما ظهر في الانتقادات اللاذعة الموجهة لنظام حكم الرئيس بشار الأسد إثر ردّه العنيف على مطالب معارضيه، وكذلك اعتماد رزمة من العقوبات الاقتصادية التي امتثلت بها كلّ الدول الأعضاء في الاتحاد.

لكن، وفي المقابل، أبان النزاع السوري أيضاً عن وجود دول ضمن الاتحاد الأوروبي تنعم بتقل أكبر من غيرها فيما يتعلّق بقضايا السياسة الخارجية، ولعلّ أفضل مثال على ذلك تلك الخطوات والتصريحات

(1)-Michael Benhamou, op.cit,p25

(2)-Ibid.

التي اتخذتها الحكومة الفرنسيّة. فمنذ بدء الإنتفاضة السورية في شهر مارس 2011، كانت فرنسا من الدول المننّدة بسياسة بشار الأسد وقمعة للشعب السوري، على الرّغم من أنّ العلاقات بين البلدين كانت قد وصلت إلى مستويات متميزة قبل ذلك الحين، حيث تجلّى ذلك في إرسال الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك موفدين رسميين إلى دمشق ودعوة الرّئيس بشار الأسد إلى حفل افتتاح مشروع الاتحاد من أجل المتوسط في باريس في شهر جويلية 2008. ولكنّ هذا الانفتاح الفرنسي على سوريا لم يقابله تجاوب مناسب من دمشق، خاصة مع المطالب الفرنسيّة فيما يتعلّق بطبيعة علاقاتها مع إيران وحركة حماس، فضلا على أنّ سوريا لم تترجم سياسة اليد الممدودة هذه إلى خطوات تسهيلية فيما يتعلق بالاستثمارات الفرنسية في قطاعي النفط والاتصالات. وقد يكون للاعتبارات الأخلاقيّة دور في الإصرار الفرنسي على الدفاع عن مطالب المعارضة السوريّة الذي واكب آفاق الرّبيع العربي، غير أنّ لطبيعة الموقف الفرنسي اعتبارات أخرى أيضا. ففرنسا اقتبست دورا مهماً بتشجيعها تكوين المجلس الوطني السوري المعارض الذي كان يرأسه الدكتور برهان غليون، وهو مثقّف سوريّ مقيم في فرنسا، كما كان وزير الخارجية الفرنسي آلان جوبيه أول وزير أوروبي يعلن رأيه في الحكومة السورية على خلفية تعاملها مع المعارضين ويقول إنها "فقدت شرعيّتها" وكان ذلك في شهر ماي 2011، بل وذهب بعد ذلك إلى اعتراف بلاده بالمجلس الوطني السوريّ كممثل رسمي للمعارضة.¹

وتؤشر التحركات الدبلوماسية الفرنسيّة على إرادة لإحداث تغيير في سوريا على غرار ما تمكّنت من فعله في الحالة الليبية، لكن يعوق تنفيذ الإرادة الفرنسية هذه عدة أمور من بينها هشاشة المعارضة السوريّة وإخفاقها في توحيد صفوفها. وقد برز هذا الواقع في ظرف بدا فيه الرّئيس نيكولا ساركوزي غير محبذ لفتح جبهة ضدّ سوريا قد تعبّر عن ضعف قدراته وتنعكس سلبا عليه في مرحلة حسّاسة تتميز باستعداده لخوض معركة الانتخابات الرّئاسيّة، ولعلّ هذا أبرز ما يفسّر تراجع آلان جوبيه النسبي عن مواقفه السّابقة وتصريحه في شهر فيفري 2012 بأنّه بات مستاءً من أداء المعارضة السوريّة غير الموحّدة.⁽²⁾

وعلى الرّغم من أنّ الموقف الفرنسي لم يتناقض مع مواقف باقي الدول الأوروبيّة فيما يتعلق بطبيعة وكيفية التّعامل مع الملفّ السوريّ إلاّ أنّه يبدو وكأنّ فرنسا خطت خطوة أبعد حينما أعلنت ما يجب فعله

(1) - براء ميكائيل، مرجع سابق

(2) - Marc pierni, the european union's concerns about syria, carnegieeurope, june09, 2014. on: <https://carnegieeurope.eu.visited19/01/2022>.

إزاء الوضع في هذا البلد دون أن تثبت أنها قادرة على التأثير الفعلي على الوضع هناك. وفي النتيجة بدت الدول الأوروبية الأكثر صمتاً حول الأزمة السورية وكأنها هي الأكثر حكمة.

هذا عن فرنسا أما بالنسبة لألمانيا فقد امتثلت لقرارات الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة دون أن تنفرد بقرارات غير مجدية على أرض الواقع. لقد تميّزت الدبلوماسية الألمانية منذ زمن طويل بتطوير سياسات فعلية في منطقة الشرق الأوسط ولكن دون أن تعبّر عنها علناً، فضلاً عن امتلاكها شبكة مخابرات واسعة في العالم العربيّ تمكّنها من التحقّق من أبرز ما يجري على أرض الواقع في أغلب هذه البلدان. وكذلك لم تبق مكتوفة الأيدي تجاه ما يحدث في سوريا، إذ أعلنت عن استيائها من الفيتو الروسي والصيني، بل وطردت من أراضيها في شهر فيفري 2012 أربعة دبلوماسيين سوريين بتهمة علاقاتهم بعمليات تجسس على معارضين سوريين، ولكن يبقى الفرق هنا أنّه بينما تسعى دول أوروبية مهمة كفرنسا وبريطانيا إلى تسليط الأضواء على أدائها والإشارة دوماً إلى أنّها متمسّكة بدعم المعارضة السوريّة وإضعاف الرئيس بشار الأسد، تبرز دول كالألمانيا وإسبانيا كمثال للاعبين متمسّكين بإيجاد سبل التخفيف من معاناة الشعب السوري ولكن بطرق أكثر تكتماً.⁽¹⁾

والأمر لا يتوقّف هنا على الحالة السوريّة التي استفادت من الدعم الاقتصادي الأوروبي في حين لم تستقد أوروبا سياسياً بالمقدار نفسه، فإن الحالة نفسها تكررت في عدد من الدول العربيّة كتونس والمغرب ومصر، إذ استفادت هذه الدول من الانفتاح الأوروبيّ عليها دون أن تستجيب سياسياً لبعض مطالب الاتحاد الأوروبي. فعلى سبيل المثال فإن تونس لم تحبذ سياسات الإصلاح في مجال حقوق الإنسان في عهد بن علي، بل ذهبت إلى حدّ التشديد من سياساتها التّعسّفية والمتعدّية على حقوق الإنسان عبر تعديلها لبند من قانونها المدني في شهر جوان 2010. أمّا الاتحاد الأوروبيّ فلم يؤثّر هذا الصّد على سياساته المعتمدة وكان ذلك ناتجاً بشكل كبير عن ضعفه الهيكلي. فطالما بقيت المفوضيّة الأوروبيّة رهينة لوجهات نظر الدول الأعضاء المتضاربة وطالما لم تحاول أن تبلور وجهة نظر خاصة بها فستبقى مجهولة الهوية ومنحصرة في دورها الضئيل وغير المقنع.

من المفارقات أنّ هذا العائق من الممكن اجتيازه وبطرق ديمقراطية إذ أنّ هناك برلمان أوروبيّ فعليّ يعمل ويصوّت على قرارات تمثّل الأوروبيّين ككلّ. غير أنّ الخلل المتواجد في طرق اعتماد القرارات

(1) - براء ميكائيل، مرجع سابق.

الأوروبية عميق، وقد برز ذلك بشكل جلي في الوضع السوريّ حينما تجنبت السيّدة آشتون مطالبة الدول الأوروبية رسمياً بسحب سفرائها من سوريا على الرّغم من طلب رسمي صدر بذلك من البرلمان الأوروبيّ في شهر فيفري 2012.⁽¹⁾

غير أنّه، ورغم صعوبة بلورة إطار رسميّ يعترف بسيادة أوروبية فيما يتّصل بالسياسة الخارجية، يبقى من الممكن اعتماد خارطة طريق عامّة وغير رسميّة تحددها سياسة تدريجية تحبّذا ضمنياً الدول الأعضاء للاتحاد الأوروبيّ. على سبيل المثال وحيث يتفق الأوروبيون على ضرورة تضيق الخناق الاقتصادي على الحكومة السوريّة، وسواء اتّفقنا على صوابية هذه الخطوة أم لا كونها تنعكس على الشعب السوريّ أولاً، فلا شيء يمنع الأوروبيين من الموافقة على إتاحة صلاحيات موسّعة للمفوضيّة الأوروبية حول سبل القرارات الواجب اعتمادها إزاء هذا الملفّ حتى ولو اقتضى الأمر أن تعرض الهيئات الأوروبية ما تنوي اعتماده على الدول الأعضاء قبل الإقرار بموقفها الرسميّ منه.⁽²⁾

تبدو هذه العملية معقّدة، خاصة إذا علمنا أنه يجب استشارة 27 دولة وانتظار موافقتها قبل الإفادة بقرار رسميّ، وقد تعترض دولة واحدة فتعطل صدور القرار. ولكن ما بات واضحاً اليوم هو أنّ عدم اتّفاق الأوروبيين يأتي بنتائج أكثر سلبية على الاتّحاد بمجمله. ومن هذا المنظور قد يبقى التّأخّر في اتّخاذ المواقف الصّائبة أفضل من إصدار قرارات غير مجدّية في الواقع. فإذا تمكّنت المفوضيّة الأوروبية من الحصول على صلاحيات أشمل فيما يخصّ الموقف الواجب اتّخاذه من النزاع السوريّ لعلّها تتمكّن حينئذٍ من تقوية موقعها ناهيك عن أنّها تستطيع إبراز صورة لها أكثر وضوحاً لسياسات الاتّحاد الأوروبيّ فربّما يبشّر ذلك حينئذٍ بنشأة سياسة خارجية واضحة ذات تأثيرات فعلية، فما يحتاج إليه الاتّحاد الأوروبيّ هو إثبات قدرته على اتّخاذ قرارات بمفرده عوضاً عن دوله الأعضاء، إذ إنّ إمكانية القيام بهذه الخطوة تمثّل أهمّ وأوّل نجاح لمستقبل السياسة الأوروبية.⁽³⁾

الأوروبيون ما زالوا بعيدين عن اجتياز الخطّ الذي يفصلهم عن ساحة الفواعل الدولية ذات الوزن الثقيل، ومن المفارقات أنّ الاتّحاد الأوروبيّ يفتقد دوراً سياسياً معتبراً في حين ما زال يحتفظ بثقل اقتصادي لا يستهان به، وبعض أعضائه يتمتعون بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن. فعلى سبيل

(1) - براء ميكائيل، مرجع سابق.

(2) - Michael Benhamou, op, cit, p26.

(3) - Ibid, p27

المثال، وفيما يتّصل بالملف السوريّ، فقد قرّر الاتحاد الأوروبيّ الاعتراف بالمجلس الوطني السوريّ كممثل شرعيّ للشعب السوريّ، ولعلّ هذا القرار يبدو مبدئيّاً ملائماً لشروط التّحرّك نحو حلّ للأزمة السوريّة، وذلك إلى جانب إبرازه قدرة الأوروبيّين على اتّخاذ القرارات المهمّة والحاسمة، غير أنّه في الواقع لا يعزّز من كفاءة الاتحاد الأوروبيّ ولا يبشّر بحلّ فعليّ للمعضلة السوريّة، إذ إنه لا يكفي فقط الاعتراف بالمجلس الوطني السوريّ، لأنّ الأزمة بحاجة إلى مزيد من القرارات والإجراءات والخطوات الأخرى الأبعد مدى وأكثر فعالية من هذا الاعتراف.⁽¹⁾

شروط نجاح وبلورة سياسات الاتحاد الأوروبيّ المستقبلية تكمن في عدّة عناصر لعلّ أهمّها هو منح تفويض متزايد للهيئات الأوروبيّة يكون متّفقا عليه ولو ضمنياً من قبل الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبيّ، والاتّفاق على ضرورة بلورة السياسات والإستراتيجيّة الأوروبيّة وفقاً لما للاتحاد الأوروبيّ وبعيدا عن إغراء الاصطفاف إلى جانب أيّ من القوى العظمى، وممارسة الاتحاد أدواراً متزايدة للضغط على العناصر الفاعلة في الأزمة السورية.⁽²⁾

بدأت التغيرات على موقف الدول الأوروبية من الصراع في سورية تحديداً منذ سبتمبر 2015، ويمكن القول أن مواقف تلك الدول لم تكن على وتيرة واحدة، وتباينات فيما بينها على مدار سنوات الصراع، لكنها وبنهاية العام المذكور بدأت تتغير نحو الطرح الداعي إلى قبول بقاء القيادة الحالية لا سيما وتراجعت عن مطلب تحية الأسد كشرط لتسوية النزاع، بعد أن كانت رافضة لأيّ دور سياسي له في مستقبل سوريا؛ وهناك مجموعة من الأسباب التي تفسر هذا التغيير؛ بعضها يتعلق بالتدخل العسكري الروسي، وقبول أوروبا على مضض بهذا التدخل من قبيل دفعها لحل سياسي يحمل الأطراف المتنازعة على قبوله والبعض الآخر يتعلّق بالضغوط التي تتعرض لها الدول الأوروبية نتيجة لهجرة السوريين إلى أراضيها عبر تركيا.³

هذه الهجرة التي جعلت أوروبا طرفاً أصيلاً في مسألة البحث عن حلول تمكن اللاجئين من العودة لبلادهم، وهو ما انعكس في النصوص التي اشتملت عليها مبادرات الحل بدءاً من القرار 2254، ومروراً

(1)-Rim Turkmani and Mustafa Haid, **The role of the EU in the Syrian conflict**, (Paper commissioned by the Human Security Study Group, Security in Transition, London, February 2016),pp6-7.

(2)- براء ميكائيل، مرجع سابق.

(3)- شاهر إسماعيل الشاهر، الرؤى الأوروبية للحل السياسي في سوريا وإعادة صياغة المواقف الدولية، دراسات وأبحاث، مركز سيتا، 5 ديسمبر، من الموقع: <https://sitainstitute.com/?p=916> تمّ تصفح الموقع يوم 2021/3/10.

بمبادرات المبعوث الأممي دي ميستورا والتي أقرت "بتمكين السوريين من العودة لبلدهم بأمان"، والبعض الثالث يتعلق بضغط الأوضاع الإنسانية المتدهورة للشعب السوري والتي دفعت العديد من الحكومات لتغيير قناعاتها بطبيعة الحل المراد ليشمل الرئيس الأسد مقابل تقليص صلاحياته أو نزعها لصالح حكومة أو هيئة انتقالية!

على الرغم من أن النزاع السوري تطور إلى مزيج معقد للغاية من الثورة، إلى النزاع المتعدد الأطراف، فبعد وقت قصير من بدء الاحتجاجات العامة في سوريا في مارس 2011 تطورت الأوضاع بين المحتجين والقوات الحكومية وزاد العنف ما موجات الهجرة الجماعية تجاه الدول المجاورة و دول الإتحاد الأوروبي والتي أصبحت تؤثر على أوروبا، ولهذا أصدر الإتحاد الأوروبي العديد من البيانات التي تدين "القمع العنيف للمتظاهرين" و"حث السلطات على ممارسة أقصى الإجراءات ضبط النفس في جميع أنحاء البلاد وتلبية المطالب المشروعة وتطلعات المواطنين مع الحوار والإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العاجلة". في ماي 2011، بعد شهرين من بدء الانتفاضة في سوريا، تولى الإتحاد الأوروبي الإجراءات الأولى ضد الحكومة السورية. ومن الخطوات التي تم اتخاذها:

1. تعليق برامج التعاون الثنائي بين دول الإتحاد الأوروبي والحكومة السورية في إطار سياسة الجوار الأوروبية.
2. تجميد مشروع اتفاقية الشراكة السورية الأوروبية.
3. تعليق مشاركة السلطات السورية في البرامج الإقليمية للإتحاد الأوروبي وعمليات الإقراض والمساعدة الفنية من قبل الاستثمار الأوروبي لبنك سوريا
4. فرض إجراءات تقييدية هادفة أحادية الجانب (عقوبات) توسعت لاحقاً.⁽²⁾

بات من الضروري أن تبذل الدول الأوروبية وفي أماكن أخرى المزيد من الجهود لإنهاء النزاع في سوريا، وبالتالي وضع حد لتدفق اللاجئين. فالمساعدات، أياً كان حجمها، لا تنهي حملات الهجرة للمدنيين السوريين فجهود الوساطة التي ترأسها الأمم المتحدة كانت باهتة ومفتنة. إذا تستمر روسيا وإيران في دعم حكومة بشار الأسد في حين أنّ معظم الدول الغربية تدعم المتمردين المناهضين لنظام الأسد،

(1) - شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سابق.

(2) - Rim Turkmani and Mustafa Haid, op, cit, pp6-7.

علمًا بأنّ هذا الدعم لا يساوي الكثير عندما توضع الأمور في منظورها الصحيح. بالتالي، ليست هذه إلى صورة للأزمة ولا استمرار تدفق اللاجئين، خصوصاً في ظلّ توجه الاهتمام الدولي الأساسي حالياً إلى ما يُسمى بالدولة الإسلامية.

رغم هذه التحديات، بات الحلّ الحقيقي والوحيد لأزمة اللاجئين السوريين في أوروبا والمنطقة تستلزم تسوية سياسية فورية تتطلّب مراقبة دقيقة. على المدى البعيد، فمن شأن نشر قوات حفظ السلام للمساعدة على خلق مناطق آمنة داخل سوريا، وتطبيق اتفاقية سلام، وتأمين مبالغ كبيرة للمساعدات لإعادة بناء الأجزاء المستقرة نسبياً في سوريا، هذا ما يوقّر على أوروبا مبالغ ضخمة ويساعدها على استرجاع سلطتها الأخلاقية المتآكلة.⁽¹⁾

من وجهة نظر أوروبية، فإن القضية الأهم عندما يتعلق الأمر بسوريا هي أمن أوروبا ولا يتعلق الأمر فقط بالتهديدات العسكرية المحتملة أو التهديدات الإرهابية على الأرجح، ولكن أيضاً تلك المتعلقة بهجرة السكان وأزمة اللاجئين. يعامل معظم السياسيين الأوروبيين اللاجئين كمسألة مثيرة للقلق، ولكن في نفس الوقت تبذل مؤسسات الاتحاد الأوروبي كل ما في وسعها لمساعدتهم في البلدان المجاورة لسوريا، بدلاً من السماح لهم بدخول الاتحاد الأوروبي نفسه. وذلك لبقاء خطر الهجرة بعيداً عن الحدود الأوروبية، ومع ذلك فإن الاتحاد الأوروبي هو أكبر مانح للمساعدات للمتضررين من النزاع السوري. حيث قدم ما يقرب من 25 مليار يورو لدعم السوريين منذ عام 2011. علاوة على ذلك، فقد نظمت أيضاً مؤتمرات سنوية حول "دعم مستقبل سوريا والمنطقة" في بروكسل منذ عام 2017.⁽²⁾

شكّلت المساعدات الإنسانية الخط الأول لاستجابة الاتحاد الأوروبي بخصوص النزاع السوري، فمنذ مارس 2011، تم تخصيص 2.6 مليارات يورو من الإتحاد الأوروبي ومن الدول الأعضاء فرادى لمساعدة السوريين في الداخل، فضلاً عن النازحين واللاجئين. غير أنه، وبسبب الانقسام بين أدوات السياسة الخارجية نتيجة معاهدة لشبونة، جرى تقديم مساعدات الإتحاد الأوروبي الإنسانية بشكل مستقلّ تقريباً عن عمله السياسي. أما الخط الثاني من الاستجابة فتمثّل في فرض عقوبات تجارية ومالية، كان لها بالتأكيد أثر سلبي على بعض الشخصيات في نظام الأسد، ولكنه لم يكن تأثيراً حاسماً نظراً إلى الحجم

(1)-Sultan Barakat, Steven A.Zvck, **the syrian refugee crisis ana the erosion of eurppe'sauthority**, Tuesday, septembre 15, 2015, on: <https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2015/09/15/the-syrian-refugee-crisis-and-the-erosion-of-europes-moral-authority>.

(2)- Przemysław Osiewicz, **the eu and the syrian conflict: a decade on, what comes next**, July 30, 2021, <https://www.mei.edu/publications/eu-and-syrian-conflict-decade-what-comes-next>

المحدود للتجارة والاستثمار بين سوريا والاتحاد الأوروبي على المستوى السياسي، كان الاتحاد الأوروبي فاعلا ضمن مجلس الأمن الدولي وليس بصفة منفردة.¹

تعهد الإتحاد بتقديم 5.3 مليار يورو لسوريا والدول المجاورة لأن التهديد الحقيقي لدول الإتحاد هي الهجرة غير الشرعية وما يتبعها من آثار وانعكاسات سياسية وأمنية واقتصادية على الدول الأوروبية. في جويلية 2021، حضر جوزيب بوريل فونتيل، الممثل السامي للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية، الاجتماع الوزاري للتحالف العالمي ضد داعش، وأعلن مع الوزراء الآخرين أن "الجهود الشاملة والجماعية لا تزال ضرورية لتحقيق هزيمة كاملة لتنظيم داعش، على الرغم من أن التنظيم فقد قاعدته الإقليمية في سوريا والعراق، إلا أن الاتحاد الأوروبي لا يقلل من أهمية التهديد المستمر الذي يمثله هذا التنظيم الإرهابي ومستعد للتعاون مع أي كيان يشاركه موقفه في هذا الشأن.⁽²⁾ فالإتحاد الأوروبي يركز في تفاعله في النزاع السوري على أزمة اللاجئين وما تشكله من تهديدات أمنية وسياسية واقتصادية للدول الأوروبية، بالإضافة إلى التخوف من عودة الجهاديين الأوربيين الذين توجهوا إلى ساحات القتال في سوريا منذ 2011.

المطلب الثاني: الدعم الصيني للنظام السوري والقرارات الروسية

تعود العلاقة الإستراتيجية بين سوريا وجمهورية الصين الشعبية إلى حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. كانت سوريا واحدة من أولى الدول في الشرق الأوسط التي اعترفت بحكم الحزب الشيوعي الصيني على الصين في عام 1956. وفي الوقت نفسه، تبنت بكين موقفاً داعماً تجاه التوترات السورية المتزايدة مع تركيا وإسرائيل، وكلاهما كانا حليفين للولايات المتحدة. في ذلك الوقت، كانت واشنطن تخشى أن تصبح سوريا دولة شيوعية حيث حسنت الصين علاقاتها مع دمشق لمواجهة أي عدوان إمبريالي محتمل في أعقاب انقلاب حزب البعث عام 1963، توترت العلاقات الثنائية بين سوريا والصين حيث بدأت دمشق في تعزيز وتعميق العلاقات مع الاتحاد السوفيتي. فلقد زار رئيس مجلس الدولة الصيني "وين جيا باو" دمشق في جوان 1965 في زيارة رسمية وأجرى محادثات مع رئيس الدولة السورية "أمين الحافظ". ومع ذلك، فإن النفوذ الكبير لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية على دمشق في ذلك الوقت أعاق

(1) - Marc Pierini, *The European Union's Concerns About Syria*, Carnegie Europe, June 09 2014, at: <https://carnegieeurope.eu/2014/06/09/european-union-s-concerns-about-syria-pub-55851>

(2) - Przemysław Osiewicz, op.cit.

بشكل فعال جهود بكين لتطوير علاقات أكثر جوهرية مع سوريا¹ لكن السلطات السورية لم ترحب بتدخل الاتحاد السوفييتي في شؤونها الداخلية في أعقاب الانقلاب البعثي عام 1966، خاصة بعد أن رفضت موسكو إعطاء الضوء الأخضر لمبيعات أسلحة كبيرة لدمشق.

في رد محسوب يهدف إلى استعلاء السوفييت، أرسلت سوريا وفداً عسكرياً إلى بكين بقيادة رئيس الأركان السوري الفريق مصطفى طلاس. وخوفاً من خروج دمشق من المدار السوفييتي، تراجعت موسكو، مما سمح لسوريا بشراء المعدات العسكرية اللازمة. ولكن لم تتطور العلاقات بين سوريا والصين بشكل كبير خلال هذه الفترة واقتصرت على مبيعات الأسلحة التي سمح بها الاتحاد السوفييتي والدعم السياسي السطحي على الساحة الدولية. مع نهاية الحرب الباردة عام 1991، أصبح جزء كبير من الشرق الأوسط يعتمد بشدة على القوة العسكرية الأمريكية. حاولت دمشق موازنة نفوذ واشنطن في المنطقة من خلال تعزيز العلاقات العسكرية الأعمق مع روسيا وكوريا الشمالية والصين. ومع ذلك، فإن العلاقة بين سوريا والصين لم تبدأ حقاً في الازدهار حتى وصول بشار الأسد إلى السلطة في عام 2000. وأجبرت الأحداث الإقليمية والعالمية المختلفة الأسد على إعادة اكتشاف الصين كحليف مفيد للنظام، مثل الغزو الأمريكي للعراق في 2003 ودعم سوريا السري وتدريب المسلحين لمحاربة القوات الأمريكية في العراق، وكذلك اغتيال رفيق الحريري في 2005 والعزلة الدبلوماسية اللاحقة لدمشق.⁽²⁾

ففي عام 2004، قام بشار الأسد بزيارة رسمية إلى بكين والتقى برئيس الوزراء الصيني "هو جينتاو" الذي سبق أن زار دمشق في عام 2001 كنائب للرئيس. وأيد الجانبان إنشاء مجلس الأعمال السوري الصيني. وخلال الاجتماع، أوضح المسؤولون الصينيون تطور العلاقات الصينية السورية مع التركيز على ثلاثة مجالات رئيسية:

✓ التعزيز الثنائي والمشاركة السياسية لكلا البلدين، بما في ذلك نواب برلمانيون ومسؤولون رفيعو المستوى وأعضاء من حزب البعث السوري والحزب الشيوعي الصيني.

✓ توسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية بما في ذلك التعاون المعزز في مجالات العلوم والزراعة والاتصالات والتكنولوجيا والبتترول.

⁽¹⁾-WarapornRaksorn, **The role of Russia, China, Iran and their foreign policies towards Syria on the Arab Spring, critical review**, *Journal of Advances in Humanities and Social Sciences* 2016, 2(4): 204-220

⁽²⁾-WarapornRaksorn, op,cit, pp204/220

✓ مجالات الثقافة والسياحة والصحة والتعليم.⁽¹⁾

ركزت السياسة الخارجية الصينية في عالم ما بعد الانفتاح الاقتصادي الصيني بشكل أكبر على التنمية الاقتصادية بالإضافة إلى خلق بيئة دولية سلمية، لهذا اعتمدت السياسة الخارجية الصينية على الاعتدال والتكامل في الأساس، تركز السياسة الخارجية الصينية تجاه السياسة العالمية على الاقتصاد والتنمية كما تستخدم الصين القوة الناعمة في علاقاتها الخارجية والقائمة أساساً على التبادلات الاقتصادية والاستثمار مع أغلب الدول، كما يحاجج البعض بأن الإستراتيجية الكبرى للصين تحاول رؤية "السلام والتنمية" و"الصعود السلمي للصين".⁽²⁾

وتعد العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين الصين وسوريا قديمة تعود لسنوات الحرب الباردة، وتعززت بعد الانفتاح الاقتصادي للصين والتوجه نحو العلاقات التجارية مع الدول بعد نهاية الحرب الباردة في رغبة عن الابتعاد عن المواجهة مع الولايات المتحدة. في عام 2009، قام نائب رئيس مجلس الدولة الصيني هوى ليانغيو Hui Liangyu بزيارة دمشق والتقى بالرئيس بشار الأسد. وألقى كلمة جاء فيها "ستعمل الصين على تعميق علاقات المنفعة المتبادلة والتعاون بين البلدين في مختلف المجالات، والدفع بالعلاقات الثنائية إلى آفاق جديدة". كما أبدى نائب الرئيس الصيني عزم الصين على التنسيق المستمر وتوسيع علاقاتها أيضاً لأن بينهما علاقة دبلوماسية وذلك للعلاقات التاريخية التي تعود لأكثر من خمسة عقود.⁽³⁾

وساعدت بكين دمشق خلال الانفتاح الاقتصادي المحدود في سوريا في التسعينيات في تحقيق سياسات الإصلاح الاقتصادي. في ماي 1999، تم تأسيس جمعية صداقة بين البرلمان السوري والمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني لتعزيز التعاون الثنائي بين الدولتين.⁽⁴⁾ ويبدو أن الموقف الصيني من الأزمة السورية ليس منفصلاً عن سعي صيني لرد فعل محسوب على السياسات الأمريكية الهادفة إلى التحول الجيوستراتيجي للولايات المتحدة نحو جبهة الهادئ الآسيوية، وهو الأمر الذي رأت فيه الصين محاولة أمريكية لكبح تنامي الدور الصيني في تلك المنطقة، لذا جاء رد الصين من خلال توجهات تخلق

(1)-WarapornRaksorn, op.cit, pp204/220

(2)-ibid

(3)-ibid

(4)-Samy Akil, Karam Shaar, The Red Dragon in the Land of Jasmine: An Overview of China's Role in the Syrian Conflict, operations.policy center, March 24, 2021, on <https://opc.center/an-overview-of-chinas-role-in-the-syrian-conflict/> visited 04 /12/2021.

فرص مساومة للصين كالموقف من الأزمة السورية والعلاقات مع إيران، رغم أن المكانة الإستراتيجية للأخيرة أكثر أهمية للصين من سوريا.

فسقوط النظام السوري سيؤدي إلى إضعاف إيران، وقد يفضي في نهاية المطاف إلى وقوع هذه الأخيرة نفسها في قبضة الولايات المتحدة، إذ أن ذلك سيضع نحو 91 % من نفط العالم تحت السيطرة الأمريكية المباشرة وسيشكل ورقة ضغط مهمة في وجه الصين، كما أن إسقاط النظام السوري يعني محاصرة إي ارن تمهيدا لإطاحة نظامها وبالتالي إغلاق الشرق الأوسط في وجه الصين، فعبه يمكن الوصول إلى إفريقيا، المنطقة التي تحاول الصين الانفتاح عليها لغناها بالموارد الطبيعية.⁽¹⁾

عندما وصل الربيع العربي إلى سوريا في شكل انتفاضة شعبية، وبعد سنة تقريبا تم اتخاذ قرار الصين باستخدام حق النقض ضد مشروع قرار مجلس الأمن الصادر في فيفري 2012 والذي طالب الرئيس السوري بالتحتي. بينما امتنعت الصين وروسيا عن التصويت ولم تستخدم حق النقض (الفيتو) سابقا في ليبيا، ومع ذلك، تحدثت الصين أيضًا إلى المعارضة السورية وحاولت أن تكون وسيطًا لحل النزاع.⁽²⁾

قدم النزاع السوري للصين مجموعة جديدة من التحديات، مما أجبرها على إعادة ضبط سياستها الخارجية الأوسع في الشرق الأوسط في أعقاب الربيع العربي، فأهداف بكين في النزاع هي مزيج جيوسراتيجي من المخاوف الأمنية والفرص الاقتصادية. عندما بدأت القوات الحكومية السورية في استعادة الأراضي التي كانت تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وقوات المتمردين، أصبحت الصين حذرة بشكل متزايد من انجذاب مقاتلي الأويغور وآسيا الوسطى المتعصبين نحو أفغانستان وباكستان وطاجكستان المجاورة، حيث سيكون من الأسهل الوصول إلى الأراضي الصينية بذلك يعتبر وجود مقاتلي الأويغور في سوريا أحد الدوافع العديدة وراء حملة بكين المكثفة على المسلمين في مقاطعة شينجيانغ، والتي بدأت في عام 2017.⁽³⁾

(1) - فكرت نامق عبد الفتاح، كرار أنور ناصر، "التفاعلات الإقليمية والدولية والأزمة السورية"، قضايا سياسية، العدد 34 العراق، 2014، ص 9.

(2) - Waraporn Raksorn, op, cit, p209.

(3) - Samy Akil, Karam Shaar, op, cit.

من وجهة نظر الصين، يعتبر النظام السوري الحالي بديلاً أفضل بكثير للفوضى المحتملة التي أحدثتها التدخل الغربي، وذلك للعلاقات التاريخية بين الصين وسوريا وكذا إمكانية تعاونهما في ملف مكافحة الإرهاب في المنطقة وعدم وصول الجماعات المتطرفة إلى حدود الصين⁽¹⁾.

لقد حافظت الصين على وجودها الدبلوماسي في دمشق، وترى أن علاقتها المستمرة مع النظام السوري هي جزء لا يتجزأ من سياسة الصين "عدم التدخل" - ولا تسمح لأي خيارات محلية معينة من قبل حكومة أجنبية بأن تعرقل علاقتها مع سوريا. باستخدام نفوذها الدبلوماسي، شجعت الصين محاولات حل النزاع من خلال الحوار، بدلاً من الإجراءات العسكرية القسرية والعقوبات التي كثيراً تفرضها الولايات المتحدة والدول الأوروبية. لطالما دافعت الصين عن تسوية سياسية تفاوضية للنزاع، لكنها تجنبت إلى حد كبير المشاركة النشطة على الأرض من أجل تجنب التورط المحتمل في تنافس القوى الإقليمية.

بدلاً من ذلك، وكجزء من مبادرة الحزام والطريق الرائدة وبمباركة دمشق، أقيمت بكين الإمكانيات الاقتصادية لسوريا في الأفق كجزء من ممرها الرئيسي بين الصين وآسيا الوسطى وغرب آسيا، بالنظر إلى الساحل السوري غير المستغل. مع البحر الأبيض المتوسط.

يمكن أيضاً النظر إلى المصالح الاقتصادية لبكين في سوريا من خلال عدسة إعادة الأعمار. فقد أعربت الصين في مناسبات عديدة عن اهتمامها بالمساهمة في عملية إعادة بناء سوريا ومع ذلك، يبدو أن الكثير من تلك الجهود اقتصر على الخطاب والمشاريع الصغيرة بالنظر لاستمرار حالة التردد والحذر على الأرض، لأن الصين إذا أرادت زيادة الاستثمار في إعادة الأعمار الاستثمار في على نطاق أوسع، يجب عليها المشاركة الجدية في حل سلمي للنزاع الذي لا يزال قائماً إلى يومنا هذا⁽²⁾.

إن الموقف الصيني الحذر من جهة والداعم لنظام بشار الأسد من جهة أخرى مكن الصين من توطيد علاقاتها مع طهران وموسكو دون الحاجة إلى استثمار موارد كبيرة. كما يرتبط انحياز بكين إلى دمشق بهدفها المتمثل في مواجهة النفوذ الغربي في المنطقة وهو توجه جيوبوليتيكي صيني للتقليل من التفرد الأمريكي في الشؤون الدولية.

كما سمحت إستراتيجية الصين تجاه سوريا لها باختيار دمشق بشكل أساسي، إلى التوافق مع بعض قضايا الأمن القومي الرئيسية للصين. على سبيل المثال، خلال حملة القمع التي شنتها بكين على هونغ

(1)-SamyAkil, KaramShaar, op, cit.

(2)-ibid.

كونج في عام 2020، وقفت دمشق بقوة إلى جانب حليفها. كما دعمت سوريا قوانين الصين الأمنية الصارمة في هونغ كونغ، واعتبرت الاحتجاجات تدخلاً من قبل الولايات المتحدة في الشؤون الداخلية لجمهورية الصين الشعبية. صرح نائب وزير خارجية دمشق آنذاك، فيصل المقداد: "نحن ندرك مبدأ الصين الواحدة وندعم بشكل كامل جهود الحكومة الصينية لحماية مصالح وأمن الشعب الصيني والصين كدولة".⁽¹⁾

ليس من المستغرب أن النظام السوري قد انحاز إلى الصين فيما يتعلق بتايوان. وقد أعربت دمشق في مناسبات عديدة عن التزامها بمبدأ بكين "صين واحدة".

في أوت 2018، نشر سفير الصين السابق في سوريا، تشي تشيانجين، مقالاً في صحيفة الوطن اليومية التابعة للنظام السوري. وسلط فيه الضوء على العلاقات الثنائية القوية بين دمشق وبكين، وأشاد بقوى النظام على تعزيزها واستقرارها داخل البلاد. كما أشاد بجهود سوريا في تعميق علاقاتها مع الصين بقوله: "إننا نشيد بشدة بإستراتيجية سوريا "نحو الشرق" ونعتمزم زيادة التعاون مع سوريا في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، للمشاركة بفعالية في إعادة الأعمار الاقتصادي في سوريا. خلال العقد الماضي، حاولت الصين الحفاظ على مكانتها كجهة فاعلة مسؤولة في منطقة مضطربة. وظهر ذلك جلياً في سوريا وبذلك أصبحت الصين على نحو متزايد لاعباً مهماً في النزاع السوري وإن كان ذلك على مسافة نزارع من خلال نهجها عبر التدخلي. من وجهة نظرها، نجحت بكين في حماية مصالحها الإقليمية والعالمية من خلال الاستفاد من المسرح الدولي، وخاصة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، لصالحها.⁽²⁾

اتخذت الصين موقفاً محايداً وحذر في بداية الأزمة، حيث دعت إلى ضرورة الحوار والتوصل إلى حل سلمي ونبذ العنف، انطلاقاً من تبني إجراءات إصلاحية تستجيب لمطالب السوريين، كما عارضت استخدام القوة من أجل تغيير النظام السياسي. لقد تطور هذا الموقف إلى الانحياز الكلي لدعم النظام، بدعمها لروسيا ورفض تدويل الأزمة، ومعارضة التدخل العسكري أو فرض العقوبات على اعتبار أن القضية السورية شأن داخلي.⁽³⁾

(1)-SamyAkil, KaramShaar, op, cit.

(2)-Ibid.

(3) - نائلة العابد، كريش نبيل، مرجع سابق، ص ص 634.633

هناك العديد من المحددات والمتغيرات التي حكمت الموقف الصيني والتي كانت في بعضها مشابهة للموقف الروسي (من منطلق تشاركهما الحدود السياسية ووجود مصالح اقتصادي مشتركة أيضا مما عزز فرص التنسيق بينهما في المسرح الدولي) يأتي في مقدمتها:

- الهاجس الأمريكي، فبالنسبة للصين إسقاط النظام السوري يعني محاصرة إيران وبالتالي إغلاق الشرق الأوسط في وجهها وعد مقدرتها على الخروج إلى البحار.

- تعد المنطقة مجالا حيويا للاستثمار والتبادل التجاري، وبالتالي فالتوجه الصيني نحوها كان رغبة في تأمين متطلبات التنمية الاقتصادية بفتح الأسواق واستقطاب الاستثمارات، وهو ما يؤمن الاستقرار الداخلي والمكانة العالمية، فالصين بموجب ذلك تسعى لتعميق علاقاتها مع إيران باعتبارها أهم مورد للنفط، وتعمل على تزويدها بتكنولوجيا الأسلحة وبالتالي فسوريا تمثل أهمية إستراتيجية باعتبارها حليفا قويا لإيران.

- التخوف الصيني من صعود الإسلاميين في المنطقة العربية، لأنه يعتبر مدخلا يؤثر على الأقليات المسلمة داخل الصين خاصة تلك التي تطالب بالحرية والانفصال.

يتضح إذا أن موقف الصين يعبر عن سعيها إلى إعادة هيكلة النظام الدولي، والانخراط في الأحداث العالمية، لتكون شريكا فعالا خاصة في المنطقة العربية، خاصة بعد استخدامها المتكرر لحق الفيتو ودعم روسيا في مجلس الأمن⁽¹⁾.

يعتبر الموقف الصيني متناغم على حد بعيد مع المواقف الروسية في النزاع السوري وهذا للمصلحة المشتركة في بناء عالم متعدد الأقطاب تكون لروسيا في الكلمة السياسية الأولى وللصين الكلمة الاقتصادية العالمية من خلال تركيزها في سياستها الخارجية على العلاقات الاقتصادية مع الدول، وفي هذا الصدد تعتبر سوريا حليف استراتيجي للصين.

مما تقدم يمكن ملاحظة أن موقف الصين تجاه النزاع السوري اتسم بالثبات والموضوعية منذ البداية، وذلك من خلال التأكيد على رغبتها في ضرورة احترام قرار الشعب السوري وعدم التدخل في شؤونه الداخلية، وباعتبار سعي الصين إلى المحافظة على امدادتها من الطاقة من الشرق الوسط، فقد أعلن في العديد من المرات، خشية دخولها في خلاف سياسي قد يتبعه خلاف اقتصادي مع دول المنطقة، أن جوهر السياسة الصينية هو تحقيق التعاون في إدارة الشؤون الدولية، أو موقفها يتلخص بضرورة

(1) - نائلة العابد، كريش نبيل، مرجع سابق، ص ص 634.633

التعاون والتفاوض لحل هذه النزاعات الموجودة في منطقة الشرق الأوسط، ولهذا عمدت الصين على استخدامها حق الفيتو في مجلس الأمن حيال ما تعتبره سياسة أمريكية هدفها حرمانها من الوصول إلى مصادر الطاقة في الشرق الأوسط¹.

من هنا نرى أن الدوافع الإستراتيجية هي المحرك للموقف الصيني من الأزمة السورية في ظل محاولة لترجمة أهدافها ومصالحها السياسية والاقتصادية في المنطقة، ولهذا يرى مراقبون بأن تفسير الموقف الصيني من الأزمة السورية والذي تجلّى بتبني الفيتو مرتين مع روسيا لا يتعلق مبدئياً بالعلاقة السورية الصينية المباشرة، بلا مشكلات أخرى - غير الأزمة السورية - تدور بين القوى الكبرى، فوجود مصالح اقتصادية مشتركة بينهما عززت من فرص التنسيق بينهما في المسرح الدولي.

في النهاية نرى أن الدوافع الجيوإستراتيجية، والمتمثلة في سعي الصين لرد فعل محسوب على السياسات الأمريكية الهادفة إلى التحول الجيوإستراتيجي الأمريكي وجبهة الهادئ الآسيوية، وهو الأمر الذي رأت فيه الصين محاولة أمريكية لكبح تنامي الدور الصيني في تلك المنطقة، لذا جاء رد الصين من خلال توجهات تخلق فرص مساومة للولايات المتحدة الأمريكية كالموقف من النزاع السوري والعلاقات مع إيران، رغم أن المكانة الإستراتيجية للأخيرة أكثر أهمية للصين من سوريا.

الدوافع الجيو اقتصادية المتمثلة في الطاقة والمجال الحيوي المحفز للاستثمار والتبادل التجاري في منطقة الشرق الأوسط، ففي ظل الطلب المتزايد على نفط الخليج، بحيث تؤكد المصادر، بأن 55 في المئة من احتياجات الصين النفطية (حوالي 5.3 مليون برميل يوميا) يأتي أكثرها من الدول العربية، وهذا ما يمكن أن يؤشر على إمكانية حلول الصين محل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في مجال استرداد المواد الطاقوية، ولاسيما إذا علمنا إن الصين ثاني اقتصاديات العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية.⁽²⁾

يعتبر الدافع الجيوإستراتيجي والجيوإقتصادي المذكوران أعلاه هما المحددان الرئيسيان اللذان يتم من خلالهما اتخاذ الموقف الصيني اتجاه النزاع السوري، هذا الموقف المتمسك بالثبات والموضوعية منذ بداية النزاع، والقائم على التأكيد على رغبة الصين في ضرورة احترام قرار الشعب السوري وعدم التدخل في شؤونه الداخلية.

(1) - معتز عبد القادر محمد الجبوري، الأدوار الدولية للقوى الكبرى تجاه الأزمة السورية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم

القانونية والسياسية، (المجلد 5) (العدد 10)، 2015، ص ص 347-348.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 348.

الخاتمة

استكمالاً لهذه المحاولة البحثية في السعي لتقديم مادة علمية منظمة تساعد الباحثين في فهم التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى وتجاوزات استراتيجياتها في منطقة الشرق الأوسط وتحديداً في سوريا منذ 2011 أصل إلى النتائج التي أوردتها كما يلي:

➤ نظرياً:

أعاد التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط الإعتبار للمتغير الجغرافي في تحريك التفاعلات الدولية في مناطق النفوذ التقليدية، رغم طروحات العولمة القائلة بحتمية تحييد الجغرافيا في التحليل الجيوبوليتيكي للظواهر السياسية.

لقد تأكد من خلال البحث بفصوله الأربعة حضور النظريات الجيوبوليتيكية الكلاسيكية القائلة بالتنافس على مناطق النفوذ وخطوط المواصلات المهمة والمياه الدافئة وكلها حاضرة في سوريا. فضلاً على الطروحات المعاصرة للجيوبوليتيكا التي ترى بتوسيع رقعة الاهتمام إلى المجالات والفضاءات الأخرى مثل التنافس الاقتصادي والتكنولوجي والحضاري والسيبراني وهذا من أجل الوصول للسيطرة العالمية. فمن يسيطر على بر العالم وبحره وفضاءه السيبراني يسيطر على العالم. وهذا ما يفسر التنافس المحموم بين القوى الدولية المختلفة سواء العالمية أو الإقليمية للسيطرة على المناطق الحيوية وتطوير قدراتها التكنولوجية والاقتصادية وتفعيل المتغير الحضاري والديني لإحكام السيطرة على غرار ما يحصل في سوريا.

➤ عملياً

مثل الشرق الأوسط وما يزال منطقة جذب جيوسراتيجي للقوى الكبرى عبر العصور القديمة والحديثة، وقد تنامت هذه الأهمية في فترة الحرب الباردة وفترة العولمة التي تلتها، وهذا للأهمية الجيوبوليتيكية للمنطقة بما تتوفر عليه من مقدرات مادية تتمثل في الموقع الرابط بين القارات الثلاث أوروبا إفريقيا وآسيا وإشرافها على أهم الممرات المائية (مضيق هرمز، مضيق باب المندب، قناة السويس)، من جهة وهشاشتها الأمنية من جهة أخرى خاصة منذ الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003 وانهيار النظام الإقليمي العربي في ظل ظهور قوى إقليمية طامعة وطامحة تمثلت في إيران وتركيا بالدرجة الأولى، وقد شكلت أحداث الربيع العربي التي عصفت بأغلب دول المنطقة منذ سنة 2010 فرصة سانحة لعودة التدخل الدولي في المنطقة تحت مسوغات مختلفة بين حماية الأقليات ونشر الديمقراطية ودحر الدكتاتوريات، هذا

على المستوى الخطاب الرسمي للقوى لكن تبقى المصالح الجيوبوليتيكية المحرك الأساسي لتفاعلات القوى الكبرى في المنطقة كما أوردنا سابقا.

ومن النتائج الخاصة بسوريا والقوى الكبرى المنخرطة في النزاع مايلي:

✓ سوريا:

تجلت في النزاع السوري على مدار سنواته العشر ثلاث مستويات:

- **المستوى الأول الداخلي المحلي** حيث ظهرت أهمية النسيج الإثني والطائفي وكيف لعب دور مهما في انتشار الفكر المتشدد وأُخذ كمبرر لحماية الأقليات على الرغم من أن المجتمع السوري كان يعيش تناغم واندماج إلى حد بعيد قبل 2011، لكن اندلاع الاحتجاجات وما صاحبها من تحولات محلية وإقليمية أعاد للسطح الصراع الطائفي والإثني.
- **والمستوى الثاني** الذي ظهر جليا في النزاع السوري هو مستوى النظام الإقليمي، وهنا تظهر أهمية الشرق الأوسط كرقعة شطرنج إقليمية ومنطقة نفوذ ومصالح للقوى الإقليمية القريبة جغرافيا وتاريخيا من سوريا مثل تركيا وإيران والمملكة العربية السعودية وما تشكله التحالفات الدولية لهذه القوى الإقليمية من توسيع دائرة النزاع السوري.
- **المستوى الثالث** وهو المستوى العالمي، حيث أن هذا النزاع هو أحد مظاهر التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في حديث عن عودة حرب باردة ثانية بين القوة البحرية (التالاسوكراتيا) الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الأوروبيون، وأكبر قوة برية (التيلوروكراتيا) في محاولة منها لإعادة رسم خارطة الشرق الأوسط وما أفرز هذا التحول من تصادم جيوبوليتيكي وتجادب للمصالح في المنطقة.

تسببت المواجهات العنيفة بين مختلف أطراف النزاع في سوريا (النظام السوري، إيران وروسيا) (المعارضة المسلحة المدعومة من تركيا وقطر) في تدمير البنية التحتية للدولة السورية، وإضعاف المؤسسات المركزية إلى جانب زيادة الشرخ الاجتماعي بين المكونات السورية بعد فرزها على أساس طائفي وعرقي، وهكذا حافظت الولايات المتحدة على بقاء النظام بمستوى محدد دون العودة لما قبل 2011، وبنفس الوتيرة استمرت المعارضة في تقليص دورها دون القضاء عليها نهائيا على الرغم من

الأعمال الإرهابية الممنهجة التي قامت بها، كما أسست الولايات المتحدة لوجود مناطق محددة في شمال وشرق سوريا وأدخلت بعضها في مناقصات مع الطرف التركي على حساب الكرد وقوات سوريا الديمقراطية التي هي حليف مهم في محاربة الإرهاب.

مثل التدخل العسكري الروسي في سوريا بعد أربع سنوات من الدعم الدبلوماسي والسياسي للنظام السوري امتدادا طبيعيا للتنافس الجيوبوليتيكي الأمريكي الروسي بالدرجة الأولى الذي تصاعد في أوكرانيا وجورجيا عبر التدخل العسكري، وانعكس على بنية وتركيب النظام الدولي في أثناء السنوات العشر الأخيرة، ورغم أن سوريا ملف ساخن ومنطقة صدام جيوبوليتيكي باعتبارها مفترق طرق حيث تلتقي المصالح الأمريكية والروسية، وتتضارب في الوقت نفسه، فالإرهاب يعد أحد نقاط الالتقاء الظاهرية، إلا أنه يخفي خلفه صراعا جيوبوليتيكا بين روسيا و الولايات المتحدة من أجل القيادة العالمية في رسم خارطة عالم جديد في إطار التشكل.

كما أعطى النزاع السوري رهانات جيوبوليتيكية لكل القوى الكبرى الفاعلة في الرقعة الشطرنية الجيوبوليتيكية السورية وامتدادها الواسع لمنطقة الشرق الأوسط ككل سنحاول عرضها كما يلي:

✓ الولايات المتحدة الأمريكية:

مثل النزاع السوري رهان جيواستراتيجي للقوى الكبرى على غرار الولايات المتحدة الأمريكية التي عملت على إحداث تغييرات جوهرية في منطقة الشرق الأوسط (تمس بدول المحور المناوئ لها) كل من العراق سوريا واليمن حيث سعت إلى توفير الظروف لإقامة أنظمة تشكل بها نظاما شرق أوسطيا يساهم في تكريس نظام العولمة والقيادة الأمريكية للعالم، ويسمح لأمريكا بعزل روسيا عن التحالف السوري الإيراني مما يسهل في محاصرة وإحتواء إيران ، لما تشكله من تهديد مباشر للمصالح الأمريكية في المنطقة بملفها النووي من جهة والتهديد القائم للأمن القومي الإسرائيلي الذي يعتبر أحد الثوابت والأهداف الاستراتيجية لأي سياسة أمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

عزل روسيا عن تحقيق المحور الجيوبوليتيكي الروسي الذي قال به ألكسندر دوغين هو هدف جيوبوليتيكي أمريكي قد لا يكون معلنا في الخطابات الرسمية، لكن العودة الروسية لتفاعلات الساحة الدولية خاصة في الشرق الأوسط أقلق الولايات المتحدة وخلق لها صورة جديدة للتنافس الجيوبوليتيكي الروسي الأمريكي على مناطق النفوذ كما في أيام الحرب الباردة، خاصة وأن كل من الولايات المتحدة

وروسيا تمثل فاعلا إيديولوجيا مناوئاً للآخر في إطار الصراع العالمي بين القوى البرية والقوى البحرية للزعامة العالمية. فالقوى الأطلسية (الولايات المتحدة وأوروبا) تعتبر المنطقة جزءاً مهماً من الإطار الهامشي والسيطرة عليها تحيد روسيا وتعزلها عن الوصول للبحر المتوسط والمياه الدافئة، ونظراً لما تعطيه القوة البحرية للدول من مراكز قيادية، لهذا تبقى المنطقة في مركز اهتمامات القوى الغربية. ومن جهة أخرى تراهن روسيا على منطقة الشرق الأوسط وسوريا تحديداً لأنها تراها آخر قلاعها ومجالها الحيوي الذي لا تتنازل عنه في أي صراع جيوبوليتيكي مع القوى البحرية.

✓ روسيا:

بالنسبة لروسيا العائدة إلى الساحة الدولية حاولت من خلال التدخل في سوريا -سواء دبلوماسياً ولوجستياً منذ بداية الأحداث في شكل دعم مباشر وعلني للنظام السوري أو عن طريق التدخل العسكري المباشر على الأرض منذ سبتمبر 2015 -استرداد الفضاء الذي غيبت عنه منذ تفكك الإتحاد السوفييتي، وخسارتها لمناطق النفوذ في أوروبا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا، فجعلت من سوريا الرهان الذي لا يقبل احتمال الفشل أو الخسارة

جعل سوريا محطة للانطلاق نحو إعادة الاعتبار للمكانة الروسية في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا والعمل على إعادة النفوذ للإمبراطورية السوفييتية، وفي تقديري يتأكد ذلك من خلال عودة بعض الدول إلى تبني الأنظمة المركزية التسلطية (تونس، مصر والسودان).

الحفاظ على النظام السوري قائماً ومن ورائه القاعدة الخلفية لإيران باعتبارها المحور الجيوبوليتيكي الحليف لروسيا في منطقة الشرق الأوسط.

العودة للساحة الدولية من البوابة السورية كفاعل جيوسراتيجي مهم لإنهاء الأحادية القطبية عن طريق إنهاء الولايات المتحدة استراتيجياً وذلك بمزاحمتها في مناطق الفراغ الجيوبوليتيكي. كما أن الرهان الروسي الاستراتيجي في سوريا هو ترسيخ صورة ذاتية لها كمركز أوراسي يربط بين أوروبا والصين ومستقل في إيديولوجيته وتوجهه في منافسة القوة الغربية المسيطرة على مراكز القرار العالمي.

✓ الإتحاد الأوروبي:

لم يظهر دور واضح للإتحاد الأوروبي في النزاع السوري، فقد تراجع صوته وخفت منذ الحرب الباردة فالدور الفرنسي وهو الأبرز بالدرجة في مناطق النفوذ القديمة ينعدم بسبب رهنها لموقفها دعماً للولايات

المتحدة الأمريكية. وتدخله في سوريا من أجل حماية الأقلية المسيحية. ورهان الإتحاد الأوروبي الأساسي في سوريا هو قضية اللاجئين السوريين وتداعيات هذا الملف على الأمن الأوروبي من جهة وتأثيره على قيم الإتحاد الأوروبي التي طالما روج لها من جهة أخرى من حماية حقوق الإنسان، وكذا التخوف من التنظيمات الإرهابية الممنشرة في سوريا في حال عودة المنتسبين لصفوفها لأوروبا مما يهدد الأمن الأوروبي.

✓ الصين:

استمرت الصين في نهجها لمقاربة الصعود السلمي الناعم باستعمال الأدوات والوسائل الاقتصادية ولم يبرز دورها في سوريا إلا من خلال دعم القرارات الروسية في مجلس الأمن فيما يتعلق بعدم التدخل من أجل إسقاط النظام السوري. كما حافظت على دعمها لنظام أسد عسكرياً واقتصادياً وسياسياً خلال السنوات العشر الماضية وبوتيرة أقل من "روسيا وإيران"، وقد اتجهت في الوقت الراهن إلى اقتناص الفرص من خلال البحث عن استثمارات واسعة في الشرق الأوسط وخاصة في سوريا سواء كان ضمن مشروعها "طريق الحرير الجديد" أو بالحصول على حصص اقتصادية في سوريا ما بعد الحرب و إن كان هذا الرهان خاسر لأن الاستثمار في بلد منهك و يعاني من عقوبات اقتصادية لن يعود للصين بعوائد اقتصادية كما أن الفاعلين الأساسيين في سوريا روسيا و إيران لم يتركوا للصين مجالاً في سوريا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

الكتب:

1. أبو الخزام إبراهيم، أقواس الهيمنة دراسة لتطور الهيمنة الأمريكية من مطلع القرن العشرين، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2005.
2. أحمد خالد الأسمر، جيوسياسة المضائق البحرية وأثرها على الصراع في منطقة المشرق العربي، (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، 2019).
3. أحمد سعيد إبراهيم، الجيوبوليتيك السوري وقوة الجغرافيا السياسية السورية، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب 2016.
4. أليسون غراهام، تعريب وتعليق إسماعيل بهاء الدين سليمان، حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة، بيروت: دار الكتاب العربي، 2018.
5. أنجريس موريس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية الجزائر: دار القصة للنشر، الطبعة الثانية، 2006.
6. باروت محمد جمال، العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2012.
7. باكير علي حسن، إيران والتنافس الشرق أوسطي النقاء وتصادم المشاريع (تركيا وإسرائيل)، في المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، صباح الموسوي، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، 2013.
8. بريجنسكي زبغنيو، رؤية استراتيجية، أمريكا وأزمة السلطة العالمية، ترجمة فاضل جكتر (بيروت: دار الكتاب العربي، 2012).
9. بشارة مروان وآخرون، التداعيات الجيوسياسية للثورات العربية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، فيفري 2014.

10. بهاء الدين عمار، مستقبل التنافس الروسي الأمريكي في الشرق الأوسط: دراسة في الأبعاد الاقتصادية والسياسية، بغداد: مكتبة السنهوري، الطبعة الأولى، 2016
11. بوكابوس وفاء ب وآخرون، الثقل الآسيوي في السياسة الدولية محددات القوة الآسيوية، برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2018.
12. بيليس جون وسميث ستيف، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي: مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى، 2004.
13. تركماني عبد الله، نشأة الدولة السورية الحديثة وتحولاتها، قطر: مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2016.
14. جانكياني يازا، صراع القوى الدولية في ظل النظام الدولي الجديد ودور السياسة النووية، ترجمة، علي مرتضى سعيد، القاهرة، المركز القومي للترجمة. الطبعة الأولى.
15. الجحيشي فراس محمد أحمد التوازنات الاستراتيجية الجديدة في ظل بيئة أمنية متغيرة، عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015.
16. حجازي محمد محمد، الجغرافيا السياسية القاهرة: مكتبة الإسكندرية، 1996.
17. الحسن عمار مرعي، مكانة تركيا الجيوستراتيجية في الصراع الدولي دراسة في متغيرات البيئة الإقليمية والدولية، بيروت: مكتبة السنهوري، 2016.
18. خليل حسين، الجغرافيا السياسية، دراسة الأقاليم البرية والبحرية والدول وأثر النظام العالمي في متغيراتها، بيروت، دار المنهل اللبناني، الطبعة الأولى، 2009.
19. دودز كلاوس وأنتكسون دفيد، الجغرافيا السياسية في مائة عام (التطور النظري العالمي)، ترجمة عاطف معتمد وعزت زيان، القاهرة: المركز القومي للترجمة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 2010.
20. دوغين ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تعريب عماد حاتم، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، 2004.
21. ديبورا ج جيرنر، ترجمة أحمد عبد الحميد أحمد، الشرق الأوسط المعاصر (محاولة للفهم)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2003.

22. ديسوا جيرارد، دراسة في العلاقات الدولية، الجزء الأول، النظريات الجيوسياسية، ترجمة قاسم المقداد، سوريا، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، 2014.
23. راقي عبد الله، مدخل إلى علم الجيوبوليتيكا، المفهوم، النظريات وعوامل القوة، الجزائر، جامعة باتنة 1: منشورات مخبر الأمن الإنساني، 2020.
24. رياض محمد، الأصول العامة للجيوبوليتيكا مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2010.
25. زاكود عبد السلام جمعة الأبعاد الاستراتيجية للنظام العالمي الجديد (قراءة في حصاد وقائع وأحداث عقدين من الزمن 1989/2011)، مصر: دار زهران للنشر والتوزيع، 2014.
26. زيدان ناصر، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر إلى فلاديمير بوتين، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، 2013.
27. سعودي محمد عبد الغني، الجغرافيا السياسية المعاصرة دراسة الجغرافيا والعلاقات السياسية الدولية، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية 2010.
28. سيريله بيير، الجغرافية السياسية والجغرافية الإستراتيجية، ترجمة أحمد عبد الكريم، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000.
29. صافي عدنان، الجيوبوليتيكا من النشأة إلى الحداثة، الإسكندرية: مركز الكتاب الأكاديمي، الطبعة الأولى، 2010.
30. صاموئيل هنتغتون، صدام الحضارات.. إعادة صياغة النظام العالمي، ترجمة، طلعت الشايب،، سطور للنشر، الطبعة الثانية، 1999.
31. طالب محمد حميد، العلاقات الإيرانية الأمريكية توافق أو تقاطع، لبنان، العربي للنشر والتوزيع، 2016.
32. عباس غالي، نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات عمان الأردن؛ دار أسامة للنشر والتوزيع، 2004.

33. عباس فراس وآخرون **مطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى** تأملات في المسرح الجيوسياسي العالمي الجديد، تحرير، علي بشار أغوان، عمان: دار الرمال للنشر والتوزيع، شركة الأكاديميون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2019.
34. عبد الحميد عبد الكريم علاء، **دور الأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية**، أبو ظبي، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، 2018.
35. عبد العاطي عمرو، **الاختراق المذهبي القوة الإيرانية في الإقليم.. مناطق الانتشار وأدوات التغلغل**، القاهرة، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، 25 جوان 2016.
36. العكيدي إيلاف نوفل أحمد، **الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط وأثرها على العلاقات الروسية الإيرانية**، عمان: دار الراجحة للنشر والتوزيع، ط1، 2016.
37. عليان محمود، **التوافق والصراع في العلاقات الدولية: العلاقات الروسية التركية مثالا، ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية**، الطبعة الأولى، 2016.
38. العيسوي فايز محمد، **الجغرافيا السياسية المعاصرة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية**، الطبعة الأولى، 2008.
39. فادي سامية، **المشروع الإيراني في ضوء الثورات العربية: ثوابت ومتغيرات حالة تونس-مصر-ليبيا-اليمن-سوريا**، في عبد الله فهد النفيسي، **المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية**، عمان، دار عماد للنشر والتوزيع، 2014.
40. فالنت كولن، **جغرافيا الحرب والسلام من معسكرات الموت إلى الحراك الدبلوماسي**، ترجمة، عاطف معتمد وآخرون، الجزء 2، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2017.
41. فتحي أحمد، **الشرق الأوسط والأهمية الاقتصادية والجيوبوليتيكية**، في **الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط وعلاقتها على العلاقات الروسية الإيرانية**
42. الفرجاني فوزية، **مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط (2013/2016) دراسة في الاستراتيجية الأمريكية الشاملة**، في **الشرق الأوسط في ظل أجندات السياسة الخارجية الأمريكية دراسة تحليلية للفترة الانتقالية بين حكم أوباما وترامب**، مؤلف جماعي، تحرير هادي الشيب، برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2017.

43. فهمي عبد القادر محمد، المدخل إلى دراسة الاستراتيجية، مصر: دار المجدلوي للنشر والتوزيع.
44. كابلن روبرت، **انتقام الجغرافيا** ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضد المصير، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 2015.
45. كلير مايكل، الحرب على الموارد الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة، عدنان حسين، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 2002.
46. كوهين إيليون، **العصا الغليظة** حدود القوة الناعمة حتمية القوة العسكرية، ترجمة فواز زعرور، بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، 2018.
47. لاکوست إيف، الجغرافيا السياسية للمتوسط، ترجمة زهيدة درويش،، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، 2010.
48. المخادمي عبد الرزاق، مشروع الشرق الأوسط الكبير، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، 2005
49. مداني ليلي وآخرون، الثقل الآسيوي في السياسة الدولية محددات القوة الآسيوية، تحرير عبلة مزوزي ومحمد بن عيشة، برلين، المركز الديمقراطي للدراسات السياسية والاستراتيجية، الطبعة 1، 2018.
50. مرشامير جون، مأساة سياسة أقوى العظمى، ترجمة مصطفى محمد قاسم، الرياض، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، 2012.
51. المؤمني محمد أحمد عقلة، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا في القرن الواحد والعشرين، الأردن: دار الكتاب الثقافي 2009.
52. المؤمني محمد أحمد عقلة، الصراع على العالم، عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2018.
53. نجاة لمدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط دراسة حالة سوريا 2010.2014، عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2018.
54. نعمة كاظم هاشم روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2016

55. هاس أرنست، عالم في حيص بيص السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم، تعريب وتعليق، إسماعيل بهاء الدين سليمان، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 2018.
56. هاس ريتشارد، عالم في حيص بيص السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم، تعريب، إسماعيل بهاء الدين سليمان، مراجعة وتنقيح، نهاد الحايك، لبنان: دار الكتاب العربي، 2018.
57. واكيم جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 2012.
58. وانغ جينغ ليه، رؤية تحليلية لاضطرابات الشرق الأوسط، ترجمة أمينة عز الدين، القاهرة، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2013.
59. يوسف أحمد أحمد، نيفين مسعد، حال الأمة العربية 2017-2018 عام الأمل والخطر، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، جويلية 2018.

المقالات:

1. أبو شعير فرح الزمان، العلاقات الإيرانية-الروسية: شراكة حذرة تميز حلف الضرورة، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات، 7 أكتوبر 2013.
2. أجون جان، جغطاي محمد غولر، حروب المصادر الطبيعية في سوريا، رؤية تركية، أبحاث ودراسات خريف 2019.
3. أحمد الشلبي عيسى، نواف كايد جراد أبو تايه، سياسة جامعة الدول العربية تجاه الأزمة السورية وأبعاد التدخل العربي والإقليمي والدولي، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 27، جوان 2017.
4. إلياس فراس، الجيوبوليتيك الشيعي والمخيلة الجيوستراتيجية الإيرانية: مجالات التأثير وبناء النفوذ، مجلة لباب للدراسات الاستراتيجية والإعلامية، مركز الجزيرة للدراسات، العدد 4، نوفمبر 2019.
5. أندرو على رضا نادر، الصين في الشرق الأوسط، التتين الحذر، مؤسسة راند، سانتا مونيكا، 2016.
6. البدور بكر، مستقبل النفوذ الإيراني في منطقة الشرق الأوسط في ظل العقوبات الأمريكية، رؤية تركية، (8/2)، ربيع 2019.

7. بن عنتر عبد النور، محاولة لمقاربة حديثة لمفهوم الأمن القومي العربي، مجلة شؤون عربية، العدد 133، ربيع 2008.
8. بنجامين فريدمان وستيف وراثيم، جو قل لا، لا توجد عودة إلى الوضع القائم في السياسة الخارجية الأمريكية، إعداد وترجمة، جلال خشيب، البوصلة الجيوبوليتيكية، مركز دراسات الإسلام وشؤون العالم، المجلد الثاني، العدد 53، 5 ديسمبر 2020.
9. التقرير الاستراتيجي، تفاعلات تركيا مع الحراك الثوري العربي، القاهرة، ط1، 2013.
10. الجبوري معتز عبد القادر محمد، الأدوار الدولية للقوى الكبرى تجاه الأزمة السورية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 5، العدد 10، 2015.
11. جرابعة محمود، منظور إسرائيل الأمني للشرق الأوسط: تحالفات دفاعية أم تنسيق أمني، ورقات تحليلية، مركز الجزيرة للدراسات، 4 أبريل 2021.
12. الحاج سعيد، محددات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، مارس 2016.
13. الحاج عبد الرحمن، أثر التدخل الإيراني في سوريا على الخريطة المذهبية، مجلة الدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد السادس، مارس 2018.
14. حسن أحمد، الجيوبوليتيك ونظرية صدام الحضارات، المجلة السياسية والدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة المستنصرية، العدد 8، 2008.
15. حسن باكير علي، مسار أستانة: الدول الضامنة ومسارات التسوية، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، أوت 2019.
16. حسين رفل نجم، عباس طراد ساجت، خصائص القوة الجيوبوليتيكية للجمهورية العربية السورية، جامعة بابل: مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والأساسية، العدد 42، فيفري 2019.
17. الحفيان نورة، الانسحاب الأمريكي من سوريا الحثيات وردود الأفعال، تقارير سياسية، المعهد المصري للدراسات، 25 جانفي 2019.

18. حماتي سامر، حساب أرقام الفقر ومعرفة معالمه في سوريا ما قبل الصراع، البرازيل: مركز السياسات الدولية من أجل النمو الشامل، سبتمبر 2019.
19. الخزرجي موفق مصطفى، الأزمة السورية ومواقف الدول الكبرى، البحرين: مجلة دراسات، مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، (مجلد 3) (العدد 1).
20. خشيب جلال، الجيوبوليتيكا الروسية الحديثة والمعاصرة بين النظرية والتطبيق، رؤية تركية، ربيع 2018.
21. خشيب جلال، أوهام العولمة وعودة جيوبوليتيكا العصر القديم، المعهد المصري للدراسات، دراسات سياسية، نوفمبر 2019.
22. خير الدين شامة، أبعاد التدخل العسكري في سوريا، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، العدد الأول، جانفي 2016.
23. داسا كاي داليا، سياسات إسرائيل بشأن إيران بعد الإتفاق النووي، منظور تحليلي، تقارير مؤسسة راند، 2016.
24. دون اسم الكاتب، استراتيجية ترامب تجاه إيران الدوافع والاتجاهات، تقدير موقف، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، 18 أكتوبر 2017.
25. دون اسم الكاتب، حدود التدخل العسكري الروسي في سوريا، تقدير موقف، وحدة تحليل السياسات بالمركز العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات العربي وآفاقه.
26. دون اسم الكاتب، مراوحة الصراع في اليمن واحتمالية التدخل الروسي تقدير موقف، وحدة الرصد والتحليل، مركز الفكر الاستراتيجي، 22 مارس 2018.
27. دياب طارق، استراتيجية ترامب في سوريا ماذا بعد؟، تقارير سياسية المعهد المصري للدراسات، 10 فيفبر 2018.
28. دياب طارق، عملية درع الفرات في مرحلتها الثالثة، تقارير سياسية، المعهد المصري للدراسات، 2016/12/5.

29. راقيدي عبد الله، الجيوبوليتيكا الحضارية في حوض المتوسط في ظل الإرهاب واليمين المتطرف، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 27، مارس 2017.
30. راقيدي عبد الله، الجيوبوليتيكا والعولمة في الحديث عن نهاية الجغرافيا، دفاثر السياسة والقانون، العدد 17، جوان 2017.
31. الزاوي محمد سليمان، مثلث النفوذ الشرق أوسطي السعودية تركيا إيران تفاعلات علاقات الإقليمية بعد الربيع العربي، دراسات مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، 29 مارس 2015.
32. ستيفن والت، حان الوقت لإنهاء "العلاقة الخاصة" مع إسرائيل فوائد دعم الولايات المتحدة لم تعد تفوق التكاليف، ترجمة جلال خشيب، مركز إدراك للدراسات والاستشارات.
33. سرور نبيل، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 96، ماي 2016.
34. سكوبيل أندرو، على رضا نادر، الصين في الشرق الأوسط، التتين الحذر، مؤسسة راند، سانتا مونيكا، 2016، ص 3.
35. سليم بدره، مجناح آمال، الشرق الأوسط: دراسة تحليلية في طبيعة المتغيرات الدولية والإقليمية المساهمة في التحول الاستراتيجي التركي تجاه المنطقة، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، العدد التاسع، مارس 2018، المجلد الثاني.
36. شادي عبد الوهاب، أحمد عثمان، التقرير الاستراتيجي حالة الإقليم، التفاعلات الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط 2020/2021، مجلة المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة.
37. الشاهرشاهر إسماعيل، المبادرات الدولية لحل الازمة السورية، المركز العربي الديمقراطي، 21 ديسمبر 2017.
38. شرقي نهرين جواد، التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط سوريا نموذجا، (العراق، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، العدد 74، سبتمبر 2018)
39. الشوفي جمال، "جيوبوليتيكا" الدوائر المتقاطعة، سورية في عالم متغول، دراسات سياسية مركز حرمون للدراسات المعاصرة، أبريل 2018.

40. الشيخ نورهان، السياسة الروسية وحدود الدور في الشرق الأوسط، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 65، 2013.
41. صدام مرير محمد عطية، الصراع الدولي والإقليمي في المنطقة العربي وأثره على المنطقة العربية (أنموذج ثورات الربيع العربي)، مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد 11.
42. الصمادي فاطمة، ترامب ولجم إيران محددات الواقع الجيوسياسية، مركز الجزيرة للدراسات، تقارير، 27 فيفري 20173.
43. طي محمد، الجيوبوليتيك منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، دراسات وتقارير، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، ط1، العدد 9، جانفي 2019.
44. ظاهر عبد الزهرة الربيعي، إبراهيم فاضل ثناء، الموقع الجيواقتصادي لسوريا وأثره على سياسة روسيا الاتحادية، (مجلة ابحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد 6، المجلد 42، 2017)، ص ص 290-291.
45. العابد نائلة، كريس نبيل، النزاع في سوريا قراءة في مواقف ومصالح الأطراف الفاعلة ودورها في توجيه مسارات النزاع، (مجلة المعيار: المجلد 25، العدد 59، السنة 2021).
46. عاروري نصير، حملة جورج بوش المناهضة للإرهاب، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 284، 2002.
47. عبد الحي وليد، محددات السياسة الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية، مركز الجزيرة للدراسات، 2012.
48. العريض حسين، أدوار الفواعل الإقليمية والدولية تجاه النزاع السوريين مجلة الناقد للدراسات السياسية، المجلد 5، العدد (1) 2021.
49. علاء جبار أحمد، السلوك السياسي للرئيس دونالد ترامب في الشرق الأوسط، دراسات دولية، العددان 77-78.
50. علمي منى، التورط العسكري لحزب الله في سوريا ودوره الإقليمي الأوسع دراسات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مارس 2017.

51. العلو سقراط، الصراع على الثروة السورية بين إيران وروسيا: الفوسفات نموذجا، تقارير(مركز الجزيرة للدراسات، جويلية 2018).
52. عياد عبد الرضا، مسلم مهدي علي الخوالدي، النظريات الجيوبوليتيكية الحديثة وتطبيقاتها على منطقة آسيا الوسطى، مجلة البحوث الجغرافية، العدد 21، دون سنة النشر.
53. فرانسيس فيرونیکا حليم، جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية"دراسة في أثر الجيوبوليتيك في علاقة روسيا بدول الجوار، المجلة العلمية لكلية العلوم الاقتصادية والعلوم السياسية، المجلد 4، العدد 8، صيف 2019.
54. القحطان حارث عبد الله، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط (مرحلة ما بعد أحداث 11 سبتمبر)، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد 6.
55. اللباد مصطفى، الصراع التركي الإيراني على سوريا والفرغ العربي، بدايات، العددان 3 و4، خريف 2012، شتاء 2013.
56. لعبيدي عبد الرحمان يونس، موقف روسيا الاتحادية من الثورات العربية الثورة السورية نموذج، مجلة دراسات إقليمية العدد 22، العراق 2013
57. م صدام مريم حمد عطية، الصراع الدولي والإقليمي في الشرق الأوسطو أثره على المنطقة العربية (أنموذج ثورات الربيع العربي)، مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد 11.
58. محمد ميسر فتحي، الأداء الاستراتيجي الأمريكي تجاه الشرق الأوسط في عهد إدارة ترامب: دراسة مستقبلية، مجلة العلوم السياسية، العدد 56.
59. المصطفى حمزة مصطفى، جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس إلى الإنقسام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سياسات عربية، العدد 5: نوفمبر 2013
60. نامق عبد الفتاح فكرت، كرار أنور ناصر، "التفاعلات الإقليمية والدولية والأزمة السورية"، قضايا سياسية، العدد 34 العراق، 2014.
61. نعمة كاظم هاشم، المحور الجيوبوليتيكي العربي الإسلامي وعملية هيكلة النظام الدولي: نحو مقاربة جديدة، سياسات عربية، العدد 43، مارس 2020.

62. وهيب حسين حافظ، استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد 46، بغداد: مركز الدراسات الدولية، 2010.

63. يشلطاش مراد، أوزكيزلجيك عمر، السياسات التركية في سوريا آفاقها من منظور تركي، (تقارير مركز الجزيرة للدراسات، مارس 2019).

64. هاناور لازي، مصالح إسرائيل وخياراتها في سوريا، منظورتحليلي، تقارير مؤسسة راند، 2016.

65. ناتان ساشنزوكيفن هغارد، إسرائيل في الشرق الأوسط العقدين المقبلين، ترجمة أحمد عيشة، أبحاث سياسية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، نوفمبر 2020

دراسات غير المنشورة:

1. أبو مصطفى فتحي سليمان سهام، الأزمة السورية في ظل تحول التوازنات الإقليمية والدولية 2011-2013، (رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الشرق الأوسط، جامعة الأزهر، غزة، 2015).

2. بوزيدي عبد الرزاق، التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط دراسة حالة الأزمة السورية 2014-2010، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماجستير في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، جامعة بسكرة، كلية الحقوق و العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2014/2015.

3. رماش يوسف، روسيا الإتحادية في البيئة الأمنية الدولية: التحديات والمواقف، أطروحة دكتوراه علوم سياسية وعلاقات دولية جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية، 2012/2016.

4. زلاقي حبيبة، أثر المتغيرات الدولية على الدور الإقليمي لإيران في الشرق الأوسط فترة ما بعد الحرب الباردة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2017/2018.

5. شيباني إيناس، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارتي جورج بوش الأب والإبن، دراسة تحليلية مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص دبلوماسية وعلاقات دولية، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2009/2010.

6. العاصم خالد عايد ذياب، أثر العلاقات الإيرانية السعودية على الإستقرار الإقليمي في الشرق الأوسط(2011-2016) الأزمات السورية واليمنية حالة دراسة، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية، معهد بيت الحكمة في جامعة آل البيت، الأردن، 2017.
7. عبد القادر عبد المحسن رامي عبد الله، توازن القوى الدولية وأثره على الأزمة السورية، (رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدبلوماسية والعلاقات الدولية، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا، 2014.
8. العدوان طایل يوسف عبد الله، الاستراتيجية الإقليمية لكل من إيران وتركيا نحو الشرق الأوسط(2002-2013)، رسالة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم.
9. لادمي محمد العربي، التنافس الإيراني التركي على مناطق النفوذ في منطقة الشرق الأوسط 1996-2014، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، جامعة بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2013/2014.
10. ماهر سعدون خوشي صبار الساعدي، التنافس الأمريكي الروسي على دول الجذب الجيوستراتيجي بعد العام 2000(أوكرانيا وسوريا أنموذجا)، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس معهد العلمين للدراسات العليا وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه (فلسفة) في العلوم السياسية- العلاقات الدولية، جمهورية العراق، معهد العلمين للدراسات العليا، 2021.

مقالات الأنترنت:

1. جوان حمو، سوريا في المعابر الجيوسياسية الروسية وموقع كرد سوريا فيها، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 1 أبريل 2017، من الموقع: <https://www.harmoon.org/reports>
2. ما تأثير عودة ماكنغورك حليف «قسد» إلى الملف السوري في مجلس الأمن القومي الأمريكي؟، جريدة القدس العربي، 10 جانفي 2021، من الموقع: <https://www.alquds.co.uk> تمت زيارة الموقع يوم 16.01.2022

3. عنان عماد، السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. قراءة في اختيارات بايدن، نون بوست، 12.01.2021، من الموقع: <https://www.noonpost.com/content/39487> تمت زيارة الموقع يوم 16.01.2022
4. عثمان محمد، هل تشكل التحركات الأمريكية الاخيرة ملامح استراتيجية جديدة؟ (تحليل)، الأناضول، 12.03.2019، من الموقع: <https://www.aa.com.tr> تم الاطلاع يوم 01.01.2022.
5. السراج عبد الرحمن، السياسة الأمريكية تجاه سوريا في عهد إدارة بايدن، تقدير موقف، جسور للدراسات، 20 ديسمبر 2020، من الموقع: <https://jusoor.co/details> تم تصفح الموقع يوم 15.01.2022.
6. ماهو التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية؟، تقارير وحوارات، 6.1.2021، من الموقع: <https://www.aljazeera.net/news> تم تصفح الموقع يوم 14.01.2022. على الساعة 16: 25.
7. فريديريك ويرلي، الحسابات الخليجية في الصراع السوري، مركز مالكوم كير كارينغي للشرق الأوسط، 12 جوان 2014، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/2014/06/12/ar-pub-55905> تم الاطلاع في 10.01.2022.
8. منتصر أبو نبوت، مواقف أبرز الدول المعنية بالملف السوري منذ انطلاق الثورة، 14.03.2020، من الموقع: <https://www.aljazeera.net/news/politics>
9. أحمد يوسف، بعد الدعم الإنساني.. الأزمات السورية أولوية الدبلوماسية القطرية (تقرير)، 24.03.2021، من الموقع: <https://www.aa.com.tr/ar>
10. سلمى جلال، السياسة التركية حيال الأزمة السورية "2011 - 2017"، المركز الديمقراطي العربي، 23 جويلية 2017، من الموقع: <https://democraticac.de/?p=47298>
11. كلمة الرئيس بشار الأسد، الجمهورية العربية السورية وزارة الخارجية والمغتربين، 26.07.2015، من الموقع: <http://mofaex.gov.sy/ar> تم تصفح الموقع يوم 06.01.2022.
12. الأزمة السورية مسارات التسوية، من الموقع: <https://www.aljazeera.net/multimedia/infograph/2018/1/31/> تمت تصفح الموقع يوم 30.10.2019

13. براين ماكيل جينكيز، كيفية تشكيل الصراعات الحالية لمستقبل سوريا والعراق، منظور تحليلي، تقارير مؤسسة راند، 2015، ص4، من الموقع: <https://www.rand.org/ar/publications/syria.html>
14. المعارضة المسلحة في سورية: لمحة موجزة، مركز مالكوم كير كارينغي للشرق الأوسط، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=50941> تمت زيارة الموقع يوم 19.12.2021.
15. جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، مركز مالكوم كير - كارينغي للشرق الأوسط، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48396>، تم الاطلاع في 2022/12/13.
16. أنابيب النفط عبر سوريا وأسباب الحرب عليها، بالعربي، 2018/16.07، من الموقع: <https://www.belarabinews.net/ar/news/235411.htm>. تمت زيارة الموقع يوم 2021/12/14.
17. بدوي تامر، ماذا تعني إيران لسوريا جيوسراتيجيا، نشر بتاريخ 2013/09/06، من الموقع: <https://www.noonpost.com/content/435> تم تصفح الموقع يوم 2021/11/22.
18. ديمتري ترينين، المصالح الروسية في سوريا، مالكوم كير كارينغي للشرق الأوسط، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/2014/06/11/ar-pub-55899> تم زيارته يوم 2021/10/12.
19. الشاغل حسن، خارطة المصالح الدولية في سوريا، مركز الأناضول لدراسات الشرق الأدنى، جوان 2020، من الموقع: <https://ayam.com.tr/ar/> تم تصفح الموقع يوم 2021/10/12.
21. اعتداءات داعش الهمجية ضد إرث سوريا الحضاري استهداف للهوية الوطنية، الجمهورية العربية السورية وزارة الخارجية والمغتربين، 2015/08/26، من الموقع: <http://www.mofaex.gov.sy/ar/pages613> تم تصفح الموقع يوم 2021/10/23.
22. حمود يوسف، ما موقف السعودية من عودة سوريا إلى الجامعة العربية؟ الخليج أونلاين، من الموقع: <http://khaleej.online/KaJBok> تم تصفح الموقع يوم 2021/09/17.
23. سويلم حسام، الأهداف القومية الإسرائيلية واستراتيجية تنفيذها، مقالات الجزيرة، 3 أكتوبر 2004، من الموقع: <https://www.aljazeera.net/opinions> تم زيارة 2020/06/29.

24. إعلان قيام إسرائيل، وثائق وقرارات، 30 مارس 2011 من الموقع:
<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2011/3/30/> تم تصفح الموقع يوم 2021/07/29.
25. السياسة الروسية وأمن الشرق الأوسط.. بين الإرهاب وإيران، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 30 أوت 2015، من الموقع <https://rawabetcenter.com/archives/11734>: تم تصفح الموقع يوم 2021/04/27.
26. الثابت والمتغير في سياسة أمريكا في الشرق الأوسط في عهد بايدن، <https://www.dw.com/ar> تم زيارة الموقع يوم 2021/02/10 على الساعة 21:52.
27. المنشاوي محمد، بعد سيطرة بايدن الثلاثية على السلطة.. ما مصير قضايا الشرق الأوسط؟ 2021/1/9، من الموقع:
<https://www.aljazeera.net/news/politics/2021/1/9/> تم تصفح الموقع يوم 2021/02/27
28. برونس جونز، جيوبوليتيك الشرق الأوسط: نفوذ إيراني متزايد.. ومحاولات مصرية لاستعادة الريادة، الجزء الثاني، المركز الكردي للدراسات، من الموقع:
<http://www.nlka.net/news/details/7552019> 18 جانفي 2019
29. هنية خالد، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط في ظل صعود القوى الإقليمية، (مقال رأي)، من الموقع: <https://www.aa.com.tr/ar>
30. قحطان حسين طاهر، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بين الثبات والتغير، 20 أوت 2020، من الموقع: تم زيارة الموقع يوم
<https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/24258> 2021/01/26
31. مارتن أندريك، الجغرافيا السياسية الجديدة في الشرق الأوسط الحلقة الثالثة، الإنسحاب من الشرق الأوسط، الخبر برس، 4 أوت 2020، من الموقع: <https://alkhabrpress.com/archives/25047> تم تصفح الموقع يوم 2021/01/23.
32. باهر مردان، الاستراتيجية الأمريكية: الأهداف والوسائل والمؤسسات، بكين، 2014، ص 7. من الموقع: [file:///C:/Users/DELL/Downloads/32857138%20\(1\).pdf](file:///C:/Users/DELL/Downloads/32857138%20(1).pdf)

33. أبوشعشع محمد رمضان، ملفات معقدة، مستقبل الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 12 مارس 2018، من الموقع: <http://www.acrseg.org/40684> تمت زيارة الموقع يوم 2020/08/21 على الساعة 23: 45
34. حسن محمد، التنافس "السعودي التركي" يلقي بظلاله على "شرق المتوسط، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 31 جانفي 2020، من الموقع: <https://marsad.ecsstudies.com/19263/> تم الإطلاع على الموقع يوم 2020/08/24
35. الخطيب لينا، الدور السعودي النافذ في الخليج والشرق الأوسط، مقال تحليلي، مركز كارينغي للشرق الأوسط، أبريل 2015، من الموقع: <https://carnegie-mec.org/2015/04/01/ar-pub-59558> تم الإطلاع على الموقع يوم 2020/08/20
36. عبد الحليم أحمد، الدور السعودي في المنطقة.. دبلوماسية إدارة الأزمات، العين الإخبارية، 2019/09/23، من الموقع: <https://al-ain.com/article/saudi-arabia-iran-region-crisis>
37. انقلاب موازين القوى.. هل تستطيع أمريكا التخلي بسهولة عن الشرق الأوسط، وما تبعات انسحابها؟، تحليلات عربي بوست، 2019/12/21، من الموقع: <https://arabicpost.net/> تم تصفح الموقع يوم 2020/06/20، على الساعة 19: 08.
38. دانيال بايمان، كيفية محاربة الارهاب في عهد ترامب، مركز الفرات، 2017/02/11، من الموقع: <http://fcdrs.com/polotics/653> تم تصفح الموقع يوم 2020/06/20.
39. محيسن منار، المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط: الواقع والصورة النمطية، من الموقع: <https://arabi21.com/story/908040> تم تصفح الموقع يوم 26.04.2020 على الساعة 11: 20.
40. جون مرشايمر، ترجمة جلال خشيب، الواقعية، العالم الحقيقي والعالم الأكاديمي، الحوار المتمدن، العدد 5854، 18.9.2012 من الموقع <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=324771&r=08.9.2019> تم تصفح الموقع يوم 08.9.2019
41. محمد عرب الموسوي، التوسع الألماني خلال الحرب العالمية الثانية في ظل المفاهيم الجيوبوليتيكية، من الموقع <http://asrir-alalm.ahlamontada.com/t11-topic> تم تصفح الموقع يوم 2017/03/24 على الساعة 18: 44

42. محي الدين بشير، ميادين التنافس الجيوسياسي الاستراتيجي الدولي.. و الحدود الشفافة، من الموقع:

<http://katehon.com/ar/article/mydyn-ltnfs-ljywsysy-lstrtyjy-ldwly-wlhdwd-lshff> تم تصفح

الموقع يوم 25.12.2018.

43. الأمانة لمي مضر، الموقف الروسي من الأزمة السورية وانعكاساتها الخارجية، دراسات مركز الوحدة

العربية، من الموقع <https://caus.org> . lb/ar:

44. زقاغ عادل، مستوى التحليل، level of analysis، دراسات سياسية، الموسوعة الجزائرية للدراسات

السياسية والاستراتيجية، 10.02.2020، من الموقع: <https://www.politics-dz.com>.

45. نصر الله بشير، عباس شريفة، عبادة العبد الله، خريطة السيطرة العسكرية في

سوريا نهاية 201 وبداية 2022، جسر للدراسات، 24.12.2021 من الموقع:

<https://jusoor.co/details> تم تصفح الموقع يوم 21.12.2021.

46. شاهر إسماعيل الشاهر، الرؤى الأوروبية للحل السياسي في سوريا وإعادة صياغة المواقف الدولية،

دراسات وأبحاث، مركز سيتا، 5 ديسمبر 2017. من الموقع: <https://sitainstitute.com/?p=9>

باللغات الأجنبية:

Books:

1. Akl Ziad, Russia and Post-Arab Spring Political Elites in Egypt, Libya and Syria, in the role of russia in the middleeast and north africa region. strategy or opportunism?, Ziad Akl and others, Editorial team: Aleksandra Chmielewska IEMed. European Institute of the Mediterranean, april 2019.
2. André Bank and Roy Karadag, Before the Arab Revolts and After: Turkey's Transformed Regional Power Status in the Middle East, on Regional Powers in the Middle East new constellations after the arab revolts, edited by Henner Furting, 1st edition,: the United States, PALGRAVE MACMILLAN.
3. Biarnes Pierre, le 19 siecle ne sera pas American, édition du roches, paris, 1998.
4. Brzezinski Zbigniew, Strategic Vision: America and the Crisis of Global Power, 2012.
5. Byman Daniel and Sara Bjerg Moller, The United States and the Middle East: Interests, Risks, and Costs, This chapter will appear in: *Sustainable Security: Rethinking American National Security Strategy*, edited by Jeremi Suri and Benjamin Valentino. Copyright © 2016 The Tobin Project on: www.tobinproject.org PDF.

6. Christopher Phillips, the Battle for Syria, international rivalry in the new middle east, Yale University press, new Haven and London, 1st published in paperback 2018.
7. Constantinos Filis, RUSSIA, THE MIDDLE EAST AND THE INTERNATIONAL SYSTEM, Nova Science Publishers, 2019.
8. Djerad Abdlaziz **LA GEOPOLITIQUE** repères et enjeux, Alger, Editions Chihab, 2016.
9. Dodds Klaus, **Geopolitics** a very short introduction, united kingdom: oxford university press, 2007.
10. Dugin Alexander, **Eurasian Misson** An Introduction to neo- Eurasianism, Russia, Arktos Media Ltd, First Edition.
11. Fadel Hani abou, Putin's world in the middle east, notre dame university- louisiana, 4/5/2019.
12. Francis P Sempa, **Geopolitics From the Cold War to the 21st Century**, (New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.), 2002).
13. G, Etzel Percy, **The Middle East an indefinable region**, Washington: U.S. Govt. Print. Off., [1964]
14. Gérard Dussouy, Quelle Geopolitique Au Xxe Siecle ?, Paris: Les Editions Complexe, 2001, Collection Theorie Politique.
15. Gérard-François DUMONT, Les paramètres géopolitiques du Moyen-Orient, G.-F. Dumont - La géostratégie des crises au « Grand Moyen-Orient » Février 2009..
16. Gray Colin S, "Inescapable Geography, " Journal of Strategic Studies, in, Francis P Sempa, **Geopolitics** From the Cold War to the 21st Century.
17. Gray Colin S, The Geopolitics of the Nuclear Era: Heartland, Rimlands, and the Technological Revolution (New York: Crane, Russak and Company Inc., 1977.
18. ITAMAR RABINOVICH, ISRAEL AND THE CHANGING MIDDLE EAST, middle east memo, number 34, january 2015.
19. Jon B. Alterman, **Rocky herbers** taking stock of the middle east in 2015, center strateging international studies, A Report of the CSIS Middle East Program 2015.
20. Jülide karakoç, challenges to us middle east policy in the post-arab uprisings period, in, Jülide Karakoç and Duygu Ersoy, New Actors and Issues in the Post-Arab Uprisings Period, Cambridge Scholars Publishing, 2016.
21. Mackinder Halford, Democratic Ideals and Reality: A Study in the Politics of Reconstruction, NDU press defense Classic edition, with a new introduction by Stephen V. MLADINEO, national defense university press, Whashington, DC.
22. Mario Laborie Iglesias, Syria: where everyone is at war with each other, on Geopolitical overview of conflicts 2016. Spanish Institute for Strategic Studies, 2017.

23. Pierre Blanc jean Paul Chagnollaude, *l'invention tragique du moyen-orient*, Paris, Editions autrement, 2017.
24. Rasmus Alenius Boserup and others, **NEW CONFLICT DYNAMICS** Between Regional Autonomy and Intervention in the Middle East and North Africa, Denmark, Danish Institute for International Studies, 2017.
25. Reza Parchizadeh, *The Strategic Roots of Russian Expansionism in the Middle East*, The Journal for Interdisciplinary Middle Eastern Studies Volume 6, No. 2, Fall 2020.
26. Riegl Martin and Jakub Landovský, *Strategic and Geopolitical Issues in the Contemporary World*, Cambridge Scholars Publishing. 2013.
27. Robert G. Rabil, *Syria, The United States, And The War On Terror In The middle East*, Foreword by Walid Phares, (Westport, Connecticut • London Praeger Security International, First published in 2006).
28. Roland Lombardi, **Israël et la nouvelle donne géopolitique au Moyen-Orient Quelles nouvelles menaces et quelles perspectives ?**, *Études internationales*, Volume 47, numéro 2-3, juin–septembre 2016, p108.
29. Saikal Amin, Alberchtl Schnabe, *Democratization in the Middle east: experiences, struggles, challenges*, the unated nation university, new York, usa, 2008.
30. Simon Bromley, *Connecting Central Eurasia to the Middle East in American Foreign Policy Towards Afghanistan and Pakistan: 1979-Present*, Perspectives on Global Development and Technology, PGDT 6 (2007),.
31. Sotiris Roussos, **RUSSIA, THE MIDDLE EAST AND THE INTERNATIONAL SYSTEM**, In: *A Closer Look at Russia and Its Influence in the World*, Editor: Constantinos Filis © 2019 Nova Science Publishers, Inc, p349.
32. Thomas Richter, *Saudi Arabia: A Conservative Player on the Retreat?*, in Henner Furting, *regional powers in the middle east new constellations after the arab revolts*, First published in 2014 by PALGRAVE MACMILLAN® in the United States— a division of St. Martin's Press LLC, 175 Fifth Avenue, New York, NY 10010.
33. Thomas Richter, *Saudi Arabia: A Conservative Player on the Retreat?*, in Henner Furting, *regional powers in the middle east new constellations after the arab revolts*, First published in 2014 by PALGRAVE MACMILLAN® in the United States— a division of St. Martin's Press LLC, 175 Fifth Avenue, New York, NY 10010
34. William F. Wechsler, *US Withdrawal from the Middle East: Perceptions and Reality*, on: Karim Mezran, Arturo Varvelli, **THE MENA REGION: A GREAT POWER COMPETITION**, First edition, Italy: Ledizioni Ledi Publishing, October 2019.
35. ZBIGNIEW BRZEZINSKI, **THE GRAND CHESSBOARD American Primacy and Its Geostrategic Imperatives**, Published by Basic Books, 1st ed 1997.

Periodicals:

1. Abubaker Alamailes, Serdar Yurtsever, Syrian Crisis In Scope Of The Us-Russia Competition In Middle East, (International Journal Entrepreneurship and Management Inquiries (Journal EMI) Dergisi ISSN: 2602 – 3970 / Dönem / Cilt: 2 / Sayı: 3).
2. Adilkhan Gadelshiyev, The Inter-Syrian Astana Talks: Significant Contribution To The Geneva Process, *academia*. 2017
3. Alberto Gasparetto, Iranian–Turkish Relations in a Changing Middle East, *International Studies. Interdisciplinary Political and Cultural Journal* Vol. 21, No. 1/2018.
4. Angela Stent, Putin’s Power Play in Syria How to Respond to Russia’s Intervention, *foreign affairs*, vol95.NO.1january/February2016.
5. Anna Borshchevskaya, Russia in the Middle East: Is There an Endgame?, *The Washington Institute for Near East Policy*, p17, on:
6. Anna Dimitrova, Obama’s Foreign Policy: Between Pragmatic Realism and Smart Diplomacy?, on: www.culturaldiplomacy.org › pdf, p4.
7. Benedetta Berti and Yoel Guzansky, **Saudi Arabia’s Foreign Policy on Iran and the Proxy War in Syria: Toward a New Chapter?**, *Israel Journal of foreign Affairs* VIII: 3 (2014).
8. Bruno Maçães, "Russia’s New Energy Gamble: Russia Seeks to Position Itself as a Leader among Energy-Producing Equals in Eurasia", *The Cairo Review of Global Affairs*, No. 28, Winter 2018.
9. Clément Therme, **la nouvelle « guerre froide » entre l’iran et l’arabie saoudite au moyen-orient** l’harmattan confluences méditerranée, numéro 88 hiver 2013-2014.
10. Daniel Byman and Sara Bjerg Moller, The United States and the Middle East: Interests, Risks, and Costs, This chapter will appear in: *Sustainable Security: Rethinking American National Security Strategy*, edited by Jeremi Suri and Benjamin Valentino. Copyright © 2016 .
11. Endre Szenasi, US Withdrawal from Syria: Trump’s Biggest Single Gift to Putin?, *academia*, 23 decembre, 2018.
12. Farhad Rezaei, **Iran-Turkey: From Economic Partnership to Regional Rivalry**, *The Journal for Interdisciplinary Middle Eastern Studies* Vol. 1, Fall 2017.
13. Gary K. Busch, **Oil and Water – The Immiscible Solution To The War in Syria**, *reaserchGate*: May 2019.
14. Grégoire Mallard and Paolo Foradori, The Middle East at a Crossroads: How to Face the Perils of Nuclear Development in a Volatile Region, *Global Governance* 20 (2014),
15. -Hani Abou Fadel, putin’s world in the middle east, *louazise, notre dame university*, 4 /5 /2019.

16. Hani Abou Fadel, putin's world in the middle east, (louazise, notre dame university(, 4 /5 /2019).
17. Fernand Braudel, A History of Civilizations, New York: Penguen 1993.
http://www.unc.edu/depts/diplomat/item/2006/0406/sem/sempe_spykman.html.
18. Ioannis Galariotis and Kostas Ifantis, **The syrian imbroglio: international and regional strategies**, European University Institute 201).
19. James Jeffrey, U.S. Policy and Strategy in the Middle East, policy analysis, Congressional Testimony, Dec 14, 2017.
20. Jeff Feltman and others, the new geopolitics of the middle east: america's role in a changing region, a brooking interview, foreign policy at brookings.
21. Lakshmi Priya, Astana Talks: A Prelude to Peace in Syria, institute for defence studies&analyses, november2017.
22. Massimiliano Pillon, **The Syrian Conflict**, (conflict analysis of a multi-layered civil war, 2014. <https://www.academia.edu/11304521>).
23. Mohammad Salim Al-Rawashdeh, International and Regional Political Competitions in Syria "Geo-political dimensions", Journal of Political Studies, Vol. 25, Issue - 1, 2018.
24. Muhammad Nadeem Mirza, Hussain Abbas, Irfan Qaisrani, Anatomising **Syrian crisis: Enumerating actors, motivations, and their strategies (2011-2019)**,) Liberal Arts & Social Sciences International Journal (LASSIJ) Vol. 5, No. 1, January-June 2021.
25. Muharrem Ekşi, the syrian crisis as a proxy war and the return of the realist great power politics, Hybrid Warfare Special Issue, 1 (2), October 2017.
26. National security strategy, *of the united states of america*, decembre 2017.
27. Nader Uskowi, **The Evolving Iranian Strategy In Syria: A Looming Conflict With Israel**, (Atlantic Council, Issue Brief, september 2018).
28. Nicholas J. Spykman, "Geography and Foreign Policy I, In Francis P. Sempa, Spykman's World
29. Osamah Feisal K Muharrem Ekşi, the syrian crisis as a proxy war and the return of the realist great power politics, Hybrid Warfare Special Issue, 1 (2), October 2017.
30. Patrick Clawson and Simon Henderson, Energizing Policy: America and the Middle East in an Era of Plentiful Oil, Copyright 2020 The Washington Institute - printed with permission, Policy Focus 146, July 2016.
31. Rachel Avraham, Op Ed: Will Biden's Middle East Policy Fail like Previous Obama/Biden Administration?, **Guest Editorial** - February 22, 2021.

32. Saif Nussrat Tawfeeq, Muthanna Faeq Merie, and Harith Qahtan Abdullah, US National Security Strategy under President Trump Toward Middle East Issues, Article in Review of Central and East European Law · January 2020, Vol Jan, No 3- 2020 (Part I)
33. Saman Zulfqar, Competing Interests of Major Powers in the Middle East: The Case Study of Syria and Its Implications for Regional Stability, (PERCEPTIONS, Spring 2018, Volume XXIII, Number 1).
34. SAUD MOUSAED AL TAMAMY, **Saudi Arabia and the Arab Spring: Opportunities and Challenges of Security**, Journal of Arabian Studies 2.2 (December 2012).
35. Scott Lucas, Joanna Paraszczuk, **The Middle East: Between Geography and Power**, Bustan: The Middle East Book Review 5 (2014).
36. Stepanova Eketerina, “E Russia and Conflicts in the Middle East: Regionalization and Implications for the West”. The International Spectator: Italian Journal of International Affairs, vol 53, issue 4, 2018.
37. Teodor Simion, l’aventure d’une science controversée: la géopolitique, the annals of Valahia University of Targoviste, Geographical Series, tome 6-7, 2006-2007.
38. Thierry Paquo , BERNARD LEWIS (1916-2018) Orientaliste reconnu et discuté HERMÈS 82, 2018.
39. Waraporn Raksorn, The role of Russia, China, Iran and their foreign policies towards Syria on the Arab Spring”, critical review, Journal of Advances in Humanities and Social Sciences 2016, 2(4).

Theses:

1. Al-Marzouq Abdullah S F, **An Exploration of the Security Dilemma in the Middle East: The Impact of the Transformative Power of Iran’s Foreign Policy**, A thesis submitted in accordance with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Keele University School of Politics, International Relations and Philosophy.
2. halil, **At the Crossroads of Empire: The United States, the Middle East, and the Politics of Knowledge, 1902-2002**, A dissertation submitted in partial satisfaction of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy in History in the Graduate Division of the University of California, Berkeley.
3. Marsoni Elena, “**The Syrian Conflict: an Overview of Domestic, Regional and International Strategies in the Levant**”, Trabajo Final de Máster, Centro de Estudios Internacionales Barcelona, Año académico 2015-2016.

Reports:

1. Reuters Staff, Turkey issues "final word" to Syria, reuters, August 15, 2011, at <https://www.reuters.com/article/us-turkey-syria-davutoglu-idUSTRE77E43G20110815> visited 11.01.2021

2. Samy Akil , Karam Shaar,The Red Dragon in the Land of Jasmine: An Overview of China's Role in the Syrian Conflict,operations,policy center, March 24, 2021,on <https://opc.center/an-overview-of-chinas-role-in-the-syrian-conflict/> visited 04 /12/2021.
3. Sultan Barakat, Steven A.Zvck, **The syrian refugee crisis ana the erosion of eurppe's authority**,Tuesday, septembre15,2015,on: <https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2015/09/15/the-syrian-refugee-crisis-and-the-erosion-of-europes-moral-authority>.
4. Terri Moon Cronk, Defense Official Says F-15s Struck Iranian-Backed Militia Facilities In Syria, U.S Department Of Defense,feb.26.2021 ,Dad News. At: <https://www.defense.gov/News/Ne>. visited16.01.2021.
5. This Satellite Image Leaves No Doubt That Russia Is Throwing Troops and Aircraft Into Syria,” Foreign policy, 14/9/2015, at: <http://atfp.co/1Lv02Vc>.
6. . Carla E. Humud Christopher M. Blanchard, Armed Conflict in Syria: Overview and U.S. Response, Congressional Research Service, Updated July 27, 2020.
7. F. Stephen Larrabee and Alireza Nader, Turkey and Iran in a Changing Middle East, RAND Corporation.(2013),: <https://www.jstor.org/stable/10.7249/j.ctt4cgdbg.8>
8. Jon B. Alterman, **Rocky herbors** taking stock of the middle east in 2015, center strateging international studies, A Report of the CSIS Middle East Program2015, p7
9. Marisa Sullivan, **Hezbollah in syria**, Middle East Security Report 19, (Institute for the Study of War, april 2014)
10. Middle East and North Africa Regional Architecture: Mapping Geopolitical / Shifts, Regional Order and Domestic Transformations Final ReportsNo. 1, February 2019.
11. Raffaella A. Del Sarto, Helle Malmvig and Eduard Soler i Lecha, INTERREGNUM: THE REGIONAL ORDER IN THE MIDDLE EAST AND NORTH AFRICA AFTER 2011.
12. Robert Ford, **What is Trump's Real Policy in Syria?** Reports,aljazeera centre for studies, 21 May 2018.
13. Sanctions Risks Related to Petroleum Shipments involving Iran and Syria “OFAC Advisory to the Maritime Petroleum Shipping Community,”. DEPARTMENT OF THE TREASURY WASHINGTON, D.C. 20220 March 25, 2019.
14. Stephen Larrabee and Alireza Nader, Turkey and Iran in a Changing Middle East, at Turkish-Iranian Relations in a Changing Middle East, RAND Corporation. (2013)
15. V.P. Haran, **Roots of the Syrian Crisis**, (institute of peace and conflict studies, IPCS Special Report #181 March 2016).
16. Dimitri Trenin,russia's interesstes in syria,carnegie moscow center,june9 ,2014,on: <https://carnegiemoscow.org/2014/06/09/russia-s-interests-in-syria-pub-55831>

Working papers:

1. Carmen-Cristina Cîrlig, **The international coalition to counter ISIL/Da'esh (the 'Islamic State')**, (European Parliamentary Research Service, Briefing 17 March 2015).
2. Ellie Geranmayeh, **Regional Geopolitical Rivalries in the Middle East: Implications for Europe**, IAI PAPERS 18, (istituto affari internazionali,30 octobre2018),.
3. -Fatiha Dazy- Heni, **LES DIPLOMATIES DES MONARCHIES DU CONSEIL DE COOPÉRATION DU GOLFE DANS LA CRISE SYRIENNE**, L'Harmattan | « Confluences Méditerranée » 2014/2 N° 89 |.
4. Francesco D'Alema, **The Evolution of Turkey's Syria Policy**, **IAI working papers 17**, (istituto affari internazionali,28 - october 2017).
5. Rim Turkmani and Mustafa Haid, **The role of the EU in the Syrian conflict**, (Paper commissioned by the Human Security Study Group, Security in Transition, London, February 2016).
6. Ross Harrison, **The Global And Regional Geopolitics Of Civil War In The Middle East**, The Middle East Institute, February 2019 Policy Paper 2019.

Web links:

1. Aksenyonok Alexander, **What Will Biden Offer Russia In Syria And Libia**,carnegie moscow center,22.12.2020on: <https://carnegiemoscow.org/commentary/83516> visited 16/01/2022.
2. Amr Alsarraj, Philip Hoffman, **The Syrian Political Opposition's Path to Irrelevance**, Malcolm.h.kerr.carnegie middle eastcenter, published May2020, at: <https://carnegiemec.org/2020/05/15/syrian-political-opposition-s-path-to-irrelevance-pub-81799>.
3. Andrew Rettman, **LIBYA WAR IS NATO CONQUEST OF OIL-RICH SOUTH, RUSSIAN DIPLOMAT SAYS**, septembre2011, on: <https://euobserver.com>.
4. Anna Borshchevskaya,**How Russia Is Responding To Joe Biden's Syria Air Strike** ,The Washington Institute For Near East Policy,Mars1 ,2021,at <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/how-russia-responding-joe-bidens-syria-airstrike>.visited16/01/2022.
5. Benaim Daniel and Michael Wahid Hanna, **The Enduring American Presence in the Middle EastThe U.S. Military Footprint Has Hardly Changed Under Trump**, August 7, 2019, <https://www.foreignaffairs.com>.
6. Borshchevskaya Anna, **Russia's Strategic Success in Syria and the Future of Moscow's Middle East Policy**,foreign policy essay, Sunday, January 23, 2022, 10: 01 AM.on: <https://www.lawfareblog.com/russias-strategic-success-syria-and-future-moscows-middle-east-policy>,visited16/02/2022

7. Cüneyt Yenigün, Regional Power of the Middle East, 2016 ©TASAM/0164 - Sects, | 412 Ethnicity and Conflict Resolution January 2016, p416.<https://www.researchgate.net/publication>.
8. Frederic Wehrey, **gulf calculations in the syrian conflict**, carnegie endowment for international peace, june9? 2014. On: <https://carnegieendowment.org/2014/06/09.visited12/12/2021>.
9. Hal Brands, Why America Can't Quit The Middle East, Thursday, March 21, 2019, on: <https://www.hoover.org/research/why-america-cant-quit-middle-east>, visited 5th febreary202
10. Imad Fawzi Shueibi, War over gas. struggle over the Middle East: Gas ranks first. Voltaire Network/ Damascus (Syria) /17 April 2012, Retrieved 14.01.2022, from <http://www.voltairenet.org/article173718.html>.
11. Marc pierni,the european union's concerns about syria,carnegie europe, june09,2014.on: <https://carnegieeurope.eu.visited19/01/2022>.
12. Mohamed Troudi, La politique de l'Arabie Saoudite au Moyen-Orient, 19 avril 2016, <https://www.huffingtonpost.frhtml>, visite le 13 /09/2021.
13. Muhittin Ataman, Biden's policy toward the Middle East, FEB 24, 2021, ON: <HTTPS://WWW.DAILYSABAH.COM/OPINION/COLUMNS/BIDENS-POLICY-TOWARD-THE-MIDDLE-EAST>
14. Pierini Marc, the european union's concerns about syria, Carnegie Europe,june09 2014,at: <https://carnegieeurope.eu/2014/06/09/european-union-s-concerns-about-syria-pub-55851>.
15. Przemysław Osiewicz,**the eu and the syrian conflict: a decade on,whatcomes next**, July 30, 2021, <https://www.mei.edu/publications/eu-and-syrian-conflict-decade-what-comes-next>.
16. Yezid Sayigh,SYRIA IN CRISIS the war over syria's gas fields,Malcolm H.Keer Carnegie Middle East Center, June 08, 2015,at <https://carnegie-mec.org/diwan/60316visited26/01/2022>.
17. Ziadeh Radwan, Syria Peace Talks In Geneva: A Road To Nowhere, Arab Center Washington DC, March27, 2017, at: <https://arabcenterdc.org/resource/syria-peace-talks-in-geneva-a-road-to-nowhere>. visitedon 23/12/2021.

الفهارس

فهرس الجداول

- جدول رقم 1: جدول يوضح طول الحدود مع سوريا.....184
جدول رقم 2: يبين التطور الزمني للدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش".....220

فهرس الخرائط

- خريطة رقم 1: دول منطقة الشرق الأوسط.....51
خريطة رقم 2: خريطة توضيحية لمنطقة الشرق الأوسط بمفهومها الضيق والواسع.....54
خريطة رقم 3: خريطة توضح منطقة قلب الأرض لماكندر.....69
خريطة رقم 4: خريطة توضح الهلال الهامشي لسبيكمان.....75
خريطة رقم 5: موقع الشرق الأوسط بالنسبة لروسيا.....94
خريطة رقم 6: خريطة تمثل الهلال الشيعي الإيراني.....156
خريطة رقم 7: الموقع الجغرافي لسوريا.....185
خريطة رقم 8: التقسيمات الإدارية لسوريا.....185
خريطة رقم 9: خريطة المواقع الأثرية والمتاحف في سوريا.....191
خريطة رقم 10: موقع سوريا بالنسبة للبحار الخمسة.....193

فهرس الأشكال

- الشكل رقم 1: التصورات المتبادلة بين إيران والعالم العربي والولايات المتحدة.....156

فهرس المحتويات:

شكر وتقدير

إهداء

كلمة أولى

1	مقدمة.....
15	الفصل الأول: التنافس الجيوبوليتيكي في منطقة الشرق الأوسط: مسح تاريخي ونظري.....
17	المبحث الأول: الخلفية التاريخية للتنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى:.....
18	المطلب الأول: التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى أثناء الحربين العالميتين.....
22	المطلب الثاني التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في فترة الحرب الباردة.....
29	المطلب الثالث: التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى بعد نهاية الحرب الباردة.....
40	المبحث الثاني: منطقة الشرق الأوسط: قلب الجيوبوليتيكا القديمة والجديدة.....
40	المطلب الأول: الموقع الجيوبوليتيكي لمنطقة الشرق الأوسط.....
54	المطلب الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لموقع الشرق الأوسط:.....
62	المبحث الثالث: التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط: تأصيل نظري.....
	المطلب الأول: التنافس الجيوبوليتيكي للقوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط من منظور الجيوبوليتيكا الكلاسيكية.....
63	المطلب الثاني: النظريات المعاصرة: تجاذبات العولمة والجيوبوليتيكا وعودة جيوبوليتيكا العصر القديم.....
76	الفصل الثاني: مستويات حضور القوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط.....
89	المبحث الأول: المسوغات الجيوبوليتيكية لتنافس القوى الكبرى العالمية في منطقة الشرق الأوسط... ..
	المطلب الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط في مدركات القوى الكبرى العالمية.....
91	المطلب الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط في مدركات القوى الإقليمية.....
111	المبحث الثاني: الحضور الجيوبوليتيكي للقوى العالمية في الشرق الأوسط.....
126	المطلب الأول: الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط: محاولة الحفاظ عن هيمنة أحادية في عالم يسعى للتعدد.....
126	المطلب الثاني: البيقظة الروسية وحلم العودة للساحة الدولية من البوابة الشرق أوسطية.....
140	المطلب الثالث: التواجد الصيني والأوروبي في منطقة الشرق الأوسط.....
150	

المبحث الثالث: مستويات نفوذ القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط.....	154
المطلب الأول: الأداء الاستراتيجي الإيراني في الشرق الأوسط: تفعيل الجيوبوليتيك الشيوعي....	154
المطلب الثاني: الحضور التركي في الشرق الأوسط: محاولة إحياء العثمانية الجديدة.....	161
المطلب الثالث: إسرائيل وحافز التواجد الإقليمي في المنطقة.....	166
المطلب الرابع: التفاعل الجيوبوليتيكي للعربية السعودية في منطقة الشرق الأوسط.....	172
الفصل الثالث: الجيوبوليتيكا السورية: مركز اهتمام القوى الكبرى.....	179
المبحث الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في منطقة الشرق الأوسط.....	181
المطلب الأول: الموقع الجيوبوليتيكي لسوريا في منطقة الشرق الأوسط.....	181
المطلب الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في الاستراتيجيات الدولية.....	192
المبحث الثاني: النزاع السوري: الأسباب، الفواعل والمسارات.....	201
المطلب الأول: أسباب النزاع السوري: الربيع العربي وعدوى الانتشار والمصالح الأجنبية.....	201
المطلب الثاني: تأثير التجاذبات الداخلية على تدويل النزاع السوري:.....	209
المطلب الثالث: مسارات التسوية للنزاع السوري.....	221
المبحث الثالث: التنافس الإقليمي في سوريا.....	230
المطلب الأول: التنافس الإيراني التركي في سوريا.....	230
المطلب الثاني: أبعاد الموقف الخليجي من النزاع السوري (السعودية وقطر..)	241
الفصل الرابع: تفاعلات علاقات القوة للقوى الكبرى في سوريا منذ سنة 2011.....	248
المبحث الأول: الاستراتيجية الأمريكية في سوريا منذ سنة 2011: "حسابات المصلحة والتكلفة في منطقة صدام جيوبوليتيكي".....	250
المطلب الأول: التفاعل الأمريكي في سوريا في بداية الانتفاضة.....	250
المطلب الثاني: الاستراتيجية الأمريكية بعد التدخل الروسي في سوريا.....	257
المبحث الثاني: الاستراتيجية الروسية: الأوراسية الجديدة والمدخل السوري للشرق الأوسط.....	273
المطلب الأول: الدعم الدبلوماسي واللوجستي للنظام السوري:.....	273
المطلب الثاني: التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا منذ سبتمبر 2015.....	280
المبحث الثالث: التفاعل الأوربي والصيني في النزاع السوري.....	291
المطلب الأول: أزمة اللاجئين السوريين والتعامل الأوربي مع النزاع السوري.....	291
المطلب الثاني: الدعم الصيني للنظام السوري والقرارات الروسية.....	300
الخاتمة.....	309
قائمة المصادر والمراجع.....	315

342	الفهارس
343	فهرس الجداول
343	فهرس الخرائط
343	فهرس الأشكال
344	فهرس المحتويات:
347	الملخص:

الملخص:

يشهد القرن الواحد والعشرين عودة الجيوبوليتيكا لتفسير العلاقات بين الدول، خاصة في شقها التنافسي الصراع، فبعد طروحات مفكري العولمة والجيوبوليتيكا النقدية القائلة بانتهاء دور المتغير الجغرافي في التفاعلات الدولية، ومن تم تحييد الجيوبوليتيكا في تفسير العلاقات الدولية الشائكة، يحاجج أنصار الجيوبوليتيكا على انبعاثها من جديد في عالم التكنولوجيا والفضاء السبراني والمنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسيات، وعودة التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى على المناطق الحيوية، مثل منطقة الشرق الأوسط يعطينا الحجة والأهمية لدراسة هذا الموضوع.

تركز الدراسة على التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط دراسة حالة سوريا منذ وصول شرارة الربيع العربي لها في ربيع 2011 واستمرارها إلى غاية اليوم. فنبحث في خلفية التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى الكبرى وتطور مساراته حسب التغيرات المتسارعة والحاجات الدولية للأطراف الفاعلة، وما أعطته الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط لتكون رقعة شطرنجية إقليمية وعالمية في سياق التنافس الجيوبوليتيكي وآلياته ومستويات حضور القوى الكبرى. لنحاول تسليط الضوء على الحالة السورية باعتبارها موضوعا دسما أكاديميا، ومجالا حيويا واقيا لتطبيق نظريات ومستويات ومخرجات التنافس الجيوبوليتيكي.

خلصت دراسة وتحليل الموضوع إلى أن جغرافيا الدول والمناطق مازالت البوصلة الجيوبوليتيكية في تحديد سياقات التفاعلات الدولية للقوى الكبرى في معركتها للسيطرة على المناطق المفتاحية والمحورية. وفي هذا السياق وقعت سوريا ضحية الجغرافيا والمصالح الدولية التي جعلت من انتفاضة شعب مطالبة بالاصلاح الداخلي نزاعا دوليا متعدد الأطراف تتجاذب مجرياته أجنادات القوى الكبرى دون أفق واضحة لإنهائه

Abstract:

The twenty-first century marks the return of geopolitics to interpret inter-State relations, particularly in its rival conflictive part. After the proclamations of globalization and critical geopolitics that the role of the geographical variable in international interactions has ceased, and of the neutralization of geopolitics in the interpretation of thorny international relations, the proponents of geopolitics argue for its resurgence in the world of technology, space and international organizations and multinational corporations.

The study focuses on the geopolitical rivalry among the great powers in the middle east. The case of Syria has been studied since the arrival of the Arab Spring 2011 and its continuation to the present day. We look at the background of the geopolitical rivalry between the great powers and the evolution of its paths according to the rapid changes and international needs of the actors, and what the geopolitical importance of the middle east area in the context of geopolitical rivalry, its mechanisms and the levels of presence of the great powers. We focus on the Syrian case as an academic topic, and a vital space for the application of theories, levels and outputs of geopolitical rivalry.

The study concluded that the geography of countries and areas is still the geopolitical compass in determining the context of the international interactions of the great powers in their battle to control the key and pivotal area.

In this context, Syria fell victim to geography and international interests that made the uprising of a people demanding internal reform a multilateral international conflict, the course of which attracts the agendas of the great powers without a clear horizon.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Batna-1- Hadj Lakhdar

Faculty of Law and Political Sciences

Department of Political Sciences



The geopolitical rivalry of the great powers In the Middle East: The case study of Syria since 2011

A Thesis Submitted To Obtain A Doctorate Degree In The Third Phase (L.M.D.)
In Political Sciences

Specialty: International Relations And Geopolitics Of Asian Studies.

Presented by:

Saida Benregreg

Supervised by:

Zidane Ziani

Board of examiners

Prof. Ragdi Abdellah	professor	University Of Batna 1	Chairman
Dr. Zidane Ziani	MCA	University Of Batna 1	Supervisor
Prof. Heceme Dine Bouissi	Professor	University Of Msila	Examiner
Dr. Foued Djeddou	MCA	University Of Biskra	Examiner
Dr. Sami Bakhouché	MCA	University Of Batna 1	Examiner

Academic year : 2021-2022.